





تفسير



جزء عم

عَبدالله الطيّب



الطبعة الثالثة
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

برعاية ديوان الزكاة الاتحادي





اللَّهُمَّ ارحَمْني بالقُرءان واجْعَلهُ
لي إمَاما وَنُورا وَهُدىً وَرَحْمَةً

تفسير جُزء عَمّ

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر-السودان

٢١٢.٣٥ عبد الله الطيب عبد الله الطيب، ١٩٢١-٢٠٠٣

ع ط.ت

تفسير جزء عم/ عبد الله الطيب عبد الله الطيب.-الخرطوم: مؤسسة العلامة عبد الله الطيب الخيرية للطباعة والنشر، ٢٠١٦.

٤٥٨ ص؛ ٢٠ سم

ردمك 978-99942-4-600-7

١. القرآن – تفاسير. ٢. جزء عم- تفسير.

٣. القرآن- سور وآيات-تفاسير أ. العنوان

تفسير جُزء عَمّ

عَبد الله الطيّب

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

الطبعَة الأولى

١٣٩٠هـ

الطبعَة الثَانِيَة

١٤٠٤هـ

الطبعَة الثَالثة

١٤٣٨ -٢٠١٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله نستعينه، لا إله إلا هو وعليه توكلنا، وهو رب كل شيء وإليه المصير، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، وصلى وسلم على آله وصحبه أجمعين.

وبعد فهذا تفسير جزء عم نأمل بعون الله أن نتمه ثم نفسر بعده أجزاء القرآن جزءاً جزءاً إلى أوله. وهذا منهج التعليم.

هذا، واعلم أنه لا بد من طهارة في النفس والجسد قبل قراءة القرآن ومس المصحف ودرس كتاب الله وأن يستعيذ المرء بالله من الشيطان الرجيم. وقالوا يستعاذ بعد القراءة حملاً على ظاهر الآية. ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨ . والجمهور على الاستعاذة قبل القراءة وهو الجاري عليه العمل، ولها صيغ أشهرها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وانظر باب الاستعاذة في غيث النفع فهو كاف إن شاء الله. وهل يعاود المرء الاستعاذة كلما انقطع عن التلاوة؟ قالوا إذا كان الانقطاع بسبب يتصل بالتلاوة، كالدرس والرجوع إلى المصحف والتفسير وما إلى ذلك، أجزأ التعوذ الأول والله أعلم.

هذا ويبسمل القارئ عندما يبدأ به من كتاب الله وفي أوائل السور إلا سورة براءة فإنها نزلت بالقتال أو هي متصلة بسورة الأنفال وتجوز التسمية إن بدأ المرء بشيء من أوساطها إذ حكمه حكم سائر آيات القرآن والله أعلم. والبسملة من آيات القرآن في سورة النمل واختلفوا هل هي آية من كل سورة عدا براءة أو هي آية من الفاتحة ولهم في ذلك أقوال والراجح أنها ليست بآية إلا من سورة النمل على ما قدمناه والله أعلم.

واختلفت أوجه الأداء في البسملة، ولا اختلاف أنه يبدأ بها وإنما الخلاف إذا استمرت التلاوة هل يفصل بها بين السورتين أو لا؟- فمن القراء من يسكت عند آخر كل سورة ثم يبسمل للتي تلي. ومنهم من يسكت ولا يبسمل ويجعل السكوت فاصلاً، ومنهم من يصل بلا بسملة. وقد تروى بعض هذه الأوجه معاً للقارئ الواحد وذلك كله مفصل في كتب الأداء وواضح تفصيله في غيث النفع وفي النشر فيُرْجَعُ إلى ذلك إن شاء الله تعالى.

هذا وكتب التفسير كثيرة. ومنهن أمهات لا يستغنى عنهن عصر ولا جيل مثل جامع البيان للطبري وكتاب التفسير للبخاري من الجامع الصحيح وهذا تمثيل لا يراد به الحصر جزى الله أهل العلم والاجتهاد والإخلاص والتوفر على خدمة هذا الدين خيراً كثيراً كلهم أجمعين.

ثم إن كل عصر قد يحتاج إلى منهج في التفسير يقرب منه معاني لغة كتب التفسير الأمهات اللواتي هن السبل إلى أسرار نور القرآن ومعانيه- إذ لا يصح القول في آيات الله باجتهاد لا يستند على حجة من سنة أو أثر صحيح أو بيان في اللغة ظاهر ميسور قريب.

وهذا هو المنهج الذي عمدت إليه. ورجحت أقوال السلف في مواضع الخلاف وذلك أنها يقربها إلى الصّحّة كونُها أملأ بالإيمان- قال الإمام اللقاني رحمه الله:

وصَحْبُه خَيْرُ القرون فاسْتَمِعْ فتابِعي فتابعٌ لمن تَبِعْ

وقد يحلو الرأي لصاحبه ولا يفطن أنه مُخَالِطُه نَزْغٌ مّا وإنما الأعمال بالنيات فنسأل الله أن يَكُنّ إليه مخلصات ومنه ولديه سبحانَهُ القَبول.

وقد صدرت كل قطعة من التفسير بالآيات المراد تفسيرها والتزمت في خطهن رسم المصحف غَالِباً إلا بعض الألفات فقد أثبتها تيسيراً للقارئ وهي تثبت في خط المصحف باليد

بالألف الحمراء مثل «الصالحات» «العاديات» وقد أثبتتها بعض المصاحف وكتب التفسير المطبوعة. وأمثال (أامن) فقد أجعل مدة على الألف في التفسير هكذا (آمن) لا في نص الآية غالباً. وعندي أن رسم المصحف أجود وأدل من المدة التي نرسمها الآن. ولعل رسم المصحف أدل على نطق الكلمات وأصح تبييناً لها من كثير من مناهج كتابتنا الآن وهذا باب ليس ههنا موضع استقصائه ونأمل أن نعرض له في موضعه إن شاء الله.

وقد اعتمدت في منهجي هذا أن أفسر بعض الكلمات والعبارات المفردات وأنبه على بعض ما جاء في ذلك من وجوه التأويل.

ثم مِن بَعْدُ أتناول جملة ما قدمته بتلخيص من التفسير منظور فيه إلى ابن جرير والجلالين وتفسير البخاري وسوى هؤلاء ثم أتبع هذا التلخيص بتلخيص آخر بلغتنا الدارجة إن شاء الله تعالى.

وقد آثرت في رسم الألفاظ الدارجة أن أقرب ذلك بقدر المستطاع إلى ما يشبه من الألفاظ الفصيحة، فقولنا في العامية عليه وإليه الهاء فيه مضمومة واللام حركتها مزدوجة بين الفتحة والكسرة فربما وضعت عليها كسرة وفتحة معاً وربما عريتها من ذلك أو من الفتحة واكتفيت بالكسرة. وقولنا في العامية إنه ننطقه بهمزة مكسورة ونون مشددة مضمومة. وقولنا كتابهم لجمع المذكر الغائب ننطقه بباء مضمومة بعدها نون وللمؤنث بباء مكسورة بعدها نون ولكن رجح عندي أن أراعي الأصل فأثبت الضمير الذي يدل عليه ويكون ذلك بمكان الاصطلاح هكذا: كتابهم. وبَعْضُ ذلك مبيّن في الهامش لإعانة القارئ إن شاء الله. والسبب في هذا الترجيح أن الضمير «هم» المتصل قد يجيء في مواضع من العامية كقولهم: قول هُمْ، وقايلنّهم أي قائلون إنهم وقايْلاَتنهم أي قائلات إنهم وقد يظهره الشعر مثل نحو أماتْهِن وقد يظهر حين وقوعه بعد حرف الجزء «ليهم» و «عليهُمْ» وبعد الجمع المضاف «إيديهُمْ»

و«رِجْليهم» وهنا قد يجاء بالنون أو يجعل الحرف ميماً أحياناً والله تعالى أعلم. وأمثال كتابها تنطق في العامية كتاباً وقد يظهره الشعر أحياناً فيقال كتابَهَا، هذا ومما يحسن أن يحتج به للاسلوب الذي اتبعته في الخط في هذا الباب أن العامية نفسها في تغير وأخذ من الفصيحة مستمر وإنما الأرب الارتفاع بها حتى يغلب المنهج الفصيح بإذن الله تعالى وهو المستعان.

هذا وما دعاني إلى إثبات التخليص بالدارجة إلا أرب التيسير فقد وجدت أن درس القرآن قد دَرَسَ دروساً ولقد شهدت التلعثم يقع في قصار المفصل القصار جداً بين خريجي الجامعات. فهذا أمر يجب تلافيه.

وقد بدأت هذا العمل منذ اثني عشر عاماً ثم إنني بعد أن فرغت من جزء عم وأعددت مادة جزء تبارك بدا لي أن أذيع أتممته من طريق الإذاعة. وقد أعان الله في ذلك فكان هذا مما صحح العزم على العودة لما كنت قد أعددت من قبل ومراجعته مراراً حتى استقام منه هذا الذي أقدمه للقارئ الكريم.

هذا وقد عنيت بأن أنبه إلى مذهب قراءة أبي عمرو من رواية الدّوريّ إذ هي قراءة أكثر أهل بلادنا. ومنهم من يقرأون برواية ورش عن نافع. والمصحف المطبوع المتداول برواية حَفْصٍ عن عاصم وقد يقرأه التلاميذ في المدارس من غير ما تلقين صحيح. فتختلط عندهم الروايتان فوجب التنبيه على ذلك.

وقراءة أبي عمرو برواية الدوري هي إحدى روايات أربعَ عشرة من قراءات سبع اختارها أبوبكر بن مجاهد وأخذت عنه فسار عليها الأداء من بعد وأشهر ذلك من طريق المنظومة المعروفة بالشاطبية وكتاب التّيْسير الداني وغيث النفع للسفاقسي والنشر لابن الجزري وهذا قد تحدث عن القراءات السبع والقراءات الثلاث المتممة لها عشرا.

والقراء السبعة المنسوبة إليهم القراءات السبع هم نافع بالمدينة وروى عنه ورش وقالون وابن كثير بمكة وروى عنه البزي وقُنْبل وابْنُ عامرٍ بالشأم وروى عنه هشام وابن

ذكوان وأبو عمرو بالبصرة. وروى عنه يحيى اليزيدي وعنه روى الدوري والسوسي وعاصم وحمزة والكسائي بالكوفة وعن عاصم روى حفص وشعبة وعن حمزة خلف وخلاد وعن الكسائي الدوري وأبو الحرث وكانت لهؤلاء القراء السبعة مذاهب في الأداء عرفوا بها. واعلم أنه إذا قيل القراء السبعة فليس ذلك بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وإنما هؤلاء علماء اختارهم أهل الأداء واتبعوا مذاهبهم من بعد.

واعلم أنهم قد اصطلحوا لفظ القراءة والقارئ للسبعة الذين ذكرنا ومن بمنزلتهم من أصحاب القراءات الأصول كابن محيصن وأبي جعفر والحسن البصري. ولفظ الروَاية والراوي للآخذين عنهم قراءاتهم مثل قالون عن نافع وحفص عن عاصم وكان حفص يقرأ بضم الضاد في سورة الروم ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ الروم: ٥٤ . اختياراً منه ولكن المصاحف التي بروايته عن عاصم تثبت قراءة عاصم لـهَذا الحرف بفتحها فعسى هذا أن يبين شيئاً فَرْق ما بين اصطلاحي القراءة والرواية والقارئ والراوي. وقد اصطلحوا لمن انتشرت الرواية من جهته بين أهل الأداء لفظ الطريق كالأزرق في رواية ورش وابن عبدوس في رواية الدوري عن أبي عمرو وقد يقع في هذا الكتاب استعمال لفظ القراءة للرواية اختصاراً كأن يقال قراءة حفص عن عاصم أو قرأ حفص والمراد واضح إن شاء الله تعالى. ومتى ذكرنا حَفْصاً فإنما نريد به حفص بن سليمان بن المغيرة ربيب عاصم بن أبي النّجود لا غير.

هذا وقد انتشرت رواية ورش بالمغرب ومصر ورواية حفص بتركيا وكانت قراءة أبي عمرو بمصر والشام مشهورة ثم غلبت رواية حفص من بعد. ورواية حفص أميل إلى تحقيق الهمزات وترك الإمالة وقراءة أبي عمرو تميل إلى إسقاط الهمزات المتشابهة وتستعمل التسهيل وهو جعل الهمزة بين بين. ولأبي عمرو نوعان من الإمالة، كاملة وهي مثل التي في كلمة رأى والتوراة والكافرين في حالتي الجر والنصب، وبين بين ويقال لها التقليل وهي التي في رؤوس الآيات ذوات الألف اللينة في إحدى عشرة سورة من القرآن وطريقها أن تميل الألف نحو

الكسرة شيئاً يسيراً بأن تجعلها شيئاً بين الفتح والأمالة والله أعلم. وفي أدائها عسر يحتاج إلى إحكام مران. ومصاحف الخط اليدوي في السودان لا تثبتها وإنما تضع النقطة الحمراء تحت الألف لما فيه إمالة البطح أي الأمالة التامة. وروى ابن الجزري من غير طريق الشاطبية خلفاً عن أبي عمرو في إمالة التقليل وأثبتها له الطبري وقوى مذهبه فيها في تفسيره سورة الشمس. وفي شرح الشاطبية لابن الفاصح أن الفتح أصل والأمالة فرع فكل من له الأمالة فله الفتح وليس العكس وعلى هذا صح أداء الناس عندنا إذ تركوا الفتح في موضع التقليل في رؤوس الآي وفي غيرها مما رويت لأبي عمرو فيه إمالة التقليل.

وقد نبه أهل الأداء على أن إمالة التقليل راعى أبو عمرو فيها عَدَد الآيات كما هي عند المدني الأول وهوَ أستاذه أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي مولاهم. وقد بين صاحب غيث النفع مواضع الإمالة من كل سورة من السور الإحدى عشرة، طه والنجم وسأل والقيامة والنازعات وعبس والأعلى والشمس والليل والضحى وإقرأ.

هذا وقد نبهنا على موضع التقليل من رؤوس الآي دون غيرها للذي ذكر الطبري في سورة الشمس وإلا فلأبي عمرو مواضعُ أخرى للتقليل نص عليها أهل الأداء فيرجع إليها هناك إن شاء الله.

هذا ونأمل بعد أن يطبع المصحف كاملاً برواية أبي عمرو كما قد تم طبعه برواية حفص وورش. وأن تتبع ذلك طبعات للروايات الأخر فإن ذلك مما عسى أن يتم به أمر العناية بكتاب الله والمحافظة عليه. والله أسأل أن يعين على هذا العمل وأن يجنبنا الزلل وأن يلزمنا مذهب السنة والجماعة فهو السراج والمنهاج والله على كل شيء قدير وله الحمد والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأل الله أن نكون بشفاعته من الناجين في الدنيا والآخرة وبالله التوفيق.

٥ صفر ١٣٩٠ هـ

عبد الله الطيب

تفسير سورة النبأ

وَهِيَ مِنَ السُّوَرِ المَكِّيَّةِ وَنَزَلَتْ بعد سأل سائِلٌ وفيها أَرْبَعُون آيَةً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذَكَرْنا في المُقدِّمَة آراء العُلَماء في البَسْمَلَةِ والاستعاذة

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ النبأ: ١ - ٤ .

المفرَدات

عَمَّ : أَصلُهُ من حرفِ الجرِّ «عن» مُرَكَّباً مع «ما» الاسْتِفْهاميَّة وَمَعْناهُ: عن أيِّ شَيءٍ، وَيَحْتَمِلُ مَعْنَى في أيِّ شَيْءٍ وَلأَيِّ شَيْءٍ؟ سؤال.

النَّبَإِ : أَصلُهُ في اللغة «الخَبَرُ»- وَذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسيرِ لَهُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً في هَذِهِ السُّورَةِ. فَقالَ بعضُهم المُرادُ هُنا خَبَرُ البَعْثِ وَالْقِيامَةِ وَقالَ بَعْضُهُم المُرادُ هُنا القرآنُ لِأَنَّ قُرَيْشاً لَهَجوا بِأَمْرِه فمنهم من قالَ إِنَّهُ شِعْر ومِنْهُمْ من قالَ إِنَّه سحر. وَقالَ بَعْضُهم المُرادُ: النُّبُوَّةُ، ذَكَرَ هذا القَوْلَ الثالِثَ الزَّمَخْشَري في الكشَّافِ. وَظَاهِرُ الآيةِ يَحْتَمِلُ الثلاثَةَ جميعاً لأَنَّ القرآنَ يُخبرُ الناسَ عن البعْثِ ويَحْمِلُ رسالةَ النُّبوَّة

والله تعالى أعلم.

كَلَّا : لَفظٌ يُستَعمَلُ لِلإنكارِ وَقد يُرادُ بِه التَّأكِيدُ الرّادِعُ.

مُختَلِفُونَ : بَعْضُ الـمُفَسِّرينَ يَرَوْنَ أَنَّ المختلفين هم المسلمون والكافِرون، المُسلِمون صَدَّقوا بِنَبإِ الـقُرْآنِ وَالْكافِرون كَذَّبوا به. والجلالان في تفسيرهما أَمْيَلُ إلى هذا الرَّأْيِ. وبعضُ المفسرين يَرَوْنَ أن الذين تساءَلوا هم أَهْلُ مكَّة المشركون وهُمُ المختلفون. وهذا الوَجْهُ أَشْبَهُ بِسِياقِ الآيةِ والله تعالى أعلم.

الخُـلاصَة

عن أيِّ شَيءٍ يسأَلُ هؤلاء المشركون بَعْضُهم بَعْضاً. إنّهم يَتَساءَلُونَ عَنْ هذا الخَبرِ الّذي هُمْ يَختَلِفونَ فيه وَيَختَصِمون. فبعضُهم يُصَدِّقُ بعْضَه وبعضُهم يَقْطَعُ بإِنْكارِهِ وتكذيبِه. مثلاً بَعضُهم ينكرون الْبَعْثَ كل الإِنْكار ودلَّنا القرْآنُ على نَحْوِ هذا من اعتقادِهم كقولِه تعالى: ﴿ مَاهِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ الجاثية: ٢٤ وبَعْضُهم يَشكُّونَ فيه ويقُولون عسى أَن يَكُونَ. وَسَيَفْصِلُ الله بينهم يَوْمَ القِيامَةِ في هذا الاختلافِ. وَإِنَّهم حقّاً سيعلمون يَوْمَئِذٍ أَنَّ البَعْثَ كائِنٌ وَأَنَّ القرْآنَ حَقٌّ وَأَنَّ نُبُوَّتكَ يا مُحَمدُ صحيحة، إِنَّهُم حَقّاً سَيَعْلَمون.

وَتَكرارُ قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ لِلْوعيدِ وَالتَّهْديدِ والتَّأْكيد. وبَعْضُ الْـمُفَسِّرينَ من السَّلَفِ قالوا إنَّ الآيةَ الأُولى يُرادُ بها الكافِرونَ والآيَةَ الثَّانِيَةَ يُرادُ بها المؤمِنُونَ: أي كَلَّا سَيَعْلَمُ الكافِرون وكلَّا سَيَعْلَمُ المؤمنون. والعِلْمُ اليقينيُّ واقِعٌ لا شَكَّ يَوْمَ القيامة

للمؤمنينَ والكافِرينَ جَميعاً. ولكنَّ المؤمنين مُطْمَئِنُّونَ في هذه الدَّار بإِيمانِهم. وظاهِرُ الآيَةِ يُشْعِرُ بأَنَّ التهْديدَ مُنْصَبٌّ على الكافِرين وَحْدَهُم والله تعالى أَعْلَم.

خُلاصَة بالدارجَة

المِشْرِكين ديل بيتْنَاشَدُوا من شِنُو؟ دا سؤالْ قاله ربّنا عزَّ وجلَّ للنَّبي عليهُ الصَّلاةُ والسَّلام وفيه توبيخْ للمشركينِ. وبَعَدينْ أجابْ ربّنا السُّؤَالْ وقالْ المِشركِين ديلْ بيتْنَاشَدُوا من «النَّبَأِ الْعَظِيمِ» يعني الخَبَرْ الكَبيرْ خَبَر الْقِيامَةْ وخَبر النُّبُوَّهْ وخَبَر القُرْآنْ الْبيتْكَلَّمْ بالصَّوابْ. وهم كلَّهُمْ[1] مختلفينْ في أَمْر النَّبأْ العَظيم دَا. بَعَضْ منَّهم يَقُولوا جائِزْ يَكُونْ. وَبَعَض مِنَّهم يَقولُوا مُسْتَحيلْ. وَبعَدين قَطْعاً وَقولاً واحِداً كُلَّهُمْ بيعْرفُوا الْحَقيقَةْ ثُمَّ قَطْعاً وَقَوْلاً وَاحِداً بِيَعْرَفوا الْحَقِيقَةْ[2].

والتَّكْرار دَا ربّنا جَابه تهديدْ للمِشرِكينْ. وكَلِمة «كَلَّا» في الآيَتيْنِ مَعْناه قَوْلاً واحِداً وأَكيداً وقَطْعاً ومن دُون شَكّ. والمُفَسِّرين عِنْدَهم اختلافْ بَسيطْ أَحْسَنْ نَعَرْفُهْ. بَعَضُهُمْ[3] قالوا المختَلْفِين ديل المُشْرِكينْ والمُؤمنين في شان المُؤمنين صَدَّقُوا بالرِّسالة. والمشركينْ كَذَّبوا بيها. وبَعَضُهمْ قالُوا المختلفينْ ديل المشْرِكينْ نَفْسَهُمْ

---

(1) كُلَّهُنْ بالنون وفتح اللام مشددة والهاء للمذكر في الدارجة الأصيلة وبكسر الهاء للمؤنث كُلّهِنْ للمؤنث والآن قد تستعمل الصيغة التي أثبتنا وآثرناها لدفع اللبس. كذلك هم أحياناً في العامية تكون ميمها نوناً وأحياناً ميماً مشددة مفتوحة وأحياناً كما أثبتنا بين من يعرفون القلم. وانظر المقدمة.

(2) التنوين بالنصب في جميع الحالات كثير في دارجتنا بقصد التأكيد.

(3) بعضهم بفتحين وضاد مضمومة والهاء كأنها لا تنطق ثم ميم أو نون.

كلُّ جَمَاعةْ مِنَّهُمْ عِنْدَهُمْ رايْ وهُمْ أَل كانُوا بيتْناشدوا. والتفسيرْ الأَوَّلاني جايز. والتَّاني مِمَاشِ لي ظَاهِر الآية. وسيدنا الطَّبَري مال ليهُ.

أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً. وَالجِبالَ أَوْتاداً. وَخلَقْناكُمْ أَزْواجاً. وَجعَلْنا نَوْمَكُم سُبَاتاً. وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً. وَجعَلْنا النَّهارَ مَعاشاً.

المفـــرَدَات

مِهَاداً	:	المهادُ هو الفراشُ أَوْ كلُّ شَيْءِ مُمَهَّدٍ مِثْلَ الْفِراشِ وَالبِساطِ والتمهيدُ هو بَسْطُ الشيءِ وجَعْلُه لَيِّناً وسَهْلاً. وهذه الكلمةُ تُكْتَبُ في المصحف بميمٍ وهاءٍ ودال وأَلِفٍ ولكن بدون أَلفٍ بعد الهاءِ ولذلك بَعْضُ القُرَّاءِ الأَوائِلِ قَرَأُوها: مَهْداً بسُكُون الهاءِ والْمَهدُ هو فراشُ الولد الصغيرِ. كذلك كلمةُ أزواجاً، تُكْتَبُ في المصحف عادة بدُونِ أَلف بعد الواو. وقد نبَّهنا في الْمُقَدِّمة على الطريقةِ التي اتَّبعْناها في الكتابةِ والرسم.
أَوْتاداً	:	جَمْع وَتِد بِفَتْحِ الواوِ وَكَسْرِ التاءِ وَالْوَتِدُ مَعْرُوف.
أَزْواجاً	:	جمع زَوْج والزَّوْج هو كل ما دَلَّ على اثنين أَو صِنْفَيْن وتقول هو زوجُ فلانَة وهي زَوْجُ فُلان من دون تاءٍ وهيَ زَوْجَةُ فلانٍ بالتاءِ.

سُبَاتاً : السُّباتُ هو السُّكون والهدوءُ ومعناه في الآيةِ الرَّاحَةُ وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ بَعْضُ الكُتَّاب والشعراء هذه الكَلِمَةَ لِتَدُلَّ على مَعْنى النَّوْم. وذكر الطَّبرِيُّ أن اشتقاقَ السَّبْتِ من السُّباتِ لأَنَّ يَوْمَ السبتِ كانَ يَوْمَ الراحَةِ عِنْدَ اليهودِ. وذكَرُوا أن رَبَّنا تَبارَكَ وتَعالى خَلَقَ الدُّنْيا في سِتَّةِ أيَّامٍ وارْتاحَ في يوم السَّبْتِ تَعالى اللهُ عن قَوْلِهِمْ عُلُوّاً كَبِيرا. وقال الزَّمَخْشَرِيُّ إن «سُباتاً» معناها المَوْت وَجَعل تَفْسِيرَ السُّباتِ بالراحةِ قوْلاً ضَعِيفاً.

الخُـلاصَــة

سأل الله عَزَّ وجَلَّ على سَبيلِ الاسْتِفْهامِ المُرادِ بِه التأكيدُ والتَّنْبيهُ لِمَنْ هُوَ غافِلٌ: أَلَسْنَا نَحْنُ قد جَعَلْنا الأَرْضَ مِثْلَ البِساطِ مَمْدُودَة مُمَهَّدَةً لَكُمْ وَجَعَلْنا فيها الجِبالَ بِمَنْزِلَةِ الأَوْتادِ للخَيْمَة تَمْنَعها مِن أن تَمِيلَ وَتَتَداعى؟ وخلقناكم أزواجاً من صنفيْنِ صِنفيْنِ صِنفَيْنِ فيكم الذَّكَرُ والأُنثى والمطيعُ والعاصي والصحيحُ والسَّقيمُ والسعيدُ والشقيُّ وهكذا وهلمَّ جَرّاً؟ وَجَعَلْنا لكُمُ النَّوْمَ راحةً تَقْطَعونَ بها تَعَبَ النَّهارِ وَتَرْتاحونَ وَتَهْدَأُون. وجعلنا اللَّيْلَ يَكْسوكم كأنَّه لِباسٌ وَغِطاءٌ. وَجَعَلْنا لَكُمُ النَّهارَ نُوراً مُنيراً تَخْرُجُونَ فيه إلى مَعَايِشِكُم. وَقَوْلُهُ تَعالى: «مَعاشاً» مَعْناهُ «موضِعاً للمَعيشةِ» أَوْ «سَبَباً لِـلاكْتِسابِ».

خُلاصَـــة بالدارجة

ربنا جلَّ شأْنُه بِيستَفْهَمْ منَّا في شان يَوكِّد نِعَمه عَلينا. قالْ لَنَا: نِحْنَ ما سوَّينا لْكُمْ الأَرِضْ دِي مهادْ، يَعْني بسطناها ومدّيناها[1] وعَمَلْناها ليكُمْ مِتْلَ الفُرَاشْ والبُساطْ. وسوّينا فيها الجُبالْ مِتِلَ الأَتَادْ في شان ما تِتْزَعْزَعْ بيكم. وَكَمَانْ نِحْن خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً- يعني اتْنِيْن اتْنِيْن، ضَكَرْ وِانْتَايَهْ. وطويل وقِصِيْرْ. وَسَمِحْ وشينْ. وشَقي وسْعِيدْ. وسوينا ليكم النَّوم[2] راحَهْ ليكُمْ[3] وكلمة: «سُباتاً» معناها الراحَة. وسوّينا ليكم الليلْ يَغَطِّيكم[4] مِثْلَ التَّوْب. وسوَّينا ليكُمْ النَّهارْ في شان مَعَايِشْكُم، في شَان النَّهار فِيهُ النُّور ومْنَاسِبْ للحَرَكة والتَّكِسُّب.

وبعَضْ المفسرين فسَّروا «سباتاً» قالوا معناها الموت، يَعْني النوم مِتْلَ الموت. والتفسير الأَوَّلاني أوضح وقال بيهُ الطَّبري وتابَعوه الجَلالين. والتفسير التاني تفْسير الزمخشَري وجايز ولكنه بَعِيدْ شِوَيَّه. والزمخشري تابعْ فيه السَّلَفْ ما جَابُهْ من عِنْدُهْ والله أعلم.

---

(1) مدينا من الفعل مد المضعف وهو وجهٌ في الكلام الفصيح لكن تصير فتحة الدال ممالة نحو الكسرة ولذلك لم نكتبها مَدّيْنا ولكن تركناها وسنترك أمثالها إن شاء الله بلا شكل لأن نطقها في الدارجة معروف أو نضع كسرة فلا تجعلها كسرة خالصة وقد نشير إلى بعض مواضع من ذلك في الهامش على وجه التذكير إن شاء الله.

(2) النوم: ضمة النون مزدوجة من الضمة والفتحة في اللغة الدارجة.

(3) ليكم: أصلها إليكم وتستعمل في الدارجة مكان لكم. بيكم بإمالة الباء أي بكم وكذلك بيه: به، وبينا أي بنا.

(4) يغطيكم الطاء في الدارجة تكون تاء خالصة.

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً. وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً.

المفــــرَدَات

بَنَيْنَا	:	قد تَعْني البِناءَ المَعْروف. ولكن أَجْوَد أَن تُفَسَّرَها بِمَعْنى سَقَفْنا لأَنَّ العَرَب كانتْ تُكْثِر من استعمال البناء بمعنى السَّقْفِ. وكما قال الطبري فإنَّ الأَجْوَدَ حَمْلُ القُرْآنِ على الأَشْهَرِ من كلامِ العربِ. ولا تَناقُضَ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ هُهنا على كُلّ حال.
سَبْعاً	:	أي سَمواتٍ سَبْعاً
شِداداً	:	أي مُحْكَمَةُ الصُّنْعِ لَيْسَ فيها شَقٌّ وهِيَ جَمْعُ شَدِيدَةٍ.
سِراجاً	:	أَصْلُ السِّراجِ المصباحُ والضَّوْءُ والكَلِمةُ مستعملَةٌ في لغتنا الدَّارِجَةِ والمُراد هنا الشَّمْسُ والدَّليلُ على ذِلكَ قَوْلُهُ في سُورَةِ نُوحٍ: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ وفي الفرقان: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ والله تعالى أَعْلَمُ.
وَهّاجاً	:	أَي لَمّاعاً وَقاداً شَديد النُّور يَتَلأْلأُ شُعاعُه. وعنِ ابن عَباسٍ في صَحيحِ البُخارِيِّ: وهاجاً: مُضيئاً.

الخـُـلاصـة

يَقولُ تَعالى ذاكِراً نِعَمَهُ على العِباد: وَجعَلْنَا فَوْقَكُمْ سَقْفاً من سَموات سَبْعٍ مُحْكَماتٍ قَوِياتٍ شديدات لا ترى فيها شَقّاً ولا فَتْقاً. وجعلنا أَيْضاً هذه الشمْسَ المُشْرِقَةَ وشبهها جَل وعَلا بالسِّراجِ الوقادِ ذي الضوْءِ المُتَلألِئِ هذا وقد بَينا أن قوله تعالى «بَنَيْنَا» يُمْكِن أَن يُحْمَل على مَعْنى البناء المعروف فيكونُ التفْسيرُ على هذا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ سموَاتٍ مُحْكَماتٍ والمعنى في كلتا الحالَتَيْنِ مُتقارِبٌ. والله تعالى أعلم.

خُـلاصَة بالدارجَة

رَبّنا ذكَرْ نِعَمُهْ علينا وقالْ: سويّنا من فَوْقْ ليكُمْ سَبعْ سَموات مِتلَ السَّقِفْ هِي للأَرِض: وسَمّاها جلَّ وَعَلَا سَبْعاً شِدَاداً.

يعني سَبْعَ سَموات شُدَادْ وقويَّات ما فيها شَقّ ولا طقّ. وكَمانْ قال جلَّ وعلا: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ يعني سوِّينا لْكُمْ ضوّاً شدِيدْ لَمّاعْ وقّادْ يَعْني الشَّمِسْ. وكَلِمَةْ «وَهّاجْ» مَعْناها شَدِيد الضَّو، لَمّاع خَلاص. ومُدّاح الرَّسول عندنا اسْتَعْمَلُوا الكَلْمة دِي في أَشعارهم. قال الشيخ المَجْذُوب اللَّهُمَّ ارْضَ عنُّه.

نُورُهُ وَهَّاجْ أَحْمَدُ
لَيْلَةَ المِعْراجْ أَحْمَدُ
كَبَّرُوا لُهْ التَّاجْ أَحْمَدُ

تعليق

يَزْعُمُ بَعْضُ الناسِ أن العلْم الحديث يَنْفي وُجُودَ سَبْعِ سَمواتٍ. وإنما يُثْبِتُ وُجودَ الكواكِبِ والنُّجوم وَنَحْوها لَيْسَ إِلّا. وهؤلاء يَطْعَنونَ في كِتابِ الله بناءً على هذا الزعْم. ولا يَخْفَى أن هذه حُجة واهية لسببين:

الأول: هو أن كتابَ الله أُريدَ بِهِ الموعظةُ والتذْكير والهِدَايَة، وليس كتاباً في الطبيعةِ والكيمياءِ وعِلْمِ النظر والصِّناعياتِ، فهذِهِ قد حَثنا الله أَنْ نَلْتَمِسها من وجوهها- قالَ تَعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ القصص: ٧٧ وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣.

وَبعضُ العُلَماءِ المعاصرين يُحاولون أن يُفَسِّروا كلامَ الله في ضوءِ المكتشفات الحديثة. وهذا خَطأٌ. لأَن كَلامَ الله قَديمٌ باقٍ والمخترعاتُ والمكتشفات الحديثةُ كُلُّها عرضة للتغيير. فهل نُغيِّر التفسير كلما جَد اخْتراع أو عنَّ اكتشاف؟ فهذا فيه إفساد للعلم وللدِّين والعِياذُ بالله تعالى.

والسبب الثاني هو أن الكواكبَ والنجومَ والأَضواءَ السماوية جميعاً، ما كان منها في طَوْرِ التكوين، وما جاوزَ طَوْرَ التكوين، كُل ذلك داخِلٌ في جُمْلَةِ المصابيح التي ذَكَرها تَعالى في قَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ٥.

وعلى هذا نَقْدِر أن نقولَ إن العِلْم الحدِيثَ لم يَصِل إلى مَعْرِفَةِ شيءٍ عن السموات السبعِ وإنما عرف شيئاً عن بَعْضِ مَظاهِرِ السماءِ الدُّنْيا من كَواكِبَ ونُجومٍ وأَضْواءٍ في طَوْرِ التكْوينِ. والله تَعالى أَعْلَمُ.

خلاصة هذا التعليق بالدارجة

بَعَض المُلْحِدين بيقولوا: المِكْتَشْفِين الافرَنْج اتوصَّلوا لِمَعَرِفَة كَواكِبْ ونُجُومْ كتيرَهْ، وما في حاجَةْ إِسْمَها السَّموات السَّبع. والْكَلام دا باطِلْ من وجهين.

١- الأول انّ كتابَ الله مُرادْ للوعظ والتَّذكير وتَبْيين سُلَطانَ الله وما مَقْصُود مِنُّه مَعْرِفَة النُّجوم والكواكب والجُغْرافيا والهَنْدسة، في شان دِي أُمور يتعلمها الإِنْسان من أَصحابها وما بِتؤَثِّر في العقيدة إلا عند الضُّعَافْ جِدّاً والعياذْ بالله.

٢- والوَجِه التَّاني هو إِنُّه ربنا قَالْ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ وعلى معْنى الآية دِي تَكُونْ النُّجُوم والكواكب كُلَّها في السَّماء الدّنيا. ويكُونوا علماءَ الإفْرَنج بَسْ عِرْفُوا حَاجَةْ بَسِيطَةْ عَن بَعَض المَظاهر في السَّماءِ الدُّنْيا. أما السموات السَّبْع فَهُمْ للآن ما هُمْ عَارِفين عَنَّها حاجَةْ. والله تَعالى أَعلَم.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً.

المفـــرَدَات

الْمُعْصِراتِ : اخْتَلَف فيها أَهْلُ التفْسير. فَقالُوا هِيَ الرِّياح. وقَالُوا هِيَ السُّحب التي قَارَبَت أَنْ تُمْطِر. وعِنْدَ هؤلاء أن «الْمُعْصِرَات» أَصْلُها من كَلِمَة «مُعْصِر» أي الْبِنْتِ التي قَارَبَتِ الْبُلُوغَ وَظَهَرَ نَماءُ نَهْدَيْها وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَحِيضَ. والسحابَةُ الْمُعْصِرُ مُشَبَّهَةٌ بها لأَنها مُمْتَلِئَةٌ وَتُرِيدُ أن تُمْطِر. والْمُفَسِّرونَ الذين قالوا بأَن الْمُعْصِراتِ هِيَ الرِّياحُ جَعَلُوا أَصْلَها من قَوْلِهِم عَصَرَتِ الرِّيح أي هَبت بشِدة. وكَلِمَةُ إِعْصار بمعْنى الرِّيح الشديدةِ معروفةٌ. واستشهدوا بقراءَةِ بَعْضِ الأَوائل؛ وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَات مَاءً ثَجاجاً أَي بوساطةِ الرِّياحِ ذَوات الإِعْصارِ. وهذه القراءَة غَيْرُ مَعْمُولٍ بها وهي مَرجُوحة مثل قراءَة «مَهْداً» التي ذكرناها في أَول السورة. وبعضُ الْمُفَسِّرينَ قالوا: الْمُعْصِراتُ هي السموات. وهذا الوَجْهُ بَعيد لأَن المطر يَنْزِل من السحاب وهو أَقْرَبُ من السمواتِ. وجائِزٌ أَن يَكونَ هذا التفْسير على مَعْنى أَن الأَمْرَ بالمَطَر يَنْزل من السموات بِناءً على قَوْله تَعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ وقال بَعْضُهم الْمُعْصِراتُ هِيَ الْحَوامِلُ وَشُبِّهَتِ السُّحُب بالنِّساء الحوامل وهذا يُشبه التفسيرَ الأَول إلا أَن الْمُعْصِرَ بمَعْنى الحامِلِ غَيْرُ مَشْهورَة في اللُّغة. والوجه الأَول هو الوَجْهُ

الصائب الجَيِّد وبه نَأْخُذ وعَلَيْهِ قَوْل الزمخشَرِيّ والطبَرِيّ من قَبْل والجلالَيْن من بَعْدِهما والله أَعلم.

ثَجاجاً : أي مُنْصَبّاً بِتَتَابُع. وقال بَعْضُ المفسرين: مُنْصَبّاً بكَثْرَة وهذا الْوَجْه ذَكَرَه الطَبرِيُّ ولكنه رَفَضَهُ وهو الذي ذَكَرَهُ الزمَخْشرِيُّ. وَرَأْيُ الطبَرِيّ أَجْوَدُ لأَن المَطرَ ينصَبُّ ويَتَتَابَعُ ويكونُ قليلاً وكَثيراً. وقولُ الزمَخْشَرِيّ يُقَوِّيهِ قوْلُه تعالى «من المُعْصِراتِ» لأَن المُعْصرات تكون كثيرةَ المطرِ. واكْتَفَى الجلالانِ بقولهما: صَباباً. وهو تفسير مختصر وافٍ مفيدٌ والله أعلم.

لِنُخْرِجَ بِهِ : أي من أَجْلِ أَنْ نُخْرِجَ به. وأَعْجَبُ إلِي أن تقولَ إِن اللام ههنا للعاقبة كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ القصص: ٨. والمعْنى هُنا فَأَخْرَجْنا به الخ. والله تعالى أعلم.

جَناتٍ ألفافاً : أي بساتين فيها الشجر.

: أي مُلْتَفةُ الأَغْصان. بَعْضُها مُتداخِلٌ في بَعْضٍ. وَكَلِمَة أَلْفافِ جَمْعُ لِفٍّ بكسر اللّام وتشديد الفاءِ ولَفيف وليست جَمْعَ لَفّاءِ إذ أنكَ تَقولُ امْرَأَةٌ لَفاءُ أَيْ غَليظَةُ الساقِ وَشَجَرَةٌ لَفاءُ أي غَليظةُ اللِّحاءِ والجِذْعِ. وهذا رأيُ الطبَرِيّ وَإِلَيْهِ أعْمِدُ. وقِيلَ كلمة أَلْفافِ جَمْعٌ لا مُفرد له.

الخــُلاصَــة

ذَكر الله تعالى صَنائِعَه فقال: وَأَنْزَلْنا من السُّحُب المُمْتَلِئَةِ التي قارَبَتْ أن تَنْحَلِبَ مطراً يَنْصَبُّ بِقَطراتٍ مُتابِعةٍ على الأَرْضِ، فكان بسببِ نُزُولهِ اخْضِرارُ الأَرْضِ وخروجِ الحَبِّ منها كالقمْحِ والشعيرِ، والنباتِ كالحشائشِ وكلِّ ما يَصْلُح للمَرْعى، والبساتينِ ذَواتِ الأَشْجارِ المُلْتفةِ الأغْصان.

خـُلاصَــة بالدارجة

ذكر تعالى نعمه علينا وقال: وأَنْزَلْنَا مِن الـمُعصِراتِ يعني السِّحابْ المِتْحَيِّنْ «ماءً» يعني مَطَرْ. «ثَجَّاجاً» يِنْصَبَّ فوقْ الأَرِضْ بِنُقَطْ مُتَّابِعَة. وبَعَدينْ بِسَبَبْ نُزُولَ المُطَرْ دَا خَلّينا الأَرِضْ يقُومْ فِيها الحَبْ مِثْلَ القَمِحْ والشَّعِيْر والنَّباتْ مِتل النَّال والحَنْتُوتْ والتِّرْبَة والقَشّ كُلُّهْ «وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً» يعني وكمَان مع القَشّ والحَبْ خلينا المُطَرْ يَقَوِّمْ الجَنايِنْ أَل فِيها الشَّجَر[1] الملتف الغْزِير.

والمفسّرين اخْتلَفُوا في كلماتْ من الآياتْ دي. أَوَّل شِي اخْتَلَفُوا في المُعْصِرات يعني السَّموات. وقالوا السَّحَابْ المِتْحَيِّنْ ودَا الرَّايْ الرَّاجِحْ والمُعْصِر أَصِلَها[2] في الكَلام الفَصِيح البِتْ المِشْرِطْ أَل قَارَبَتْ البُلُوغْ والحيِضْ والسَّحَابَة المِتْحَيِّنَة تَراهاَ مِتلَها.

---

(1) ويقال «الشدر» بضم الشين وفتح الدال للشجر بالدارجة عندنا والتي بالجيم دارجة حديثة.

(2) النطق أصلا بفتح الهمزة وكسر الصاد ولام مفتوحة وألف مكان هاء الغائبة وقد تنطق ألف وصاد مكسورة ولام ساكنة وهاء الغائبة كلتا هاتين في الدارجة.

واخْتلَفُوا في قولُهْ تَعال: ثَجَّاجاً. قَالُوا يعني السَّحاب ال بِيصُبّ ونُقَطُهْ متتَّابْعَهْ وقالوا يَعَني ال بيصُبّ كَتِيْر وشِديْد. وقالوا يعني المَطَرْ الْغَزِيْر. ودَا كُلَّه ما هُو اخْتِلافاً كبير وكله ليه وجِه وكَلِمَهْ ثَجَّاجاً كَلِمة بَلِيغَة بِتِسْتَحْمَلْ المعاني دِي كُلَّها والله أعلم.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقاتاً. يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً. وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً. وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً.

تنبيه:

في هذه الآيات اختلافٌ في القِراءَات والأَداءِ. والقراءَتان المشهورتان عندنا هما أَبو عَمْرو في الخلاوي وحَفْص في المدارس وبها المُصحف المطبوع الدائر في الاستعمال كما قدمنا. كَلِمة فُتِّحت: أبو عمرو يشدد التاءَ التي بعد الفاءِ مع الكسْرَة لَيدُل على معنى التهْويل وحَفْص بكسر التاءِ بدون تشديد. قراءَةُ أَبي عمرو: فُتِّحَتْ ورواية حَفْص: فُتِحَتْ. وقوله تعالى:: كانَتْ سَرَاباً: أبو عمرو يُدْغِم التاءَ مِن كانت في السّين مِن سراباً فتصير هكذا: كَانَسّراباً وَحَفْصٌ لا يُدْغم.

المفـــرَدَات

يَوْمَ الْفَصْلِ : يَوْم القِيامَةِ لأَن الله يَفْصِلُ فيه بينَ خَلْقِه.

مِيقاتاً : مَوْعِداً.

يَوْمَ يُنْفَخُ في الصور : أي النفْخَةَ[1] الثانيةَ أو الثالثةَ. أما الذينَ يقولون الثانية[2] فعنْدَهم أن الأُولى هي نَفْخَةُ الهلاكِ والثانيةَ هيَ نَفْخَةُ النُّشور. وأما الذين يقولون الثالثةَ فعندهم أَن الأُولى هِيَ نَفْخَةُ الفَزَعِ والثانيةَ هي نفْخَةُ الهلاكِ والثالثة هي نفخة النشُّور. ودليلُ القَوْل الأَول في الآية: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ الزمر: ٦٨. ودليل القول الثاني الآية: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ النمل: ٨٧. وكِلا القولَيْنِ جائزٌ ويحتمله ظاهِرُ التأْويل.

في الصُّورِ : اختلف أَهْلُ التفسير في معنى الصُّورِ والقَوْلُ الراجِحُ أَنهُ قَرْنٌ صَنعهُ الله عَز وجل لِيَنْفُخَ فيه المَلَكُ إِسرافِيلُ نَفْخَتَيْن أَو ثلاثاً بِحَسَب ما ذكرناه سابقاً. ويذكُرُ المفسِّرون[3] أن إِسرافِيل الآنَ بارِكٌ في حال استعدادٍ.. والصُّورُ في فمِه

(1) بالنصب مفعول مطلق أو بالرفع على الخبرية.

(2) بالنصب مفعول مطلق وبالرفع على أنها خبر أو مبتدأ.

(3) أي بعضهم كما يَدل عليه سياق القول من بعد والله أعلم.

وهو يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللهِ بالنفْخِ.

وبعض المفسِّرين يقولون إن الذي يَنْفُخُ هو الله نَفْسُهُ تَبارَكَ وتَعالى. وبعضُ المفسِّرينَ أنكروا هذا القوْلَ والقَوْلَ الذي قَبْله وقالوا الصُّور جَمْعُ صُورَةٍ وحَصَلَ الجَمْعُ بحَذْفِ التاء كما تَقولُ شَجَرَةٌ وَشَجَرٌ وسُورَةٌ أي جِدارٌ وسُورٌ بدُونِ تاءٍ. قال الشاعر:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ

سُورُ المَدينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ

يعني أَسْوارَ المدينةِ والشاعِرُ جَريرٌ وهو فَصيحٌ مَشْهودٌ له بذلك. ويكون معنى الآيةِ على هذا: ونُفِخَتِ الأَرْواحُ في صُوَرِ الناسِ. ويكونُ معنى الصُّورِ هُنا الناسُ أَو الخَلْقُ. وهذا التفسيرُ بعيدٌ لِعِدةِ أَسباب: ١-أَوّلاً أَنهُ يُخالِفُ الآثارَ الوارِدَةَ عن الصُّورِ فالمفسِّرون يذْكُرون أَنه قَرْنٌ كما قدمنا. ٢-ثانياً جَمْع صُورَةٍ على صُور بضَم الصاد وإِشباعها غَريبٌ والوارِدُ في القُرْآن جَمْعُها على صُوَرٍ بضَمِّ الصادِ وفَتْحِ الواو ويَجِبُ تفسير القُرْآن على اللُّغات المشهورة لا الغامِضَة المجْهولَةِ أَو النادِرَة الاستعمال.

وبعضُ القُراءِ قَرأُوا «ونُفِخَ في الصُّوَرِ» بضم الصاد وفتح الواو وهذه قِراءَة مُخالِفَة لما عليه الإِجْماع.

أفْواجاً : جَمْع فَوْج وهو الجماعة. أي جَماعاتٍ.

أَبواباً : أي طُرُقاً. وذكر بعض المفسِّرين أن أَبواباً هُنا معناها الأَبوابُ المعْروفَةُ أي صارَتِ السماءُ مِثْلَ قِطَعِ الخَشَبِ المُشَققَة التي تُصْنَعُ منها الأَبْوابُ.

الخـــلاصَـــة

قال تعالى مُبَيِّناً ومُذَكِّراً لنا أَنَّ يومَ الفَصل وهو يومُ القِيامَةِ الَّذي يَفْصِلُ الله فيه بينَ الخَلْقِ، ميعادٌ لنا كُلِّنا. وهو اليَوْم الذي تحصُلُ فيه نفخة النُّشورِ وهي النَّفْخَةُ الثانيةُ أو الثالثةُ على أَحَدِ القَوْلَيْن. وذلكَ بِأَنْ يَنْفَخُ إِسرافيل في قَرْنِ العِزَّة الذي في فِيه وقد خَصَّهُ اللهُ تعالى بِهِ، فتَتَفَتَّحُ السماءُ وتَتَشَقَّقُ بَعْدَ أن كانت وثيقةً مُحْكَمَةً، وتَصيرُ فَتحاتُها كالطُّرُق في اتِّساعِها وتَتَزَلْزَلُ الجبالُ وتتحرَّكُ وتنهدُّ وتندكُّ حتى تصيرَ هباءً منثوراً وكأَنَّها السَّرابُ. وقال بعضُ المفسرين إِنَّ السَّماءَ تَتَشَقَّقُ وتصيرُ مِثْلَ الخشب المشقَّقِ الذي تُصْنَعُ منه الأَبْوابُ. والمعنى هنا قريبٌ من المعنى الأَوَّل، ولكنَّ التفسيرَ الأَوَّل أَجْوَدُ. والله تعالى أَعْلَمُ.

خلاصة بالدارجة

ربّنا قَالْ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ النبأ: ١٧ يعنى يومْ القِيامَةْ أَل بِيفصِل فِيه الله بين الخلايق كلّها مِيعادْ مَحَدَّد لينا كلّنا. وفي اليوم دا يَنفُخ المَلك إسرافِيل في الصُّورْ. يَنفَخ نَفخَة واحْدَة وكلّ الأَموات يَقُوموا. والصُّورْ دا أَصلُه قَرِن عَمَلَتُه يَد الْقُدْرة الْإلهيَّة وإِسرافيل مَاسْكُه في خَشمُه مِنتَظِر أَمْرَ الله لِيهُ. ولمَّان يامْرُه ربّنا يَنفُخ النَّفخَة كُل شِي يَخَاف ويِتْزَلزَل والحُمَّل[1] يَرْمَنْ جَنَاهِنْ والمرضعاتْ يَنْسَنْ رُضَعَاهِنْ. ويَنْفُخ النَّفخَةْ الثانْيَةْ وكُلّ شي يَقَعْ مَيّت. ويَنْفُخَ النَّفخَة الأَخِيرَة ويَقُومُوا الخَلائِقْ وبَعَدِينْ تِنْفَتح السَّما مِن الهَولْ وبَعَد مَا كَانَتْ شَدِيدَة لَا فِيهَا شَقْ ولا طَقْ تبقى أَبوابْ يَعْني طُرُقات مَفْتُوحَة، والجِبَالْ تَمْشِي وتِنْهَدّ وتَبْقَى سَرابْ يعني رِهابْ وكأَنها لَا شَيْء. وبَعَض المُفَسّرينْ قَالُوا ربَّنَا نَفْسُه بِيَنْفُخْ في الصُّور ما المَلَك إِسْرَافِيلْ. وبَعضُهمْ قَالُوا الصُّورْ يعني الخَلائِقْ يعني صُوَرْ النَّاس والتَّفْسِيرْ دَا مَا هُو قَوِي وبعض المُفَسِّرينْ قَالُوا السَّمَا بِتْشَقَّق مِتِلْ شَقَايِق الْأَبْوابْ والشَّبابِيكْ والتَّفْسِيرْ دَا جَايِز في شان مَا بيخَالف التَّفْسِيرْ أَلْ فَاتْ ومَا هُو قَوِي. والله ربُّنَا أَعْلَمُ.

(١) الحمل بضم الحاء وتشديد الميم مفتوحة يعني الحوامل من النساء.

إنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً. لِلطَّاغِين مَثاباً. لابِثِينَ فِيهَا أَحْقاباً. لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً. إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً.

تنبيه:

في هذه الآيات اختلافٌ بين القُرَّاءِ. حَفْصٌ يقرأُ غَسَّاقاً بالسين المشدَّدَةِ المَفْتوحة. وأبو عَمْرو لا يُشَدِّد السِّين هَكذا: غَساقاً. والمعنى واحِدٌ. وأَحَدُ السبعةِ القُرَّاءِ وهو حَمْزة- وقِراءَتُهُ نادِرَةٌ الآن[1]- قَرَأ لَبِثِينَ بدُونِ أَلف هكذا: لَبِثِينَ. والمعنى مُقارِب. وعَلَيْكَ بتفخيم الرَّاءِ من كلمة «مِرْصادا» . والقاعدة أَن الرَّاءَ إذا كانت ساكِنة وما قبلها مكسور كسْرَةً أَصليةً[2] تصيرُ رقيقة ولكن الراءَ هُنا بَعْدَها صادٌ والصادُ من حروف الاسْتِعْلاءِ[3] وتكبير الراءِ مَعَها هُوَ الوَجْهُ الصَّواب.

---

(1) أكثر القراءات انتشاراً رواية حفص عن عاصم وانتشرت أكثر انتشارها أيام سلطان الأتراك ومن إليهم من الولاة ورواية ورش عن نافع وعليها أكثر المغرب إلاتونس فيقرأون بقالون عن نافع والدوري عن عمرو كانت متشرة بمصر مع ورش وهي بالسودان وبلغني أن حمزة يقرأ له ببعض الشأم فلا أعلم صحة ذلك والله تعالى أعلم.

(2) الكسرة العارضة لا توجب الترقيق مثل «إن ارتَبْتم» بل التَفخِيم واجب هنا. سميناها عارضة لأن حركة النون الأصلية سكون لا كسرة.

(3) حروف الاستعلاء هي خاء صاد ضاد غين قاف طاء ظاء= ٧ «ويَجْمَعُها قولك «قِظْ خُصَّ ضَغطٍ» ولعل واضعه أراد به معنى ولعل معناه اقض القيظ أي زمن الحر في خص أي بيت قصب ضغط قصبه، وهذا تأويل لا يخلو من تكلف. وانظر شرح الشاطبية لابن القاصح، حلبي، ١٣٧٣هـ- ١٢١.

المفــرَدَات

مِرْصاداً : تفسيرها من جهة اللغة أنها صِيغةُ المبالَغَةِ من قَوْلِنا «راصدَة»- أي راصِدَةٌ رَصْداً شَديداً. ولأَهلِ التَّفْسيرِ بَعْدَ ذلك أَقْوالٌ منها: (أ) أنَّ جَهَنَّمَ تَرْصُدُ لِلْمُذْنبين وتَلْتَهِمُهُمْ بِمُجَرَّدِ مُرُورِهِمْ عَلَيْها. (ب) ومنها أَنَّ كُلَّ إِنْسانٍ يَمُرُّ بِجَهَنَّمَ وهْيَ راصِدَةٌ لَهُ، فَمَنْ كَانَ سَعيداً جازَها ومن كانَ شَقِيّاً وقَعَ فيها. (جـ) ومنها أَنَّ الطَّريقَ إلى الجَنَّةِ لا يَكونُ إِلّا على النَّارِ. (د) وعن سُفْيانِ الثوري أَنَّ على النار ثلاث قَناطِر يَجْتازُها المَرْءُ من قبل أن يَصِلَ إلى الجنَّةِ. والله أَعْلَمْ.

مَآباً : من جِهَةِ اللُّغَةِ اسمُ مكانٍ من آبَ يَؤوبُ بِمَعْنى رَجَع يَرْجِعُ. والمآبُ هو المَرْجِعُ الذي تَرْجِعُ إليه. وكتابَتُها بالميم والهمزة على الألف والمَدَّةِ أو الهمْزة على نَبْرَةٍ وبعْدَها ألف هكذا مئابا وهُو الرَّسْم القرآنيّ وهو أَجود كما قدَّمنا في المقَدِّمة إن شاءَ الله تعالى.

لابِثِينَ : جمع لابِثٍ أي ما كِثٍ. فالمعنى: ماكثِينَ وباقين فيها.

أَحقاباً : أي أَزماناً طِوالاً. وأَصلُها إما (أ) أن تكونَ جَمْعَ حِقَبٍ بكسر الحاء وفَتْحِ القافِ وحِقَبٌ هذهِ جَمْعُ حِقْبَةٍ بكَسْرِ الحاءِ وسكونِ القافِ والحِقْبَةُ من الدَّهْر هي الفَتْرَةُ الطَّويلَةُ منَ الدَّهْرِ. وأحقاباً على هذا تكون هِيَ جَمْعَ

الجَمْعِ. (ب) وإِمَّا أن تكونَ كلمةُ أَحْقابٍ جَمْعاً لكلمةِ حُقُبٍ بضم الحاء وضم القافِ والحُقُب مُدَّةٌ من الدَّهْر طويلة. قال بَعْضُهم الحُقُبُ الواحدُ المُرادُ هنا مُدَّته «ثلثمائةِ عامٍ» كل عام ثلثمائةٍ وستُّون يوماً وكل يوم مِقْدارُهُ أَلفُ سَنَةٍ. وقال بعضهم بل الحُقُبُ الواحِدُ ثَمانونَ عاماً كُلُّ عامٍ اثنا عَشَر شَهْراً وكُلُّ شَهْرٍ ثلاثونَ يَوْماً وكُلُّ يَوْمٍ أَلْفُ سنة وفي روايةٍ كُلُّ يَوْمٍ مِقْدارُه سَنَةٌ. وقال بعضهم الحُقُبُ ثَمانونَ سَنَةً من سنوات الآخِرَةِ وَعِلْمُها عند الله. وقال بعضهم الحُقُب الوَاحِدُ سَبْعونَ أَلفَ سَنَة كلُّ يوْمٍ منها كألفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون. والمُرادُ من كُلِّ هذا أَنَّ أَحْقاباً معناها أَزْمِنَةٌ طَويلَةٌ جِدّاً. واللهُ أَعْلَمُ بمُرادِهِ.

بَرْداً : فَسَّروا البَرْدَ بالنَّوْم لأنه يَقَعُ بارداً على نَفْسِ الإِنْسانِ. وفَسَّرُوهُ بالشَّرابِ البارِدِ. وفسَّروهُ بالبَرْد المعروف الذي يُخَفِّفُ من حِدَّةِ الحَرِّ أَو يُزيلُها. وهذا الوَجْهُ الأَخير أَرْجَحُ لأَنَّه يَشْتَمِلُ على سائِرِ المَعاني السَّابِقَةِ إِذ النَّوم بَرْدٌ على الجِسْم والشَّرابُ بَرْدٌ والنَّسيمُ بَرْدٌ وهَلُمَّ جرّا.

حَمِيماً : الحميمُ هُوَ الَّذي يشتدُّ غَلَيانُه إلى أَقْصى حَدٍّ. وهو شَرَابٌ ساخِنٌ يَشْوي الأَجْوافَ أَعدَّهُ الله لِلكافِرينَ.

غَسَّاقاً : بالتَّشديد- أَعْني تشديد السين- وتخفيفها كما قَدَّمنا في التنبيه.

غَسَّاقاً : وأَصْلُها اللُّغويّ من غَسَقَ يَغْسُقُ غُسُوقاً أَي سال.

والغَسَّاقُ هو الشديدُ السَّيَلانِ.

وقال بعضُ أهلِ التَّفْسير إنَّ غَسَّاقاً اسْمٌ لَنوْعٍ مِنَ العَذَابِ الَّذي أَعَدَّهُ اللهُ لأَهْلِ النَّار. وَلَيْسَ لَهَا أَصْلٌ في الاشتِقاق. والقَوْلُ الأَوَّلُ أَرْجَحُ لأَنَّ الكلِمَةَ اشْتُقَّتْ من غَسَقَ بمعنى سَالَ وصارَتْ اسماً لنَوْعٍ من العَذَابِ أَعَدَّهُ اللهُ للكافِرينَ ومنْ خَفَّفَ السِّينَ في القراءة راعَى هذه الاسميَّةَ.

وفُسِّرَ الغَسَّاقُ بأَنَّهُ (أ) الذي يَسيلُ من صَديدِ أهلِ النَّار (ب) وبأَنَّهُ القَيْحُ الغَليظُ الشَّديدُ العُفُونَةِ الذي لو وُضِعَتْ قَطْرَةٌ منه بالمَغرب لَشَمَّ نِتْنَها أَهْلُ المشْرِقِ (ج) وبأَنَّه ما يَسيلُ مِنْ دموع الكُفَّار والعِياذُ بالله (د) وبأنه الزَّمْهَريرُ السَّائِلُ والزَّمْهَريرُ هُوَ أَشَدُّ البَرْدِ وهُوَ مِنْ أَنواع العذاب التي أعدَّها اللهُ جَلَّ وعلا لأَهْلِ جَهَنَّم (هـ) وقيل «غَسَّاق» اسْمٌ لبِرْكَةٍ في النار أَفْرَغَ فيها رَبُّنا جميعَ أَنواعِ السُّمومِ، سُمومِ الحيَّات والعَقاربِ وغيْرِها، وإذا وُضِعَ الكافِرُ فيها نَصَلَ منه جِلْدُهُ ولَحْمُه نُصُولاً وصار كُلُّ ذلك يَنْجَرُّ عند قَدَمَيْه مثلَ الملابس الباليَة وبَرَزَتْ عِظامُه بِيضاً قِباحاً. نَسْأَلُ الله السَّلامَةَ.

الخُـلاصَـة

قال تعالى:﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أي إن جهنَّم راصِدَة لأَهْلِها تَتَلَقَّفُهم إذا اجتازوا بها وهِيَ المَرْجِعُ والمنزِلُ والمآبُ الذي يَؤوبُ إِلَيْه الكافِرون لعْنةُ الله عليهم ويَبْقَوْنَ فيها أَزْمنةً طويلَةً بعدَ أَزْمنةٍ طَويلَةٍ يتعذَّبونَ بِسَعيرِها ولا يَذُوقونَ بَرْداً يُرَوِّحُ عنهم حَرَّها ولا شَراباً يُزيلُ عنهم عَطَشها إِلَّا الحميمَ الشَّديد الحَرَارَةِ الذي يَشْوي البُطُونَ- هذا هو شرابُهُم. وإِلَّا الصَّديدَ السَّائِلَ من جُلُودهم والدُّموعَ الجارِيَةَ من عُيونِهِم وَيَجْعَلُها الله في غايةِ البُرودَةِ لِيَشْتدَّ بها أَذاهم فهذا هو البَرْدُ وهذه هي تفسير-٣. الرَّاحةُ التي يذُوقونها وهذا نفسهُ عَذابٌ شَديدٌ كما تَرى.

هذا وذهب بعض أهلِ التَّأويل إلى أَنَّ قوله ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾ يعني أَنَّ المجْرمينَ سَيَبْقَوْنَ مُدَّةً محْدُودَةً من الزَّمانِ في النَّارِ-سيبقَوْنَ أَحْقاباً فقط وبعد ذلك تَشْمَلُهُم المغْفِرةُ. وهذا القوْلُ مَرْدُودٌ فيما يَتَعَلَّقُ بالكافِرينَ لأَنَّ سِياقَ الآية يُشْعِرُ بِأَنَّ الأَحْقابَ لا انتهاءَ لها. وأَيْضاً يُستَفادُ من سِياقِ الآيةِ أَنَّهُمْ يَمْكُثونَ هذه الأَحقابَ يَتَعذَّبونَ بالحَميم والغَسَّاق ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ قد يَجيئُهم نوعٌ آخرُ من العذاب بدليلِ قَوْلِهِ تعالى:﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾. وعسى هذا أن يُفيدَ معنى التَّخْليدِ في النَّارِ.

خُـــلاصَة بالدارجة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾، يعني: إنَّ جَهَنَّم رَاصْدَةْ لِلْمُجْرِمين، قَانْصَةْ مِتْلَبِّدة، ما يَمُرّ واحدْ منّهُمْ إلا تَلْقَفُهْ. وهي المآبْ، يعني المنزِلْ ال بِيَرْجَعُوا لِيهُ الكُفَّار، ما عِنْدَهم مَنْزِلَة غِيرَها يَوْم القيامَةْ. وَيَقْعُدوا فيها مُدَدْ عدِيدَةْ من الزّمانْ. ودَا معَنى[1] قوله تعالى: ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾- مَعْنَى «لَّبِثِينَ» نفسها يعني قَاعْدِين ومُنْتَظْرِين. ومعنى أحقاباً يعني مُدَدْ من الزّمانْ، والـمُدَدْ الطويلَةْ دِي ما بِيضُوقوا فيها لا راحَة ولا نُوم[2]. ولا شَرابْ يطفي العَطَشْ. شَرابُهم بَسْ الحَمِيمْ ودَا مَشْرُوباً[3] ساخِنْ يَشْوِي البُطُونْ. ورَاحَتُهمْ بَسْ الْغَسَّاق يعني الدُّموع البِتْسيل من عُيونهم والوِعَي[4] والمِدَّة الْ بِتْسيل من جُلودْهم وربّنا يَسَوِّي الوِعَي والمِدَّة والدُّموع دِي باردة زَمْهَرِيرْ حتى بَرِدها دَا ذَاتُه يكون عَذَابْ فَوْق العذابَ ال ضَاقُوه. وبَعْضَ المفسّرِيْن قَالوا الكُفَّارْ يَقْعُدوا بَسْ في النار مُدَدْ طويلَةْ وبَعَدِين يَطْلَعُوا منَّها ولكن التفسير دَا مَا هُو قَوِي والرَّاجح إنّهم لهم عَذابَ التَّأْبِيْد ويَمْكِن يقْعُدوا المُدَدْ دِي يتعذّبوا بالحَمِيم والغسَّاق بَسْ وبعدين يجَيهم عذاب تاني. وبعض المفسِّرين قَالُوا الغَسَّاق بِرْكة في جَهَنَّم ربَّنا جمع فيها أَصْنَافْ السُّمومْ من

(1) تميل الدارجة إلى إشراب السكون بعض الفتح.

(2) ليست ضمة النون خالصة ولكن تخالطها فتحة فهي حركتها مزدوجة ذات طول.

(3) التنوين بالنصب في الدارجة للتأكيد.

(4) الوعي بكسر الواو وعين مفتوحة بعدها ألف لينة هي الكلمة الدارجة القديمة الجيدة وأصلها فصيح والمدة كلمة جاءت بها المستشفيات فراجت منذ حين فأثبتناهما معاً لتوضح إحداهما الأخرى إن شاء الله.

العَقَارِب والدبابِبُ وغيرها. وحين يَرْمُوا الكافرْ فيها يِنْسَلِخ جِلْدُه ولَحْمُه ويَبْقى عَضْماً[1] أبْيض وجِلْده يِنْجَر عِنْد كِرْعِينُه[2] مثل الدُّلقان وكذلك لَحْمُه والعياذْ بالله.

جَزاءً وِفاقاً

المفـــرَدَات

وفاقا : أَصْلُها مَصْدر من وافَقَ يُوافِق والوِفاق والمُوافَقة مَعْناهُما واحِد.

الخُـــلاصَــة

أي أَنَّ الله سُبحانه وتعالى سَيُجازي هؤلاء الكافرينَ يومَ القيامَةِ جَزَاءً فيه مُوافَقَةٌ لأعْمالهم، فكُلَّما عَمِلوا سُوءاً في الدُّنيا فإن عاقِبَتَهُمْ ستكونُ أَنَّهم سَيَلْقَوْنَ عذاباً من الله مُوافِقاً لهذا السُّوء الذي قَدَّموه. وإن دُخولَهم في النَّار وشرابَهُم من الحَميمِ والغَسَّاق ليس فيه من ظُلْمٍ لهم. إذ هذا العقابُ الشديدُ يُشْبِه الشرَّ والكُفْرَ اللَّذيْنِ صدرا منهم في الدُّنيا بعد ما نَهاهُمُ الله وحَذَّرهُم وفَهَّمَهم هو أَنَّ بَعدَ الموتِ مَعاداً وحِساباً. قال تعالى في سورة الزُّخرف: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

(1) عَضماً بعين وضاد ساكنه أي عَظْماً بالفصيحة.

(2) أو كرعيه بكسر الكاف وسكن الراء وعين ممالة معها ياء وهاء أي رجليه، جمع كراع.

خُـــلاصَة بالدارجَة

قال تعالى: «جَزَاءً وِفاقاً»- أَي الجَزَا الرَّايِحينَ الْكُفَّارْ يَلاقُوهُ يوم الْقِيامَةْ مِثْلَ الحْمِيمْ والْغَسَّاقْ والقْعَادْ في النّار المُدَدْ الطَّوِيلَة أَل ما بِتِنْتْهِي، دَا كُلُّه فيه مُوافَقَة وشَبَه بأَعمالَ الشَّرْ أَل عَمَلوُها في الدِّنْيا[1]. والله ما بْيَظْلُمْ الْعِبادْ. بيجازِيهم بحسب أعمالْهم، وَوِفاقاً لأَعْمالْهُمْ[2].

المفـــرَدات

يَرْجُونَ	:	يتوَقَّعون. وقيل: يَخافون وهو جائزٌ لأَنَّ السِّياق هنا يَحْتَمِلُ هذا المعنى معَ معنى التَّوَقُّع أَيْضاً.
حِساباً	:	مُحاسَبَةً.
أَحْصَيْناهُ	:	جَمَعْناهُ وحَصَرْناهُ وحَسَبْناهُ.
كِتاباً	:	أي إِحْصاء مَكْتوباً، فكِتاباً ههنا مصْدَرٌ مُبَيِّنٌ لَنوْع الإِحْصاء. قال الطَّبَرِيُّ: أَيْ كُلَّ شيءٍ أَحْصَيْناهُ فَكَتَبْنا عَددَهُ ومَبْلَغهُ وقَدْرَهُ. وقال بعض المفسرين أي كُلَّ شيءٍ أَحْصَيْناهُ وجعلناهُ في هَيْئَةِ كِتابٍ. والآيَةُ تَحْتَمِلُ الوَجْهَيْنِ

(1) في الدارجة بكسر الدال وذلك فصيح أصله قال النابغ:

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامرٍ   أولئك قومٌ بأسهم غير كاذب.

البيت.

(2) النّطق أعمالن بضم اللام ونون ساكنه. لا عمالهم اللام الأولى فيها إمالة وسائر النطق كما قدمنا.

معاً والتَّفسيرُ بهما معاً جائِز. والوجْهُ الثاني لعَلَّهُ أقْوى لأَنَّ ذِكْرَهُ كَثيرٌ في القُرْآنِ كقولِهِ تَعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ الحاقة١٩. والله تعالى أَعْلَمُ.

آياتِنا : علاماتِنا ورُسُلِنا وكُتُبِنا هذا معنى. ومعنىً آخر آياتُ القرآن. وحَمْلُهُ على العُمومِ أَفْضَلُ لأَنَّ آياتِ القُرْآنِ تَدْخُلُ فيه والله أَعلم.

كِذَّاباً : بِكسْرِ الكافِ وتشديدِ الذَّالِ أَي تَكْذيباً وهذا النوع من المصادر مَذْكُورٌ في كُتُبِ النَّحْوِ مِثْل خَرَّقَ خِرَّاقاً بِكسْرِ الخاء وتشديد الرَّاءِ وقضَّى قِضَّاءً بكسْرِ القافِ وتشديدِ الضَّاد[1].

الخُـــــلاصَـــة

يقول تعالى معناه: إن هؤلاء الكفَّار لم يكونوا يتوقَّعونَ أن يُحاسبهم الله يومَ القِيامَةِ، ولمْ يَكُونوا يُبالُون بيوْمِ القِيامَة، لكُفْرِهِمْ أَوْ شَكِّهِمْ وشِرْكِهِمْ. وإِنَّهُمْ قد كَذَّبُوا بآياتِنا وَرُسُلِنا وكُتُبِنا أَيَّما تَكْذيبٍ. وَقدْ جَمَعْنا تَكْذيبَهم وكُفْرَهُم وسُوءَ أَعمالِهِم ودَوَّنا جميعَ ذلك وَكَتَبْناهُ. ومن أَجل هذا فإِنَّهم سَيُعذَّبون ويُسْقَوْنَ الحَميمَ والغَسَّاقَ. وإذا ذاقُوهما وضَجُّوا مِنْهُما قُلْنا لهم ذُوقُوا فهذا جَزاؤُكم وإِنَّا لن نَزيدَكُمْ إلا عَذاباً. وقالوا هذه الآية ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا

(1) ويشبه في الدارجة: كَضَّب بتشديد الضاد أي كذب، كِضيب بكسر الكاف وضاد مكسورة ممالة مشبعة- هذا المصدر.

عَذَابًا ﴾.- أَشدُّ آيَة نَزلَتْ في شأن المجْرمينَ لأَنّها قَطَعَتْ عنهم الرَّجاءَ وأَعْطَتْهُم التَّخْليدَ المطلقَ في النَّارِ وبِئْسَ عُقْبى الدَّارِ.

خُــــلاصَـــة بالدارجَة

قَالَ تَعالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ يَعْني ما كَانُوا بِيتْوقَّعوا انُّه ربَّنا يحَاسِبهُم يومَ الْقِيامة. وكيف يتْوَقَّعُوا وهم أكثرُهم كانُوا كافْرِين بِيومْ الْقِيامة. والباقِين شاكِّين ومُشْركينْ ﴿ وَكَذَّبُواْ بِئَايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ يعني كَضَّبوا في آياتنا كِضّيبْ شدِيدْ وجَحَدوا بيها وما صَدَّقوها ونِحْنَ كُلّ عَمَلْهم وكُفْرهم حَسَبْناه وَجَمَعْناهُ وكَتَبْناهُ. وفي شانْ كُفْرُهمْ دَا بِيَدْخلُوا النَّارْ ويَشْرَبُوا الْحَمِيمْ والْغَسَّاقْ. ولَمَّانْ يَضُوقُوه ويَشْوِيهُمْ ويَهرِدْ بطُونُهم نَقُول ليهُمْ ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ يَعْني ضُوقُوا الْعَذَاب دَا جَزَاكُمْ، مَا بتلْقُوا عِنْدَنَا إِلّا الْعَذَاب. وكُلْ مَرَّة نَزِيْدكمْ عَذابْ. بِدُونْ نِهايَةْ. طَوَّالي.

إِنَّ لِلمُتَّقِينَ مَفَازاً. حَدَائِقَ وَأَعْناباً. وَكَوَاعِبَ أَتراباً وَكَأْساً دِهاقاً. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً.

المفـــرَدَات

مَفازاً : فَوْزاً ونَجاحاً.

كَوَاعِبَ : جمع كاعِب وهي التي نهض ثَدْياها وتمَّت أُنوثتُها: واحفظْ بيت الدَّيْريني رحمه الله فإنَّه لا يخلو من فُكاهة:

كَواعِبٌ نَواهِدٌ والكاعِبْ إذا اسْتَدارَ ثَدْيُها للاعب

وهذا البيت من أُرجوزته الطَّويلَةِ في تَفسير أَلفاظ القرآن وقد أحسن فيها وأبدَع.

أَتْراباً : جمع تِرْب بكسر التاءِ وسكون الراء. تقول هي تِرْبي وهي لِدَتي أي على سنِّي، والأَتراب: هُنَّ المتقاربات السِّن. وكل من وُلِدَ معك أو قارَبَكَ في السِّنِّ فهو تِرْبُكَ.

كَأْساً : هِيَ الملْأَي من الخَمْرِ. وقال بعض أَهْلِ اللُّغة لا يُقالُ للكَأْسِ هيَ كَأْسٌ إلا إذا كانت مَلْأَى.

دِهاقاً : بكسر الدَّال، أي مُتابِعة. وقيل مُمْتَلِئَة جِدّاً، والمعنى الأَول أَشْبَهُ لأَنَّ فيه أيضاً مَعنى الامتلاءِ. وقيلَ دِهاقاً أي صافِيةً. وأَسْتَحْسِنُ أن تَضُمَّ المعنى الأَوَّل إلى الثاني فتقولَ الدِّهاقُ هِيَ الملْأَى المتتابعة والسِّياقُ كما قدَّمنا يَحْتَمِلُ هذا.

كِذَّاباً : بكسر الكاف وتشديد الذَّالِ أي الكَذِبُ والبَاطِلُ. أَي هُم في حالِ أُنْسٍ كريم لا يَدْخُلُهُ الكَذِبُ والبَاطِلُ. وقرأ الكسائي وهو أَحدُ السَّبْعَةِ بكسر الكاف وفتْح الذَّال من دون تشديد بمعنى المُكاذَبة أَي لا يَكْذِبْ بعضهم على بعض كالذي يَحْدُث بين نُدَماءِ الدُّنيا من التَّفاخُر والادعاءِ.

الخـــلاصـــة

أي أَنَّ المتَّقينَ سَيَفوزون يوْمَ القِيامَةِ وسيكونُ جَزاؤُهُمْ خَيْراً مَوْفُوراً. وفَسَّر ربُّنا الفَوْز الذي سَيَفوزونه والجَزاءَ الكريمَ الذي سَيلْقَوْنَهُ فذكر أَنَّهم سَيَنْزِلونَ في الجِنانِ ذواتِ الأَعْنابِ وسَيُزَوَّجُونَ نِساء شَوابَّ ناهِداَتٍ قدْ أَدْرَكْنَ كمالَ النُّضْجِ وكُلُّهُنَّ أَشباهٌ في السنِّ والجمالِ وسَيُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ يَشْرَبُونَها بكاساتٍ مملوءَاتٍ مُتَتابِعاتٍ.ثُمَّ إِنَّ هذه الخَمْرَ شَريفَةٌ لا تُؤَثِّرُ في عُقولِهم ولا يَلْغَوْنَ من جَرَّائها ولا يقولون البَاطِلَ ولا يَسمَعونَهُ كمايفْعَلُ أَهلُ الدُّنْيا حينَ يشْرَبونَ ويَسْكَرُونَ.

خـلاصـــة بالدارجة

قَوْلهُ تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ يعني المتَّقين فايْزين يُومَ الْقِيامَةْ ربَّنا يسكِّنهُم الجنَّاتْ أَل فِيها الْعِنَبْ ويزوِّجُهم ربَّنَا بكَواعِبْ حُوْر نُهُودِنْ قَامَنْ دَابِنْ وكِبْرَنْ واسْتَوَنْ وهِن مِتْشابْهَات في أَعْمارِنْ وفي جَمَالِنْ وكَمانْ مَعَ دَا يَشْربُوا بكَاسَاتْ ملْيَانه مِتَّابْعه من الْخَمْرَة الطَّاهْرة. وتَفْسِيْر قوله تَعالى: ﴿ وكَأْساً دِهاقاً ﴾ يعني بالدِّهاق المَلْيانة المْتتَّابعَة. وعِرِفْنا إنَّها طاهِرَة بقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ يعني يشْرَبُوا المقْدارْ الكثِيْر ولكن ما بيؤَثِّر في عُقُولْهُمْ وما بْيَلْغُوا وما بْيَقُولوا كَلَامْ فَارِغْ. «كِذَّاباً» مَعَناها الْباطِل والْكَلامْ الْفَارِغْ.

تعليق:

ينتقدُ بعض المعاصرين من أَهْلِ الطَّعْن في الدِّين[1] وصْفَ النساء والخمرِ في القرآنِ ويقولونَ هذا ثوابٌ ماديٌّ وينبغي أَن يكونَ الثُّوابُ في الآخِرةِ روحيًّا، أَيُّ خَيْرٍ في الجنَّةِ إذا كان كُلُّ ثَوابِها هو الجماعُ والسُّكْر؟ هكذا يقولون. وهذا الكلام إِن دَلَّ على شيءٍ فإِنَّما يدُلُّ على ضِيقِ النَّظَرِ وسُوءِ التَّفكيرِ معَ الجَهْلِ بأَساليب القُرآنِ. وقد دَلَّ الحقّ جَلَّ وعَلا على أَنَّ ثَوابَ الآخرة سيكونُ روحياً حِسِّياً معاً، أَما كَوْنه رُوحياً فشاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾- واللَّغْو والكِذَّاب من الضَّعْف البَشريِّ الشَّائع في هذه الدُّنيا فإذا نَزَعه الله عَنَّا في الآخرة فإِنَّ في ذلك من الكَمالِ الرُّوحيِّ ما لا يَخْفى.

والثَّوابُ الحسِّيُّ الذي ذَكره تعالى فيه إِتْمامٌ وإِكْمالٌ للثُّوابِ الرُّوحيِّ. وإِنَّ أَسْمى ما يُحاوِلُهُ الإِنْسانُ هُوَ أَنْ يُوَفِّقَ التَّوْفيقَ الكامِلَ بين مُتْعَةِ جِسْمِهِ وغرائِزِه ومُتْعَةِ روحِهِ وفِكْره. وقد وعَدَنا الله جَلَّ وعَزَّ أَن يَتِمَّ هذا التَّوْفيقُ بِثَوابِ الآخِرَةِ. ولا رَيْبَ أَنَّ التَّوْفيقَ بين هذَيْن النَّوْعيْن من المُتْعة في دُنْيانا هذه عَسِيرُ المَنال. وقد خَلَقَنا الله جِسْماً ورُوحاً فلو قد قَصَرَ ثَوابَهُ في الآخرةِ على أَرْواحِنا وَحْدَها كانَ هذا عَجْزاً وجَلَّ هُوَ وتَبارَكَ وتعالى عن العَجْز. وإِنَّنا لَنُشاهِدُ الزهَّادَ في الدُّنْيا لا يَصِلُونَ إلى مَراتبِ الزُّهْدِ الحَقِّ إِلَّا بِطَرْحِ الشَّهَواتِ الجِسْمِيَّةِ وقد نُشاهِدُ أَنَّ هذا يَتْرُكُ في نفُوسِهِم شيْئاً من الحَسْرَةِ والانْقِباضِ. وفي الآخِرَة يُنْجِيهم رَبُّهُم من جميع هذا ويَجْمَعُ لهم بيْنَ الصَّفاءيْن الرُّوحيِّ والجِسْميِّ.

(1) ويدخل في هؤلاء جماعة من المبشرين وأصنافٌ من الكفرة وأهل الإلحاد ثم بعض من عسى أن يجوز قول هؤلاء عليهم وهم لا يشعرون.

ثمَّ إنَّ ذِكْرَ الكَواعِبِ الأَتْراب ليس معناه اتِّباع الشَّهوات من النِّساء فقط. فعِندَ النِّساء يكونُ الحُبُّ والتَّعاطُفُ ولَذّات قَلْبِيَّةٌ فِكْرِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ كَثِيرَةٌ وَحَسْبُكَ بالأُمومَةِ شاهِداً في هذه الحياةِ الدُّنيا. وشُرْبُ الخَمْرِ لا يَعْني السُّكْرَ والتَّهَتُّكَ بل إنَّ الحقَّ علا قَدْرُهُ قَدْ نَفى السُّكْرَ والإنْزافَ كُلَّ النَّفْيِ عَمَّن يَفوز بِثَوابه يومَ القيامَةِ. وقد ذَمَّ الله خَمْرَ الدُّنيا بأَنَّ إثمَها أكبر من نَفعِها وبأَنَّها رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيْطانِ. وشاءَ بِعِزَّتِهِ أَنْ يُذْهِبَ منها الرِّجْسَ كُلَّه في الآخِرَة ويَجْعَلها شَراباً طَهُوراً ليسَ معه إِثم وكُلُّهُ نَفْعٌ ولا يَخْفى ما في ذلك من جَمْعٍ بين اللَّذَّتَيْنِ الرُّوحيَّةِ والجِسْمِيَّة بِقُدْرَتِهِ العُلْيا سُبْحانَهُ.

هذا ولا يخفى على من له شيءٌ من نَظَرٍ في أُسْلوبِ القُرْآنِ ما يَعْمِدُ إليه من تَعَقُّبِ الشُّعراءِ الجاهِلِيِّينَ في فَخْرِهِم وفي أَوْصافِهِم لِلْخَمْرِ والنِّساء والسُّخْرِيَةِ بِمَذاهِبِهِم في التَّشْبِيهِ والمُبالَغَةِ بإظْهارِ كذِبهِمْ في مَعْرِض المُوازنَةِ بين اللَّذاتِ الفانيةِ التي يذكرونها واللَّذاتِ الباقية المَوْعودة لمن يَفُوزون بالرحمة والغفران. مثلاً قال الشاعِرُ الجاهِلِيُّ عَلْقَمَةُ يصِفُ شَرابَهُ ويَفْتَخِرُ:

قد أَشْهَدُ الشَّرْبَ فيهمْ مِزْهَرٌ رَنِمٌ ... والقَوْمُ تَصْرَعُهُمْ صَهْباءُ خُرْطُومُ
كأْسُ عزيزٍ مِنَ الأَعْنابِ عَتقها ... لبَعْضِ أَوْقاتِها حانِيَةٌ حُومُ
تَشْفي الصُّداعَ ولا يُؤْذيكَ صالِبُها ... ولا يُخالِطُها في الرَّأْسِ تَدْوِيم

فزَعَمَ أَنَّ أَصحابَه صَرَعَتْهُم الخَمْرُ يَفْتَخِرُ بِكَثْرةِ الشَّرابِ وشِدَّتِه. ثُمَّ زعَمَ أَنَّ الكأسَ التي شرِبوها مِنْ عِنَبِ عَزيزٍ بَيْضاءُ لا ضَرَرَ مَعها تَشْفي الصُّداعَ ولا يُخالِطُها في الرَّأْسِ دُوارٌ. قال هذا عندما أراد الفَخْرَ بصِنْفِ الخَمْرِ التي شَرِبها. وهذا كما ترى يُناقِضُ كلامَهُ الأَول إذ

كيفَ صَرَعَتْ أصحابه ولم تُدِرْ رءُوسهم بدُوارِها؟ وقال تعالى في سورة الصَّافَّات: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ الصافات: ٤٥ - ٤٧ . وقال تعالى في سورة الواقعة: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ الواقعة: ١٧ - ١٩. فنفى عنها الغَوْلَ ونفى عنها الإِنْزافَ فدلَّ بذلك على طَهارَتِها وفساد قَوْلِ الجاهِلِيِّينَ وكَذِبِ دَعاواهُمْ. وهذا بابٌ نأْمُلُ أن نُفصِّلَ درْسَه في كتابِنا المُرشد إلى فَهْم أَشعار العربِ وصناعَتِها وغيره إن شاءَ الله ونكتفي منه ههُنا بهذا القَدْر والله تعالى أعلم.

خلاصة بالدارجة لهذا التعليق

يَقُولْ بَعْض المُعَاصِرين ال بيطْعَنُوا في الدِّين ليه ربَّنا يوَصِّف الحُوْر والخُمُور؟ ليه ما تكُون لذَّاتَ الْآخره رُوحيَّة؟ ودَا مَطْعن ماليهُ محَل؟ في شان ربَّنا خَلَقْنا جِسِمْ ورُوح؟ وهو قَادِرْ يَسْعِد رُوحْنَا وجِسْمَنا الْاتنين؟ ونِحْنَ في الدُّنيا دِي ما قَادْرين؟ أَل بِيطْلُب الزُّهْدْ منا في شان لذَّةْ رُوحُه ضَرورِي يَكُون مِتْأَلِّمْ من تَرِكْ مَلذَّاتَ الْجِسِمْ، وال بيجْرِي ورا ملذَّاتَ الْجِسِمْ، وال بيجْرِي ورا ملذَّات الْجِسِمْ بِتْبلَّد فِكْره ويَمُوتْ قَلْبهُ والجْمِعْ بين اللذَّتِين في الدُّنيا مسْتَحِيلْ ولكن ربَّنا قادِر يَجْمَعِنْ يُوم الْقِيامَة ودَا فِيهُ نهايَةَ الْكَمالْ. وَوَعَدْنا ربَّنا بالاتْنِين مَعَ بَعَض وقَال: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ يَعَني نَفَى صِفَاتَ الشَّيطَانْ وأثْبَتْ بَسْ صِفَات الرُّوح والْكَمال لانُّ ال بِيشْرَبْ وما يَلْغَى وما يَكْذبْ دَا بَلَغ غَايَةْ في كَمالْ الرُّوح. واما

النِّسا ربَّنا ما ذَكَرِنْ بَسْ في شان شَهْوة الجَسَدْ. والنِّسا عِنْدَهِنْ الحُبّ والعاطْفَةْ ومنَّهن الأُمَّهاتْ والأَخَواتْ. والحبّ من المَلَذَّاتَ الرُّوحِيَّة الكَبِيرَةْ. والنَّاسْ الطَّاعْنِينْ في ثَوابَ الآخْرَةْ دِيلْ غَرضُهم كلُّه يَنْكُروا وُجودَ الآخرة وَيِزْدَرُوا بالدِّين لَكِين لَوْ تأَمَّلُوا وَجَدوا أَنَّ تَفكِيرُهم هُمْ النَّاقِصْ فِي شَان خَيالْهُم الضَّعيفْ عَاجِزْ مِنْ إنُّه يِتْصَوَّر الجَمِعْ بَيْنَ مُتْعاتِ الرُّوحْ ومُتْعَات الجِسِمْ. اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا كَمالَ الإِيمانْ بِيكْ وَالتَّسْلِيمْ لِإرَادتَكْ الْعَالِيَه.

جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِساباً.

المفــــرَدَات

حِساباً : أي مُحاسَبَةً لهم على ما عَمِلوهُ ويُقَوِّي هذا الوجْهَ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الانشقاق: ٧ – ٨. وقالوا حساباً: يعني مُكافأَةً، ومحَاسَبةً، الحَسَنَةُ بأَضْعافِها مَرَّتيْن وعشْرَ مرَّاتٍ وفوْق ذلك وقالوا: حِساباً: أي كافِياً. تقول: أَعْطَيْتُهُ فأَحْسَبْتُهُ أي كَفَيْته أي أَعْطيْته حتى قال حَسْبِي.

والمعاني الثلاثة محتملة ههنا لأَنَّ الله يُثيبُ المؤمنينَ بِحَسَبِ أعمالهم ويُضاعِفُ في الثَّوابِ مع أَنَّه يُعاقبُ المُجْرمينَ على مِقْدار إساءَتِهم فقط عَدْلاً منه وإِنصافاً.

الخُـلاصَـة

أَي الحدائقُ والأَعْنابُ والكَواعِبُ الأتْرابُ، والكأْسُ الدِّهاقُ المُتَتابِعَةُ والحَياةُ الكَريمَةُ السّامِيَةُ الخَالِيَةُ من اللَّغْوِ والتَّأْثِيم- كلُّ هذا جَزاءُ الله وَثَوابُهُ للمُسْلِمين جازاهم به بِحَسَبِ ما قدَّموه من عملٍ ولكنَّه جزاءٌ مضاعَفٌ كافٍ، وعَطاءٌ مَوْفورٌ من رَبٍّ غفورٍ.

خُـلاصَـة بالدارجَة

يَعْني الجَنَّة وما فيها من النَّعِيم كُلُّه جَزَا من الله للمؤْمِنين بحَسَبْ عَمَلْهم الطيِّب. وقول ربَّنا: «عطاءً حساباً»: يعني عَطاءً منَّه جَلَّ شأْنُه محَسُوبْ بحَسَبَ العَمَلْ أَلْ قَدَّموه ولكنه مُضاعَفْ وكِتِير وكافِي.

رَبِّ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ لا يَمْلكُونَ مِنْهُ خِطَاباً. يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لّا يَتكَلَّمُونَ إلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَاباً.

تنبيه:

روايةُ حَفْصٍ عن عاصم بجرِّ الباء من ربِّ السَّمواتِ وبجرِّ النُّونِ من الرَّحْمن وموْضِعُهُما في الإعراب إما عَطْفُ بَيانٍ وإما بَدَلٌ. وفي قِراءَتنا بالسودان وهي قراءة أَبي عمرو: بِرَفْع الباء من رَبُّ والنُّونِ مِنَ الرَّحْمنِ، هكذا: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾. ومَوْضِعُ ذلك الاعِرابِ أنه كلامٌ مُسْتَأْنَفٌ جديد. وبعض القراء السبعة الآخرين جَرُّوا الباءَ من رَبِّ ورَفعوا النون من الرَّحْمن. وكلُّ هذا جائز في الإعراب وجَيِّدٌ وناصعٌ فَصيحٌ. ومَوْقِع «صواباً» في الإعْرابِ بِحَسَبِ كلامِ النحويين أَنَّها نائبٌ عن المَفْعول المُطْلَق أَي قَوْلاً صواباً لأَنَّ

مَقُولَ القَوْلِ يَكُونُ دائماً جُمْلَةً عندهم. والذي يَرْجَعُ[1] عِنْدي أَنَّها مَفْعولٌ به لقالَ وهذا كَثيرٌ في القُرْآنِ وَجَلِيٌّ أَنَّ الفِعْل مُنْصَبٌّ على «صواباً» نَفْسِها لا على المصدر الذي نابَتْ عنه. والله أعلم.

المفـــرَدَات

خطاباً	: أي مخابطةً وكلاماً.
الرُّوحُ	: قيل: أَرواحُ البشر. وقيل هو مَلَكٌ عَرْضُهُ كعَرْضِ السَّمواتِ والأَرض يُسَبِّح الله كلَّ يومٍ آلاف التَّسْبيح فَيخلُقُ الله من كُلِّ تَسبِيحَةٍ مَلَكاً. وقيل: الرُّوحُ هو جبريل. وقيل هو القرآن. وقيل الرُّوحُ صنْفٌ من الملائكة. وقيل هُمْ من خَلْقِ الله لَيْسوا جِنّاً ولا مَلائِكَةً ولا إنساً ولكن على هَيئَةِ الإنسِ. وقيل إِنَّهم يأكلون الطَّعام- ذكر ذلك الزَّمَخْشريُّ فيما ذكَرَهُ. وذكر أَيضاً أَنَّهم خَلْقٌ أقرب إلى الله وأَشْرَف عنده من الملائِكة. وقال الطبَريُّ ما فَحْواهُ إِنَّ الصَّوابَ حَمْلُ الرُّوحِ على معناه العُمومي بحيث يشمل جميع هذا الذي ذكروه لأَنَّ ربَّنا جَلَّ وعَزَّ لم يَخْصُصْ صِنْفاً واحداً من أَصنافِ الرُّوح. وهذا وجْهٌ جَيِّدٌ حَصيف والله أَعلَمُ.

(1) باب منع ونصر وضرب قال الجوهري (دار الكتاب، مصر ١/ ٣٦٤) رجح الميزان يرجَح ويرجُح ويرجِح رجحاناً أي مال. ا.هـ.

صَواباً : تَحَدَّثنا عن مَوْقع هذه الكلمة من الإِعْراب، ومعناها الدائرُ في الاستعمال لا يَحْتاجُ إلى شَرْح. ولكن في هذه الآية ذكروا لها وجوهاً منها أنَّ الصوابَ المرادُ به هنا شَهادَةُ أن لا إله إلَّا الله والوجْهُ الجيِّد أن نَحْمِل معنى هذه الكلِمَة على ظاهِرِهِ لأنَّه عامٌ ويدْخُل فيه كُلُّ صِنفٍ من أَصْنافِ الصَّوابِ الَّتي رواها المفسِّرون والله أعلم.

الخُــــلاصَـــة

أي العطاءُ والثَّوابُ كُلُّه من الله رَبِّ السموات والأَرضينَ والكَوْنِ الذي بينهما وهو الخالق الواسعُ الرَّحْمة المُتَحَنِّنُ على خَلْقِهِ. ولكن لن يقْدِر أَحدٌ على مُخاطَبَتِهِ يَوْمَ القِيامة، يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والملائِكَةُ صَفّاً أمامَهُ فلا يَتَكَلَّمونَ إلَّا بإِذْنه وإذا أَذِنَ لهم فلا يقولونَ إلَّا الصَّوابَ.

وقال بعضُ المفسِّرين كما قدَّمْنا إنه لا يتلكم أَحَدٌ يَوْمَ القِيامَةِ إلَّا بِشَهادَةِ لا إلهَ إلَّا الله وهِيَ القَوْلُ الصَّوابُ وقالَ بَعْضُهم إِنَّه لا يَتكَلَّمُ أَحَدٌ إلَّا من كَانَ من أَهْلِ التَّوْحيدِ في هذه الدُّنْيا.

وفَسَّر الزَّمَخْشَريّ مخاطبةَ الله ههُنا بالشَّفاعة. أَي لا يَشْفَعُ أَحَدٌ عند الله إلا بإِذْنِه ولا يَقولُ في شفاعَتِه إلا الصَّوابَ. وهذا الوَجْهُ الذي ذكره الزَّمَخْشَريّ تُقَوِّيه آياتُ الشَّفاعَةِ الوارِدَةُ في القُرآنِ. ولكن حَمْلُ معنى المُخاطَبَة على عموم أَصناف المخاطبة أَجْوَد والله أَعْلَمُ.

خُـــــلاصَة بالدارجَة

قَوْله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلى آخر الآية تَبْيِيْنْ لِقَوْله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ - يَعْني بِربِّك هِنا الله. والله هُو ربَّ السَّما وَالأَرِضْ وربَّ كل شي بيناتِنْ وهُو الرَّحْمن الشَّفُوق عَلينا أَل بِيَرْحَمْنا. وما في زُوْل يُوم الْقِيامَةْ يَقْدَر يخَاطْبُه أبداً ما في واحِدْ يَقْدَرْ يكلِّمه وقت تِصْطَفَّ المْلائِكة والرُّوحْ وكلَّهُمْ بِقيفُوا صَفْ واحِدْ ما بِيتْكلَموا إلا بإذِن ربَّنا وإذا تْكلَّمُوا ما بيقُولوا إلا الصَّوابْ.

وكلْمَة الرُّوح اخْتَلفُوا فيها المفَسِّرين. قالوا الرُّوح جِنِسْ غِير المْلايْكَةْ وقالُوا مَلَكْ كَبِيرْ. وقالُوا أَرْواح الخَلِقْ. وقَالُوا سيدنا جِبْرِيل وَنِحْنَ أحْسَنْ نقول الرّوح بمعناها العُمومي في شان ربَّنا ما ذَكَرْ لنا صَنِفْ مَخْصوص. وما في عَلى التَّخصيص دَلِيلْ يَلْزِمْنا والله أَعْلَمُ.

ذلِك الْيَوْمُ الْحُقُّ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ مَآباً. ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾.

المفـــرَدَات

مَآباً : فَسَّرْناها من قَبْل بالمَرْجِع.

المَرْءُ : الإِنْسان. وقال الزَّمَخْشَرِيُّ المرادُ بالمَرْء هنا الإِنْسان الكافر. وأكثر أَهلِ التَّفسير على أَنَّ المُرادَ هو الإِنسان المؤمنُ لأَنَّ

الكافر مذكورٌ في آخر الآية. وكلا الوجهيْن مُحْتَمَلٌ جائِزٌ على كُلِّ حالٍ. ولعلَّهُ أَجْوَدُ أَنْ نحْمِلِ كلمةَ المَرْءِ على مَعْناها العامّ وهو الإنسانُ كافِراً كان أَو مُؤْمناً وإِلى هذا الوَجْه ذَهَب الجلالان رَحِمَهما الله. واللهُ جلَّ ثناؤُه وتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ أَعلَمُ.

الخُـلاصَـة

أي يومُ القيامَة هو اليومُ الحَقُّ. هو حَقٌّ ويظهرُ فيه الحقُّ. ومن شاءَ منكم أَيُّها النّاسُ أَعَدَّ سَبيلَه إلى رَبِّه منذُ الآنَ بالأَعْمالِ الصَّالِحَةِ. وإِنَّ اللهَ قَد حَذَّركم أَيُّها النّاسُ وأَنْذَرَكُمْ بالعَذابِ القَريبِ الذي سَيَكونُ يومَ القِيامَةِ. وسمَّى اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ قَريباً لأَنَّهُ قريبٌ عندَ الله وإِن كُنّا نَحْسَبُه بَعيداً. فَيَنْبَغي من أَجلِ ذلك أن يكونَ قريباً عِنْدنا فلا نعتقد بُعدهُ لأَنَّ قِيامَةَ المَرْءِ تَبْدَأُ بمَوْتِهِ وأَيُّ شيءٍ أَقْرَبُ من الموْتِ. هذا وفي يَوْم القِيامَةِ يَنْظُر كلُّ امْرىءٍ ما عَمِلَ وما قَدَّمَتْهُ يَداهُ من خَيْرٍ وَشَرٍّ. وأَمَّا الكافِرُ فَيَنْدَمُ أَشَدَّ النَّدَمِ ويقولُ يا لَيتَني لم أَكُ شَيْئاً ويالَيْتَني كُنْتُ تُراباً. وقال المفسِّرون إِنَّ الله تباركَ وتَعالى يأْمُر يوْمَ القِيامَةِ بالحيواناتِ فيَقْتَصُّ بعضها من بعْضٍ حتَّى إِنَّ الَّتي لَيسَتْ لها قُرون تأْخذُ بحَقِّها من ذوات القرون إن كانت نَطَحَتْها في الدُّنيا. ثُمَّ بعد هذا الحساب يقولُ الله لها جَميعاً كُوني تُراباً فتكون تُراباً. فيَقولُ الكافِرُ يا لَيْتني كُنْتُ بَعْضَ هذه البهائم لأَصير تُراباً وأَنجو من النَّار وهَيْهاتَ هَيْهات. وقالوا إِنَّ الجِنَّ وسائِرَ الخَلْقِ سِوى بني آدَمَ سيكونون تُراباً. وهذا القولُ غير قويٍّ بدليل أَنَّ الجنَّ منهم المؤمنون ومنهم الكافِرونَ. والله سُبْحانَهُ وتعالى أَعْلَمُ.

خُلاصَة بالدراجة

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾. أي يَوْم الْقِيَامَةُ حقّ وصَحِيحْ وَجَايي وربَّنا بيظْهِرْ فيه الْحَقيقة. والدَّايِرْ مِنَّكُم يا بَني آدَمَ الْجَنَّةْ أَحْسَن ليهُ مِن الآنْ يَحضَّرْ نَفْسُه وِيسْتَعِدَّ ويَحضَّرْ سِكَّة الرَّجْعة لي رَبُّه. والمآب مَعَنَاهُ طَريقَ الرَّجْعَةْ. وكلّ إِنْسَانْ يُومَ الْقِيامَة يَنْظُرْ عَمَلُه مكتُوب لِيهُ. والكافر يَنْدمْ حدَّ النَّدامة وِيتْمَنَّى ويَقُول يا رِيْتني كُنْتَ تُرابْ.

قَالُوا يُومَ القيامَةْ ربَّنا بِيحَاسِب الْبَهايِمْ. حتَّن ال دَاقْرُون[1] ما عنْدها قُرُون أكان نَطَحتها أُخرى عِنْدها قُرون ربَّنا ياخُذْ ليها حقَّهَا يوم القيامة. وبَعدين يَقُولْ لكُلّ البهائم كُوني تُرَابْ. والْكَافِرْ بَعَدِين يِتْمنَّى ويقول يا رِيْتِني كُنْت بَهيمة وبقيتْ تُرابْ. ونَعُوذ بالله من غَضَب الله. وتَمَّ بحمد الله وعَوْنِه تَفْسِير سُورة عمَّ.

---

(1) ال داقرون أي التي ليس لها قرون دا دال وألف أصلها ذا بمعنى صاحب كأنهم لقبوا ما ليس له قرون ذا قرون فتأمل والله أعلم.

سورة النازعات

وهي سورةٌ مكِّيَّةٌ آياتها سِتٌّ وأَرْبَعونَ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً. وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً. فَالسَّابِقَاتِ سَبْقا. فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً.

المفـــرَدَات

وَ : الواو للقَسَم وأقسمَ اللهُ بالأَشْياءِ التي بعدها.

النَّازِعاتِ غَرْقاً : أقْسم ربُّنا بالنَّازِعاتِ غَرْقاً. وأَصْلُ النَّازعاتِ من نَزَعَ يَنْزِع ومَعناها معروف وتقول نَزَعَ غَرْقاً أي نَزَعَ فاشتَدَّ في النَّزْعِ وأَغْرَقَ النَّازِعُ في القَوْسِ أي اشتدَّ النَّازِعُ وهو الذي يجْذِب وتَرَ القَوْسِ ليرميَ السَّهم، في مدِّ هذه القوس نحو نَفْسِه ومطِّها واستوْفى بها غايتَها، تقولُ أَغْرَقَ في النَّزْعِ إغْراقاً وغَرْقاً، وغَرْقاً وإغْراقاً بمعنى واحد. وكأَنَّ العرب أَهْمَلَتِ الفِعْل الثُّلاثيّ واسْتَعْمَلتِ المَصْدَرَ «غَرْقاً» وَحْدَهُ والله أعلم.

واختلف المفسرون في النَّازعات: (أ) قالوا هِيَ الموت يَنْزِع النُّفوسَ غَرْقاً أي بشِدَّة. ووصِفَ الموْت بالنازِعاتِ لأَنَّ فيها دَلالَةَ على أَصْنافِ الموت (ب) وقيلَ هي الملائِكَةُ

تَنْزِعُ النُّفوسَ غَرْقاً أي بشِدَّة (جـ) وقيلَ تَنْزِعُ نُفُوس الكافرينَ فَتُغْرِقُها في نارِ جَهَنَّم، وهذا القَوْلَ يَحْتاجُ إلى تَأْويلِ من جِهَةِ النَّحْو وكأَنَّ تَوْجيهَهُ تَنْزِعُ النُّفوسَ نَزْعَ إغْراقٍ لَها في النَّارِ أي مع إغْراقٍ لها في النَّار. و«غَرْقاً» على هذا التَّأْويل تكونُ بمعنى الغَرَق المعروف لا على معنى الشدة. وهو تأْويلٌ بَعيدٌ إلَّا أَنْ تَجْعَلَ «غَرْقاً» مصدراً من غَرِقَ والله أعلمُ (د) وعن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ في تأْويل هذه الآيةِ: نُزِعَتْ أرواحُهُمْ ثم غَرِقَتْ ثم قذف بها في النار (هـ) وقيل النازعاتُ غَرْقاً هي الأَقْواسُ التي تُسْتَعْمَلُ في الحُرُوبِ أَقْسَم الله بِها كما أَقسم بالعادِيات ضَبْحاً وهيَ الخيْلُ والأَقْواسُ تَنْزِعُ السهامَ غَرْقاً أي بشِدَّةٍ وتَقْذفُ بها (و) وقيلَ النازعات غَرْقاً هي النُّجوم تَنْزِعُ من مَكانٍ إلى مَكانٍ ومن أُفُقٍ إلى أفُقٍ أي تَتَحَرَّكُ بِقُوَّةٍ وشدة (ز) وقال بْعضُ المُفَسرين: النَّازِعاتُ هي نُفُوس النَّاسِ. وغَرْقاً: حينَ تَغْرَقُ في الصُّدُورِ وذلك يكونُ ساعةَ الموت. والله أَعلَمُ.

والنَّاشِطاتِ نَشْطاً : الواو للقَسَم كما تَقَدَّم. تَقولُ نَشَطَ الوَلَدُ الحَبْلَ يَنْشِطُهُ أي حَلَّه بِرِفْقٍ، وبَعْضُ المفسرينَ يَقولونَ: والنَّاشِطاتِ من نَشَطَ الحَبْلَ إذا رَبَطَهُ بشدَّة: تقول نشَطتُ الحَبْلَ أي رَبطته

نَشْطاً وأَنْشَطته أي حَلَلْته إنشاطاً -وهذا قول الفرَّاءِ من النَّحَوِيين. وهذا كما ترى عَكْسُ الوَجْهِ الأَوَّل، والأَوَّلُ هوَ المشهور.

وقالوا النَّاشطاتُ: أي المُسافِراتُ أي بَقَرُ الوَحْشِ لأنَّها تَنْشِطُ من مَكان إلى مَكانٍ أي تُسافِرُ واختلفوا بعد في تأويل النَّاشِطاتِ ما هي: فقالوا: (أ) الملائكةُ تَحُلُّ النُّفوسَ وتَقْبِضُها أو تَرْبِطُها وهذا القَوْلُ الأَخيرُ مَذْهَبُ الفَرَّاءِ، لا أَدْري كَيْفَ يكونُ تأْويله. (ب) وقالوا هِيَ الموتُ (ج) وقالوا هيَ النُّفوسُ ساعَةَ تَنْشِطُ منَ القَدَمَيْنِ أي تَخْرُج من القدمَيْن (د) وقيلَ هِيَ النُّجوم (هـ) وقيل هِيَ ثِيرانُ الوَحْشِ (و) وقيلَ هيَ الحِبال المستعملةُ في الأَقواس وغيرها وإِنَّها هِيَ التي تَحِلُّ وتَرْبِط. والمفسرون يستعملون كلمة «الأَوْهاق» يُريدون بها الحِبالَ ومُفْرَدُها وهَقٌ بفَتْحِ الواو والهاء فاعْرِفْها بعونِ الله تَعالى وتَيْسيرِهْ.

والسَّابِحاتِ سَبْحاً : السباحةُ في البحرِ والهواء معروفة. وقيل السَّابحاتُ هيَ (أ) الملائكةُ (ب) وقيلَ الخَيْل (جـ) وقيلَ السُّفُن (د) وقيلَ الموت إذْ أَصنافُهُ تسبحُ في نفس ابنِ آدم.

فالسابقاتِ سَبْقاً : قيل الخَيْلُ وقيل الملائكةُ وقيلَ المَوْتُ وعندي أَنَّ السَّابِقاتِ يَنْبَغي أَنْ تكونَ هِيَ السَّابِحاتُ نفسها لوجود

الفاءِ التي تدُلُّ على التَّرْتيب مع التَّعاقُبِ ويُشْتَمُّ منها أن فاعِلاتِ السَّبْقِ ويَجوزُ أن تكونَ الفاءُ استُعْمِلَتْ لمجرَّدِ العَطْفِ والله أعلم.

فالمُدَبراتِ أَمْراً : قيلَ هِيَ الملائكةُ تُدَبِّرُ الأَمْرَ بإِذْنِ الله وتَنْزِلُ عن أَمْرِهِ وتَصْعَدُ بِأَمْرِهِ. وقالَ أهلُ الظَّاهِرِ كلُّ ما أَقسمَ اللهُ به ههُنا مثْلِ النَّازعاتِ والناشِطات والسَّابِحات من المُتَشابِهِ الذي لا يَعْلَمُ تأويلَهُ إلَّا الله. وقالَ الطبرِيُّ ما معناه إنَّ الجَيدَ حَمْلُ كلامِ الله على التَّعْميمِ أي أقسم الله بكل نازِعَةٍ وبكل ناشِطَةٍ وبكل سابِحَةٍ وهذا إن شاءَ الله هو القوْلُ الرّاجحُ وذهبَ الجلالان إلى أن المراد الملائكة والله تعالى أعلَم.

الخُــــلاصَة

أقسم الله بكلِّ النَّازعاتِ وكلِّ النَّاشِطاتِ وكل السَّابِحاتِ وكُلِّ السَّابِقاتِ ويَدْخُلُ في معْنى ذلك الملائكةُ والنُّجوم والموْتُ وبَقَرُ الوَحْشِ والجِبالُ والهُمومُ وكلُّ ما ينْزِعُ وَيِنْشِطُ ويَسْبَحُ ويَسْبِقُ وجَوابُ القَسمِ مَحْذُوف يَدُلُّ عليه السِّياقُ أي إنَّ هذا القُرآن حَقٌّ وإنَّ يَوْمَ الفَصْلِ آتٍ لا رَيْبَ فيه. وهذا التَّفسير مَبْنيٌّ على قَوْلِ الطَّبَرِيّ وهو الَّذي رَجَّحْناهُ والله أعْلَم.وأقسم الله تعالى بالسَّابِقاتِ سَبْقاً أي بكُلِّ ما يَسْبِقُ وبالمُدَبِّرات أَمْراً يَوْمَ تَرْجُف الرَّاجِفَةُ، وهو يومُ قيامِ السَّاعَةِ ولا تُدبِّرُ الأَمْرَ حينئذ إلا الملائكة بإذن الله تعالى وكذلك قال

أهلُ التَّأْويل فيما ذكر الطَّبَريُّ رَضيَ الله عنهُ نَعُوذُ بالله أَن نَقُولَ فِي كتابه بالرَّأي ونسأله التَّوْفيقَ وهُو سُبْحانَهُ وتعالى أعلَمُ وإِلَيْهِ المَصير.

خُــــلاصَة بالدارجَة

ربَّنا حَلَف بالنَّازِعاتْ والنَّاشِطَات والسَّابِحاتْ والسَّابِقَاتْ والمُدَبِّراتْ انُّه يُوم الْقِيامَة لا بُد آتي وما في مَفَرَّ مِنَّه. والمفسرين اخْتلَفوا في «النَّازِعات» والْكَلِمات أَلْ بَعَدها، قَالَوا هِي المَلائِكَة وقَالُوا النِّجُوم وقالُوا المُوْت وبَعَضْ منَّهم قالُوا دِي كَلِماتْ ما بْيَعْلَمْ تأوِيلَها إلا الله. والحْقِيقَة كلَّها كَلماتْ لِيها مَعَنى واضِحْ في اللُّغة- النَّازِعات يَعَني أَل بِتَجْبدْ بِشدَّةْ والنَّاشِطات يَعَني أَل بِتْسافِرْ بِسُرْعَة أَو أَل بِتْحِلّ وتَرْبطْ والسَّابحات يَعَني الْعايِماتْ والْعَرَبْ بِتْوَصّفْ الخْيل وتْسَمِّيها السَّابْحَاتْ. والسَّابْقَات وَاضحة و«المُدبِّرات» قَالَ الْإمام الطَبري ما مَعَناه إِنُّه رَبَّنا أَقْسَم بالنَّازعات وما خَصَّص نَازْعة مِنَّهِنْ وَبيَّنها بِي نُوعها دُونْ غَيرها وكَذلك النَّاشطاتْ فالصَّوابْ والله أَعْلَمْ إِنَنَا نَقُول رَبَّنا أَقسم بِجميعَ النَّازعاتْ والنَّاشطاتْ والسابْحات يعني الْعَايِمات ويَدْخُلوا في المُعنى دَا المَلايكة فِان هي بتَنْزَع النُّفُوسْ بالمْوت وتَدْخُل أَصْنافَ النَّاشْطاتْ يعني ال بِتْسافِرْ وال بِتْحِلَّ وتَرْبط وأَصْناف السَّابْحَاتْ مِتل الخِيلْ وأَصناف السَّابْقَاتْ ويَدْخُلْ أَيضاً معنى المُوت ومَعْنَى الهُمُوم. وقَالُوا الجلالين يَعَني المُراد المَلائكةْ والتَّفْسِير دَا قَوِي إِلَّا انُّه تَفْسِير الإمامْ الطَبْري مَعَناهْ شامِلْ للمعاني أَل ذَكَروها أَهَل التَّأْويل كُلَّها والله أَعْلَمْ. وأَقْسَم ربُّنا بالمُدَبِّرات في قَوْلِه تعالى ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ يَعَني يُوم قِيامَ السَّاعة

ودِيل يَعَني الْملايكة في شان ما في من يِدَبِّر الأَمْر غيرُنْ بإذنِ الله تعالى ونَعُوذ بالله من تَفْسير كِتاب الله بالرأيْ أَو نَمِيل فِيهُ مع هَوى النُّفوس ونَسأَلُه سُبْحانُه وتَعالى الْهِدايَةْ والتَّوْفِيقْ.

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قلوب يَوْمَئِذ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ.

المفـــرَدَات

الرَّاجِفَةُ : نَفْخَة الهَلاكِ والاسْم المُسْتَعْملُ لها في الكُتُب هو «نَفْخَةُ الصَّعْقِ» لأَنَّ كُلَّ مخلوقٍ يَصْعَقُ مَعَها. وقيلَ هي النَّفْخَةُ الأُولى وقيلَ هي النَّفْخَةُ الثَّانيَةُ وذكَرْنا لك الاختلاف في ذلك في تَفْسيرنا لسورَةِ النَّبَإ. وسُمِّيَتِ الرَّاجِفَةُ لأَنَّ كُلَّ شَيءٍ يَرْجُفُ عِنْدَها. وقيلَ الرَّاجِفَةُ في الحَقيقَةِ نَفْخَتان الأُولى منها الفَزَعُ كما قَدَّمْنا والثَّانية يصعَقُ بها مَنْ في السَّموات والأَرضِ إِلّا إِسرافيلَ والملائكةَ المُقَرَّبينَ ثُمَّ يأْمُرُ الله عِزْرائِيلَ فيَقْبِضُ أَرْواحَهُم ثمَّ يَمُوتُ عِزْرائيلُ نفسُهُ بِأَمْرِ الله. وقيل إِبْليسُ لا يَموتُ من الرَّاجِفَةِ ولكن يَفِرُّ ويُطارِدُهُ عِزْرائيلُ ثُمَّ يَسْتَعينُ عليه بميكائِيلَ؛ فالله أعلمُ أَيُّ ذلكَ يكونُ.

الرَّادِفَةُ : هِيَ النَّفْخَةُ التي تَتبَعُ الرَّاجِفَة وقيلَ بَيْنَها وَبَيْنَ الرَّاجِفَةِ

أَرْبَعونَ ولم يذكروا مِقْدار الأَرْبَعين وهي مُدَّةٌ لا يَعْلَمُ مَداها إلا الله. وتُسمَّى الرَّادِفَةُ: نَفْخَةَ القِيامِ.

واجِفَةٌ : أي خائِفَةٌ تضطرب

خَاشِعَة : أي ذَليلَةٌ عَليْها الكآبَةُ تَنْظُرُ من طَرْفٍ خَفِيٍّ لِشِدَّةِ ذُلِّها.

الخُــــلاصَــة

يقولُ تَعالى ما مَعْناهُ يوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ النَّفْخَةُ الَّتي يَرْجُفُ لها كُلُّ شيءٍ ثُمَّ يموتُ. ثُمَّ تَجيءُ بَعْدَ ذلك النَّفْخَةُ الرَّادِفَةُ فيَقومُ مَعها كلُّ شَيءٍ. عندئذٍ ترى القلوبَ خائفَةً تضطربُ والعُيونَ ذَليلَةً خاشِعةً مُنْكَسرةً. ويجوزُ أن يَكونَ المُرادُ ههُنا قُلوبُ الكافِرينَ وعُيونُهم وإِن كان الخوْفُ لِهَوْلِ المَوْقِفِ يَشْمَل كلَّ الخَلْقِ واللهُ تعالى أَعْلَم.

خُــلاصَــة بالدارجة

يَقُولُ تَعالَى: يَوْم تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ يَعْني النَّفْخَة ال بيرْجِفوا منَّها النَّاسْ ويَمُوتوا وبَعَدها الرَّادِفة وهي النَّفْخة ال بيقُومُوا معَها النَّاسْ والْقُلوبْ في الوقِتْ دَاكْ تكُون واجِفَة يعني خَايْفَةْ والْعُيونْ تكون مَكْسُورة وذَلِيلَةْ وخَاشْعة.

يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ. أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً. قَالُوا تِلْكَ إِذَن كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ.

تنبيه:

في الإِمْلاءِ تُكْتَبُ إذنْ بألف بعد الذَّال وبنُون بعد الذَال. والمستَعْملة في المصاحف أَلفٌ بعدَ الذال. وعند أَكْثَرِ العلماء كِتابَتُها بالأَلفِ أَجْود.

ولكنَّ وضْعَ النُّونِ أَوْضحُ للقارىءِ الآن.

تنبيه آخر:

أَإِنَّا: اختلفَ القرّاءُ في طريقَةِ قراءَتها. وعندَ حَفْصٍ هَمْزَةٌ مَفْتوحَةٌ بعدها همزةٌ مَكْسورةٌ واضِحَتانِ مُحَقَّقَتان في النُّطْقِ عند القراءَةِ. وكذلك أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَة. ولكن في قراءَتِنا- قِراءَةِ أَبي عمرو-تُمَدُّ الهَمْزَةُ الأُولى وتُسَهَّل الهَمْزَةُ الثانية والتسهيل ليس بهاءٍ خالِصَةٍ ولكنَّهُ شيءٌ بيْنَ بيْنَ ولا بُدَّ فيه من طول مِرانٍ. وبعض القرّاءِ لا يجيئون بأَلفٍ بعْدَ الهَمْزَةِ الأُولى ولكن يُسَهِّلون الثانية وبعضُهم يُظَهِّرون الهمزَتين ولكن يجيئونَ بأَلف بعد الهمزةِ الأُولى. وكل أُولئِكَ جَيِّدٌ في العَرَبيَّة.

المفـــرَدات

يَقُولُونَ : أي المشْرِكونَ

أَإِنَّا : الهَمْزَةُ الأُولى للاسْتِفْهام أَيْ هَلْ نَحْنُ.

لَمَرْدُودُونَ : اللَّام لِتَقْوِيَةِ الكَلامِ وتَفْخيمِه. ومَرْدُودُونَ أي مَرْجُوعونَ.

في الحافِرَةِ : فُسِّرتِ الحافِرَةُ بالأَرْضِ وفُسِّرت بالحياةِ وفُسِّرت بالقبورِ وفُسِّرت كِلمَةُ الحافِرَةِ هُنا أَيْضاً بمعنى المحْفُورة.

والعَرَبُ تَقولُ: رَجَعَ فُلانٌ في حافِرَتِهِ أَي رَجَعَ في طريقِه وكأَنَّ المْعنى رَجَعَ في مَحْفُورَتِهِ التي حَفَرَها، أَي رجع في

طَريقِه الذي حَفَرَتْهُ رِجْلاهُ والله أَعلَمُ.

وقوْلُ المشركين: أَإِنَّا لَمَرْدُودونَ في الحافِرَةِ؟ أَي هلْ نَحْنُ راجِعُونَ مَرَّةً أُخْرى إلى طريق الحياةِ بعدَ الموتِ؟ هل مِنَ المعْقُولِ والجائِزِ أن يَبْعَثَنا ربُّنا؟ وسُؤالهم هذا على سبيل التَّهَكُّم والاستهزاء. والذينَ فَسَّرُوا الحافِرَةَ بالقُبور يقولون المعنى: هَلْ نَحْنُ راجِعونَ إلى القُبور؟» وعندي أَنَّ هذا المعنى فيه غُموض والسُّؤَال بهذه الصُّورة لا مَعْنى معه لأَنَّ الْموتَ حَقِيقَةٌ لا يتطَرّقُ إليها الشكُّ. وقال بعْضُ المفسِّرينَ: الحافِرَةُ من أَسْماء جَهَنَّم.

نَخِرَةً : بالِيَة. وقَرَأَ بعْضُ السَّبْعة: ناخِرَةً أي مُجَوَّفَةً تَنْخُرُ[1] الرِّياحُ في جَوْفِها واسْتَحْسَنها الطَّبريّ لأَنَّها من رُؤُوسِ الآي، قال رحمه الله ولولا ذلك كان أَعجَبُ القراءَتَيْنِ إِلَيَّ حَذْفَ الأَلِفِ. اهـ.

كَرَّةٌ خاسِرَةٌ : رَجْعَةٌ خاسِرَةٌ.

(1) نخر كفَرِحَ بمعنى بَلِيَ يبلى وليست المرادة هنا ولكن المرادة هنا التي تدل على الصوْت وهي من بابي ضرب ونصر تقول نَخَرتْ الريح تَنْخِرُ وتنْخُر ونَخِرَ العظْم ينْخَرُ وهي التي منها نخرة بلا ألف والله أعلم.

الخُـــلاصَة

قال تعالى: هؤلاء المشركون يَقولونَ هَل نحْنُ مَبْعوثونَ مَرَّةً أُخرى وَمَرْدُودونَ أَحْياءً كَما كُنَّا؟ هل يَجوزُ حُدُوثُ هذا بعدَ أن نَصيرَ عِظاماً باليَةً أو عِظاماً مُجَوَّفة تَنْخُرُ فيها الرِّياحُ؟ إذا صَحَّ هذا فالويل لَنا من رُجوعِنا مَرَّةً أُخرى لأَنَّنا لن نستفيد شيئاً من ذلك سوى جهنَّم والعذابِ الأَليم. إنَّها ستكون رَجْعَةً خاسِرَةً غابِنَةً عَلَيْنا.

وإنما قال المشركون هذا تَهَكُّماً بالنَّبيِّ ﷺ كأنما عَنَوْا أن يقولوا له: عَجَباً، إِنَّكَ تقول إِنَّنا سَنُبْعَثُ مَرَّةً أُخرى- فالوَيْلُ لَنا إنْ حَدَثَ ذلك، ويا ضَيْعَتَنا ويا خَسارَنا إن حَدَثَ ذلك ولكنَّه لن يَحْدُث.

خُـــلاصَة بالدارجَـة

المُشْرِكين بيقولوا: أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ في الحَافِرَةِ-يعني مُمْكن نِحْن نَرْجع للحياة مَرَّة ثانية بَعَد المُوْت وبَعْدْ ما نبقى عُضَامْ قَدِيمَةْ بالْيَةْ-«نَخِرَةٌ» معناها بالْيَةْ- أَكَانَ بِقَى دَا عَلِينَا وُوبْ عَلينَا-قَالُوا كَدِي بِيَضْحَكُوا عَلى النَّبي عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامْ. لَعْنَةُ الله عَلَيْهِمْ.

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ.

المفـــرَدَات

زَجْرَة : أَي نَفْخَةُ الزَّجْرِ وهيَ النَّفْخة الأَخيرَةُ التي يَكون مَعَها القِيامُ منَ القُبورِ. والزَّجْرَةُ مَعْناها في اللُّغةِ واضِحٌ وتُطْلَق على نَفْخَةِ المَلَكِ وعلى صَيْحَتِهِ.

فَإِذَا : إذا هُنا تُسمَّى «إِذا الفُجائيَة» وهيَ تَدُلُّ على عُنْصُر المُفاجأَة في الكلام. تَقولُ دَخَلْتُ فإذا أَسَد في الحُجْرِة- أيْ وَفَجْأَةً وعلى غَيْرِ تَوَقُّعٍ وَلِدَهْشَتي وَجَدْتُ أَسَداً.

بالسَّاهِرَةِ : السَّاهِرَةُ هِيَ الأَرْضُ الوَاسِعَةُ والعَرَبُ تُسَّمي الصَّحْراءَ ساهِرَةً لأَنَّ الوُحُوشَ تَبْدُو فيها لَيْلاً وَعُيونُها مُتَوَقِّدَةٌ وكَأَنَّها ساهِرَةً. ثُمَّ أَطْلقوها على البَرِّ فقالوا عنْدنا لَحْمُ بَحْر ولحمُ ساهِرَةٍ يَعْنُونَ السَّمكَ بِلَحْم البَحْرِ ولَحْمَ الوَحْشِ بِلَحْم السَّاهِرَةِ. وقال بعْضُ النَّاسِ السَّاهِرَةُ اسم مكانٍ مَخْصوصٍ وهذا القول يُعْوِزُهُ الشَّاهِدُ.

الخُـــــلاصَــة

أَي هؤلاءِ الكُفَّار يَشُكُونَ في البَعْثِ. ولكنَّهم سَيَعْرِفونَ الحَقيقَة لأَنَّ المَلَكَ إسرافيلَ سَيَزْجُرُ زَجْرَةً واحِدَةً بِنَفْخَتِه الأَخيرة في الصُّور وعندئذٍ يَجِدُ هؤلاءِ المشركونَ وسائِرُ الخَلْقِ أَنْفُسَهم أَحياءً على وَجْهِ الأَرْضِ يَنْتَظِرونَ الحِسابَ.

خُــلاصَــة بالدارجَــة

ربنا سُبْحانه وتَعالى بيقول فإِنَّما هِيَ زَجْرَة وَاحِدَةٌ-يعني بَعَد المُوْت المَلَكْ إِسْرَافِيلْ بَسْ يَنْفُخ نَفْخة واحْدَةْ وبَعَدِيْن كُلّ الخَلايِقْ يلْقُوا نَفسهم حيّينْ واقْفِينْ فُوق

الْأَرِضْ والْمُشْرِكينْ الْكَافِرِينْ بالْقِيَامةْ دِيلْ يَلْقوا نَفِسُهم واقْفِين فُوق الْأَرِضْ مِنْتَظْرِين الحِسابْ. والسَّاهِرَة يَعَني الأَرِضْ.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النازعات: ١٥ – ١٩

تنبيه:

بين القُرَّاءِ اختلافٌ في قِراءَةِ هذه الآيات. كلمة «طُوَى» إذا وَقَفْتَ عليها لَيْسَ فيها اختلافٌ بين القُرَّاءِ السَّبْعَةِ ولكن إذا وصَلتها بالكلِمَةِ الَّتي بعدها فَحَفْصٌ يُنَوِّنُها هكذا: ﴿ طُوًى ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ أبو عَمْرِو لا يُنَوِّنُها ولكن يقرأُها: طُوى بالألف اللَّيِّنة الظَّاهِرَةِ من دُون تَنوين.

وإذا وقفْتَ في القِراءَةِ عندَ مُوسى. وَطُوى. وَطَغى. تَزَكَّى فَتَخْشى فبعضُ القُرَّاءِ يُميلون. وفي قِراءَةِ حَفْصٍ لا تُسْتَعْمَلُ الإمالة.

وقد رووا عن أبي عمرو أنَّه كان يُمِيل رُءُوسَ الآياتِ: مُوسى، طُوى ونظائِرَها إمالَة بَيْنَ بَيْنَ. وتُسمَّى إمالَة التَّقليل. وطَريقَتُها أن تَمْضي بالألف في مَذْهَبٍ وَسَطٍ بينَ الكَسْرَةِ والفَتْحة وذلك بأَن تجْعَل مَخْرَجها من الجُزْءِ الأَسْفَلِ من أَوَّلِ الحَلْقِ بينَ الحَنْجَرَةِ والحَنَكِ وهِيَ صَعْبَةٌ للغايَةِ. وإمالَةُ التَّقليل في قراءَةِ أبي عمرٍو مَرْوِيَّةٌ عن المصريِّين والمغاربة فيما ذكرَ صاحِبُ النَّشْرِ وهي اختيارُ الطبريّ وذَكَروا التَّقْليلَ في مَواضِعَ أُخَر غَيْرِ رُءُوسِ الآي والأداء عِنْدَنا جارٍ على ما كان لأَبي عمرو فيه الإمالة التامَّة إيثاراً للفَتْحِ لما جاءَ فيه الخُلْف عن أبي عمرو أو

اسْتِصْعاباً لكيفيّة أداءِ التَّقليل أَو عملاً بقول من قال إنَّ الفتحَ أَصلٌ والإِمالَةَ فرعٌ والله تَعالى أعلَم.

والذين يقرأُون بقراءَة ورش يُشدِّدونَ الزّاي من تَزَكّى يقولونها هكذا: تَزَّكّى.

المفـــرَدات

حَديثُ مُوسى	:	قصة موسى وهيَ مَذْكورةٌ في مواضِعَ عِدَّة في القرآنِ مِثْلِ سُورةِ الأَعرافِ وطه والقَصَص والشُّعراء والمؤْمنِ ونأْمَلُ أَن نعرِضَ لذلك في مَواضِعِهِ إِن شاءَ الله تعالى وبه نَسْتَعِين.
طُوًى	:	بضمّ الطاءِ هو اسْمُ الوادي المقدَّسِ الذي نادَى رَبُّنا فيه سيِّدَنا موسى عليه السلام. وقيلَ طُوًى معناها: مرَّتيْن أي قدَّسَه الله مَرَّتين وذلك بأنه بارَكَ به ونادى فيه نَبيَّهُ مُوسى. وقرأ الحَسَنُ البصْريُّ بكسر الطاء وهي قِراءَة غيرُ مُتَّبَعَةٍ الآن.
تَزَكّى	:	بفتح التّاءِ والزّاي أَي تَتَزَكّى حُذِفَت التاءُ الأُولى تَخْفيفاً وهو مَذْهَبٌ فَصيحٌ جِدّاً في كَلامِ العَرَبِ يَقولونَ: أَنتَ تَلَفَّتُ أَي أَنْتَ تَتلفَّتُ[1]. ومعنى تَتَزَكّى: تَتطَهَّر بالإيمانِ وتَرْكِ الشِّرْكِ. وقَرَأَ اثْنانِ من القُرَّاءِ السَّبْعَةِ وهُما

(1) ذكرنا الضمير المنفصل «أنت» من أجل التوضيح للقارئ أصلحه الله إلا فالوجه تَلَفَّتُ وتَتَلَفَّتُ والله أعلم.

ابنُ كثيرٍ ونافعٌ بتشديدِ الزَّاي: تَزَّكى وَوَرْش من تَلاميذِ نافع رضي الله عنهم أجمعين.

فَتَخْشى : أي فَتَخافُ ربَّكَ وتَخْشى عِقابَهُ باتِّباعِكَ لفرائِضهِ وبإيمانِكَ بهِ.

الخُــــلاصَة

يقول جلَّ وعلا ما فَحُواهُ: يا مُحَمَّد-لنبيِّنا عليه الصَّلاة والسلامُ-هل بلغكَ خَبَرُ مُوسى وهلْ عَرَفْتَ قصَّتهُ حينَ ناداهُ ربُّهُ سُبْحانهُ وتعالى في الوَادي المقدّس الَّذي بَارَكَ اللهُ فيه الَّذي اسْمُه طُوًى وقالَ لَهُ يا مُوسى اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ فهو رجُلٌ طاغِيَةٌ وقل له: «هل لَّكَ إلى أن تَزَكَّى»-أي هل تَرْغَبُ يا فِرْعَونُ إلى أن تكون طاهِراً زكياً باتِّباعِكَ إيَّايَ وإيمانك بي وإعْراضِكَ عن الكُفْر والطُّغيان. وهل تَرْغَبُ في أن تَتَّبعَني فَأَهْدِيَك إلى مَعْرِفَةِ رَبِّكَ حَتَّى تَخْشاه وَتَعْمَلَ بما أَمَر وتُعرِضَ عمَّا نَهى، فإنِّي راغِبٌ في دَعْوَتِكَ إلى الخَيْرِ والصَّلاحِ يا فِرْعَونُ.

هذا-وذكروا أنَّ موسى كان لابِساً جُبَّةَ صُوفٍ وسَراويلَ صُوفٍ وَنَعْلَيْنِ من جِلْد حمارٍ مَيِّتٍ لَمَّا ناداهُ رَبُّه. وأَنَّ رَبَّنا أَمَرَهُ بأَنْ يَخْلَع نَعْلَيْهِ حتى لا يَدُوسَ بهما على الوادِي المقدَّسِ. وأنكَرَ بعضُ المُفسِّرينَ هذا القولَ، وقالوا بل كانت نعلاهُ من جلد البَقَرِ ولربما طَلَبَ منه ربُّنا أن يَخلعَ نعليْه حتى يُباشِرَ بقدميْه تُرابَ الوادي المقدَّسِ ويتبَرَّكَ بِبَرَكَتِه. والله جلَّ ثناؤُه وتباركتْ آلاؤُهُ أعْلَمُ أيُّ ذلك كان.

خُـــلاصَـــة بالدارجَة

قال تعالى: «هَلْ أتاكَ حَدِيثُ مَوسَى»، يعني يا محمَّد -ربنا بيخَاطِبَ النَّبي عليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ وبِقُولْ ليهُ يا محمَّد-عَارِفْ إنْتَ قِصَّة النَّبي مَوسَى، لما نَادَاهُ رَبَّنا في الْوادي الطَّاهِر المُقدَّس الْإسْمُه طُوَى وقَالْ ليهُ أَمْشِ لي فرعُون فِي شانْ هو تَغيانْ وقُولْ ليه يا فِرْعون ما أَحْسَن تطهّر نَفْسَك وتَتْبعْني فِي شَان أَهَدِيك لِمَعْرِفَةْ رَبَّكْ، ولمَّا تَعرِفْ رَبَّك تخَافُه وتَخْشَاهُ وتَبْقَى رَاجِلْ صَالِحْ.

﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾.

تنبيه:

(أ) فأراهُ تُكتَبُ في المُصحَفِ بالياء هكذا فأريه (ب) فأراهُ الآية الكُبْرى: عليك أن تُمِيلَ الألف التي بعد الرَّاءِ من فأراهُ والكُبْرى، إذا قرأتَها بِقِراءَة أبي عمرٍو أَمَلْتَ إمالةً كامِلَةً. والإمالَةُ الكامِلَةُ هي أن تَميلَ بالألفِ نحوَ الياءِ مَيْلاً شديداً. وحَفصٌ لا يُميل الألف هُنا ولكن يَنْطِقُها مَفْتوحةً ظاهِرَة.

(جـ) عَصَى، يَسْعى، فنادى. الأَعْلى. كُلُّها فيها إمالَةُ التَّقْليلِ في قِراءَةِ أبي عَمْرٍو ولكِنَّا هُنا في السودان لا نُميلُها بِحَسَبِ الذي بَيَّنا من قَبْل.

ملحوظة:

في المصاحفِ الخطيَّة إمالة فأراهُ والكُبْرى عَلامَتُها نُقْطةٌ حَمْراءُ تحت الرَّاءِ.

المفـــرَدَات

الآيَة	: المُعْجِزَةَ
أَدْبَرَ	: أي أَعْرَضَ وخالَفَ. ومعنى أَدبرَ في اللُّغةِ أَنْ يُعطِيَكَ الإِنْسانُ ظَهْرَهُ وذلكَ يكونُ عندَ الهَربِ والإِعْراضِ. وتقولُ أَدْبَرَ العَدُوُّ أو وَلَّى مُدْبِراً يَعْني هارِباً. وبَعْضُ المفسِّرين قالوا: معنى أَدْبَرَ هُنا: هَرَبَ. وبعضُهُم قالوا مَعْناها جَعَلَ كَقَوْلِكَ جَعَلَ يَكْتُبُ أي جَعَلَ يَسْعى في أَعْمالِ الشرِّ والوجْه الذي قدَّمْنا أَوَّل شيءٍ هو الصوابُ إن شاءَ الله.
يَسْعى	: أي يمشي في ما هو بغيضٌ إلى الله ويَكيدُ لسيِّدنا موسى عليه السَّلام. وقيل يسْعى: معناها يجري هَرباً.
عَصَى	: أي عَصَى مُوسى حينَ قالَ لهُ أَطِعْني لأَنّي رسولُ الله وقيلَ عصى الله.
حَشَرَ	: جَمَعَ. أو صَرخَ في قَوْمِهِ وناداهُم. والرَّاجِحُ أَنَّ المراد هنا أَنَّ فِرْعوْنَ حَشَرَ السَّحَرَةَ المصْريِّين أي جَمَعَهُمْ لِيتَحدَّى بهم موسى والله أَعلمُ.

الخُـــلاصَـــة

لَّما دعا سيدّنا موس عليه السَّلام فِرْعوْنَ إِلى طاعةِ ربه أَبْدى له تَكَبُّراً وتجبراً وهدده بالسجنِ فأَلْقَى موسى عصاه فصارتْ ثعْباناً. وأَخرج يده من جيبه فكانت بيضاء تَلْمَعُ من غير مَرَضٍ. وكانت أَعمالُ موسى هذه مُعْجِزَةً كبيرة بُهِرَ لها فرعونُ. ولكنه أَصر على كِبْرِيائِهِ فكذَّبَ بما رآه وقال لموسى أَنت سَاحِرٌ وأَعطاه ظَهْرَهُ ازْدِرَاءً له وتكبراً وعِصْياناً ولم يسمع كلامه ثُمَّ جعل يسعى في الْكَيْدِ لموسى. فأَرسل إلى السَّحَرةِ وجمعهم لِيَتَحدَّى بهم موسى. ولما جمعهم قام فيهم خطيباً وقال لهم ولجميع من كان هُنَاكَ: أَيها الناسُ أَنا ربكم الأَعْلى فاعْبُدُوني. وهذه نهاية الكبرياءِ والطَّيْشِ والْغُرور.

وقال بعض الْـمُفَسرِينَ إِن فرعون كان رجلاً خَفِيفاً فلما رأَى عصا موسى تَصِيرُ حية خاف وأَدْبَر هارباً وهذا الوجه جائزٌ ولكن السياق لا يُقَويه إذ لسياق يذكر أَن فرعون كَذَّبَ وعصى عندما رأَى الآية الكبرى. وقد ذكر الله تعالى قِصَّةَ موسى في مَوَاضِعَ كثيرة وذكر عِصْيانَهُ وكبرياءَه ولم يذكر هربه وجريه. وقالوا إِن فرعون لما جعلت الحية رأْسه بين نَابَيْها وأرادت أَن تأْكله أَحْدَث وأَخذه بطْنُه وذلك من شدة الخوف[1] واختلف المفسرون شيئاً ما في معنى «الآية الكبرى» فقال بعضهم العصا التي صارت حية وقال بعضهم عَنَى بالآية الكبرى الآيتين معاً أَي الْمُعْجِزَتَيْنِ معاً وهما العصا وصَيْرُورَةُ يده بيضاءَ من غير سوء.

---

(1) أي أخذه إسهالٌ فافتضح.

خُــــلاصَــــة بالدارجَــة

قال تَعالَى: «فأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى»- أَيْ أَنَّ سَيِّدَنا مُوسَى أَظْهَرْ مَعْجِزته الْكُبْرَى لَمَّا شاف فرعون تَغيان والآية الْكُبْرَى يعني الْمُعْجِزَة الْكُبْرَى والمفسِّرين اخْتَلفوا قالُوا يَعْني عَصَايَةْ سيدنا مُوسَى ال بِقَتْ حية وبَعَضْ منَّهم قالوا يعني إِيده أَل بِقَت بيضا مع عصايَتُه سَوا ودَا ماهُو اخْتِلاف كَبِيرْ. في شان الايْد والْعَصَا[1] الاتْنِينْ مِن الْمُعْجِزاتَ التِّسْعَه أَل أَدَّاهِنْ رَبَّنا سُبْحانُه وتعالى سيدْنا مْوسَى عليه السَّلامْ. وبَعَدِين لَمَّا فِرْعُو شَاف الْمُعْجِزة كذَّب وقَال دَا سِحِر ودِي ماها مُعْجزة وعِصَى سيدْنا موسى وأَبَى يَسْمَع كَلامُه وبَعدين أَظْهَر عَدَم اعْتِنا بِسيدنا مُوسَى وقَبَّل مِنُّو غَادِي وقَعَدْ يِكيد لُه ونَادَى السَّاحْرِين والْمِشَعْوِذين وجَمَعْهم وقال هُمْ أَغَلْبُوا مُوسَى في شان هُو سَاحِر زيَكُم بَسْ هُو سَاحِر كَبِير. وقال ليهُمْ وقال لكُلَّ النَّاسْ اسمعوا هُوىْ أَنا رَبَّكم الأَعْلى ما في ربّ غِيري. لَعْنَةُ اللهِ عَلِيهُ الكافِرُ الكَذَّابْ.

فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى.

تنبيه:

بعض قُرَّاء القرآن بقراءة أَبي عمرٍو يستعملون إِمالَةَ التقليل في الأُولى ويخشى بحسب ما ذكرناه لك من قبل.

(1) الإيد: المُفرد إيد بهمزة مكسورة مشبعة أي يد والْعُصَا معروفة وفي الدارجة ارتكاز الصوت على الصاد والألف لا العين.

المفــــرَدَات

نَكالَ الْآخِرةِ والْأُولَى : النَّكال هو العذاب والتنكيل

واختلفوا في معنى قوله تعالى: الآخرةِ والأُولى. فقالا الآخرة أي دعواه الآخرة وهي قوله «أَنا ربكم الأعلى». والأُولى هي دعواه الأُولى وهي قوله: «ما عَلِمتُ لكم مِّنْ إلهٍ غيري» وهي مذكورة في سورة الْقَصَص وقالوا كان بين هذين الادِّعاءَيْن أربعون سنة. وقال بعض المفسرين الآخرة أي جريمته الأَخيرة وهي قوله: أَنا ربكم الأَعلى. والأُولى هي تكذيبه وعصيانه.

لِعبْرَةً : اللام للتأْكيد. والْعِبْرَةُ هي العِظَة.

الخُـــلاصَـــة

لما أَصَرَّ فرعون على كبريائه وكَذَّبَ وتَحَدَّى موسى وادَّعى أَنَّه رب الْعِزَّة أخذه الله بِشِدَّةٍ فأَغْرَقَهُ نكالاً وعذاباً له على جريمتهِ الأُولى وهي تكذيبه وعصيانُه أو قولُه: ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري. وعلى جريمتهِ الثانية وهي ادِّعاؤُه أنه الرب الأَعلى لَعْنَةُ الله عليه الخبيث. وقد جعل الله من عقوبة فرعون هذه عِظَةً وعِبْرَةً لعباده المتقين الذين يَخَافُونه.

خُــــلاصَة بالدارجَة:

قَوْلُه تعالى: «فأَخَذهُ اللهُ نَكالَ الآخِرةِ والأُولَى». يعني ربَّنا لَمَّا شَافْ فِرْعُون متكّبر وطَغَيَانْ وعَاصِ وعَلَشانْ أيضاً قال للنَّاسْ مَا ني عارِفْ لكم ربّ غيري وقال لَهُمْ أنا ربّكُمْ الأَعْلى، لما شَاف ربَّنا إِنُّه فرعون بطَّال ومَغْرُور بالحَالَه دِي، شَالُه شيلَهْ شَدِيدة وغَرَّقُهْ هُو وأتْبَاعُه ونكَّلْ بيهُ جَزَا لِيهُ على جَرِيمْتُه الأَولانيَّة وجَرِيمْتُه التَّانْيَةْ، الأَوَّلانِيَّة عِصْيانُه وشَكَّه في ربُّه وكِبْرِيَاهُ والتَّانْيَة دَعْوَاهُ لِلأُلوهِيَّة. وربَّنا جَعَل عَقُوبَةْ فِرْعُون دِي موْعِظَة وعِبْرَة للعُبَّاد أَلْ بِيخَافوه. ولَعْنَةُ الله عَلَى فِرْعون الخَبِيثْ.

أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا.

تنبيه: أَأَنتم في رواية حفص تقرأُها بهمزتين مفتوحتين واضحتين ولكن في قراءة أبي عمرو تَمُدُّ الهمزة الأُولى وتُسَهِّلُ الهمزة الثانية وقد شرحنا لك معنى التسهيل فيما معنى أنه شيءبينَ بينَ ولا بُدَّ فيه من طول مِرَانٍ.

المفــــرَدَات

أَأَنتمُ	هذا استفهام ومعناه هل أَنتُم.
سَمْكَهَا	أي بناءَها أو ارتفاعَها.
سَوَّاهَا	أي أَتمها وجعلها كاملة مُسْتَوية الصُّنْع.
أَغْطَشَ لَيْلَهَا	جَعَلَ لَيْلَها مُظْلِماً.
أَخْرَجَ ضُحَاهَا	أي جعل ضُحاهَا ظاهراً مُنيراً وأراد بالضُّحى النهار ههُنَا والله أَعلم.

الخُــلاصَـة

يُذكِّرُ ربنا الناس ويَعِظُهم ويقول لهم: تَفكَّروا في خَلْقِ الله. هل أنتم أقوى من السماء مثلاً فإنَّ الله جعلها سَقْفاً من فوقكم ورفعها من غير عَمَدٍ وجعلها مُسْتَوِيَةً مُعَدَّلَةً تامة مُحْكَمَةً وجعل فيها ليلاً مُظْلِماً وأخرج منها نهاراً مُضِيئاً. فتفكَّرُوا في خَلْقِ الله وإبداعه.

خُـلاصَة بالدارجَة

ربَّنا بِيذْكُرْ للنَّاسْ نِعَمُه عَلِيهِمْ وبِيقُول لِيهُم «أَأنتُم أَشَدُّ خَلْقاً أَم السَّماءُ»- يَعَني انْتو يا بني آدمُ أقْوَى وأَشَد ولَّا السَّما. شُوفُوا ربَّنا بَنَاها كِيفْ ورَفَعها بَلَا عِمْدان وجَعَلها مِتْساوْيَهْ ما فيها تِعِوِّجْ وجَعَلْ فِيها اللَّيْل مُظْلِم، دَا مَعَنى «أَغْطَشَ لَيْلَها» وجَعَلْ فِيها النَّهار مِضَوِّي دَا مَعْنى «أَخْرَجَ ضُحَاها» والله تعالى أعلم.

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾.

المفــرَدات

دَحَاهَا : أصلها من دَحَا يَدْحُو بمعنى بَسطَ يَبْسُط. وقال بعضهم معناها شَقَّ يَشُقّ، أي شقَّ الأرض بالنبات والزراعة. والأَوْلُ أقوى والله أعلم.

مَرْعَاهَا : نَباتَها الذي ترعاه البهائمُ ويأكُله الناسُ.

الخُـــــلاصَـــة

قال تعالى: ثم إن الله بعد أن بنى السموات ورفعها أقبل على الأرض فَبسطَها وجعلها مثل الْفِرَاشِ الْـمُمَهَّدِ لتكون صالحة للسكنى وأخرج منها الماء فَفَجَّرَهُ ينابيع وأنهاراً وأنبت فيها النبات وخلق عليها الجبال لتجعلها ثابتة وقد جعل الله هذه الجبال نفسها ثابتة رَاسِيَةً- خلق كل هذا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لمنفعتكم أيها الناس ولمنفعة أَنعامِكُمْ أَي بهائِمِكم كالْبقر والضان والمعزى والإبل» فقال بعضهم إن ربنا أخبرنا في سورة فُصلَتْ أنه خلق الأرض وقدر فيها كل أرزاقها في أربعة أيام ثم خلق السماء بعد ذلك فكيف يقول هُنَا إنه دَحَا الأَرض بعد أن بنى السماءَ-والآيات التي يشيرون إليها في سورة فُصلَتْ هي قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾. قال هؤلاءِ المفسرون معنى «عدَ لكَ» في سورة النَّازِعات هو «مَع ذلك» أي ربنا خلق الأَرض كما خلق السماء.

وقال الطَّبَرِي إن ربنا خلق الأَرض وأرزاقها قبل تسويته السموات سبع سموات ثم إنه جعل الأَرض مبسوطة بعد أن فرغ من تسوية السموات سبعاً.

وآيات سورة فُصلَتْ التي قدمنا تقوى هذا الوجه إذ هي تدل على أن السماءَ قد كانت دُخاناً حينما اسْتَوى إليها الرب سبحانه وتعالى فجعلهن سبع سَموات فكان خَلْقُها فيما ذكروا سابقاً لخلق الأَرض وتقدير أَقواتها ثم كانت تهيئتها سبع سَموات بعد ذلك ثم إن الله تعالت

أسماؤه دَحَا الأَرض فبسطها بعد هذا كله وروى الطَّبرِيُّ أن هذا القول مذكور عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى «بعد ذلِكَ دَحَاهَا» وذكر بعض المفسرين أن دَحَاهَا أَي شقّقها بالنَّبات وهذا إنما حدث بعد كل شيء.

والوجه الذي ذكر الطبري أقوى في التأويل والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى والجبال أَرْساها قالوا إن الأَرض اضطربت وارتجفت وقالت لله إنها لا تريد أن يسكنها بنو آدم ويرتكبوا فيها الكبائر والمعصية فثبّتها بالجبال. وهذا القول مرويٌّ عن عليّ ﷺ فيما ذكر الطبريُّ والله تعالى أعلم.

خُــلاصَــة بالدارجَة

قَالَ تعالى: «والأَرْض بَعْدَ ذلِكَ دحَاها» -يَعَني ربَّنا سَوَّى الأَرِض مَبْسُوطة مِتْلَ الْفُراشْ-دَا معنى «دحَاها» . ومَرَق منَّها المُويَه وسَوَّى فيها الْـمَرْعى وخَلَق منَّها النَّبات وثَبَّت فِيها الجُبالْ علَشَان تكُونْ رَاسْية-عَمَل كُلَّ الحَاجَاتْ دِي في شان مَنْفَعتْكُم يا نَاسْ وفِي شان مَنْفَعةْ أَنعامْكُم والأَنْعَام هي البَهايِمْ النَّافعه مِتْل الْبَقَرْ والضَّانْ والمِعْزَى والإِبل. قَالُوا أول ما ربَّنا سوَّى الأَرِضْ رجَفَت كُلَّها وقَالَتْ خايفة يَسْكِنُوها بَني آدم ويَرْتكْبوا فيها المَعاصِي وربَّنا ثَبَّتها بالجُبالْ وأَوَّل ثَباتَها كَانَتْ تِتْرَاجَفْ مِتِل لَحَم الْبَهِيمة دَابَا[1] والقُولْ دَا مَرْوي عن سِيدْنا علي ﷺ ذَكَره الإِمامْ الطَّبري والله تَعالَى أَعْلَمَ.

(1) أي دابها أي أول دابها..

تعليق: معنى دَحَاهَا أي بَسَطها هنا لا ينافي ما يقوله الجغرافيون من أن الأرض كروية الشكل. ذلك بأن هذا الوصف القرآني يبين لنا حقيقة الأرض من جهة مصلحة الناس فيها فالعين تراها مبسوطة والإنسان يمشي عليها ويستريح وكأنها بساط تحت قدميه وجسمه.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

تنبيه: في كلمتي الكبرى ويرى إمالة تامة لأبي عمرو وفي رؤوس الآيات الباقية الإمالة بالتقليل بحسب ما وضحناه من قبل.

وحَفصٌ لا يُمِيلُ شيئاً.

هذا وعليك بإظهار الخاء من كلمة خاف وإظهار النون الساكنة التي قبلها في كلمة مَنْ.

المفـــرَدَات

الطَّامَّةُ الْكُبْرَى : الْقِيَامَةُ. وسميت الطَّامَّةَ لأنها تَطُمَّ على كل شيءٍ وتغطيه بهولها.

مَا سَعَى : أي السَّعْي الذي سَعَاهُ والعمل الذي قدمه.

وَبُرِّزتِ الْجَحِيمُ : أي الجحيم تكون بارزة ظاهرة تراها العيون والجحيم هي جَهَنَّمُ.

آثَرَ : أي فَضَّلَ- تقول آثَرْتُ اللَّعِبَ على العمل أي فضلت اللعب على العمل.

المَأْوَى : المَسْكَنُ والمنزل.

مَقَامَ : أي قِيَامَ- «خافَ مَقَامَ رَبِه» أي خاف من القيام والمساءَلة التي تكون أمام الله.

الْهَوَى : شَهَوات النَّفْسِ

الخُلاصَة

يقول تعالى ما معناه: إذا جاءَ يوم القيامة وهو الطامة الكبرى التي تَطُمُّ على كل شيء وهو اليوم الذي يتذكر فيه الإنسان جميع أعماله التي عملها وهو اليوم الذي تبدو فيه نار جهنم ظاهرة للعيون- إذا جاءَ هذا اليوم فالناس كلهم يصيرون فريقين الذين طغوا في الحياة وتكبروا وفضَّلوا مَتَاعَ الدنيا على عمل الآخرة وهؤُلاء مصيرهم وسكناهم في النار والذين خافوا من القيام أَمام الله والوقوف أَمامه للمحاسبة ونهوا نفوسهم عن الشهوات وأَطاعوا واتقوا وهؤُلاء مصيرهم ومسكنهم في الجَنَّةِ.

خُـــلاصَـة بالدارجَة

يَقُولُ تَعَالَى: «فإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى»- لـمَّا يجِي يُوم الْقِيامة أل بيطمّ على كلّ شَيء ويَغطِّيه بِهُولُه وال بيتذكّر فيهُ الانْسَانْ عَمَلُه كلُّه وال بتكُون فيه النَّار بَارْزَة ظَاهْرَه للْعُيُون، لـمَّا يجِي الْيُوم دَا النَّاس يَصِيروا فَرِيقِين-أَل كَانُوا تَغْيَانين وكانوا بيفضَّلوا الدَّنْيا على الآخرة ودِيل سُكْناهم النَّار. وال كَانُوا خَايِفِين من الوْقوف قِدَّام ربِّهُمْ ومن حِسابُه وكانُوا بِينْهُوا نُفوسُهم عن الشَّهَوات وديل سُكْناهم الجنة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

تنبيه: كلمة ذِكْراها فيها إِمَالَةُ الأَلف التي بعد الراء لأَبي عمرو إِمَالَةً شديدة. وليست لحفْصٍ فيها إمالة.

المفـــرَدَات

أَيَّانَ	: متى :
مُرْساها	: إِرْساؤُها: من أَرْسَتْ السفينةُ تُرْسِي. وشُبهت الساعة السفينة الجارية. وكان المشركون يَتهَكَّمُونَ ويسخرون من النبي ويقولون له: إِلى متى تجرى هذه الساعة، متى ترتاح وَتُرْسِي؟ متى ظهورها حتى نَعْرِفَهَا.

فِيمَ أَنْتَ : ما الذي يعنيكَ؟ تقول فيم أنت من كذا وكذا أي ما الذي يعنيك من كذا وكذا- أي فائدة لك في كذا وكذا؟

ذِكْرَاهَا : أي ذِكْرُها وتَذَكُّرُها.

مُنتَهاهَا : أي غاية أمرها مُنتهى عِلْمِها.

لَمْ يَلْبَثُوا : لَمْ يَمْكُثُوا. لم يَحْيَوْا. لم يَبْقَوْا أَحْياءً.

المفرَدَات

أي يسأَلك هؤلاء المشركون عن الساعة ويقولون لك يا محمدُ متى ميعادها؟ لماذا لا تزالُ هي مُتحركةً، متى تَرْسُو؟ متى تظهرُ وتقوم ونعرفُها؟ وأَنت يا محمد مُهْتَمٌّ لأَسْئِلَتِهِمْ هذه وتكثر من ذكر الساعة وتريد أن يكلمكَ ربكَ بميعادها، فما الذي يُهِمُّكَ حقّاً ويعنيك من تذكرها؟ إن هذا ليس مما يعنيك. إنما يَعْنيكَ تبليغُ رسالةِ ربكَ وإنما أَنت مُنْذِرٌ تُنْذِرُ عباد الله الذين يخشونها وَيُعِدُّونَ أَنفسهم لما بعدها من مقابلة الله وحسابه. وأَما معرفة ميعادها فهذا عِلمه عند اللهِ وليس لك فيه شيءٌ. أما هؤُلاءِ الكافرون فأَمْهِلْهُمْ قليلاً-إِنهم حين يرون الساعة سيندمون وستكون حياتهم لها في نظرهمْ كأَنَّها لم تكن وكأَنما عاشُوا عَشِيَّةً واحدة أَو صباحاً واحداً.

هذا والقراءُ السبعة مُتفقونَ على قراءةِ (مُنْذِرُ) بالضمة مضافة إِلى (مَنْ) وبعض القراء الأَوائل كانوا يُنَوِّنُون الراء من منذر ويقرأُون: «مُنْذِرٌ مَن يَخْشَاهَا» وهي قراءةٌ صحيحةٌ ولكنها غير مستعملةِ الآنَ.

خُــــلاصَـــة بالدارجة

النَّاس يا مُحَمَّدْ بِيَسْأَلُوكْ من السَّاعة متين تَرْسَى، شَبَّهوها المُرْكَبْ الجَارِيَة وكأَنَّهم كَانُوا بِيَضْحَكُوا عَلى النَّبي عليه الصلاة والسلام وبيقُولُوا له السَّاعَةْ دِي الْ بِتْهَدِّدْنا بِيها أَصْلَهَا مَا بْتَرْسَى ، دَحينْ كلَّمْنا بِتَرْسَى مِتَينْ، مِيعَادَها متين في شان نَعَرْفُهْ والنَّبي عليه الصلاة والسلام كان مَهْمُوم من كَلامهُم دَا وكَان دايماً بَسْأَلْ ربُّه عن ميعادَها وربَّنا قَال لَيهُ انْتَ مَالَك ومَالَها بِتَذَّكَّرَها دائِماً. دَا ما هُو شُغْلَكْ. انْتَ بَسْ نَبي تَنْذِرْ النَّاسْ أَلْ بِيَخَافُوا مِنَّها ومِنَ الحِسَابْ بَعَدَها. أَمَّا هِي عِلْمَها عِنْدَ الله وحَدُهْ ما عِنْد غِيرُهْ. والْكَافِرين ديلُ لـمَّا تَجِي السَّاعَةْ ويَشُوفُوهَا بِعْيُونُهم بَعَدِينْ يَنْدموا حَدَّ النَّدَمْ وحَياتُهم كلَّها تَبِين كأَنَّها ما كَانَتْ وكأَنَّهم ما عاشُوا إلا عَشِيَّةً واحْدَة وإِلَّا ضَحَوِيَّة واحْدَة-والله تَعالَى أَعْلَمْ.

انتهى تفْسِيرُ النَّازعات بِحَمْدِ الله وعونه.

سورة عبس

وهي مَكية نزلت بعد سورة النَّجْمِ وآياتها اثنتان وأربعونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾

تنبيه:

آياتُ سورة عبسَ فيها إِمالةُ التقليل بحسبِ ما ذكرناهُ من قبل عن أَبي عمرو وسواهُ، وحفصٌ لا يُمِيلُ.

المفــــرَدَات

عَبَسَ	: أصلها من الْعُبُوس ومعناه واضح وهو ضدُّ البِشْرِ والابتهاج.
تَوَلَّى	: أَعْرض وانصرف بجانبه. تقول تَوَلَّى فُلانٌ عني، أي أَعرض عني ولم يقبل عليَّ ولم يَهَشَّ ويَبَشَّ في وجهي.
أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى	: أي لِأَنْ جاءَهُ الْأَعْمَى.

خبر هذه السورة:

كان النبي ﷺ مُحبّاً لقومهِ يريد لهم الخيرَ. وكان حَسَنَ الظن فيهم لما يراهُ من سعةِ آرائهمْ ومن شرفهم بين العربِ ومما خصهم اللهُ به من رعاية البيتِ الحرامِ. وكان يطمع أن يستجيبوا إِليه بما وهبهم اللهُ من سعةِ الرَّأي واتساع الأُفقِ. وكان يحرصُ جدّاً على أن يسترضي سادتهم

وكُبَراءَهُمْ، إذ لو قبلوا منه، تبعهم على ذلك سائر الناس. ولكنَّ سادة قريش وكبراءَهُم كانوا يحسدونَ النبيَّ عليه الصلاُة والسلامُ، ويستكثرون عليه أن يخصه اللهُ بفضل عليهم وكونه نَشَأَ يتيماً بينهم كان يجعلهم أشد حسداً له. ولم يكن ﷺ يتوقعُ أَوَّلَ الأَمر أن يصل بهم الحسد إلى مَحْضِ العداوة والشر. فكان كلما لقي كبيراً منهم خلا به وتحدث إليه يدعوه بِرِفْقٍ ويُسْرٍ. وكان هؤلاء يستكبرون ويُعْرِضُونَ ويُحَرِّضُونَ على النبي ﷺ من يسخر به ويستهزئُ بدعوتِهِ.

هذا وكان في مكة كثير من الضعافِ والأَرِقَّاء يستجيبون لدعوةِ النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يتلقاهم بصدر رحبٍ إلا أنه كان مما يعلم أن الدعوة قد يتأتى له فيها النجاح بسرعة إن تقبلها الْكُبَراءُ والسادة لأن الناس إنما كانوا في جملتهم تبعاً لهم.

واتَّفَقَ ذات يومٍ أنه كان يعظ بعض هؤلاءِ الكُبَراء أمثال أَبِي جَهْلٍ وأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ. وبينما كان يفعل ذلك قَدِمَ رجل أعمى مسكين يدعى عبد الله بن أُم مَكْتُومٍ، وجعل يطلب من النبي ﷺ أن يُحَفِّظَهُ شيئاً من الْقرآنِ، فأعرض النبي ﷺ عنه وعَبَسَ من أجل قُدُومِهِ إذ كان سيصرفه عن الْحديث مع الذين قَدَّمْنَا من ذكرهم. وقال بعض من رَوَوْا هذا الخبر إن عبد اللهِ بنَ أُمَّ مكتومِ الأَعْمى كان معه قائدٌ يَقُودُه، وأومأَ النبي ﷺ إلى الْقائد أن يذهب به ولما لم يفعل الْقائِدُ ذلك، عبس النبي ﷺ وانصرف عن ابن أُم مكتوم وجعل يتحدث إلى عُتْبَةَ وأَمَيَّةَ أَو من كان معه من سادة قريش آنذاك. وأنا أَستبعد رِوَايَةَ الْقائدِ هذه وقد رُوِيَ أَن ابنَ أُمَّ مكتوم لم. يكن معه قائدٌ وكان ربما تَعَثَّر في مشيِه. وسِياقُ السورة يدلُّ على عدم وجود القائِد. هذا وقد كان اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يعلم حقيقة سادة مكة المشركين وأنه لا خيرَ

فيهم إذ كانوا على شركهم وعنادهم وأن الخير كل الخير في هذا الأعمى المسكين. فأنزلَ هذهِ السورة على سيدنا محمدٍ ﷺ يُعَاتِبُهُ على إعْراضِهِ ويعظهُ ويذكرُهُ[1].

وإن العظة والعتاب الذي في هذه السورة لدليل كافٍ على أن سيدنا مُحمداً ﷺ ما كان يَنْطِقُ عن الْهَوَى وإنما كان داعياً من الله صادقاً مخلصاً ولو لم يكن صادقاً لكان قد كتم هذه السورة ولم يُبَلِّغنا إياها لأن فيها من اللوم له ما تقدم ذكره. ثم إن في هذه السورة شيئاً آخر غيرَ اللوم. وهو إشعارُ الله لنبيه ﷺ بأَنَّ سادة قريش من الذين سَبَقَ عليهم القول منهم أعداءُ الله ولرسوله ولدينِه وعليه أن يُقْبِلَ على غيرهم من المؤمنينَ مهما يكونوا ضعفاءَ وفقراء فعسى أن يكون نَصْرُ الله دينهُ على الدينِ كله كَنيناً هناك واللهُ على كل شيءٍ قديرٌ.

خُــلاصَة بالدارجَة

«عَبَس وَتَوَلَّى»: يَعْني كَشَّرْ وقَبَّلْ غَادِي، لأَنَّ الْأَعْمَى جَاهُ والْكَلامْ دَا عَنْ النَّبي ﷺ . وسُورَة عَبَس دِي لِيَها خَبَرْ مُهِمْ وَهو أنُّه النَّبي عَلِيه الصَّلاةُ والسَّلامْ كان بِيِتكَلَّم مَعَ جَمَاعَة مِنْ سَادَةْ قُريش مِتِلْ أَب جَهَلْ وأُمَيَّه بْن خَلَف وعُتبَه بْن رَبيعَهْ وكَان طَمْعَان يَسْمَعُوا مِنُّه. وكَانَ النَّبي ﷺ من شِدَّة حُبُّه لِقَومُه بِيِتمَنّى لِيهُمْ الْهِدَايَة دَايْماً ومَا يِئِسْ مِنهُمْ أبداً.

ولـمَّـا كَان هُو بيتكَلَّمْ مع الجَماعة ديلْ جَاهْ وَاحِدْ أَعَمَى مسْكِينْ اسْمُهْ عَبْدُ الله بْن أُم مَكتُوم وكَان مُؤْمِنْ وكَان دَايْرَ النبي عليه الصَّلاةُ والسَّلامْ يَعَلِّمُه الْقُرْآن.

(1) قالوا كان يحدِّث رَجُلا من المشركين قِيلَ هوَ أُبَيٌّ بن خَلف وقيل أمَيّة وقيل ابنا ربيعة وقيلَ جماعةٌ من وُجُوهِ قريش وروى هذا من حديث عائشة ابن حَجَر في الفتح ١٠/ ٣١٩ أن الترمذي والحاكم أخرجاه وقال في أوائل تفسير عبس ولم يختلف السلف أن فاعل عبس هو النبي ﷺ وأغرب الداودي فقال هو الكافر ثم ساق الخبر إلخ ١٠/ ٣١٨.

والنَّبي عَلَيهُ الصَّلَاةُ والسَّلَامْ ما دَارْ جَيْتُه في الساعة دِيك فِي شَان كَانَتْ بِتَشغَلْه مِنَ الْ كَانُوا مَعَاهُ. وَظَهَر دَا في وَشْ النَّبي عَلَيهُ الصَّلَاةُ والسَّلَامْ وَقَبَّلْ غَادي شوَيَّهْ من الرَّاجِلَ الْأَعَمَى. وربَّنا كان عَارِفْ إنُّه سَادَة قرِيشْ الْكُفَّارْ الِمصرِّيْن عَلَى كُفُرهم ما فِيهُمْ فَايْدَه وإنُّه الْأَعَمَى دَا فيه فَايْده. فِي شَان كَدِي نَزَّلْ سُورَة عَبَس يَلُومْ بِيهَا النَّبي عَلَيهُ الصَّلَاةُ والسَّلَامْ وبَوَعظُه ويَذَكرُه. والله تعالى أعلم.

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ ﴾.

تنبيه:

هنا اختلاف بين الْقراء في كلمة «فَتنفَعَه». أبو عمرو يقرأُها برفعِ العين من تَنْفَعُه وحَفْص يقرأُها بفتح العين. والْقُرَّاءُ السبعة كلهم يقرأُونها برفع العين إلا عاصِماً أُسْتاذَ حَفْصٍ فقد نصبها على أن الفاءَ فاءُ السَّبَبِيَّة. وفاءُ السببية تنصب الفعل المضارعَ بعد لعلَّ على مذهب النحويينَ الكوفيين وعَاصِمٌ وحَفْصٌ من أَهل الكوفة. . ولكن لا ينصب الفعل بعد لعلَّ على مذهب البِصْرِيِّين وأبو عمرو من البِصْريِّين وعنده أن الْفاءَ هنا لمجردِ الْعَطْفِ.

هذا وفي كلمة الذكْرَى إِمالةٌ لأَبي عمروٍ، وحفصٌ لا يُميل.

المفــــرَدَات

وَمَا يُدْرِيكَ	:	وَما يُعْلِمُكَ؟ وكيفَ تعرف؟
يَزَّكَّى	:	بتشديد الزاي وتشديد الكاف أي يَتَزَكَّى أي يتطهرُ ويؤْمنُ.

يَذَّكَّرُ : بتشديد الذال وتشديد الكاف أي يَتَذَكَّرُ ويَرْجِعُ إِلى الصوابِ.

الخُــــلاصَــة

يلوم اللهُ نبيه ﷺ على سبيل التأْديبِ له ويقول له: أَنت عبستَ لأَن الأَعمى جاءَك وحسبتَ أَنه سيشغلكَ عنِ الكُبَراءِ. ولعله خير وأَفضلُ من هؤُلاءِ الكبراءِ. وإِنك لا تعلم أَنه عسى أَن يكون مؤْمناً وعسى أَن يكون من عباد الله الذين يتذكرونَ الآخرةَ وتنفعُهمْ الموعظة والتذكير-وإِنما تعلم ذلك إِذا أَقبلت على هذا الرجل المسكين وعلَّمته مما علَّمَكَ الله.

خُــلاصَــة بالدارجَــة

يَلُوم اللهُ نَبِيَّه ويَقُول لِيهُ: «وما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)-يَعْني انتَ عَبَست وأَبيتْ الْأَعْمَى دَا والْ عَرَّفَك شِنُو يَمْكِنْ هُو رَاجِلْ صَالِحْ ورَابِحْ يَكُون مُؤْمِنْ وَزَاكِي وَيَمْكِنْ هُو مِنْ عِبادِ الله أَل[1] بِينَفَعْ مَعَاهُمْ التَّذكير- انتَ ما بْتَعرِف دَا كُلُّهْ إِلَّا إِذا قِبلتَ ال مِتِلْ الرَّاجِلْ دَا وعَلَّمْتَهُم من عِلم الله أَلْ أَدَّاك إِيَّاهُ.

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

---

(1) ذكروا ال الموصولة مع المضارع وغيره في الفصيح وبذلك شرحوا قول متمم «ألمعا» وقال الآخر «على ال مَعَهْ» وأنشدوا

من النفر ال رسول الله منهم لهم دانت رقاب بني معد

تنبيه

لأَبي عمرو التقليل في رءووس الآي وتسكين الهاء من «وَهْوَ يَخْشَى» وحفصٌ لا يُميل.

المفـــرَدَات

تَصَدى	: تَتَعَرَّضُ: أي أَنت تتعرضُ للغنى والسيد وتُعْرِضُ عن الأَعمى. وقرأَ بعض السبعة تَصَّدَّى بتشديد الصاد وعلى ذلك رِوَايةُ وَرْشٍ عن نافِعٍ.
يَسْعَى	: أي ساعياً ماشياً.
يَخْشَى	: أي يخاف اللهَ. أَو يخاف الكفارَ وأَذاهمْ أَو أَن يفتنوه عن دينِه وقال بعض المفسرين لأَنه كان أَعمى من دون قائدٍ يخافُ أَن يسقطَ في حفرةٍ أَو نحوها والله تعالى أَعْلم.
تَلَهَّى	: حُذفتْ التاءُ الأُولى تخفيفاً وأَصلها تَتَلَهَّى أي تَتَشَاغَلُ.

الخـُلاصَــة

قال الله تعالى في عتابهِ للنبي ﷺ أَيضاً ما معناهُ: أَما الرجل المُسْتَغْني عنك المُعْرِضُ المغرور بماله وجاههِ فأَنتَ يا محمدُ تَتَعَرَّضُ له وتَطْمَعُ فيه وتؤَملُ أَن يسمع كلامَكَ-لماذا تفعل هذا؟ وأَيُّ شيء يضرك إِن لم يَهْتَدِ؟ ولماذا تُعَنِّي نفسَك وتُتْعِبها وراءَهُ؟ وأَما الإِنسانُ الذي يجئ إِليك ماشياً على قدميه ساعياً إِليك راغباً في اتباعِكَ وهو بخاف اللهَ ويؤْمِن به فأَنتَ تَتَشَاغَلُ

عنه؟-هكذا كان عتابُ الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلامُ عتاباً بليغاً فيه التَّذكِيرُ والْعِظَةُ العظيمةُ-والله أَعْلَمُ حيث يجعل رسالاتِهِ.

خُلاصَة بالدارجَة

قاَلَ تعالى: «أَمَّا مَنِ اسْتَغنَى»- يَعْني ربَّنا بِيَخَاطِبْ نَبينا عَلَيهُ الصَّلاَةُ والسَّلامْ بِيقُولْ يا مُحَمَّد المُسْتَغنِي مِنَّك وعَاجبَاهُ نَفسُه انتَ بِتتعَرَّضْ لِيهُ طَامِعْ فِي إِيمانُه. لِي شْنُو؟ إِنتَ بِضُرَّك شِنُو أَكَان مَا آمَنْ واطَّهَرْ؟ وَيَا مُحَمَّد أَلْ بِجِيك مَاشِي وَرَاغِبْ وَخَايِفْ رَبُّه رَبُّه إنتَ بِتِشَاغَلْ مِنُّه؟

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

المفـردَات

كَلَّا : شرحنا معناها من قبل وهي هُنا مستعملةٌ لأَجلِ الردْعِ.

تَذْكِرَةٌ : عِظَةٌ وتَذْكِيرٌ.

ذَكَرَهُ : أَي ذكر اللهَ. أَو ذكر هذا العتابَ واتَّعَظَ بِهِ.

صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ : أَي في أَلواحِ كريمة القدرِ منسوخةٍ من اللوحِ المحفوظِ أَو في صحائف كريمة منسوخة من اللوحِ المحفوظِ.

مَرْفُوعَةٍ : أي مرفوعة إلى اللهِ تعالى. أو رفيعةِ القدرِ.

سَفَرَةٍ : أي سُفَراءَ بين اللهِ والعباد وهم الملائكة وقيل همُ الكتبةُ الذين ينسخون من اللوحِ المحفوظِ وهم أيضاً ملائكة. وقيل هم القراءُ أي قُرَّاءُ القرآنِ.

بَرَرَةٍ : أي طَيبينَ.

الخُــلاصَة

قوله تعالى: «كَلَّا» بعد قوله تعالى من قبل: «وأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى»- يعني هل من جاءَكَ ماشياً يخاف اللهَ أنت تتشاغلُ عنه؟ كلا- يعني، لا، لا تتشاغلْ عنه ولكن أَقْبِلْ عليه. هذا معنى قوله تعالى: «كَلَّا» بعد الآيات السابقة والله تعالى أعلم. ثم قال تعالى إِن هذه الآيات التي وَعَظْنَاكَ بها يا محمدُ تذكيرٌ لك ولسائرِ الخلق فمن شاءَ منهم أن يعيها ويذكرها ويذكرَ الله سبْحانه وتعالى فعل ذلك. وهذه الآيات مكتوبةٌ في صُحُفٍ وألواحٍ مقدسةٍ منسوخةٍ من اللوحِ المحفوظ نسختها أيدي الملائكة الكاتبينَ الذين همْ بمنزلةِ السفراءِ بين اللهِ وعباده والذين هم كرامُ أبرارٌ وهذه الآيات مرفوعةٌ عند اللهِ في السماء مطهرةٌ من كل رِجْسٍ.

ويجوز أن تكون جميع هذه الأَوصافِ بحسبِ ظاهرِ السياقِ ويكون المعنى على هذا أن هذه الآيات موعظةٌ وتذكيرٌ لمن يريد أن يتعظَ ويتذكرَ وهي آيات مقدسةٌ يكتبها المؤمنونَ في

الصُّحُفِ والألْواحِ المكرَّمَةِ عن أن يمسها السوءُ والنجاسةُ، الرفيعة القدرِ الطاهرةِ التي تنسخها أيدي القراءِ المؤمنينَ الكرامِ البررة الطيبينَ. والله تعالى أعلم.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

كَلَّا- يَعْني دَا ما بيصح انَّك إذا جَاك زول خَايْفَ اللهْ وطَالبَ الهِدَايَة تتشَاغَلْ مِنُّه. والآيَات دِي نِحْنَ جِبْناهَا لِيَك يَا مُحَمَّد مَوْعِظَة وتَذْكِيرْ والدَّايِرْ بِنتَفعْ بِيهَا بِيَقدَرْ بِنتَفِعْ ويِتَّعِظ والآيَاتْ دي كَرِيمة مَكتُوبَة في ألواحَ الْقُدْرَة مَنسُوخَة من اللُّوح[1] المُحفُوظ كَتَبُوها المَلَايْكَة السَّفَرة، يَعْني أَل بيَكُونُوا زَيَّ السُّفَرَا بَيْنْ الله والْعِبَادْ وهُمْ كَرِيمِينْ وطَيْبِينْ. وجَايِزْ يَكُون رَبَّنا أرادْ بالصُّحُف المُكَرَّمة الْأَلْوَاحْ أَلْ بِيَكتبُوا فِيهَا النَّاسْ الْقُرْآن والْأَوْرَاقْ أَلْ بِيكتبُوا فِيها الْقُرْآن. ويَكُون مَعْنَى الْكَلَامْ دَا إِنُّه الْآيَاتْ دي أَلْ فِيها عِتَابَ النَّبي آياتْ طَاهْرَة النَّاسْ بَعَدِينْ يَقرُوهَا وتَكُون لَيهُمْ مَوْعِظَة ويَكتبُوهَا في الْأَلْوَاحْ والْأَوْراقْ الطَّاهْرَة وَيَكُون قَدْرَها عَالي عِندَهُمْ طَاهِرْ ويَنْسَخُوها الْقُرَّاءَ أَلْ بِيَقرُوا الْقُرآن وَهُمْ بِعِلمَهُمْ يَكُونُوا بِمَنزِلَة السُّفَرَا بَين الله وعِبَادُهْ.

والتَّفسِير التَّاني دَا ظَاهِرْ بِحَسَبْ ظَاهِرْ المُعْنَى والْأَوَّلاني تَفسِير السَّلَفْ. واللهُ أعلم.

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾.

(1) حركة الضمة معها فتحة.

الخُـــلاصَـــة

اختلفوا في الإنسان هنا وقالوا هو الكافرُ وقال بعضهم المرادُ كلُّ إنسانٍ. ولفظة قُتِلَ مُرادٌ بها التعجب إذا كان المرادُ كل إنسانٍ. ومُرادٌ بها اللعنة إذا كان المرادُ هو الكافر. والوجهُ الراجح أَن يكون المراد كل إنسانٍ. وخيرٌ لنا دائماً أَن نَحمِلَ القرآنَ على المشهور في مذاهبِ أَساليبِ العربِ وهم يكثرون من قولهم «قُتِلَ» للتعجب. والله سبحانه وتعالى أَعلمُ.

واختلفوا في قوله: «مَا أَكْفَرَهُ» فجعلها بعضهم للتعجب أَي ما أَشدَّ كفرهُ أَي ما أَشد جحوده ونكرانه للجميل. وجعلها بعضهم استفهاماً أَي أَيُّ شيءٍ جعله كافراً لِنعَمِ الله منكراً لجميلهِ.

والاستفهامُ كما ترى فيه معنى التعجبِ هنا والوجهُ الأَول أَجودُ وتكون خلاصةُ المعنى على هذا: عَجَباً لِلْإِنْسَانِ، مَا أَشدَّ نكرانهُ للجميلِ. أَو لُعِنَ الكافِرُ ما أَشد نكرانهُ لِنِعَمِ الله. والوجه الأَول أَقوى ويطلبُه السياقُ كما سترى إن شاء اللهُ تعالى.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

قتِلَ الْإِنسَانُ-دَا تَعَجُّبْ والإِنسَان هِنَا كُلّ إِنسَان وبَعَض المُفَسِّرِينْ قَالُوا المَقصُودْ الْكَافِرْ. ويكُون المَعْنَى عَلَى الْوَجْهَ الْأَوَّلْ: الْإِنسَان دَا عَجِيبْ ودَايْماً يَنكُرْ جَمِيلَ الله عَلَيهُ ويَكفُرهُ يَعْني يجْحَدُه. وعَلى الْوَجْهُ التَّاني: لَعْنَةُ الله عَلَى الْإِنسَان الْ كَافِرْ. بَاقي جُحُودُهْ وكُفرهُ بِنِعْمَة رَبُّه شَدِيدْ ولَكِن التَّفسير الْأَوَّلْ أَحْسَنْ ومَاشِي مَعَ الآيَاتْ الجَايَهْ. واللهُ أَعْلَمْ.

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَة خَلَقَهُ فقدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَهُ.

تنبيه:

في قراءَةِ أَبي عمروٍ: «ثُمَّ إذا شَا أَنشَرَهُ»، بحذف الهمزة من شاءَ. وهذه قاعدة عند أَبي عمروٍ[1]، متى التقتْ همزتان بحركة واحدةٍ حذفتْ إحداهما، كقوله تعالى: «يُدَبِّرُ الأَمرَ من السَّمَا إلى الأَرْضِ». وكقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ يقرأُها أَبو عمروٍ: ﴿ أَهؤلَا إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾. وكقوله تعالى ﴿ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾- يقرأُها أَبو عمرو: «ومَن لَّا يُجِبْ داعيَ الله فليس بمعجزٍ في الأَرض وليس له من دونِهِ أَوْليَا أُولئكَ في ضلالٍ مُّبينٍ[2]» وفي هذا الحذف جمالٌ أَدائِيٌّ لا يَخْفَى.

المفـــرَدَات

نُطفَةْ	:	أَصل النُّطفَةِ الماءُ والمرادُ هنا ماءُ الذَّكَرِ والأُنثَى.
فَقَدَّرَهُ	:	التقديرُ هو التشكيلُ والصنَاعَةُ والمرادُ هنا أَن اللهَ خلق الإِنسانَ من نُطفَةٍ ثم شَكَّلَهُ أشكَالاً فصار دماً ولحماً

(1) ولذلك قد يقال قراءة أبي عمرو إسقاط الهمزة وقالون عن نافع يسقط إحدى الهمزتين المفتوحتين كما ههنا «شا أنشره».

(2) وليس في القرآن همزتان مضمومتان معاً غير هاتَيْن.

وصارت له عظامٌ وصورةٌ.

السَّبِيلَ : مفعولٌ به لقوله تعالى يسَّرَهُ. والسَّبِيل هو الطريقُ. وقيل المرادُ سبيلُ الحياةِ من خيرِ فيها وشرٍّ. وقيل المراد هو سبيل الخروجِ من بطنِ الأُم إلى الدُّنيا.

يَسَّرَهُ : أي هيَّأَهُ ومكَّنَهُ.

أَقبَرَهُ : أي أدخلهُ في القبرِ أو جعلهُ ذا قَبْرٍ.

أَنشَرَهُ : بعثهُ. وقرأَ بعض الأَوائل غيرُ السبعةِ، نَشَرَه من دونِ أَلفٍ والقراءَة المستعملة هي أَنشَرَهُ.

الخُـــــلاصَـة

لما ذكر اللهُ جُحُودَ ابن آدمَ بوجهٍ عامٍّ أَقبلَ عليه يوبخه فقالَ: إن جحودَ الإنسان شديدٌ ولكن أَلا يحسُنُ به أَن يتأَمل من أَي شيءٍ خلقه الله. خلقه من شيءٍ مهينٍ جداً وهو نُطفَةُ أُمهِ وأَبيهِ ثم شكَّله أَشكالاً في بطن أُمهِ ثم هيأَ له سبيل الخروج من البطنِ إلى الدنيا بخيرها وشرها ثم إنه بعد ذلك يموت ويُسْكِنُه اللهُ في القبرِ ثم إذا شاءَ اللهُ بعثه في الوقتِ الذي يعلمه هو تبارك وتعالى.

خُـــلاصَة بالدارجَــة

رَبَّنا بِيَبَكِّتْ ويْوَبِّخ على ابْن آدَمْ ويقُولْ ابْن آدمْ بِيَنكُرْ جَمِيلَ الله وِيتبَجَّحْ في شِنُو؟ مَا أَحْسَنْ يَفكرْ رَبَّنَا خَلَقُه مِنْ شِنُو؟ خَلَقُو مِن مُويَةْ أمُّه وأُبوهُ وهِي شِي ضَعِيفْ وَشِوَيَّه وحَقِيرْ خَلَاص. وبَعدَينء قَدَّرُهُ وصَوَّرُه وشَكَّلُهْ. وبَعَدِينْ مَرَقُهْ مِن بَطْنْ أُمُّهْ لِي سَبِيلَ الحْياة. وبَعَدينْ يَكتُلُهْ ويَسَكِّنُهْ الْقُبُورْ. وبَعَدينْ إِذا شَاءَ هُو بِقُدْرَتُهْ تَبَاركْ وَتَعَالَى يَبْعَثُهْ مَرَّة ثَانيه مِن الْقُبُورْ.

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ .

المفـــرَدَات

كلا : فسرناها في ما مضى

لَـمَّا : حرف معناه النفيُ-يعني لَمْ. ولكن «لَـمَّا» أقوى من «لَمْ» في شيءٍ واحدٍ وهي أنها تنفي الماضي والحاضرَ. تقول أخبرته أن يُصْلح سيارتي منذ عشرةِ أيامٍ. ولكنه لَـمَّا يفرغ من إصلاحِ الجزءِ الأَمامي منها وحده حتى هذه الساعَةِ.

الخُـــلاصَـة

يقول ربنا: كَلَّا- إن حالة الإنسانِ لا تَسْتَأْهِلُ الفخر وطغيانُه ونكرانه للجميل لا يَنبغي مع مهانته وحقارتِه. وليتذكرْ أنه حتى الآن لم يقدر على أداءِ واجبات اللهِ التي أمره بها وأنه مقصرٌ عاجزٌ عن ملاقاةِ جميل اللهِ الذي أسداه إليه بما يجب من الطاعةِ والعبادَةِ.

خُـــلاصَة بالدارجة

رَبَّنا قَالْ: كَلَّا لَـمَّا يَقضِ مَا أَمَرَهُ. يَعْني الْإِنسَانْ مَعَ جُحُودُهْ عَاجِزْ وَمَا فِي دَاعِي يتْكَبَّرْ ويَجْحَدْ فِي شَان هُو لِغَايَة هَسّعْ عَاجِزْ يَقضِي أَوَامِرَ الله أَلْ أَمَرُهُ بِيهَا.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

تنبيه:

اختلف القراءُ عند قوله تعالى: إِنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً، حفصٌ عن عاصمٍ يقرأُها «أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً» بفتح الهمزةِ. أما أبو عمروٍ فيقرأُ : «إِنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً» بكسر الهمزة. ومن جهة النحو فإن فتح الهمزة سببه تقدير حرف الجر «إلى» قبل «أَنَّا» أي فلينظر الإنسان إلى طعامه إلى أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ صباً. والله أعلم.

وكسرُ الهمزةِ كأَن الكلام جديدٌ وفيه تفسيرٌ لما قبله وكِلَا الوجهينِ جائزٌ وحسنٌ.

المفـــرَدَات

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ : الفاءَ ابتداءٌ لكلامٍ جديد يوضحُ ما قبله. واللامُ اسمها لامُ الأمرِ والفعل بعدها يكون مجزوماً. والناسُ يستعملونها كثيراً في كلامهم العامي يقولون: أَل نمشي

والـ نَقُومْ. ويقابل هذا بالفصيحِ: لنمش ولْنَقُمْ. واللام تكون مكسورة في الكلام الفصيحِ ولكن إذا سبقتها بعض حروف العطف مثل الواوِ والفاء تصيرُ ساكنة[1].

قضباً : الْقَضْب هو الحشيش الذي يكون به علفُ البهائم وسُميَ قَضْباً لِأن الناسَ يقضبونه أي يَقْطَعُونَه للبهائم والله أَعلمُ.

الخُـــلاصَـــة

بعد أَن لامَ اللهُ الإِنسان على كفره وذكر له حقارة مبدإِ أَمرِهِ وأَنه حتى الآن مقصرٌ وغير قادر على أداءِ واجباتِ الله عليه أخذ يعظه ويذكره فقال ما معناه: لينظر الإِنسان إلى ما يأْكُلهُ من طعامهِ ويتفكر فيهِ. إننا هيأْنا له هذا الطعام بعجائبِ قدرتنا. أَولا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً من السحاب ثم جعلنا الأَرض تتشققُ ويخرجُ منها النباتُ. وجعلنا هذا النبات أَصنافاً إِذ أَننا أَنبَتنا في الأَرض أَصناف الحبوب وأَنبتنا فيها الأَعنابَ والحشائشَ التي يكون فيها العلفُ والزيتونَ الذي فيه الزيتُ والنخلَ الذي يُثْمِرُ التّمْرَ.

---

(1) وإذا سبقتها ثم فإن أبا عمرو يكسرها.

خُـــلاصَـــة بالدارجَة

رَبّنَا بِيَذكّرْ الْإِنسَان وبيقُول لِيهُ مَا مَعَنَاهُ: مَا يَعَايِنْ الزّول أوّل شي لِي طَعَامُهْ ويتفكّرْ فِيهُ. ويِتفكّرْ كِيفْ نِحْنَ هَيّأنَاهُ لَيهُ. أوّل شي نَزّلنا المُطَرْ وَصَبّبنَاهُ عَلى الأَرِض. وَبَعَدينْ شَقَقنَا الأَرِضْ وطَلّعْنَا فِيها الزّرِع. وقَوّمْنَا فِيها أصْنَاف الزّرَايِعْ. قَوّمْنَا فِيها الحُبُوبْ والْعِنَبْ والْقَشْ والزّيْتُون والنخلْ ودي كُلّهَا أصْنَافْ مُفِيدَة.

﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا[1] لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾.

المفـــرَدَات

حَدَائِق : جَنَائِنَ وبساتينَ.

غُلْباً : أصلُ هذه الكلمة في اللغةِ جمع لِكَلِمةِ أَغْلَب. والأَغْلبُ هو الغليظُ الرقبةِ. والعربُ تُسمى الأَسدَ أَغْلَبَ لضخامةِ عُنُقِهِ. واختلف المفسرون في المراد بقولهِ تعالى حَدَائِقَ غُلْباً. فقالوا الحدائقُ هنا حدائقُ النخلِ ووصفها بأنها غُلْبٌ أي كريمة وطويلةٌ. وبعضهم قالوا أوساطها عظيمة وكبيرةٌ. وبعضهم قالوا جذوعها ضخمةٌ وجذع النخلةِ هو عودها. وبعضهم قالوا غُلْباً: أي ملتفة كما قال تعالى

(1) شدة الميم م أجل الإدغام وتكون الحركة التي تدل على التنوين مركبة للدلالة على الإظهار ومتابعة للدلالة على الإدغام والإخفاء وبعض المصاحف تبين هذا من مذهب الرسم بياناً كافياً.

في سورة عَمَّ: وجَنَّاتٍ أَلْفَافاً.

فَاكِهَةً : كل ثمار الأَشجار التي يأْكلها الناس تُسمى فاكهَةً.

أَبّاً : قالوا هو ما تأْكله البهائم من أَنواعِ العشبِ والنباتِ.

وقالوا هذه الكلمة من المتشابِهِ الذي لا يعلمه إلا اللهُ

وَرَوَوْا أَن سيدنا عمر لم يعرفها قالوا: قرأ سيدنا عمر ﷺ

«وفَاكِهَةً وأَبّاً» ومعه عصاً في يده فقال: ما الْأَبُّ. ثم قال:

بِحَسْبِنا ما قد عَلِمْنا. وأَلقى العَصا مِنْ يَدِهِ. وعن ابنِ

عَبَّاسٍ أَنَّ الْأَبَّ هو ما لا يأْكُلُه الناسُ من نبات الأَرض.

وقيل هو الْمرعَى وقالوا: الْأَبُّ هو الثمارُ الرَّطْبَةُ.

وقالوا: إِن سيدنا أَبا بكرٍ ﷺ سُئلَ عن الْأَبِّ فذكر أَنه لا

يعلمه وقال: أَي سماءٍ تظلني وأَي أَرضٍ تُقلني إِن قلتُ

في كتاب الله ما لا علمَ لي بِهِ.

وقد أَوَّلَ الزمخشريّ ما رُوِيَ من كلام سيدنا عمر وسيدنا

أَبي بكرٍ رضي الله عنهما على أنه نَهْيٌ للناسِ عن التغلغل في

التفصيلاتِ متى وضح لهم المعنى الإجمالي. خشية أَن

يَزِلُّوا والله تعالى أَعلمُ.

الخُـــلاصَة

يقول الله تبارك وتعالى معدِّداً الأَشياءَ التي أَخرجها لنا من الأَرض، إنا أَنبتنا حدائق مُلتفةً عظيمةً وفواكه تأْكلونَ منها وأَنواعاً من النباتاتِ الأُخرى كنباتِ المرعى مثلاً- أَخرجنا كل هذه الطيباتِ من أَجل أَن تتمتعوا بها وتأْكلَ منها بهائمكُمْ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

قَالَ تَعالَى: «وحَدَائِقَ غُلْباً» يَعْني وجَناين أَشجَارهَا سَمْحَة وكَبِيرَهْ وغُصونَها مُلتَفَّة. «وفَاكِهَةً وأَبّاً» يَعْني وفَوَاكِه ونَبَاتَاتْ تَانيه اسْمَها الأَبّ وقالوا الأَبّ هُو كُلّ نَباتْ تَاكلُه الْبَهَايِمْ وَمَا بيَاكْلُوُه النَّاسْ. وفي جَمَاعَة مِن الْـمُفَسرين الْقُدَامْ قَالُوا الأَبّ دَا ما عِرِفناهُ شِنُو؟ عِلمُهْ عِنْد الله.

ورَبّنا قَال الحَاجَاتْ دي كُلَّها مَرَقناهَا لِيكُمْ مِن الأَرِضْ فِي شَان مَنفَعَتكُمْ ومَنفَعَة بَهَايِمْكُمْ.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾.

المفـــرَدَات

الصَّاخَّةُ : اسمٌ ليومِ القيامةِ، وقيل الصَّاخَّةُ اسم للنفخةِ التي يقوم لها الناسُ. وسميتْ صَاخَّةً لأَن الناس يُصيخونَ لها أَي يستمعونَ لها ويَهُبُّونَ من رقدة الموتِ وهذا التفسيرُ الثاني

ذكره الطبريُّ ولكن نبه على ضعفه من جهة الاشتقاق إلَّا أَن يكون المرادُ نفسَ صوتِ النفخِة فتكون هي صاخةً لأَن صوتها صاخٌّ يصخُّ الأُذن أَي يُصمها بشدتِه. والتفسير القويُّ أَن تكون بمعنى القيامة مثل القَارِعَةِ والطَّامَّةِ، على أَن تأْويلها بالنفخة الثانية ليس ببعيدٍ والله تعالى أَعلم.

ثم الكلام التالي يفيد وصف المحشرِ وهو لهُ. وحَذْفُ جوابِ إذا فيه والله أَعلمُ زيادة تهويلٍ ثم ما بعده يدل عليه. أَي إذا جاءَ يوم القيامةِ، يومئذٍ يعلمون. ثم شرع الله تبارك وتعالى في أَوصاف يوم القيامةِ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

الصَّاخَّة من أَسْمَاءِ الْقِيَامة وجَمَاعَة قَالُوا هي! نَفخَةَ الصُّورْ والْـمَعْنَى مُتقَارِبْ لأَنَّ نَفخَةَ الصُّورْ مَعَاهَا القِيَامَة. وربَّنا بِيقُول فَإِذا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ- يَعْني وَقِتْ الْقِيامَهْ بِتَعْرَفُوا الْحَقِيقَة سَمِحْ[1].

---

(1) سمح أي حقا وهي من عبارات الدارجة عندنا تقول كلمته كلاماً سَمح وسمَّح بتشديد الميم مكسورة أي جيداً أو طيباً ولمته سمح وضربته سمح أي بشدة أو حقا أو بوضوح وما هو من هذا المجرى.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾.

الخُلاصَة

هذه الآيات واضحة المعنى. وذلك أَن يوم القيامةِ يومٌ عصيبٌ يُحشرُ فيه الناس حفاة عراةً-الرجالُ حفاةً عراةً والنساءُ حفاةً عُراةً. وكل امرىءٍ أَي كل إِنسانٍ مشغول بنفسهِ. لا يلتفتُ إِلى أَخيهِ ولا أمهِ ولا أَبيهِ. وكأَنه بعدمِ التفاته هذا وبانشغالِهِ عنهم، كأَنه يهرب منهمْ. وقيل يراهم ويهرب منهم لكيلا يروْهُ.

خُلاصَة بالدارجَة

رَبّنا وَصَفْ يوْم الْقِيامَة وقَال: «يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ» – يَعْني الْإِنسَان مِنْ شِدَّة مَشغُولِيتُهْ بِنَفسُهْ يُومْ الْقِيامَهْ يَشرُدْ مِن أَخُوهُ ومن أُمُّهْ ومِنْ أَبُوهْ ومِنْ صَاحِبتُهْ يَعْني مَرَتُهْ ومِنْ أَوْلَادُهْ- ودِيلْ كلّ وَاحِدْ مِنَّهُمْ مَشغُول بِنَفسُه ونَفسُه شَاغلَاهْ. والنَّاسْ كُلّهُمْ يُومْ الْقِيامَة حَفيَانِينْ وعِرْيَانِينْ، الرجَال والنسْوَان. وكُلّ وَاحِدْ مَهْمُومْ مَا هُو دَايِرْ يلاقي أَقرَبْ زُولْ لِيَهُ وإِذا شَافُه يَشرُد مِنُّهْ.

قَالُوا سِتّنا عَاشَه اللّهُمّ ارْضَ عنّها سَأَلَتْ النّبي عليهُ الصّلَاةُ والسّلَامْ وقَالَتْ لُهْ بِي كَلامَها الْفَصِيحْ-نِحْنَ بَسْ نَقُول المُعْنَى هِنَا-رَبّنا بِيَحشِرْ الرّجَال يُوْمْ الْقِيامَة كِيفْ؟ قَال لَها صَلّى اللهُ عَلَيهُ وسَلّمْ: حَفيَانِينْ وعِرْيَانِينْ. بَعَدِينْ سَكَتَتْ

وقَالتْ لُه: وبِيَحْشِرْ النسْوَان كِيَفْ؟ قَالَ لَهَا: حَفيَانَاتْ وعِرْيَانَاتْ. قَالَتْ عِبارَة مَعْنَاهَا قَرِيبْ مِنْ قَوْلِنا نَحْنُ: «وَيْ عَلَيْ» . قَامَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَليهُ وسَلّم كَلَّمَهَا قَال لَهَا يوم الْقِيَامَة: «لِكُل امْرِىءٍ مِنهُمْ يَومَئذٍ شَأْنٌ يُغنِيه». يَعْني كُلّ وَاحِدْ مَشغُول بِنَفسُه مَا في زُولاً بِيعَاين لِزول.

ملحوظة:

هذه الكلمة: «امْرؤُ » معناها إِنسان مطلقاً وكثيراً ما تُطلقُ على الرجل. والمؤّنث وهي معروفةٌ.

وإذا كانت مرفوعةً تُكتبُ همزتها على وَاوٍ وتُنطقُ الأُولى كالمضمومة إِلّا إِذا سبقها شيءٌ فحينئذٍ لا تنطق، هكذا: جاءَ امروٌ، وإذا كانت منصوبة كتبتْ همزتها على أَلفٍ هكذا: رأَيت امرأً يفعلُ كذا وكذا. وإذا كانت مجرورةً كتبتْ على ياءٍ: مررتُ بامرىءٍ يفعل كذا وكذا.

ولم نذكر لك كيف تبتدىءُ في حالتي النصبِ والجر، ، لأنك لا تبتدىءُ إِلّا في حالةِ الرفعِ في الكثيرِ الغالبِ. وإِذا اتفق أَن بدأْتَ بها في حالةِ نصبٍ نحو: امرأً عرفْتَهُ كاذباً لا تصاحبْهُ، فاجعلِ الهمزة الأُولى محركةً بالكسرة وهي همزةُ وصلٍ. وكذلك إِذا بدأْتَ بها وهي مجرورةٌ وهذا شيءٌ نادر قد يجيءُ إِذا بدأت بها على وجه التمرين من نحو قولك مثلاً «في دَارِ امرىءٍ نَزَلْنَا» فتبدأُ بامرىءٍ للتمرين إِذ ليستْ موضع ابتداءِ. والله تعالى أَعلم.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

المفـــرَدَات

يَوْمَئِذٍ : أي في ذلك اليومِ وأصلُ تركيبها يومَ إذ يُحشرُ الناسُ. ثم أُضيفَ يومَ إلى إذ وحُذفَ ما بعد إذ ونونتْ تعويضاً عن هذا الحذفِ.

مُسْفِرَةٌ : مُضِيئَةٌ من أَسفر الصبحُ إذا أَضاءَ.

غَبَرَةٌ : الغبرةُ هي الْغُبَارُ، وقيل الغبار الذي يكون قريباً من الأَرض. وقيل إذا جعل الله البهائم تُراباً، جعل ترابها غباراً وأَرسلهُ على وجوهِ الكفارِ.

تَرْهَقُهَا : تغشاها والفعل الماضي: رَهِقَ (باب فَرِحَ).

قَتَرَةٌ : هي الغبار المرتفعُ. وهي أَيضاً الدخانُ. وكل غبارٍ مُسْوَدٍّ مرتفعٍ فهو قَتَرَةٌ.

الخُـــلاصَـــة

يقول الله تعالى: «يومَ القيامةِ تكونُ بعضُ الوجوهِ مُضيئةً مستبشرةً ضاحكةً وهذه هي وجوه المؤْمنين أَهلِ الجنةِ الذين كانوا يُصلُّونَ ويتقونَ اللهَ ويقرأُون قرآنَهُ. وتكون بعض الوجوه عابسة كالحةً عليها غبار ويغشاها سوادٌ وهذه وجوه الكفارِ الفاجرينَ أَهل النارِ لعنة الله عليهم.

خُلاصَة بالدارجَة

يُوم الْقِيامَة تَكُون وَجُوهْ بَعَض النَّاسْ ضَاحْكَة فَرْحَانَة مُسْفِرَهْ يَعْني عَلِيهَا نُورانِيَّة. وَوُجُوهْ الْبَعَض مِنَّهُمْ قَبِيحَة مَكَشْرَهْ عَلِيهَا غُبَارْ وفُوقَها قَتَرهْ يَعْني سَوادْ ودُخَان. الْوُجُوهْ الْ عَليها نُورانِيَّه دي وُجُوهْ أَهَلْ الْجَنَّة اللّهُمَّ اجْعَلنا منَّهُمْ. والْوُجُوهْ الْ عَلِيهَا غَبَرَهْ دي وُجُوهَ الْكَافِرين الْفَاجِرين أَهَل النَّارْ لَعْنَةُ الله عَليهم.

تم تفسير سورة عَبَس بحمدِ الله وعونِهِ.

سورة التكوير

وهي مَكيَّةٌ نزلتْ بعد تَبَّتْ يدَا أَبِي لَهَبٍ

وآياتها تِسْعٌ وعشرونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾

المفـــرَدَات

إِذَا : كلمةٌ تدل على الزمان وهي معروفةٌ، والمراد هنا الحديث عن يوم القيامِة ووقتِ النفخة التي يبعث بها الناس ووقتِ الساعةِ التي يهولُ أَمْرُها الناس. وقد كرر اللهُ تعالى كلمة إِذا في الآياتِ الأُولياتِ من سورة إِذا الشَّمْسُ كورتْ وجعل جوابها «عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ» أي إِذا حصل كذا وكذا فحينئذ تعلمُ النفوس حقيقة أمرها وتُواجه الحسابَ.

كُوِّرَتْ : اختلف المفسرون في تأْويل هذه الكلمة ولكنَّ اختلافهم كله متقاربٌ. قالوا: كُوِّرَتْ أَي صارت ملفوفة مدورة مثلَ الْعِمَامَةِ. وقالوا أي ذهب ضوْؤُها وأَظلمتْ. وقالوا

أي رُمِيَتْ وقالوا يرميها الله في البحر فيصير ناراً. ومعنى هذا كلهِ أَنها تذهب وتزولُ. وأَصلُ كلمةِ كُوِّرَتْ من تكويرِ الْعِمَامَةِ أَي لَفها. وضوءُ الشمسِ منتشر كما هو معلوم. فإذا كُوِّرَتْ الشمس كان معنى هذا أَن ضوءَها يُلَفُّ ويُدَوَّرُ كما تلفُّ الثياب ويختفي من الدنيا ثم إِن الله قدير على أَن يرميها في الْبَحْرِ.

انْكَدَرَتْ : هُدَّتْ وانْقَضَّتْ وتساقطت وانتشرت وقيل إِن الله يرميها في البحْرِ.

سُيِّرَتْ : مر تفسيرها في سورة عَمَّ وذلك أَن الله يُزَعْزِعُ الجبال ويحركها ويجعلها تسير كالسحاب ثم تصير كالهباء والسرابِ.

الخُــــلاصَــة

يُخاطب اللهُ الناس ويذكرهم بالساعةِ والقيامةِ أَحوالها حينما يتلفَّتُ الناس وهم في بيعهم وشرائهم فيجدون أَن الشمس قد تَكَوَّرَتْ مثل الكرةِ واختفى ضوءُها المنتشر ورماها اللهُ في البحر فصار ناراً وأَن النجومَ قد جعلت تتساقطُ في البحر وأَن الجبال قد تزعزعت وصارت تمرُّ مثل مر السحاب وتحولت فصارت كالهباءِ والسرابِ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

رَبَّنَا بِيوعظنَا ويذَكِّرنا بأَحْوَال السَّاعَة والْقِيَامَة وَقِتْ النَّاس يِتلَفَّتُوا وُهُمْ في بِيَعهمُ وشِرَاهُمْ وَيَلقُوا الشَّمِسْ اتلَفَّتْ وادَّوَّرتْ وبِقَتْ مِتل الْكُورهْ وربَّنَا شَالهَا وَرَمَاهَا في الْبَحَرْ والْبَحَرْ بِقَى نَارْ. والنُّجُوم قَعَدَتْ تِتوَقَّعْ مَشَتّتَه في الْبَحَرْ والجْبَال قَعَدَتْ تمَشِي وتطَّايَرْ.

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتْ ۝٦ ﴾.

تنبيه:

سُجِرَتْ بضم السين وكسر الجيم قراءَة أَبي عمرو. وسُجِّرَتْ بضم السين وتشديد الجيم وكسرها قراءَة حفصٍ. والتشديدُ فيه معنى المبالغةِ. وقراءَةُ وَرْشٍ مثل قراءَة حفصٍ بالتشديد. ولم يقرأْ بالتخفيف من السبعة إلا أَبو عمرو وابن كَثِيرٍ.

المفـــرَدَات

الْعِشَارُ : جمع عُشَراءَ[1] وهي الناقةُ التي لها في حملها عشرة أَشهرٍ. والعشار أَكْرَمُ الإِبل عند العرب لأَنهم ينتظرون وَلَدَهَا.

---

(1) بفتح الشين بعد عين مضمومة وراء وألف ممدودة بوزن نُفَساء قال في القاموس: التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء ج عشروات وعشار...إلخ.

عُطِّلَتْ : بضم العين وتشديد الطاء أَي تركها أَهْلُها وسَيَّبُوها مهملةً وقرأَ بعضهم «عُطِلَتْ»، من دون تشديد وهي قراءَةٌ غيرُ سبْعِيَّة.

حُشِرَتْ : اختُلِف في تفسيرها اختلافاً متقارباً: قالوا حُشِرَت أَي جُمِعَتْ أَي جمعها الله كلها في مكان واحدٍ. وهذا التفسير هو أقوى قول ويشبه ما قدمناه لك في تفسير قوله تعالى في سورة والنَّازِعاتِ: «فَحَشَرَ فَنَادَى» وقالوا حشرت أَي ماتت وهذا القول مروِيٌّ عن ابن عباسٍ. وهو أَيضاً غير بعيد أَي ربنا يحشرها أَي يجمعها ثم يأْمرها فتموت. والتفسير الأَول قويٌّ من جهة اللغة كما ذكرنا، ثم هو أَيضاً قويٌّ من جهة المعنى لأَن الوحوش من عادتها أَن تنفر ومن أَهوال الساعةِ تجتمع كلها وتختلط بالناس ثم تموت وجلَّ اللهُ القادِرُ.

سُجِّرَتْ : سجِرت: على القراءَتين أَي اشتعلت وحميت والتهبت قال تعالى في سورة الطور: والْبَحْرِ الْمَسْجُورِ أَي الملتهبِ. والسَّجْرُ في اللغةِ هو الإِيقاد والإِشعال. قالوا إِن اله يرمي الشمس بعد تكويرها في البحر ويرمي النجومَ بعد

انكدارِها في البحرِ فيلتهب البحرُ. وتقول الجِنُّ للإِنسِ ما هذا؟ فإِذا رأَوا أَن البحر صار ناراً خافوا وفزعوا وهلعُوا.

وقال بعض المفسرين: سُجرَت أَي انفجرت أَي تدفق ماؤُهَا حتى غمر كل مكان ويجوز أَن يكون هذا التفسير من نوع التفسير الأَول أَي امتلأَت لهباً تَتفَجَّر كما تتفجَّر المياهُ وغمر كلَّ مكانٍ.

وقالوا سجرت أَي ذهب ماؤْها وهذا أَيضاً يشبه التفسير الأَول لأَن البحر إِذا صار ناراً فقد ذهب ماؤُه. ورُوِي أَن جهنم هي البحر عندما يصير ناراً.

وقالوا: أَي يبست. ورجَّحَ الطبريُّ قول القائلين بأَن «سُجِرَتْ» معناها فاضت حتى غمر ماؤُها كل مكانٍ. ورجح الجلالان التفسير الأَول. والتفسيران متقاربان كما ذكرنا والله تعالى أَعلمُ.

الخُـــلاصَة

ربنا جلَّ وعلا يذكرنا بأَهوال القيامة والساعةِ حين يذهلُ الناسُ عن كل شيءٍ ويتركون إِبلهم العشار الكريمة معطلةً مُسيَّبَةً من دون راعٍ وحين تجتمع الوحوشُ وتختلطُ بالناس وحينَ تثور البحار وتتفجر وتَتَلَهَّبُ.

خُــــلاصَــة بالدارجَــة

رَبّنَا يذَكّر فِينا بأَهوَال الْقِيَامَة. وَقَالَ يَوَصّفْ حَالهَا وَقِتْ كُل زُوْل بِنشَغِل بنَفسُهْ وأَصحَابْ النياق الكريمة عليهم الثَّقِيلهْ ليها عَشَره ولّا تمانية شُهورْ دا مَعنى العِشار يَخَلُّوهَا مُهْمَلَة مِن انشِغَالْهُمْ بِنفُوسُهْم والْوُحُوشْ الْمُصَايْدَهْ في الخَلَا تِجْتَمِع كُلَّها وتِتخَلِط مَعَ النَّاسْ والْبَحَرْ يَفُورْ ويِتملي ويِتلَهَّبْ يَبْقَى نَارْ. وَقَالُوا رَبَّنَا بِيَرْمِي فِيهُ الشَّمِسْ والْكَواكِب وهِي تَبْقَى نَارْ.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ ﴾.

المفـــرَدات

فسرنا «أَزْوَاجاً» في سورة عَمَّ. واختلف المفسرون في المرادِ من قوله تعالى «زُوجَتْ» ههنا فقال بعضهم أَي ربنا يُزوج المؤمنين من الحور العين والكافرين من الشياطين. وقال بعضهم هذا الكلام مراد به وصف قيام الناس من القبور حين تزوج الأَجسام بالأَرواح ويحيا الناس بعد موتهم. وقال بعضهم المراد هنا وصف الحساب حين يعطي كل إِنسان صحيفة عمله ويزوجُ بها. وقال آخرون زُوجَتْ:

أي صُنفَتْ وشُكلت أَشكالاً فوضع ربنا الأشرار مع الأَشرار والأَخيارَ مع الأَخيارِ. وهذا التفسير هو القويُّ إن شاءَ الله لأَن اللهَ تعالى يقول في سورة الصَّافَّاتِ: احْشُروا الذينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ» أَي أَشباههم وأَشكالهُمْ. وقال في سورة الْواَقِعَةِ: «وَكُنتُمْ أَزوَاجاً ثَلاَثَةٌ» أَي أَصنافاً ثلاثة ثم بين هذه الأَصناف بقوله «فأَصحاب الميمنةِ ما أَصحابُ الميمنةِ وأَصحابُ المشَأمةِ ما أَصحاب المشأَمةِ والسَّابقُون السَّابِقُونَ» والله تعالى جَلَّ جلالهُ أَعلم.

الخُلاصَة

أَي إذا صارت النفوس أَصنافاً كل صِنفٍ مع الصنف الذي يشبهه، الأَخيارُ مع الأَخيارِ والأَشرارُ مع الأَشرارِ.

خُلاصَة بالدارجَة

يَقُولُ الله تَعالَى ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ وَدَا مِن أَوْصَافْ الْقِيامَة، يَعْني سُبحانَه وتَعالَى وَقِتْ المُخلُوقَاتْ تِتْصَنَّفْ، كُلُّ صَنِفْ يكُون مَعَ الصَّنِفْ أَل

بِيَشبَهُهْ. الْكَافِرْ مَعَ الْكَافِرْ. والمُومِنْ مَعَ المُومِنْ. وَحَالَ الدُّنيَا مَا هُو كَدِي فِي شَان المُومِنْ والكافِرْ والمِنافِقْ أَحْيانْ يكَونُوا مَعَ بَعَضْ تجمعهم المعايش والله أعلم.

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾.

المفـــرَدَات

الْمَوْؤُودَةُ : أَصلها اللغويُّ من وَأَد يَئِدُ، أَي دفن الشيءَ حيّاً وأثقلهُ بالترابِ يدفِنُه. والْمَوْؤُدَةُ هي البنت التي كانوا يدفنونها حيةً في الجاهليةِ. قالوا كان الرجلُ تُولدُ له البنتُ فيغيظُهُ ذلك ويسْوَدُّ لهُ وَجْهُهُ ثُمَّ إذا بدا له أَن يَتْرُكَها تحيا فإنه يُلبسها ثوباً من صوفٍ ويجعلُها ترعى الغَنَمَ وإِذا بدا له أَن يَقْتُلَها تركَها حتى تبلغَ السادسةَ من عمرِها ثم قالَ لأُمِّها زَيِّنِيها وَطَيِّبِيها لآخذَها لتزورَ أَهلها. فيأْخذها إِلى الصحراء وقد حفر لها بئراً فيدفُنها فيها حيةً. قالوا وكانتِ الحاملُ تَحتَفِر حفرةً فإِن كان مولودها ذكراً اسْتبقَتْهُ وإِن كان أُنثى قتلتها. وقالوا كان الْوَأْدُ في قبائلَ من بني تميمٍ وأَسَدٍ والرَّاجحُ أَنه كان في كلِّ العربِ، قال الطبري يرويه

عن الربيع ابن هيثم في تفسيره «كانت العربُ من أفعلِ الناسِ لذلك» يعني الْوَأد، وإنه كان في قريشٍ وفي أهلِ مكةَ بدليلِ القرآنِ لأنه إنما خاطبَ قريشاً وأهلَ مكةَ أولَ الأمرِ ثمَّ غيرَهمْ من العربِ من بعدُ.

سُئِلَت : يسألها اللهُ تَبْكيتاً للكافرين. وقرأ بعضُهم: «سَألت» بجعل الفعل مبنياً للمعلوم محتجاً بأنه لا معنى لسؤَالِ الْمَوْءُودَةِ نفسها وإنما السؤَالُ ينبغي أن يوجّه لقاتلها. ولكنّ التوبيخَ أجودُ ههُنا والقراءة المتواترة هي الراجحةُ الصحيحَة.

الخُـــلاصَـــة

يعدد الله تعالى أحوالَ القيامةِ فيقولُ: وإذا سُئِلَت الْبِنتُ التي دفنها أَهْلها في الجاهليةِ وقيل لها ما ذنبُكِ لماذا قتلوكِ-وهذا السؤَالُ كأنه توبيخٌ لأَهلِ مكةَ وللعربِ قاطبةً على ما كانوا يفعلونه من وَأْدِ البناتِ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

وذَكَر الله تَعالَى في أَحْوال الْقِيامَة أَنَّ الْمَوْءُودَة وَهي ال بِتْ أَل كَانُوا بِيَدْفِنوُها حَيَّة، يَسأَلها الله وَيقُول لَهَا لِي شنُوا كَتَلُوكِ ودَفَنُوكِ حَيَّهْ. والْعَادَهْ دي عَادَهْ ذَمِيمَة كَانَتْ عِندَ الْعَرَبْ. قَالُوا كَانُوا بِيَدُفنوا بَنَاتْهِمْ خَايْفِين الْعَارْ وكانوا أَيْضاً بِيَدْفِنُوهِن

يا خَايْفِينْ الْفَقْرْ يا كَارْهِنَّهنْ فِي شَان ضَعِيفَات وعامْلِنَّهنْ ضَحِيَّة لِلْأَصَنَامْ وكَمان كَضَّبُوا قَالُوا الْأَوْلَادْ حَقِّينَا نِحْنَ والْبَنَاتْ حَقَّاتْ الله ونِحْنَ نَرَجِّعِنْ لِي أَلله. بَسْ في وَاحِدْ فِي الجْاهِلِيَّة مِن قَبِيلَة بَني تَمِيمْ اسْمُه صَعْصَعَة كِرِهْ الْعَادَة دي وكَان بِيَفْدَي الْبَنَاتْ الدَّايْرين أَهَلِنْ يَكتُلُوهِنْ وُلَاكِينْ الباقِينْ كُلَّهم كانُوا بيسوُّوا العادَة الخَبِيثَة دي.

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ ﴾.

تنبيه

ههُنا: اختلافٌ يسير بين القراءِ. قرأ أبو عمروٍ: نُشِّرَت بكسر الشين وتشديدها وهي قراءَةُ أربعةٍ من السبعة وقرأ حفصٌ: نُشِرَت بكسر الشين فقط وهي قراءَةُ ثلاثةٍ من السبعةِ وقراءَةُ وَرْشٍ مثلُ قراءَةِ حفصٍ.

واختلفوا اختلافاً يسيراً في: سُعرَت. قرأها أبو عمروٍ: سُعِرَت بضم السين وكسر العين فقط وقرأها حفصٌ سُعِّرَت بضم السين وكسر العين وتشديدها وَوَرْشٌ مثل حفصٍ وأكثرُ القراءِ السبعةِ يخففن العين وكلتاهما قراءَةٌ جيدة قويةٌ والمعنى متقارب.

المفــــرَدات

نُشِرَت : نُشِّرَت: على القراءَتين: أي أن صحف الأَعمالِ نَشَرَهَا أي فرَّقها الله بين الناس فتسارعوا إِليها كلٌّ منهم يريد أن يأْخذ صحيفتَهُ. وقالوا: نُشرَت، أَي هذه الصحفُ مطوية ثم يأْمر اللهُ بنشرها فتنشر فيرى الإِنسان أَعماله فيها وهذا التفسيرُ أَقوَى واللهُ أَعلم.

كُشِطَت : أَي سُلِخَت من موضعها فذهبت مرةً واحدةً كما يَكشُطُ الإنسانُ القشرةَ أَو كما يكشط الجزارُ الجلدَ عن اللحم. وقالوا: كُشِطَت أَي جُذِبَتْ وهو نفسُ المعنى لأَن الذي يَكْشُطْ الجلدَ يجذبه عن اللحم. وكذلك قول من قال كُشِطَت أَي قُلِعَت كما يُقلَعُ السقفُ هو قريب من هذا المعنى. وفي قراءَةِ ابن مسعودٍ قُشِطَت بالقافِ والقشط والكشط بمعنى واحدٍ في لغة العربِ ولكن قراءَة ابن مسعود غير مستعملَةٍ بعد المصحفِ الإمامِ.

سُعِّرَت : سُعِرَت: على القراءَتين: أَي أُشعِلَت وأُوقِدت إِيقاداً شديداً.

أُزلِفَت : أَي جُعلت قريبةً. أَي قرَّبها الله من المؤْمنين. كما في سورة قاف ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾.

الخُــــلاصَــة

قال تعالى يُعدّدُ أحوال القيامَةِ وَيُذكرُنا بأَنها الوقت الذي تُنشَرُ فيهِ صحفُ الأَعمالِ بعد أن كانت مطويةً ويسلخ ربنا السماءَ ويجذبها ويُزيلها عن موضعها ويقعلها قلعاً فتختفي ويأْمر بالْجحيمِ فتسْتعِرُ وتلتهب وبالْجَنَّةِ فتدنو من عباده المؤْمنين.

خُــــلاصَــــة بالدارجَــة

رَبّنَا بِيَوصفْ حَالْ الْقِيَامَة وَيْقُول إنُّ صُحُفْ الْأَعْمال، وهي الْوَرَقْ الْمكتُوبَة فِيهُ أَعْمَالنا كُلّنا، رَبّنَا يَكشِفْ حَقِيقتُه يُوْمْ الْقِيَامَة بَعَدْ مَا كَان مَطوي وَبَعَدَينْ رَبّنَا يَجْبِد السَّما جَبْدَه واحْدَه مِتلَ الجِْلدْ وَقِتْ يَسْلَخُه الجَْزّارْ ويَكشُطَها تَبْ وَتَرُوحْ مَرّة وَاحْدَهْ وَبَعَدِينْ الْجَحِيمْ يَعْني جَهْنَّمْ يُوقدُوهَا فِي شَانَ الْكُفّار حَطَبَ النَّارْ، والجَْنَّة يَجِيبُوهَا يَقربُوها فِي شَان الْمُؤْمِنين الصَّالحِين.

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾.

الخُــــلاصَــة

هذه الآية جوابُ إذا التي في الآيات قبلها. أَي إذا ذهب ضوءُ الشمس وانتشرت النجومُ وسارت الجبال وأُهملتِ الحواملُ من الإبل واجتمعت الوحوش مع الناس وامتلأَتِ البحور وفاضت والْتهبت وصُنِّفَتْ النفوس بحسب أَعمالها وصلاحها وفسادها وسئلت المؤْءُودَةُ لماذا قتلها أَهلها ونُشرت صحف الأَعمال والتهبت جهنمُ ودنت الجنةُ من المؤْمنين-

ففي ذلك الحين تعلم كل نفسٍ ما أَحضرته من عَمَلٍ هل هو طيب أَو قبيحٌ وهل هو يؤدي إلى الجنةِ أو إلى النَّار.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

الآيةْ الأَخيره دِي تَكْمِلَةْ لِلآياتْ أَلْ فاتت. ربِّنا بِيقُولْ مَا معناهُ: لَـمَّا الشَّمسْ تَضَلَّمْ[1] والنجوم تقعْ والجِبالْ تمشي والنياقْ الحاملات التُّقالْ يخَلوها أَهلها والوُحوش تِتْلَمّ مع النَّاس والبُحُورْ تَفُورْ وتَلْتَهِبْ والنَّاسْ تبقى أَصنافْ أَصنافْ كل واحد بحسب عملهْ والبِتّ المؤودةْ يعني أَلْ كَتَلُوها أَهلها ودفنوها حيةْ ودِي كانت عادةْ خبيثةْ عند المشركين يسأَلها رَبّنا ويقول لَها كَتَلُوك لِي شْنُو؟ ودفنُوك حية لِي شْنُو؟ دَهْ وقت صحايف العمل تِتْفَرّ بعد ما كانت مطويةْ ووقت النَّارْ يُوقْدُوها ووقت الجَنَّة يَقَرْبُوها –في الوقت دَاكْ كل نفسْ بِتعْرف أَلْ عمل أَلْ جَابَتْه شِنُو، أَكانْ خِيرْ ولّا شَرّ.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾.

---

(1) النطق الدارج: تضلم بالضاد وفي طريقة نطق الضاد اختلاف والغالب الضاد التي تقرأ بها الآن ومن البلدو من يقارب بها نطق الظاء.

المفـــرَدَات

فلا أُقسِمُ : معناها حقّاً أُقسِمُ. والفاءُ لابْتداءِ الكلام، ولا هنا ليست للنفي ولكن للتّوْكيد ويُؤَيّدُ هذا الوجْهَ قراءَةُ الحَسَنِ البِصْري[1] وقِراءَةُ ابْنِ كَثيرِ من أَحَدِ طَريقَي البَزّي «لَأُقسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ» ويُؤَيّده قوله تعالى: «لِئَلّا يَعْلَمَ أَهلُ الكِتابِ أَلّا يَقدِرونَ على شَيءٍ مِّن فَضلِ الله» فقوله «لئَلّا» معناه «لِأَن» ولا حرفٌ مُؤَكِّد. وزعَمَ بعضهم أن «لا» هَهُنا زائدة. ولا تأْتي الزيادةُ في الكَلامِ العالي إلا بسببٍ. وزيادةُ لا النّافية ههنا على قول من قال إِنّها زائدة لا سَببَ لها إذ الكلام قَسَمٌ وإثباتٌ.

وزعم الزَّمَخْشَريُّ أنَّ إدخالَ لا النافية على فِعْلِ القَسَمِ مُسْتَفيضٌ واسْتَشهَدَ بقولِ امرىءِ القَيْسِ:

فلا وأَبيكِ ابْنَةَ العَامِرِيِّ لا يَدَّعِي القَوْمُ أَنّي أَفِرّ

وقول الآخر:

أَلا نَادَت أُمَامَةُ باحْتِمالِ لِتَحْزُنَني فلا بِكِ لا أُبَالي

وهذا الشَّاهِدانِ لا يُقَويان حُجّته لأَنَّ لا فيهما مُقَوِّيَةٌ للنّفي

---

(1) تقول العرب البَصرة بفتح الباء والنسبة إليها بِصري بكسر الباء على خلاف القياس وفتحها غير جيد.

في قَوْلِ الشاعر: لا يَدَّعي ولا أبالي. على أَنَّ الزمخشري إنما تَابَع في هذا الرأي بَعْضَ النُّحاة الكوفيين ممن أشارَ إليهم الطبَري والوَجْهُ الأَوَّل أقوى والله تَعالى أَعْلمُ.

الخُنَّسِ : الَّتي تَخنِسُ وهذا حَرْفٌ معروفٌ في الاستعمالِ العاميّ. وخُنَّس جمع خانِس وخانِسَة. وقيل المُرادُ بالخُنَّس أي الخانِسات التي تَتَراجَع مُجْفِلَة وهذا هو تَفسيرُ الطَّبري وهو عامٌّ كما ترى ليس فيه تَخصيصٌ لشيءٍ بعيْنه كالنُّجومِ مثلاً أو بَقَرِ الوَحْشِ، إنَّما رَفَضَ الطَّبَرِيُّ التَّخصيصَ لِعَدَمَ وجود الدَّليلِ القاطِعِ عليه وقد ذَكَرَ الطَّبَرِيّ كعادَته أقوالاً أُخرى. وذكر الزَّمَخْشَرِيّ أَنَّ المراد النُّجُومُ لأَنَّها تَتَراجَعُ وتَغيبُ. وذَكَرَ بَعْضُ المفسرينَ مما أَورده الطَّبَرِيّ أَنَّ الخُنَّس ههنا بَقَرُ الوحْشِ لأَنَّها تَسْتَمِعُ إلى الأَصْواتِ وتَخْنِسُ إذا أَحَسَّت شَرّاً وتكنِسُ بالنَّهار أي تَدْخُل في مَكانِسِها ومَكانِسُ البَقَر هِيَ أماكِنُ تُعِدُّها لِنَفسِها في الأَشجارِ لِتسْتَظِلَّ بها وتختفيَ بها. وذكر بعض المفسرينَ أنها الظباءُ لأَنها تَخْنِسُ خَوْفاً من الشر وتذهَبُ إلى مَكانِسِها بالنَّهارِ وتَجْري.

وعندي والله تعالى أَعْلمُ أَنَّ تَفسير الطَّبَري هُوَ أَقوى التَّفاسيرِ لأَنَّ التَّعْميمَ في هذا المَوْضِعِ أَوْلى وأَقوى.

الجَوارِ : أي الجَواري أي الأَشياءُ التي تَجْري والياءُ تُحْذَفُ في النُّطقِ لأَنَّ بَعْدَها ساكِنٌ والمصاحِفُ لا تُثبِتُها في الكِتابة وإنما تثْبت في خَط الإِمْلاءِ المستعمل وتُحْذَف في النُّطقِ على كل حالٍ من أَجْلِ التقاء السَّاكِنَيْنِ الياءِ واللَّام السَّاكِنَةِ والجواري بمعنى الأَشياءِ التي تجري قد تدلُّ على النُّجومَ وبَقَرِ الوَحْشِ والظباء والسُّفُنِ التي تجري في البَحْر وغير ذلك والله تعالى أَعلم.

الكُنَّسِ : جَمْع كانِسَة وكانِس وكَنَسَت الظَّبْيَةُ إذا دَخلَت في كِناسِها وهو مَوْضِعٌ تَجْعَلُه لِنفَسِها في الشَّجَرِ تَسْتريحُ فيه وتَغيبُ عن الأَنظار- واختلفوا في الكُنَّس كما اختلفوا في الخُنَّسِ. وقد ذكرْنا أَنَّا نُرَجِّحُ رأيَ الطَّبريّ في إِطلاقِ قوله تعالى: فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ على كُل شيءٍ يَخْنِسُ ويَجْري ويَكنِسُ مِن ظِباءٍ ونُجومٍ وبقرٍ وغيرها-وما دامَ السياقُ يُجيزُ لَنا أَن نَتناوَل في تَفْسير الخُنَّسِ والكُنَّسِ تأْويلاً واسِعاً. فأَجْدَرُ بِنَا أَلا نُخَصِّصَ معانِي هذه الأَلفاظ

ونُحَدّدَها ما دُمْنا لا نَمْلِك دليلاً قاطِعاً على ذلك. ولكن ينبغي أن نقول إنَّ القَسَمَ بها يُناسِبه الشُّمولُ واتساع جوانبِ المعنى وقد أراد الله عَزَّ وجَلَّ ههُنا وهو سُبْحَانه وتعالى أَعْلَمُ بِمُراده: أن يُقسِمَ بجميع ما يَصِحُّ أن يُوصَفَ بأَنَّهُ من الخُنَّسِ الجَوَاري الكُنَّسِ كَما قال الطَّبَرِيّ فيدْخُل في ذلك النُّجومُ والبقرُ والظباءُ والسُّفُنُ وغَيرُ ذلك مما اللهُ تبارك وتعالى به أعلَمُ.

عَسْعَسَ : أخذَ يذهبُ وذلك قُبيلَ الفجرِ. وقال بَعْضُهم أَخذَ يجيءُ بظلامِهِ وذلكَ بَعْدَ المغرب بقليل. وكلا الوجْهَيْن قَوِيٌّ وجائزٌ.

تَنَفَّسَ : جاءَ، لأَنَّ الصُّبْحَ يكون معه نَسيم أَو لأَنَّ الناس يَنهَضُونَ ويتنفَّسون نَفَسَ اللَّيْلِ فيه.

إِنَّهُ لِقَوْلُ : هذا جوابُ القَسَمِ.

رَسُولٍ كَرِيمٍ : هو جبريل عليه السلام ويُؤَيد هذا التَّفسيرَ قولُهُ تعالى في سورةِ الشُّعراء: «نَزَلَ بهِ الرُّوحُ الأَمينُ على قَلبِكَ لِتكُونَ مِنَ المُنذِرينَ».

الخُـــلاصَـــة

قال تعالى ما معناه: أُقسِمُ بالخانِساتِ الجارِياتِ الكانِساتِ (من نجم وظِباءٍ وبقَرٍ وغيْرِها) وأُقسِمُ باللَّيْلِ إِذا أَقبَلَ أَو مَضَى والصُّبْحِ إِذا جاءَ وأَضاءَ أَنَّ هذا القُرْآنَ ليس بزُور ولا تَدْليسٍ ولا افتِراءٍ ولكنَّهُ تَنزيلٌ نَزَلَ به رَسُولُ اللهِ الكريمُ جِبْرِيلُ على نَبيه مُحَمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

رَبَّنَا حَلَفْ بالْحَاجَاتْ أَل بِتَخَنسْ وال بِتِدَّسَّى وال بِتَجْرِي مِتَل النُّجُومْ والصيْدْ وحَلَفْ بالَّلَيْل وَقِتْ يَعَسْعِسْ يَعْني يَبْدَا يرَوُحْ قَبْلَ الْفَجُرْ ولَّا يَبْدَا يَجِي بَعَد الْمُغرِب وَحَلَفْ بالصَّبَاحْ وَقِتْ بِتنَفَّس دَابُه[1] إِنَّه الْقُرْآن مَا هُو كِضِبْ لَكِنُّه كَلام الله نَزَلْ بِيهُ سِيْدنَا جِبْرِيل عَلَى النَّبي ورَبَّنَا سَمَّى جِبْرِيل بإِسِمْ «رسُولٍ كَرِيمٍ» فِي شَان كَان رَبَّنا بِيَرْسِلَهْ بالْوَحِي.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

(1) دابه: أي دأبه والمراد في الدارجة أي أول دأبه وأول أمره وقد يقولون دوبه يميلون الألف جهة الواو.

المفـــرَدَات

ذي قُوَّةٍ : قَوِيٌّ شَديدٌ. وهو سيدُنا جبريلُ عليه السَّلامُ.

عِندَ ذي العَرْشِ : أي عندَ الله وهو ذو العرْشِ أي صاحبُ العَرْشِ والعَرْشُ هو الكُرْسيّ الأَعْظَمُ المحيطُ بالسَّمواتِ والأَرْضِ والكوْنِ جميعِهِ، وهو الذي يجْلِسُ عليه رَبُّ العِزَّةِ مُنفَرداً بالمُلكِ لا يُشارِكُهُ فيه أَحَدٌ: لا صَاحِبَةٌ ولا بِنتٌ ولا وَلَدٌ. وجُلُوسُ الرَّحْمن على العَرْشِ واسْتِواؤُهُ سَنَتَحَدَّثُ عن وُجُوهِ التَّأْويلِ فيه في مَوْضِعِهِ إن شاءَ الله تَعالى وبِعَوْنِهِ.

مَكينٍ : أيْ مَكين في المنزلَةِ مُتَمكنٌ عالي القَدْرِ.

مُطاعٍ ثَمَّ : ثَمَّ مَعْناها هُناكَ. والمرادُ بِهُناكَ في هذا الموضعِ واللهُ أَعْلمُ، الملأُ الأَعْلى أَي الملائكة. فيكون معنى مُطاع ثَمَّ ههُنا أي هو ذو كَلِمَةٍ مَسْموعَةٍ في الملإِ الأَعلى بين الملائكة.

أَمينٍ : أَي مأْمونٌ عندَ الله.

صاحِبُكُمْ : أَي مُحَمَّد والخِطابُ لأَهْلِ مَكَّةَ.

الخُـــلاصَـــة

وصفَ ربُّنا تبارَكَ وتعالى جبْريلَ عليه السَّلامُ بأَنَّهُ قَوِيٌّ له مَنزِلَةٌ مَكينَةٌ عندَ الله ولَهُ كَلِمَةٌ مُطاعَةٌ بينَ الملائِكَةِ وهوَ خادِمٌ أَمينٌ مَأْمونٌ عِندَ رَبِّهِ. ثُمَّ خاطَبَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ مَكَّةَ وقالَ

لهم إنَّ صاحِبَكُمْ مُحَمَّداً غيرُ مجْنونٍ بل هو على اتصالٍ بالملَإِ الأعلى من طريقِ جبريلَ وهوَ يُبَلِّغُكُمْ كَلِمَةَ الله تَباركَ وتعالى.

خُــلاصَــة بالدارجَــة

وَصَف رَبَّنَا سَيدَنَا جِبْرِيل عَلَيْه السَّلامْ بأنَّه رَسُول كَرِيم ثُمَّ وَصَفُه بأنَّه قَوى وَمَكِينْ عند رَبُّهْ وذو الْعَرْش هُوَ رَبَّنَا فِي شَان هُو سيدَ الْعَرِشْ المُحيط بِالْكُون كُلُّه وسيدنا جبريل عَلَيهُ السُّلامْ خَادمُه المُقدَّمْ المُكرَّمْ الأَمِينْ المُسْمُوع الْكَلمَة بِين المُلايْكَة. وَبَعدِين رَبَّنَا خاطَبْ أَهَلْ مَكَّة وَقَال لَهُمْ صَاحِبْكُمْ مُحَمَّدْ مَا هو مجْنُون لكِنَّه نَبي ومُتَّصِل بِرَبَّكُمْ مِنْ طَرِيقْ جِبرِيل الْوَصفنَاهُ لِيكُمْ.

تعليق:

ذَهَبَ الزَّمَخشريُّ إلى أَنَّ هذه الآياتِ تُشعِرُنا بالفَرْقِ العَظيمِ بينَ مَنزِلَةِ سَيدِنا جبريل عليه السَّلامُ وسيدنا مُحَمَّد ﷺ لأَنَّ ربَّنا وصف جبريلَ عليه السَّلامُ بالأَوْصافِ العَظيمَةِ وقالَ عن النبيِّ ﷺ: «وما صَاحِبكُمْ بِمَجْنُونٍ» وهذا من أَوْهامِ الزَّمَخشريّ رَحِمَهُ الله لأَنَّ أَوْصاف سَيدنا جبريلَ عليه السَّلام في هذه الآياتِ. إنَّما هي تَنويهٌ بِشَأْنِ سَيدنا مُحَمَّد ﷺ . وإنَّما أرادَ القُرْآنُ زَجْرَأَهْلِ مَكَّةَ لأَنَّهم كانوا يَقولون للنبي هو مَجْنونٌ فكأَنَّ القُرآنَ قدْ قالَ لهم والله أعلم أَمَن يَتَّصِلُ بالله من طريقِ مَلَكٍ هذا شأنه يكونُ مجنوناً؟-ولا يَخفى عليكَ أَنَّ سَيدنا جبريلَ عليه السَّلامُ إنما هو بمنزلَةِ السَّاعي بيْنَ الله وبينَ سَيدِنا محمَّدٍ ﷺ ولا يَخفى من هذا أَنَّ قَدْرَ سَيدِنا مُحَمَّد ﷺ أَعْظَمُ من قَدْرِ سَيدنا جبريل عليه السلام بكثيرٍ وقد كرَّم الله تَعالى بني آدَمَ

وهو أكرَمهم عنده جميعاً ﷺ. ثُمَّ إنَّ الله تبارَكَ وتعالى وقد أَرْدَفَ قوله «وما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» بأوْصافٍ أُخرى للنبي ﷺ سَتَأْتي فيها بعْدُ والعَجَبُ للزَّمَخْشري كيف غَفَلَ عنها- وجَلَّ مَن لا يَسْهو والله أعلم.

خلاصة هذا التعليق بالدارجة

> الزَّمَخشَرِي رَحْمَةُ الله عَليه قَال الْآيات أل فَاتَت بِتفَضَّلْ سِيدْنَا جِبْرِيل عليه السَّلَامْ على النَّبي ﷺ فِي شَان وَصَفَتُه أَوْصَاف عَظِيمَة وَقَالَتْ عن النَّبي ﷺ بَسْ: «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» والزَّمَخشَري رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ من دُون شَكْ وهْمَانْ هنا في شان ربنا دَار يَلُوم أَهَل مكَّة ويقولْ لهُم كِيف انْتُو بِتْقُولوا محمد مجْنُون وهُو شانُه عظيم وجبريل الأَمينْ المكينْ عند ربُّه المَنْزِلتُه رَفيعة في الْملايكة مُرَسَّلْ من الله سبحانه وتعالى لِيهُ.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

تنبيه:

رآهُ: في أَلِفها إِمَالَةٌ تَامَةٌ لأَبي عَمْرو. وَحَفصٌ لَا يُمِيلُها.

المفـــرَدَات

بِالْأُفُقِ المُبِينِ : أي في جِهَةِ الشَّرْقِ بِكُل وُضُوحٍ. «الْأُفُق» هُوَ نِهَايَةُ الْبَصَرِ مِنْ جِهَةِ مَطلَعِ الشَّمْسِ «المُبِين» أَيْ الْوَاضِح وَذلِكَ أَنَّ النَّبيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلْمَ رأَي جبريلَ عليه السَّلام بصورتِهِ الْحقيقيَّةِ التي لا يُدْرَكُ كُنْهُها وقد سدَّ أرجاء الْأَفق وبدا كأنه عليه حرير أَخْضَرُ مُزخرفٌ بالدُّرِّ وله نحو مِنْ ستمائةِ جَناحٍ. ولم يَر النَّبيُّ ﷺ جبريل عليه السَّلام بهذه الْهيْئةِ إلا مرةً واحدةً عند بدايةِ الْوحْيِ. واللهُ تَعَالَى أَعْلَمْ.

الخُـــلاصَـة

أَي كيف تَقُولونَ إِنَّ محمداً مجنونٌ وهو قد رأى جبريل رُؤْيَةً واضحةً صادقةً حتى لقد سَدَّ عليه مطالع الْأُفُقِ بصورته وتلقَّى عنه الْوحْيَ يتلوه عليكمْ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

يعني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّ سيدنا محمّد عليهُ الصلاة والسلامْ شَافْ سيدْنا جِبْرِيلْ المَلَكْ بصورته الْحقيقية رُؤْيَا واضحة مَا فيها شكَ من جهة السَّما على الشَّرقْ ومنَّه أَخَدْ وَحْيَ الله سبحانه وتعالى وتلاه عَليكُمْ، فَكِيفْ تَقُولُوا هُو مجْنُون وهُو بِينزِلْ عليهُ

الْوحي وشافُهْ شُوفاً بَيِّنْ. قالُوا رسولَ اللهَ عليه الصَّلاة والسَّلام اتْبَيَّنْ ليهُ سيدنا جبريل من جهة الْأُفُقْ وغطَّى السَّما بهَيْئتُهْ وكان مِتْلَ اللَّابِسْ حريراً أخضر وفوقْ ليهُ الدُّرْ وليهُ سُتُّماية جناح والنَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام قَالُوا شَافُهْ بِالْهَيْئة دِي.

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ .

تنبيه

قِراءةُ أَبي عَمْرٍو:

وَمَا هُوَ عَلَى الغيْبِ بِظَنِينٍ

وَقِراءةُ حَفصٍ: بِضَنِينٍ.

ورجحَ الطبري قراءةَ الضَّادِ وبها قَرَأ أربعة مِنَ السَّبعةِ وقرأ بِالظَّاءِ أَبو عمرو وابن كَثِيرٍ والْكِسَائي. وترجيح الطبري هَهُنَا استحسانٌ من أَجل التَّفسيرِ، لأَنَّ تفسير ضَنِينٍ بدا له أقوى من تفسير ظَنِينٍ والله أعلم. ولابد لنا هَهُنَا من التَّنبيهِ على أَنَّ المصاحفَ الْعُثمانِيَّةَ جميعها مرسومة بِالضَّادِ لا الظّاء وفي المصاحف التي يقرأ أصحابُها بِالضَّاد يُوضَعُ خَطٌّ أَحْمَرُ فوق الضَّادِ إِشارةً لهذه الْقِرَاءَةِ وهو كذلك في المصاحف الخطيةِ المستعملةِ في السودان.

ولعلّك تَسْأَل: فلماذا قرأ أَبو عمرٍو وابنُ كثير والْكِسائي: بِظَنِينٍ ما دامت مرسومة في المصاحف العثمانيةِ بِالضَّادِ. والجواب عَنْ ذلك أن المصحف الْإِمامَ إِنما كُتِبَ بعد مراجعة الْحُفَّاظِ واستعراضِ القراءات الصحَاح وقد كانت قراءةُ أُبَيّ بن كعب ﷺ بِضَنِينٍ وكانت قراءةُ عَبْد الله بن مسعود ﷺ بِظَنِينٍ وكلتا الْقِرَاءَتينِ قرأ بهما رسولُ الله ﷺ وأُثِرتا عَنْهُ وحُفِظَتا.

ورسمُ الضاد والظاء قد يتشابَه في الرسم الكوفي فلم يَجِدْ كاتبو المصحف الإمام بُدّاً من إثبات أحد الحرفينِ ثم الاعتماد على التَّلقين والرواية المتصلة إلى النَّبي ﷺ في الحرف الآخرِ.

فمن قَرَأ بِالضَّادِ فهو مُصيبٌ ومن قرأ بالظَّاءِ فهو مُصيب. والتَّفسير بهما قوي وإن بدا للطبريِّ أن الضَّاد أقوى فقد بدا للزمخشري أنَّ الظَّاءَ أقوى فقدم التَّفسيرَ بها وكذلك قد بدا للكسائيّ وأبي عمروٍ من قَبْلُ وكلاهُمَا نَحْوِيٌّ مُتضلعٌ في اللغةِ والمسألةُ من حيث أَمْرُ الترجيحِ استحسانِيَّةٌ ونحن هَهُنَا سنذكر التَّفسيرِ بِكلتَا الْقراءَتين لأنهما كِلتَيْهِمَا مأْثورتان قويتانِ ثم ليس معناهما بمتباعِدٍ واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

المفــرَدَات

بِضَنِينٍ	:	الضَنِينُ الْبخيل والمعنى على هذا هو أَنَّ اللهَ قد خاطب أهل مَكَّةَ فقال لهم إنَّ محمداً قد رأى جبريلَ وتلقَّى منه الْوحي وهو ليس بالرجُلِ الذي يَبْخَلُ عليكم بالعلم الذي علْمه اللهُ إِيَّاهُ. والْغيبُ ههنا معناه العِلْمُ الذي كان غائباً عنهم لأَنهم لم يكنْ لهم طريقٌ إلى جبريلَ عليه السلام وإلى معرفةِ الله جَلَّ ثناؤُه وأَوامرِهِ ونواهيهِ.
بظَنِينٍ	:	الظَّنِينُ هو المُتَهَمُ الذي لا يُوثَقُ بهِ. وقيل هو الضعيف الذي يَظُنُّ النَّاسُ أنه عاجزٌ ويكون المعنى على هذا أَنَّ محمداً صادقٌ لَا يُتَّهَمُ بتزوير الْحديث على اللهِ ولا يُمْكِنُ

أن يُقَالَ عنه إِنَّهُ ادَّعَى معرفةَ الْغَيْبِياتِ كرؤْية جبريل عليه السَّلام وأَخذ الوحي عنهُ.

أو يكون المعنى أَنَّ محمداً ليس بالرجلِ الضَّعيف الذي يخافُ منكم فلا يُبلغُكُمْ ما جاءَه من غيوب المعرفة، وإن كنتم تُجابِهُونَهُ بالشر وتقولون له مجنون.

الخُـــلاصَـــة

لَا يخفى أَنَّ هذه المعاني التي تقدَّمت كلها مُتَقَارِبَةٌ لأَنَّ الذي يبخلُ بما علمه الله إِيَّاه أَو يكون مُتَّهَماً فيما يقول إِنه تَعَلَّمَهُ من اللهِ أَو يضعف عن احتمال مسئولية تعليمه، كل ذلك يدخل في معنى عدم التَّبْلِيغِ والخيانة وكلاهما غير جائز في حق الرسل عليهم صلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَة

بِضَنِينٍ: ضنين معناها بخيلْ وَرَبِّنَا بيقُولْ لأَهَلْ مَكَّة: النبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام شافْ سيدنا جبريل عليْهِ السَّلام وأَخد الْوحي مِنُّهْ وهُو مَا هُو بخيلاً بِيِبْخَلْ عليكمْ بِالْعِلِمْ الْ أَدَّاهُ إِيَّاهُ الله مِنْ مَغَيبات علمه. وقَرايةْ الْخَلْوة «بِظَنِينٍ» وَظَنِين معناهُ مُتَّهَمْ ومشكوكْ فِيهُ وَكَضَّاب يعني النَّبي ﷺ صادقْ مَا هُو مُتَّهَمْ ولا هُو مَشْكُوك فيهُ ولَا كَضَّاب يَزوِّرْ على رَبُّه ويقولْ لكُمْ شُفْتَ الْـمَلَكْ وهُو مَا شَافُه

وفي مُفَسرين قَالُوا «ظَنِين» معناه ضعيفْ ويكُون المْعنى النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام مَا هو ضعيف ومَا هُو خَوَّاف وَكَانْ جَاهُ الْوَحي هُو مَا بْيَسْكُت خَايِفْ مِنَّكُمْ ومِنْ قُولكمْ لِيهُ مجْنُونْ لَكِنُّه بِيبَلِّغْ رِسَالَةْ رَبُّه ويَصْبُرْ لِلْأذَى.

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

المفـــرَدَات

رجيم : ملعون

الخُــلاصَــة

أيْ هذا القُرآنُ كلامُ الله نَزَلَ بِه جِبْرِيلُ وَلَيْس بقَولِ شَيْطانٍ مَلْعونٍ ألقاهُ إلى محمَّدٍ حتى تقولوا لهُ أنتَ مجنونٌ أو ساحِرٌ.

خُــلاصَــة بالدارجَـة

يَعْني الْقُرْآن دَا كَلَام الله مَا هُو كَلَام شَيْطَاناً رَجِيمْ مَلْعُون جَابُهْ لِلنَّبِي عَلِيهُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ- حَا شاهُ.

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

الخُــلاصَــة

يُخَاطِبُ رَبُّنَا أَهْلَ مَكَّةَ وَيَلُومُهُمْ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ على مُحَمَّدٍ ﷺ وليس بِكَلَامِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ- وَيَقُولُ لَهُمْ: إِلَى أَيِّ مَكَانٍ تَذْهَبُونَ بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُمْ هذا الْكَلَامِ؟ إِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا أَنْ تَدَّعُو أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوهُ فَأَيْنَ تَهْرُبُونَ وَأَيْنَ ذَهَبَتْ عُقُولُكُمْ؟ أَلَا يَحْسُنُ بِكُمْ أَنْ تَتَدَبَّرُوهُ فَمَا هُوَ إِلَّا تَذْكِيرٌ لِجَمِيعِ الْبَشَرِ لِيَعْرِفوا رَبَّهُمْ وَيَهْتَدُوا. وَهُوَ تَذْكِيرٌ نَافِعٌ لِمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ حَالِ نَفْسِهِ وَيَسْتَقِيمَ. وَلَكِنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِمَشِيئَةِ الله وأَنْتُمْ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِكُمْ لَا تَقْدِرُونَ على شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يُرِيدَهُ اللهُ، فَإِذَا أَرَادَ لَكُمْ الْهِدَايَةَ اهْتَدَيْتُمْ وَإِنْ لَمْ يُرِدْهَا ضَلَلْتُمْ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا هذا الْكَلَامَ الْأَخِيرَ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتَخْفِيفاً عَنْهُ لأَنَّهُ كَانَ يُحْزِنُهُ ضَلَالُ قَوْمِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ أَرَدْتَ لَهُمُ الْهِدَايَةَ والصَّلَاحَ.

خُــلاصَــة بالدارجَــة

رَبَّنَا خاطَبْ أَهْلْ مَكَّة وقَالْ لَهُمْ يَلُومُهمْ بَعَدْ مَا بَيَّنْ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآن كَلَامَ الله وَمَا هُو كَلَامْ شَيْطَانْ: قَالْ لَهُمْ: إِنْتُو هَسَّعْ بِتَمْشُوا وِينْ[1] بَعَدْ مَا سِمِعتو الْكَلَامَ دَا؟ الْكَلَام مَا هُو إِلَّا تَذْكِير لِلنَّاس كُلَّهُمْ لِلدَّايِرْ يِهْتَدِي ويِتْصَلِحْ مِنَّهُمْ لَكِنْ حَقِيقَه مَا في زُولْ بِيقْدَر يهتَدِي إِذاَ رَبَّنَا مَا أَرادْ هِدَايْتُهْ وَمَا في زُولْ عنده مشيئة من عِنْدُه نفسُه إلا من مَشِيئَةْ الله. والْكَلَامْ الْأَخِير دَا رَبَّنَا قَالُه يَسَلِّي بيهُ النَّبي عَلِيهُ الصَّلَاةُ والسَّلَام في شَانْ ضَلَال قُومُه كَانْ مَا بِيسُرُّه. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهَلَ الْهِدَايَة.

وقد تم بحمد الله وعونه تفسير سورة التكوير

(1) الكسرة تحت الواو هنا من أجْلِ الإمالة فهي تَدُلُّ عليها إذ نطق الواو في العامية من الكلمة «وين» بين الفتحة والكسرة والواو منقلبة عن الهمزة في «أين» وبعضنا يقول «أين» من دون قلب.

سورة الانفطار

وهي مَكِيّةٌ آياتُها تِسعَ عشْرَة آيةً

نَزلَتْ بَعْدَ النَّازِعاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)﴾.

المفــردات

انْفطَرَتْ : انشقَّتْ.

انْتَشَرَتْ : تَنَاثَرتْ وَتَسَاقَطَتْ

فُجِّرَتْ : هَاجَتْ وَاخْتَلَطَتْ وَغَمَرَتْ كُلَّ شَيْءٍ. وَقِيلَ يَخْتَلِطُ الْبَحْرُ الْمِلْحُ بِالأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ.

بُعْثِرَتْ : الْبَعْثَرَةُ: تقولُ بَعْثَرَ فُلَانٌ الشيءَ يعني شَتَّتَهُ وَفَرَّقَهُ وَقَلَبَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ وَالأَشْيَاءُ الْمُبَعْثَرَةُ هِيَ الْمُفَرَّقَةُ الْمَقْلُوبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ. وَإِذَا الْقُبُورَ بُعْثِرَتْ الْمُرَادُ مِنْهُ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ أَنَّ الْقُبُورَ تُخْرِجُ أَمْوَاتَهَا فَيَكُونُونَ أَحْيَاءً.

قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ : قَالُوا مَا قَدَّمَتْهُ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ وَأَخَّرَتْهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ. أَوْ مَا قَدَّمَتْهُ مِنْ عَمَلٍ أيّاً كَانَ وَمَا عَجَزَتْ عَنْهُ فَأَخَّرَتْهُ.

وَقِيلَ مَعْنى قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ أَيْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ عَمَلاً فَهَذاَ تَقْدِيمُهُ لَهُ، ثُمَّ يَجِيءُ إِنْسَانٌ آخَرُ فَيُحَاكِيهِ، فَكَأَنَّهُ هُوَ قَدْ أَخَّرَ هذاَ الْعَمَلَ، فَهَذاَ مَعْنَى أَخَّرَتْ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ بَعيدٌ والله تعالى أَعْلمُ.

الخُــــلاصَــة

هذِهِ الْآيَاتُ في أَوْصَافِ الْقِيامَةِ. يَقولُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: حِينَ تَنشَقُّ السَّماءُ وَتَتَساقَطُ النُّجُومُ وَتَتَناثَرُ وَحِينَ تَنفَجِرُ الْبِحَارُ وَتَهِيجُ وَحِينَ تَتبَعْثَرُ الْقُبُورُ بِخُرُوجِ الْأَمْوَاتِ مِنْهَا وَهُمْ أَحْيَاءٌ- حِينَ يَحْدُثُ كُلُّ هذاَ تَعْلَمُ نفس ابْنِ آدَمَ مَا قَدَّمَتْهُ لِرَبِّهَا مِنْ أَعْمالٍ. وَمَا أَخَّرَتْهُ مِنَ الطَّاعِةِ وَالْبِرِّ.

خُــلاصَة بالدارجَة

الْآيَات دِي في وَصِفْ يَوْم الْقِيَامَة. ورَبَّنَا بِيَقُولْ إِذاَ السَّماءُ انْفطَرَتْ. يَعْني وَقت السَّما تِنفَطِرْ يَعْني تَنْشَقَّ وَالْكَواكِب تِنْتَرْ يَعْني تِتْشَتَّتْ دَا وَقِتْ الْبِحَار تَهِيجْ وتِنْفَجِر وَمَالِحها وحُلُوهَا يِخْتَلْطَنْ سَوَا، وَوَقِتْ الْقُبُور تِتْبَحْتَر وَالنَّاس يَمْرُقُوا مِنَّهَا حَيِّين-في الْوَقِتْ دَا نَفِسْ ابْنِ آدم بِتَعرف الْحَقِيقَة- وبِتَعْرِفْ أَلْ قَدَّمَتْه لِربَّهَا مِنَ الْعَمَل شُنُو. والْ أَخَّرتُه مِنَ الطَّاعَة شُنُو.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾.

تنبيه:

قِراءَةُ أَبِي عَمْرٍو: فَعَدَّلَكَ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا. وَرِوَايَةُ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ: فَعَدَلَكَ بِدُونِ تَشْدِيد. وَهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، الْأُولَى قرأَ بِهَا أَرْبَعَةٌ مِنَ السَّبْعَةِ. والثَّانِيةُ قَرأَ بِهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّبْعَةِ وَهُمْ الْكُوفِيُّونَ: عَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

وَالتَّشْدِيدُ فِيهِ التَّأْكِيدُ.

المفـــرَدَات

مَا غَرَّكَ : هذاَ اسْتِفْهَامٌ مُرَادٌ بِهِ التَّعَجُّبُ وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيءٍ جَعَلَكَ تَغتَرُّ بِرَبِّكَ؟ أَيُّ شَيْءٍ غَشَّكَ فِي رَبِّكَ وَأَغْفَلَكَ عَنْ مُرَاقبَةِ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ.

مَا شَاءَ : أَيْ: فِي أَيَّةِ هَيْئَة شَاءَ. وَقِيلَ «مَا» هَهُنَا مَزِيدَةٌ لِتَقْوِيَةِ الْكَلَامِ. وَعَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ تكُونُ اسْمَ شَرْطٍ.

الخُــلاصَــة

يُخَاطِبُ اللهُ ابْنَ آدَمَ مُتَعَجِّباً مِنْ غُرُورِهِ وَغَفلَتِهِ وَالْغَرَضُ مِنْ هذاَ التَّعَجُّبِ التَّنْبِيهُ وَالتَّذْكِيرُ كَمَا أَنَّ فِيهِ مِنَ التَّبْكِيت لأَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ وَجَّهَ الله إِلَيْهِمْ هذاَ الخِطَابَ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَلَى عُمُومِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَكَ تَغتَرُّ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ وَتَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِهِ وَمُرَاقبَتِهِ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكَ وَجَعَلَكَ مُسْتَوِيَ الخِلْقَةِ. وَجَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الْهَيْئَةِ وَالْقَامَةِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَصَوَّرَكَ فِي أَيَّةِ صُورةٍ أُخرَى كَمَا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

رَبَّنَا بِيَخَاطِبْ ابْن آدمَ وَبِيَذَكِّرُه وَبِيَقُولْ لِيهُ يَا بْنِ آدَمْ الْ غَشَّاكْ فِي رَبَّكْ الْكَرِيم شُنُو؟ رَبَّكْ الْكَرِيمْ الْ خَلقَكْ وعَمَلَكْ مُسْتَوِي فِي خِلْقَتَكْ وَعَدَلَكْ وكَانْ فِي إِمْكَانُه يَعْمَلَكْ مَعْوُوجْ وَيَعْمَلَكْ فِي أَيِّ هَيْئَةٍ يُرِيدُهَا.

تعليق

ذَكَرُوا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ نَفْسَهُ «بِالْكَرِيم» ههُنَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: مَا «غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»- لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُلَقِّنَ ابْنَ آدَمَ الْجَوَابَ فَيَقُول لَهُ: غَرَّنِي كَرَمُكَ يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِي. وَهذَا التَّأْوِيلُ عَلَى حُسْنِهِ لَا يُسَايِرُ سِيَاقَ الْآيَاتِ. إِذْ ظَاهِرُهَا عَلَى تَعْمِيمِهِ كَأَنَّهُ فِيهِ تَبْكِيتٌ لِلْكَافِرِينَ وَكَأَنَّ اللهَ قَالَ لِلْكَافِرِ: مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ -ثُمَّ عَادَ فَعَقَّبَ عَلَى هذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّين.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

المفـــرَدات

بالدين : الدِّينُ هُوَ الْحِسَابُ الَّذِي يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «لَحَافِظِينَ» لِلتَّقْوِيَةِ وَالتَّأْكِيدِ.

الخُــلاصَــة

كَلّا أَيُّها الْكُفّارُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَما تَقُولُونَ بِهِ مِنْ عِبادَةِ الْأَصْنامِ وَإِنْكارِ السّاعَةِ وَالْغَفْلَةِ مِنْ حُقُوقِ الله -أَوْ كَلّا أَيُّها الْكُفّارُ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ غافِلِينَ مَغْرُورِينَ مَخْدُوعِينَ عَنْ حَقِيقَةِ رَبِّكُمُ الْكَرِيمِ فَقَطْ، ولكنَّكُمْ مَع ذَلِكَ جاحِدُونَ تُكَذِّبونَ بحسابِ الله الَّذي سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فاعلموا أَنَّ اللهَ قد وَكَّلَ بِكُمْ ملائكةً كِراماً يَحْفَظُون أَعْمالكم ويَكْتُبونها ويَعْلَمُونَ جميع ما تَفْعَلُونَه من خَيْرٍ وشَرٍّ.

خُــلاصَــة بالدارجَــة

يَعْني إِنْتُو يا الْكُفّار بِتكَضّبُوا بِحِسابَ الله- دَا مَعْنَى الدِّينْ يَعْني الْحِساب قِدّامَ الله سُبْحَانَهُ وتَعالَى- وغَاشَاكُمْ نُفُوسْكُم فِي رَبّكُم الْكَرِيم مَعَ إِنُّه رَبَّنا وَكلْ مَلَايْكَه أَطهار يَحْفَظُوا أَعْمالْكُمْ وَيَكتِبُوهَا وَيَعْرِفُوا كُلَّ شي تَعْمَلُوهُ.

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

الخُــلاصَــة

أَيْ يَوْمَ الْحِساب يُثِيبُ اللهُ الْأَبْرارَ بِالنَّعِيمِ الدّائِمِ وَالْأَبْرارُ هُم الصّالِحُونَ. يُثِيبُ الْأَبْرارَ يَعْني يُعْطِيهِمْ الْأَجْرَ وَالثَّواب جَزاءً عَلَى عَمَلِهِم الطَّيِّبِ.

خُـلاصَـة بالدارجَـة

> مَعْنَى الْآيَةْ دِي وَاضِحْ -يَعْنِي الصَّالِحِين في نَعِيم الجَنَّة الدَّايِمْ.

وإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ. وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ.

المفـــرَدَات

الْفُجّار : الْكَفَرَةُ.

يَصْلَوْنَهَا : يَدْخُلُونَ فِيهَا وَيَحْتَرِقُونَ.

يَوْمَ الدِّينِ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ : أَيْ هُمْ لَا يَغِيبُونَ عَنْهَا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله.

تنبيه:

اخْتَلَفُوا في قِرَاءَةِ «يَوْم لَا تَمْلِكُ» فَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو بِالرَّفْعِ هَكَذَا «يَوْمُ لَا تَمْلِكُ» وقراءة حفص (يَوْمَ لا تملكُ) بِالنَّصْبِ. وَكِلَا الرَّفْعِ والنَّصْبِ في هَذَا قَوِيٌّ جَيِّدٌ في الْإِعْرَابِ وأدراك فِيهَا الإِمَالَةُ التَّامَّةُ لأَبِي عَمْرٍو، تُمِيلُ الْأَلِفَ بَعْدَ رَاء أَدْرَاكَ في الْمَوْضِعَيْنِ.

المفـــرَدَات

مَا أَدْرَاكَ : هَذَا اسْتِفْهَامٌ مُرَاد بِهِ التَّعَجُّبُ: أَيْ مَا الَّذِي أَعْلَمَكَ- أَوْ كَيْفَ تَعْلَمُ.

الخُلاصَة:

يَقُولُ تَعَالَى وَصِفاً حَالَ الْكُفَّارِ: إِنَّ الْفُجَّارَ في النَّارِ وَهْيَ الْجَحِيمُ وَيَدْخُلونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبداً.

خُلاصة بالدارجَة:

إن الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ: يَعْنِي الْفُجَّار الْكَفَرَة في نَارَ الْجَحِيم بِيَدْخُلُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَة وَمَا هُمْ مَارْقِين مِنَّها أَبداً.

الخُـــلاصَـــة

يَا مُحَمَّدُ مَاذَا أَعْلَمَكَ بِحَقِيقَةِ يَوْم الدِّينِ أَيْ يَوْم الْحِسَابِ ثُمَّ مَاذا أَعْلَمَكَ بِهَا- وَهَذَا التَّكْرَارُ مُرَادٌ بِهِ التَّأْكِيدُ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ- أَيْ كَيْفَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَعْرِفَ مَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ- إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي لَا تَمْلِكُ فِيهِ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً- لَيْسَ فِيهِ لِإِنْسَانٍ أَيَّةُ سُلْطَةٍ عَلَى الْآخَرِ- لَا رَئِيسَ وَلَا مَرْؤوسَ. إِذْ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْم لله وَحْدَهُ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِيَوَصِّفْ يُوم الْقِيَامَة وبِيقُول لِلنَّبي عَليهُ الصَّلَاةُ والسَّلَام: الْ عَرَّفَكْ والْ أَدْرَاكَ شِنُو بِيوُمَ الْقِيَامَة ثُمَّ أَلْ عَرَّفَكْ وال أَدْرَاكَ بِيهُ شِنُو؟ وَالتَّكْرَار مُرَادْ بِيهُ التَّاكِيد. وبَعَدِينْ رَبَّنَا بَيَّنْ لِينَا حَقِيقَةْ يُوَ الْقِيَامَة وقَالْ لَّنَا: هُو الْيُومْ أَلْ مَا بِيكُون فِيهُ لِنَفِسْ سُلْطَة في شَان السُّلْطَة وَالْأَمْرُ كُلُّه بِيكُون عِنْدَ الله مَا في رَيِّسْ غِيرُه.

وتم بحمد الله وعونه تفسير سورة الانفطار

سورة المطففين

وَهْي مَكِّيَّةٌ آيَاتُهَا سِتٌّ وَثَلاثُون

نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَنْكَبُوت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

تنبيه:

عَلَى النَّاسِ: النَّاس هُنَا رَوَوْا فِيهَا إِمَالَةً تَامَّةً لأَبِي عَمْروٍ بِخِلَافٍ فِي ذَلِكَ والْأَشْهَرُ الْإِمَالَةُ فِي رِوَايَةِ الدُّورِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرو وَبِهَا قَرَاءَتُنا فِي السُّودَانِ وَلَا يُمِيلُهَا حَفْصٌ وَذَكَرَ سِيبَوَيْهِ مَا فَحْوَاهُ أَنَّ إِمَالَةَ النَّاسِ فِي حَالَةِ الجَرِّ مِنَ الْإِمَالَاتِ السَّمَاعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُكْثِرُ الْعَرَبُ مِن اسْتِعْمَالِهَا.

المفــــرَدَات

وَيْلٌ : كَلِمَةُ وَيْلٌ كَلِمَةٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُهَا لِلْوَعِيدِ وَلِلْحَثِّ وَلِلتَّعَجُّبِ وَقَدْ جَاءَتْ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ: «وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ». وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ كَلِمَةَ «وَيْلٌ» حِينَ

تُفْرَدُ هَكَذَا فِي الْقُرْآنِ يُرَادُ بِهَا وَادٍ بِعَيْنِهِ مِنْ أودية جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِ صَدِيدُ أَهْلِ النَّار.

لِلْمُطَفِّفِينَ : اشْتِقَاقُ الْمُطَفِّفِينَ مِنْ كَلِمَةِ الطَّفِيفِ أي الْقَلِيل- تَقُولُ هَذَا شَيْءٌ طَفِيفٌ أَيْ يَسِيرٌ. وَالْمُطَفِّفُ هُوَ الَّذِي يُقَلِّلُ فِي الْوَزْنِ وَالْكَيْلِ. إِذَا كَالَ لَكَ أَوْ وَزَنَ لَكَ أَعْطَاكَ الْقَلِيلَ. وَإِنْ كَالَ مِنْكَ أَوْ وَزَنَ مِنْكَ لِنَفْسِهِ، أَخَذَ لِنَفْسِهِ الْكَثِيرَ وَأَعْطَاكَ الْقَلِيلَ.

اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ : أَي كَالُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّاسِ.

كَالُوهُمْ : أَيْ كَالُوا لَهُمْ- وَهَذِهِ لُغَةُ قُرَيْشٍ يَقُولُونَ كِلْتُكَ طَعَاماً أَيْ كِلْتُ لَكَ طَعَاماً. وَوَزَنْتُكَ طَعَاماً أَيْ وَزَنْتُ لَكَ طَعَاماً. وَزَعَمَ عِيسَى بْنُ عُمَر النَّحْوِيُّ أَنَّ الْوَجْهَ هُوَ: كَالُوا هُمْ أَوْ وَزَنُوا هُمْ أَيْ إِذَا هُمْ كَالُوا أَوْ وَزَنُوا- الْفِعْلُ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مُسْنَدٌ لِوَاوِ الْجَمَاعَةِ. وَهُمْ: تَوْكِيدٌ لِوَاوِ الْجَمَاعَةِ. وَهَذَا جَائِزٌ فِي التَّأْوِيلِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَكَلَّفٌ وَبَعِيدٌ وَمُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ سَائِرُ الْقُرَّاءِ وَالصَّوَابُ إِنْ شَاءَ الله مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفاً.

يُخْسِرُونَ : أَخسَرَ فُلَانٌ الْمِيزَانَ أَيْ نَقَصَهُ مِنْ مِقْدَارِهِ- وَيُخْسِرُونَ أَي يَنقُصونَ الْأَشْيَاءَ مِنْ مَقَادِيرِهَا الْوَاجِبَةِ.

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ : أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ- قَالُوا يَقومُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غَارِقِينَ في الْعَرَقِ يَبْلُغُ الْعَرَقُ إِلَى حُلُوقِهِمْ وَآذَانِهِمْ وَيُلجمُهُمْ. وَقَالُوا يَمْكُثُونَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ ثَلاثِمِائَة سَنَةٍ ثُمَّ يَبْدَأُ الحِسَابُ. اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا أَهْوَالَ الْقِيَامَة.

الخُـــلاصَــة

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ المُطَفِّفِين أَيْ الَّذِينَ يَغُشُّونَ في المكَايِيلِ وَالموَازِينِ لهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَجَزَاؤُهُمْ أَن يُقَادوا إِلَى وَادٍ في جَهَنَّمَ اسْمُهُ وَيْلٌ تَسِيلُ فِيهِ أَصْنَافُ الْقَيْح الَّتِي تَخرُجُ مِنْ جُلُودِ الْكَافِرِينَ. ثمَّ وَصَفَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هؤلاءِ المُطَفِّفِينَ فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ إِذَا اشتَرَوْا مِنَ النَّاسِ شَيْئاً وَكَالُوهُ أَوْ وَزَنُوهُ أَخَذُوا أَكثَرَ مَا يَقدِرُونَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْفَوْا لأَنفُسِهِمْ كُل الاسْتِيفَاءِ. وَإِذَا بَاعُوا لِلنَّاسِ شَيْئاً وَكَالُوهُ أَوْ وَزَنُوهُ نَقَصُوهُ مِنْ مَقدَارِهِ الْوَاجِبِ وَهَذَا هُوَ عَيْنُ الظُّلم وَالخِيَانَةِ

ثُمَّ وَبَّخَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هؤلاءِ المُطَفِّفِينَ فَقَالَ: لِمَاذا يَفعَلُونَ هذَا الْفِعَلَ الْقَبِيح؟ هَلْ هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ لَنْ يَبْعَثَهُمْ مِنَ الْقُبُورِ وَهَلْ هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَنْ يَقِفُوا أَمَامَ اللهِ في الْيَوْم الْعَظِيم المَشهُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ الخَلْقُ قُدَّامَ رَبِّهِمْ وَهُمْ غَارِقُونَ في الْعَرَقِ في أَشَدِّ حَالاَتِ الخَوْفِ وَالْقلق.

خُـلاصَة بالدارجَـة

يَقُولُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ الوِيْلُ[1] يَعني الْعَذَاب وَقَالُوا الوِيْلْ وادِي في جَهَنَّمْ تَسِيلْ فِيه مِدَّة الْكُفَّار الْ بِتَمْرُقْ مِنْ جُلُودْهُم. قَالْ رَبَّنَا سُبْحَانُه وتَعَالَى الْوَادِي دَا بِيتْعَذَّبُوا فِيهُ الْمُطَفِّفِينَ يَعْني النَّاسْ الْ بِيغُشُّوا في التِّجَارَةْ. ورَبَّنَا وَصَفُهمْ قَالْ هُمْ النَّاسْ أَلْ وَقِتْ بِشْتَرُوا حَاجَة مِنَ النَّاسْ وَيَكِيلُوهَا لِنُفُوسُهمْ بِيِسْتَوْفُوا حَقَّهُمْ كَامِلاً ويَاخدُوا أَكْتَرْ مَا يَقْدَرُوا عَلِيهُ لَكِينْ وَقِتْ يَبِيعُوا لِلنَّاسْ وَيَكِيلُوا لِيهُمْ أَوْ يوِزْنُوا لِيهُمْ، يَنْقُصُوا الْحَاجَاتْ مِنْ مَقَادِيرَها. وَبَعَدِين رَبَّنَا بِيوَبِّخْ عَلى الْـمُطَفِّفِين دِيل- بِيَقُولْ يَعْني هُمْ مَا فَاكِرين إِنَّه رَبَّنَا يَبْعَثُهُمْ مِنَ الْقُبُورْ في شان يَحْضَرُوا قُدَّامُهْ في الْيُوم الْعَظِيمْ الْـمَشْهُور، يَعْني في يُومَ الْقِيَامَةْ في شان يَحْضَرُوا قِدَّامُهْ في الْيُوم الْعَظِيمْ الْمُشْهَور، يَعْني في يُومَ الْقِيَامَةْ الْ بِيَقُومُوا فِيهُ النَّاس كُلُّهُمْ لِرَبَّ الْعَالِمِينْ. يَقُومُوا حَفْيَانِينْ عِرْيَانِينْ وَغَرْقَانِينْ في الْعَرَقْ لِي حُلُوقُهمْ وِاضْنِيهُمْ. قَالُوا يَقِيفُوا بِالْحَالَة دِي تُلْتُمِيَّةْ سَنَةْ. وَبَعَدِينْ يَبْدَا الْحِسَاب. اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا أَهْوَال الْقِيَامَةْ.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ ﴾.

تنبيه:

الْفُجَّارِ فِيهَا الْإِمَالَةُ التَّامَّةُ لأَبِي عَمْرٍو- تُمِيلُ الْأَلِفَ الَّتِي بَعْدَ الْجِيم الْمُشَدَّدَةِ. وَأَدْرَاكَ أَيْضاً فِيهَا الْإِمَالَةُ التَّامَّةُ- تُمِيلُ الْأَلِفَ الَّتِي بَعْدَ الرَّاءِ وَلَيْسَت لِحَفْصٍ إِمَالَةٌ ههُنَا.

---

(1) الفتحة فوق الواو والكسرة تحتها تدلان إن شاء الله على الحركة الممالة بين الكسرة والفتحة.

المفـــردات

كَلَّا : رَدْعٌ وَنَهْيٌ عَنْ التَّطفِيفِ الَّذي سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنهُ.

إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ: : سِجِلُ أَعْمَالِهِمْ.

سِجِّينٍ : اختَلَفُوا في سِجِّينٍ مَا هُوَ- وَيَبْدُو أَنَّ الاختِلافَ كُلَّهُ في مَوْضِعِ سِجينٍ في أَي مَكَانٍ هُوَ- لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَيَّنَ لنَا حَقِيقَةَ سِجينٍ بِقَوْلِهِ: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجينٌ؟ كِتَابٌ مَّرْقومٌ». وَيَجُوزُ أَن يُكُونَ جَوابُ الاسْتِفهَام في قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجينٌ؟ مَسْكُوتاً عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: كِتَابٌ مَرْقومٌ تَفسِيرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» . وَلَكِنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ أَشبَهُ بِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ- كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله.

قَالُوا: وَأَصْلُ اشتِقَاقِ سِجِّينٍ مِنَ السِّجنِ وَهْوَ اشتِقَاقٌ يُرَادُ بِهِ التَّهْوِيلُ وَالمُبَالَغَةُ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تبارَكَ وَتَعَالَى اسْمَ سِجِّينٍ عَلَماً لِلديوانِ الَّذِي تُحْفَظُ فِيهِ أَعْمَالُ الْكَفَرَةِ وَالْفَاجِرِينَ وَقِيلَ مَحَلُّ سِجينٍ هَذَا في الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفلَى وَقِيلَ هُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ في المَكَانِ الَّذِي

يَسْكُنُ فِيهِ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ سِجينٌ هَذَا في السَّماءِ الدُّنيَا- وَهَذَا الْوَجْهُ كَأَنَّهُ ضَعِيفٌ واللهُ تعالى أَعْلَمُ.

وقَالُوا إِنَّ رُوحَ الْفَاجِرِ يَصْعَدُ بِهَا الْمَلَكُ إِلَى الْأَرْضِ. فَتَأْبى أَن تَقبَلَهَا الْأَرْضُ. ثُمَّ يَهْبِطُ بِهَا الْـمَلَكَ إِلَى أَسْفَلِ مَكَانٍ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيْث يَسْكُنُ إِبْلِيسُ في مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ سِجِّينٌ وَهُوَ الْـمَوْضِعُ الَّذِي فيهِ دِيوَانُ الْكَفَرَةِ. وَيَسْتَخرِجُ الْـمَلَكُ لَهَا مِنْ ذَلِكَ الْـمَوْضِعَ رَقاً-أَيْ قِطعَةً مِنْ جلِدٍ- فِيهِ أَعْمالَهَا وَيَختِمُ هَذَا الرَّقُّ بَعْدَ أَن يُرِيهَا مَا هُوَ مَكتُوبٌ فِيهِ وليس فيه إِلَّا أَعْمَالُهَا الْقَبيحَةُ وَشَقَاوَتُهَا الْأَبَدِيَّةُ. ثُمَّ بعد ذَلِكَ يَضَعُهُ وَهِي تَرَى وَتَعْلَمُ أَنَّ حِسَابَهَا يَوْمَ الْقِيامَةِ سَيَكُونُ بِمَا هُوَ مَكْتوبٌ لَهَا في هَذَا الرَّق.

هَذَا وَيَبْدُو لي أَنَّهُمْ خَصَّصُوا الرقَّ بِالذكرِ في هَذَا الْـمَوْضِع دُونَ غَيْرِهِ مِنْ وَسَائِلِ الْكِتَابَةِ لأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا ذكَرَهُ في سُورَةِ الطُّورِ حَيْثُ قَالَ: وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ في رَقٍّ مَنشُورٍ وَسَنَعْرضُ لِتَفسِيرِ هَذَا في مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَقَدْ كَانَتِ الْجُلُودُ وَلا زَالَتْ تُعَدُّ بِطَرِيقَة مَخصُوصَةٍ لِتُكْتَبَ عَلَيْها الْوَثَائِقُ. وَلَمَّا كَانَ سِجِلُّ الْأَعْمَالِ الَّتِي

يَعْمَلُهَا الْـمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ بِمَنْزِلَةِ الْوَثِيقَةِ كَانَ الرَّقُّ أَوْلَى شَيْءٍ بِهِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمْ.

مَرْقُومٌ : مَكْتُوبٌ.

الخُــلاصَــة

قَالَ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ الظَّنَّ الَّذِي يَظُنُّهُ التُّجَّارُ الْـمُطَفِّفُونَ مِنْ أَنَّهُمْ لَنْ يُبْعَثُوا ظَنٌّ بَاطِلٌ. وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَعْمَالَ الْفَجَرَةِ تكْتَبُ وَتُوضَعُ في دِيوانٍ اسْمُهُ سِجِّينٌ وَهُوَ الديوانُ الَّذِي تُوضَعُ فِيهِ أَعْمَالُ الْكَفَرَةِ وَقَالُوا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ ثُمَّ سَأَلَ اللهُ نَبِيهُ فَقَالَ لَهُ هَلْ تَعْلَمُ مَا سِجِّينٌ؟ وَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا سِجينٌ وَمَا حَقِيقَتُهُ؟ إِنَّهُ كِتَابٌ مَكْتُوبٌ مُسَجَّلَةٌ فِيهِ أَعْمَالُ الْكَافِرِينَ.

خُــلاصَــة بالدارجَــة

كَلَّا- يَعْني ظَنَّ الْـغَشَّاشِينَ الْ بِغُشُّوا وَقَايْلِينْ رَبَّنَا مَا بِيْبْعَثْهُم ظَنّاً مَا هُو صَحِيحْ. وَأَعْمَالُهُمْ كُلَّهَا مَكْتُوبَه وأَعْمَالَ الْفَجَرَة لِيهَا مَحَلّ اسْمُه سِجِّين. وَانْتَ الْ عَرَّفَكْ بِسِجِّينْ دَا شِنُوا رَبَّنَا هِنَا بِيخَاطِبْ نَبِينَا مُحَمَّد عَلِيهُ الصَّلَاةُ والسَّلَام. سِجِّين دَا الْكِتَابْ الْـمَكْتُوب الْـمَخْتُوتَه فِيهُ أَعْمَال الْكَافِرِينَ. بَعَض الْـمُفَسِّرِينْ قَالُوا مَحَل سِجِّينْ تِحْتَ الأَرِض السَّابْعَةْ.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدينِ. وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَاياتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

المفـــردات

وَيْلٌ	:	الْوَيْلُ وَادٍ في جَهَنَّمْ كَمَا ذَكَرْنَا آنِفاً. أَوْ هُوَ بِمَعْنَى الْعَذَابِ وَهُوَ الْـمَعْنَى اللُّغَوِي.
يَوْمَئِذٍ	:	أَيْ في ذَلِكَ الْيَوْم الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
بِيَوْم الدينِ	:	يَوْمُ الدينِ هُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ	:	أَيْ كلُّ صَاحِبِ عُدْوانٍ على الحَقِّ وخَطَايا وإِثْمٍ وَمَعْصِيةٍ للهِ وخُرُوجٍ عنْ طَاعِتهِ. معتدٍ: صَاحبِ عُدْوانٍ. أَثِيمٍ خَاطِىءٍ وشَدِيدِ الخَطإِ والإِثْم.
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	:	أَيْ أَخْبَارُ الْأَولِينَ الْمَسْطُورَةُ في الْكُتُبِ. وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَتَّهِمُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّهُ يَنْقُلُ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ وَيَدَّعِي ذَلِكَ لِنَفْسِهِ وَجَاءَ في سُورَةِ الْفُرْقَانِ: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً.

الخُـــلاصَـــة

قالَ تَعالَى ما مَعْنَاهُ: الْهَلَاكُ والْوَادِي الْـمُؤْذِي في جَهَنَّمَ سَيَكُونُ نَصِيبَ الْـمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يكذِبون بِيَوْم الْحِسَابِ وَمَا يُكَذِّبُ بِيَوْم الْحِسَابِ إِلَّا كُلُّ كَافِرٍ مُعْتَدٍ مُجْرِمٍ أَثِيمٍ إِذَا سَمِعَ

مُحَمَّداً يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ الله قَالَ هذَا كَلَامٌ مَنْقُولٌ مِن الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ - قالَ ذَلِكَ كُفراً وَجُحُوداً لَعْنَةُ الله عَلَيْه.

خُلاصَة بالدارجَة

قَالَ رَبُّنَا مَا مَعْنَاهُ: الْوَادِي الْ فِي جَهَنَّمْ الْ إِسْمُه وَيْلْ، دَا بَعَدين بيكُون[1] نَصِيبَ الْكَافِرِينَ الْـمُكَذِبين أَلْ بِكَذِّبُوا[2] بِيُوْمْ الْقِيَامَة وَالْحَقِيقَةْ مَا يَكَذِّب بِيُومَ الْقِيامَةْ إلا كُلُّ مُعْتَدِي مُجْرِمْ مِتْلَ أَبْ جَهلْ وَالنَّضر بْن الْحَارِثْ وَقِتْ يَسْمَعَ النَّبي عَلَيهُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ يَقْرَا عَلِيهُ آيَاتَ الله يَقُول بَسْ: دَا كَلَاماً نَقَلُه مِنَ الْ كُتُبْ ال فِيهَا أَخْبَارَ النَّاس الْقُدَامْ.

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

تنبيه

أَبُو عَمْرٍو يُدْغِمُ لَامَ بَلْ فِي رَاءِ رَانَ هَكَذَا: «كَلَّا بَرَّانَ» هَذِهِ طَرِيقَةُ النُّطْقِ لَا الْكِتَابَةِ. طَرِيقَةُ الْكِتَابَةِ: «كَلَّا بَل رَّانَ»[3] وَحَفْصٌ يَسْكُتُ بَعْدَ بَلْ سَكْتَةً صَغِيرَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ يِنطِقُ رَانَ..

(1) بعدين بيكون: أي سيكون في المستقبل الباء كأنها مختزلة من الفعل باءَ والله أعلم.

(2) النطق الدارج بكضبوا بالضاد وأثبتناه أحياناً.

(3) بفتحة للباء واللام شكل والراء مشددة مفتوحة للإدغام وسائر ما بقي واضح إن شاء الله تعالى. قال صاحب غيث النفع هامش سرج القارئ مصر ١٣٧٣ (حلبي) ٣٨٢ (هامش) بل ران، قرأ حفص بسكتة لطيفة على اللام ومن لازمه إظهار اللام له وغيره يدغمه في الراء من غير خلاف. اهـ.

المفـــرَدَات

رَانَ : فِعْلٌ مَاضٍ مُضَارِعُهُ يَرِينُ أَيْ غَشَّى يُغَشِّي وَغَطَّى يُغَطِّي وَهْيَ كَلِمَةٌ جَيِّدَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى التغْطِيَةِ التِي تُشْبِهُ تَغْطِيَةَ الصدَإِ لِلْحَدِيدِ وَالْوَسَخِ لِلْجِلْدِ. تَقُولَ رَانَ الصدأُ عَلَى الْحَدِيدَ وَرَانَ الْوَسَخُ عَلَى جِلْدِهِ حَتى لَا تَعْرِفُ هَلْ هُوَ أَسْمَرُ أَوْ أَسْوَدُ أَوْ أَبْيَضُ.

وَالْـمُرَادُ هُنَا أَن الْآثَامَ وَالْمَعَاصِيَ التِي كَانَ يَفْعَلُهَا هؤُلَاءِ الْكُفارُ قَدْ رَكِبَتْ قُلُوبَهُمْ مِثْلَ الصدَإِ وَمَنَعَتْهُمْ مِن رُؤْيَةِ نُورِ اللهِ. قَالُوا إِن الْإِنْسَانَ إِذَا أَذْنَبَ رَكِبَ قَلْبَهُ الْوَسَخُ فَإِذَا تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ الْوَسَخُ وَانْصَقَلَ قَلْبُهُ وَإِذَا لَمْ يَتُبْ وَاسْتَمَر يُذْنِبُ غَطى قَلْبَهُ الرانُ (أو الرينُ) وَهُوَ صَدَأُ الذنوبِ وَوَسَخهَا.

لَمَحْجُوبُون : اللَّامُ للتأْكِيدِ. وَالْـمُرَادُ أَن هؤلاءِ الْكفرة يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْجَبُون عَنْ رَبِّهِمْ. فَلَا يَرَوْنَهُ وَلَا يكْرِمُهُمْ.

وَقَالُوا هَذِهِ الْآيَة يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى أَنَّ الْـمُؤْمِنينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ أَمَّا الْكَافِرُونَ فَيُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ.

وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْـمُرَادُ أَنَّ الْكَافِرِينَ مَحْجُوبُونَ عَنْ كَرَامَةِ

رَبِّهِمْ والقولُ الْأَوَّلُ أَشْبَهُ بظاهِرِ التنزِيل وهُوَ مَا رجَّحَه الطبريُّ والله تعالى أعلم.

لَصَالُوا الجَحِيمِ : تُكْتَبُ في الْـمَصَاحِفِ هَكَذَا لَصَالُوا الجَحِيمِ بِأَلِف بَعْدَ الْوَاوِ والطَّرِيقَةُ الإِمْلَائِيَّةُ الْمُتَبَعَةُ الْآنَ لَا تَضَعُ الْأَلِفَ إِلَّا بَعْدَ وَاوِ الجَمَاعَةِ التِي مَعَ الْفِعْلِ مِثَال كَتَبُوا وَلَمْ يَكْتُبُوا. وَفي الْـمَصَاحِفَ تُوضَعُ دَائِرَةٌ لِلدِّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَلِفَ لَا يُنْطَقُ بِهَا. وَاللَّامُ في قَوْلِهِ تَعَالَى «لَصَالُوا الجَحِيم» لِلتَّقْوِيَةِ وَالتَّأْكِيدِ. وَالْـمَعْنَى إِنهم لَصَالُونَ الجَحِيمَ[1] أَيْ إِنهُمْ لَدَاخِلُونَ حَقّاً في الجَحِيم وَمُحْتَرِقُون بها.

ثُمَّ يُقَالُ : أَيْ يَقُولُ لَهُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ رَبِّنَا عَزّ وَجَل.

الخُـــلاصَة

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ الله وَلَيْسَ مَنْقُولَا مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ وَلكِنَّهُمْ كَافِرُون مُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ رَكِبَتْ قُلُوبَهُمْ غِشَاوَةٌ كَثِيفَةٌ مِنَ الْآثَامِ وَالجَرَائِمِ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيُحْجَبُونَ عَنْ رَبِّهِمْ إِهَانَةً لَهُمْ ثُمَّ يُدْخَلُونَ نَارَ جَهَنَّمَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ

(١) بنصب الميم تجعلها مفعولاً به.

الْـمَلائِكَةُ ذُوقُوا هَذَا عَذَابُ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تكَذِّبُونَ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ وَكَلِمَةُ كَلاَّ مُكَرَّرَةٌ تَأْكِيداً لِلرَّدْعِ والزَّجْرِ.

خُـــلاصَة بالدارجَـة

يَقُولُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: الْقُرْآنْ دَا مِنْ عِنْدِ الله وَهُمْ بَسْ مُعَانِدِين وقُلُوبُهُمْ غَطَّاهَا الْكُفُرْ الكَتِير الْ عَمَلُوهُ وَالْمَعَاصِي الْ ارْتَكَبُوهَا وَيَوْمَ الْقِيَامَة هُمْ مَحْجُوبِينْ مِنْ النَّظَرْ لربِّهم وَمَهَيُونِينْ وبَعَذِينْ يَدُخْلُوا النَّار ويَقُولُوا لِيهُمْ الْـمَلَائِكَه ضُوقُوا دِي النَّار الْ كُنْتُوا بِتَكَضِّبُوا بِيهَا يا كُفَّار.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

تنبيه:

لِأَبِي عَمْرٍو إِمَالَتَانِ تَامَّتَانِ هَهُنَا: إِمَالَةُ (الْأَبْرَارِ) الْأُولَى: تُمِيلُ الْأَلِفَ الَّتِي بَيْنَ الرَّاءَيْنِ. وَإِمَالَةُ أَدْرَاكَ تُمِيلُ الْأَلِفَ الَّتِي بَعْدَ الرَّاءِ.

أَمَّا الْأَبْرَارُ الثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «إِنَّ الْأَبْرارَ» فَلَيْسَتْ فِيهَا إِمَالَةٌ لأَنَّكَ إِنَّمَا تُمِيلُ أَمْثَالَ هَذِهِ الْكَلِمةِ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ وَحْدَهُ.

المفـــردات

إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ : أَعْمَالَهُمُ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ.

لَفِي عِلِّيِّينَ : اللَّامُ لِلتَّقْوِيَةِ وَالتَّوْكِيدِ. عِلِّيِّين أَصْلُهَا في اللُّغَةِ مِنَ الْعُلُو أَيْ عُلُوٌّ فَوْقَ عُلُوٍّ. وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى لَنَا عِلِّيِّينَ مَا هُوَ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى «كِتَابٌ مَرْقُومٌ». وَهُوَ ضِدُّ سِجِّينِ الَّذِي هُوَ دِيوَانُ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ. فَعِلِّيُّونَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ دِيوَانُ أَعْمَالِ الْأَخْيَارِ.

وَاخْتَلَفُوا في مَوْضِعِ عِلِّيِّينَ- فَقَالُوا في السَّمَاءِ عِنْدَ اللهِ. وَقَالُوا في السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. وَقَالُوا عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ الْيُمْنَى. وَقَالُوا عِنْدَ سِدْرَةِ الْـمُنْتَهَى. وَقَالُوا في الْجَنَّةِ وَعِلِّيُّونَ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَنَّةِ. وَقَالُوا إِنَّ رُوحَ الْـمُؤْمِنِ تَعْرُجُ فَتَلَقَّاهَا الْـمَلَائِكَةُ بِالْبُشْرَى وَتَتجَاوَزُ بِهَا السَّموَاتِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ وَهُنَاكَ عِلِّيُّونَ وَيُخْرَج لَهَا كِتَابُهَا في رَقٍّ أَيْ قِطْعَةٍ مِنْ جِلْدٍ وَيُخْتَمُ أَمَامَهَا وَتَعْلَمُ أَنَّهَا نَاجِيَةٌ وَمُفْلِحَةٌ وَدَاخِلَةٌ الْجَنَّةَ. وَالتَّأْوِيلُ عِنْدِي هُوَ مَا أَوَّلَهُ الطَّبَرِي مِنْ أَنَّ عِلِّيِّينَ مُرَادٌ بِهَا غَايَةُ الْارْتِفَاعِ واللهُ تَعَالَى أَعْلَم.

المُقَرَّبُونَ : الْـمَلَائِكَةُ الْـمُقَرَّبُونَ.

الخُــــلاصَــة

كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ. إِنَّهُ سَتَكُونُ قِيَامَةٌ وَحِسَابٌ وَعِقَابٌ وَثَوَابٌ. وَإِنَّ أَعْمَالَ الْأَخْيَارِ الْأَبْرَارِ مَكْتُوبَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ فِي عِلِّيِّينَ. وَإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ مَا عِلِّيُّونَ هَذَا- إِنَّهُ دِيوَانٌ مَكْتُوبَةٌ فِيهِ أَعْمَالُ الصَّالِحِينَ فِي غَايَةِ الْعُلُوِّ وَالارْتِفَاعِ وَالْكَرَامَةِ. ذَلِكَ بِأَنَّ الْـمَلائِكَةَ أَنْفُسَهُمْ يَشْهَدُونَهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. أَلَا إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ حَقّاً.

خُــــلاصَــة بالدارجَـة

رَبَّنَا بِيَوَبِّخ الْكُفَّارْ عَلَى كُفْرُهْم وبِقُولْ لهُمْ إِنُّه الصَّالِحِين أَعْمَالُهُمْ مَكْتُوبَةْ فِي مَحَلْ اسْمُه عِلِّيِّين وانْتَ يَا مُحَمَّدْ- رَبَّنَا هِنَا بِيَخَاطِبْ نَبِينَا عَلِيهُ الصَّلَاةُ والسَّلَامْ- الْ عَرَّفَكْ والْ أَدْرَاكَ شِنُو بِي عِلِّيِّينْ دَا؟ عِلِّيِّينْ دَا كِتَاب مَكْتُوبْ مُدَوَّنه فِيهُ أَعْمَال الصَّالِحِينْ وهو فِي غَايَة الْإِرتِفَاع عِنْد الله حَتَّى الْـمَلَايْكَة الْـمُقَرَّبين نَفْسُمْ بِيَشَاهْدُوهُ. وَالْحَقِيقَة الْأَبْرَارَ الصَّالِحِين فَايْزِين فِي شان هُمْ بَعَدِين حَقّاً بِيكُونُوا فِي نَعِيمْ.

وَالْـمُفَسِّرِينْ اخْتَلَفُوا فِي عِلِّيِّينْ دَا- جَمَاعَةْ مِنَّهُمْ قَالُوا فِي السَّمَا السَّابِعْ وَجَمَاعَةْ قَالُوا فِي الجَنَّة وَجَمَاعَهْ قَالُوا عِنْدَ الْـعَرِشْ الْعَظِيم وَالمعنَى مَتْقَارِبْ. فِي شَان عِلِّيِّينْ مَعَنَاهُ عَالِي خَلَاصْ.

عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْـمُتَنَافِسُونَ.

المفـــردات

عَلَى الْأَرَائِكِ	: جَمْعُ أَرِيكَةٍ وَهِيَ السَّرِيرُ وَقِيلَ أَسِرَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ وَعَلَيْهَا الْأَكْسِيَةُ مَنَ السُّنْدُسِ.
نَضْرَةَ النَّعِيمِ	: أَيْ جَمَالَهُ وَرَوْنَقَهُ.
مِن رَّحِيقٍ	: أَرَادَ عَزَّ وَجَلَّ-وَهُوَ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ-خَمْرَ الآخِرَةِ، والعَرَبُ تُسَمِّي الْخَمْرَ الرَّحِيقَ.
مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ	: اخْتَلَفَ الْـمُفَسِّرُونَ في تَأْوِيلِ «مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ» فَقَالُوا الْـمُرَادُ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ خَتْمِ الْخَمْرِ أَيْ جَعْلِ غِلَاف عَلَى إِنَائِهَا وَكَانُوا يَجْعَلُونَ هَذَا الْغِلَاف مِنْ طِينٍ مَخْصُوصٍ وَيَفُضُّونَهُ عَنْهَا إِذَا أَرَادُوا شَرَابَهَا فَأَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ أَنْ يُرِيهُمْ أَنَّ خَمْرَ الْـجَنَّةِ تُغَلَّفُ بِالْمِسْكِ لَا بِالطِّينِ. وَقِرَاءَةُ الْكِسَائِي أَحَدِ السَّبْعَةِ «خَاتَمُهُ» بِفَتْحِ الْخَاءِ بَعْدَهَا أَلِفٌ وَفَتْحِ التَّاء ثُمَّ مِيمٌ مَرْفُوعَةٌ وَهَاءُ الضَّمِيرِ تَنْظُرُ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَقَدْ أَبَاهُ الطَّبَرِي بِحُجَّةِ أَنَّ الْخَمْرَ تَجْرِي أَنْهَاراً في الْجَنَّةِ. وَقَالُوا مَخْتُومٌ أَيْ مَخْلُوطٌ بِالْمِسْكِ وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِسَيِّدِنَا عَبْدِ الله بن مَسْعُودٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ.

وَقَالُوا خِتَامُهُ مِسْكٌ أَيْ عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ أَيْ أَنَّ الشَّارِبِينَ يَجِدُونَ رَائِحَةَ المِسْكِ في نِهَايَةِ شَرَابِهِمْ وَهَذَا التَّأْوِيلُ رَجَّحَهُ الطَّبَرِي وَتَابَعَهُ الدَّيْرِيني في مَنْظُومَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ حَيْثُ قَالَ:

وَمِنْ رَحِيق خَمْرَةٍ عَتيقَهْ

خِتَامُهُ: آخِرُهُ حِقيقَةْ

وَقِيلَ بَلْ آنِيَةٌ مَخْتُومَةْ

بِالمِسْكِ كَالآنِيَةِ الْمَعْلُومَةْ

وَفَصَّلَ الزَّمَخْشَرِي- فَجَعَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: «مَخْتُومٍ» بِمَعْنَى مُغَلَّفٍ بِالمِسْكِ وَجَعَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: «خِتَامُه» بِمَعْنَى آخِرُهُ وَللهِ دَرُّهُ. وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا مِنْ أَوْلَى التَّأْوِيلاتِ وَأَجْمَلِهَا وَأَحْوَاهَا وَاللهُ أَعْلَم وَسَأَعْرِضُ لَهُ في الْخُلَاصَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الخُلاصَة

يَقُولُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ الْأَبْرَارَ مُنَعَّمُونَ يَجْلِسُونَ عَلَى أَرَائِكَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مُتَمَتِّعِينَ وَيُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ عَتِيقَةٍ مَخْتُومَة وَلَكِنَّ خِتَامَهَا مِسْكٌ. إِذْ أَنَّهَا لَا تُشْبِهُ خَمْرَ الدُّنْيَا بَلْ هِيَ خَمْرُ الْجَنَّةِ الَّتي فِيهَا الخُلُود. وَمِنْ أَجْلِهَا وَأَجْلِ لَذَّاتِ الْآخِرَةِ جَمِيعاً يَنْبَغي لِلْمُتَنَافِسِينَ أَنْ يَتَنَافَسُوا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ إِذْ لَا مَعْنَى لِلتَّنَافُسِ طَمَعاً في عَرَضِ الدُّنْيَا. هَذَا وَقَدْ رَأَيْتَ اخْتِلَافَ الْمُفَسِّرِينَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ» كَمَا عَرَضْنَاهُ لَكَ. وَعِنْدِي أَنَّ الْآيَةَ فِيهَا سُخْرِيَةٌ- والله تعالى أَعلمُ بِمَذْهَبِ الجَاهِلِيِّينَ في أَوْصَافِ الخَمْرِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ

رِجْسٌ، إِذْ كَانُوا يُبَالِغُونَ فِي ذِكْرِ عِتْقِهَا وَيَتَحَدَّثُونَ عَنْ طِيبِهَا الَّذِي تُخْتَمُ بِهِ وَيَتَحَدَّثُونَ عَنْ طَرِيقَةِ مَزْجِهَا وَيَدَّعُونَ أَنَّهَا تُمْزَجُ بِالْمَاءِ الصَّافِي الَّذِي هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحُ الشَّمَالِ وَبِالْعَسَلِ وَبِالْمِسْكِ. وَأَرَادَ الْقُرْآنُ أَن يَسْخَرَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ هَذِهِ بِالتَّهوين مِن شَأْنِهَا إذ هي باطلةٌ لا حقيقة لَهَا وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ هَذِهِ الْخَمْرَ الَّتِي تَصِفُونَهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ بَلْ هِيَ رِجْسٌ وَلَكِنَّ الْخَمْرَ الْحَقِيقِيَّةَ الْمُطَهَّرَةَ هِيَ الَّتِي يَنَالُهَا الْأَتْقِيَاءُ فِي الآخِرَةِ وَهْيَ خَمْرٌ مَخْتُومَةٌ كَمَا تَقُولونَ إِنَّ خَمْرَكُمْ مَخْتُومَةٌ وَلَكِنَّ خِتَامَهَا مِسْكٌ.

وَجَعْلُ الْمِسْكِ خِتَاماً يُخْرِجُ هَذِهِ الْخَمْرَ الَّتِي وَصَفَهَا الله تَبارَك وَتَعَالَى مِنْ مُشَابَهَةِ أَصْنَافِ الْخَمْرِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا. إِذْ لَوْ صَارَ الْمِسْكُ خِتَاماً فَإِنَّ الْخَمْرَ الَّتِي يُخْتَمُ بِهَا تَصِيرُ بِعِيدَةً عَنِ الإِدْرَاكِ وَيَكُونُ طِعْمُ الْمِسْكِ وَرَائِحَتُهُ مُخَالِطَةً[1] لَهَا كَمَا رُوِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيَجِدُ الشَّارِبُونَ فِي آخِرِهَا رَائِحَةَ الْمِسْكِ كَمَا ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ وَالله قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يُهَيِّئَهَا لِعِبَادِهِ فِي دِنَانٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَيَكُونُ خَاتَمُهَا أَيْ غِلَافُهَا مِنْ الْمِسْكِ فَهَذَا لَا يُنَافِي كَوْنَهَا جَارِيَةً فِي أَنْهَارٍ. وَلَكِنَّ هَذَا التَّأْوِيل يُظْهِرُ لَكَ قُوَّةَ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِي وهو بعد كَأَنَّه تفريعٌ وتفصيلٌ لِقول الطَّبَرِيِّ واللهُ أَعْلَمُ.

وَالْقُرْآنُ بَعْدُ فِيهِ أَوْصَافٌ كَثِيرَةٌ تَنْظُرُ إِلَى أَوْصَافِ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ نَظَرَ التَّحْقِيرِ لِقَدْرِهَا وَالسُّخْرِيَةِ وَالتَّهَكُّمِ بِهَا لَا سِيَّمَا فِي بَابِ نُعُوتِ الْخَمْرِ وَالنِّسَاءِ وَاللَّذَّاتِ الَّتِي كَانَ يَصِفُهَا الْجَاهِلِيُّونَ وَالْمَآثِرِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَاثَرُونَ وَيَتَفَاخَرُونَ بِهَا وَمَا إِلَيْهَا مِنْ ضُرُوبِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ الْفَاسِدَةِ. مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ

(1) أي يكون طعم المسك مخالطاً لها ورائحته مخالطة لها وسوغ هذا الاختصار أن الطعم إنما هو جزء من الرائحة، والله أعلم.

لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾.

وَلَا يَخْفَى مَافي هَذَا مِنَ التَّعْرِيضِ السَّاخِرِ بِنُعُوتِ الْجَاهِلِيِّينَ أَمْثَالِ قَوْلِ امْرِىءِ الْقَيْسِ «وَبَيْضَة خِدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا» وَقَوْلِ عَلْقَمَة:

أَبْيَض أَبْرَزَهُ لِلضِّحِّ رَاقِبُهُ مُقَلَّدٌ ... قُضُبَ الرَّيْحَانِ مَفْغومُ

وَقَوْلِهِ:

تَشْفِي الصُّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيهِ صَالِبُهَا ... وَلَا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ

وَنَاحِيَةُ السُّخْرِيَةِ أَنَّ أَوْصَافَ الْجَاهِلِيِّينَ الَّتِي يَذْكُرُونَهَا كُلَّهَا مُبَالِغٌ فِيهَا وَلَا تَنْطَبِقُ حَقّاً عَلَى مَا يَذْكُرُونَهُ مِن مُتَعِ الدُّنْيَا إِذْ كُلُّهَا ظَاهِرَةُ الْعُيُوبِ وفانِيةٌ. وَمُتَعُ الْآخِرَةِ مُبَرَّأَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ وفانِيةٌ. وَمُتَعُ الْآخِرَةِ مُبَرَّأَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ وخَالِدَةٌ. وَكَأَنَّ الْقُرْآنَ يُرِيدُ وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ أَنْ يَقُولَ لِهَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ لَيْسَ الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ مَا تَذْكُرُونَهُ وَلَكِنَّهُ رَحِيقُ الْآخِرَةِ لَوْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ يَا هؤُلَاءِ. وَيُصَحِّحُ هَذَا الْوَجْهَ الَّذِي نَذْهَبُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ مَا رَوَوهُ مِنْ أَنَّ لَبِيداً كَانَ يُنْشِدُ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

وَكَانَ ذلِكَ فِي أَوَائِلِ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ وَسَمِعَهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ فَاسْتَحْسَنَ الشَّطْرَ الْأَوَّلَ وَهُوَ: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ» وَقَالَ لَهُ صَدَقْتَ وَلَكِنْ لَـمَّا سَمِعَ الشَّطْرَ الثَّانِي: «وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ». قَالَ لَهُ كَذَبْتَ لِأَنَّ نَعِيمَ الْآخِرَةِ لَا يَزُولُ وَغَضِبَ لَبِيدٌ مِنْ هَذَا الاعْتِرَاضِ غَايَةَ الْغَضَبِ أَوْ كَمَا قَالُوا.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

يَقُولُ رَبَّنَا مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْأَبْرَارَ مُتَنَعِّمِين قَاعْدِين فُوق كَنبَاتَ الجَنَّةْ وسَرَايِرهَا يَعَايْنُوا لِلنَّعِيم. وقَالُوا الْكَنبَاتْ دِي مَعْمُولَة منَ اللُّولِي وَالدَّهَبْ[1] والْـمَعَادِنْ الْفَاخْرَةْ. وبَعَدِينْ رَبَّنَا يَسْقِيهُنْ خَمْرَة مَخْتُومَة يَعْني لِيهَا خِتِمْ مِنْ فُوقْ لِيهَا، لَكِنَّه مَا هُو طِين مِتْلَ الخَمُور الْ كَانُوا بِيشْرَبُوهَا النَّاسْ أَهَلْ الْخُمُورْ في الدُّنْيَا وتَجِيهُمْ في بُرام وقَزَايِزْ مَخْتومَة بالطِّينْ مِن فُوقْ. خِتِمْ خَمْرَةَ الجَنَّة مِسك. وَالْـمؤْمِنين بِيَشُمُّوا فِيهَا الْمِسكْ وَيَلْقُوا في آخِرهَا رِيحَة الْمِسكْ مُو الرِّيحَة الْعفْنَة الْ بِيَلْقُوهَا شُرَّابَ الْخُمُور في الدُّنْيَا الزَّايلَهْ دِي.

دَا نَعِيم الْآخْرَة والدَّايِرْ يَبْغَرْ مِنْ رَفيقُهْ أَخِير يَبْغَر مِنُّه في الْعَمَلْ الصَّالِحْ الْ بِيوصَّلْ لِنَعِيم الْآخْرَة دَا الْ يَسْتَحِق يِتْنَافَسُوا فِيهُ النَّاس. مَا في مَطَامِع الدُّنْيَا الْفَانْيَة.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

المفـــرَدَات

مِنْ تَسْنِيمِ : قِيلَ «تَسْنِيم» عَيْنٌ تَخْرُجُ مِنْ سَاقِ الْعَرْشِ. وَقِيلَ أَشْرَفُ عَيْنٍ في الجَنَّة وَأَصْلُ التَّسْنِيمِ الْعُلُوُّ. قَالُوا إِنَّ السَّابِقِينَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ يُسْقَوْنَ خَمْرَ الْجَنَّةِ صِرْفاً وَتُمْزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ومَزِاجُهَا مِنْ عِيْنٍ اسْمُهَا تَسْنِيم. وَقَالُوا تَسْنِيم خَفَايَا أَخْفَاهَا اللهُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ.

(1) الجيد في الدارجة: الضهب بالضاد مكان الذال و-فشت الآن لهجة بالدال.

عَيْناً : هَذَا وَصْفٌ وَتَبْيِينٌ لِلتَّسْنِيمِ مَا هُوَ- وَمَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ.

وَالْـمُقَرَّبُونَ هُمُ الصَّالِحُونَ الْـمُقَرَّبُونَ مِنَ اللهِ.

الخُـلاصَـة

يَقُولُ تَعَالَى: وَإِذَا شَاءُوا مَزْجَ هَذِه الْخَمْرَةِ الَّتِي فِي طَبِيعَتِهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ فَإِنَّهَا تُمْزَجُ لَهُمْ بِمَاءٍ مِنْ عَيْنٍ شَرِيفَةٍ عَالِيَةِ الْقَدْرِ فِي الْجَنَّةِ اسْمُهَا تَسْنِيم تَخْرُجُ مِنْ سَاقِ الْعَرْشِ وَهَذِهِ الْعَيْنُ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ الْـمُقَرَّبُونَ.

خُـلاصَـة بالدارجَـة

يَقُولُ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: وَخَمْرُ الْآخرَة الْعَجِيبَة الْ فِيهَا الْمِسِكْ لَـمَّا يَدُورُوا يَكْسِرُوهَا ويَمْزِجُوهَا يَكُونْ مِزَاجَها مِنْ تَسْنِيم والتَّسْنِيمْ فِي لُغَةَ الْعَربْ مَعْنَاهُ الشَّرَفْ وَالْـمَكَانْ الْعَالِي. وفي[1] عِين فِي الْجَنَّة قَدْرَهَا رَفِيعْ عَالِي سَمَّاهَا ربَّنا عَزَّ وَجَلَّ «تَسْنِيم» بِتَخْرُجْ مِنْ سَاقْ الْعَرِشْ الْعَظِيمْ[2] وَيَشْرَبُوا بِيهَا عَبَادَ اللهِ الْـمُقَرَّبُون يَمْزُجوا لِيهُمْ بِيهَا خَمْرَةَ الْجَنَّة.

(1) وفي: اختصار «وفيه» أي وفي المكان وثَم بفتح الثاء وتشديد الميم أي وتُوجَد وهناك كما نقول الآن أخذاً عن الافرنجية والله أعلم. وكلمة في بمعنى يوجد كثيرة الدوران في اللغة الدارجة.

(2) العرش بفتح العين وكسر الراء وسكون الشين أو بسكون الراء وكسر الشين أو بسكون الراء وكسر الشين لمكان الصفة بعدها- كلاهما يقال في الدارجة والله أعلم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

الخُـــلاصَـــة

رَبُّنا عزَّ وَجلَّ يُخْبِرُنا هُنا بِحالِ الْكُفَّار وَمُعامَلَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنينَ. يَقُولُ ما مَعْناهُ: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا أَيْ إِنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا في جَنْبِ الله وَفي حَقِّ أَنْفُسِهِمْ كَانُوا إِذَا لاقَوا الْـمُؤْمِنِينَ ضَحِكوا مِنْهُمْ واسْتَهزَئُوا بِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ في طَرِيقٍ تَغامَزُوا عَلَيْهِمْ واغْتَابُوهُمْ وَتَهَكَّمُوا عَلَيْهِمْ.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـة

يَصِفُ رَبّنَا حالَةَ الْكُفَّار مَعَ الْـمُؤْمِنِينْ. قَالْ إِنَ الَّذِين أَجْرَمُوا يَعْني الْكُفَّارْ الْـمُجْرِمِينَ الْ أَجْرَمُوا في حَقّ الله وفي حَقّ نُفُوسُهم ذَاتها فِي شَان تَرِكُوا عِبادَةَ الله- يَقُولْ الْمُجْرِمِينْ دِيلْ كَانُوا في الدُّنْيا وَقِتْ يَلاقُوا النَّاس أَلْ آمَنُوا بِمُحَمَّد يَضْحَكُوا مِنَّهُمْ وِيِتْهَزُّوا بِيهُمْ وَإِذا مَرُّوابِيهُم في الطَّرِيقْ يِتْغامَزُوا عَلِيهُمْ.

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

هُنا اخْتِلافٌ بَيْنَ الْقُرَّاء- رِوَايَةُ حَفْصٍ وَحْدَهُ: (فَكِهِينَ) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَكَسْرِ الْكَافِ وَهَاءٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ وَنُونٌ وَقِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو وَسَائِرِ الْقُرَّاءِ الْآخَرِينَ مِن الْسَّبْعَةِ: (فَاكِهِينَ) بِفَاءٍ وَأَلِفٍ وَكَاف مَكْسُورَةٍ وَهَاءٍ مَكْسُورَةٍ وَيَاءٍ وَنُونٍ. فَكِتَابَةُ الْكَلِمَتَيْنِ بِالرَّسْمِ الْقُرْآنِي بُدُونِ أَلِفٍ. وَلَكِنْ فِي قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو وَالْقُرَّاءِ الْآخَرِينَ غَير حَفْصٍ تُوضَعُ أَلِفٌ صَغِيرَةٌ فَوْقَ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْفَاءِ وَالْكَافِ أَوْ تُوضَعُ بِالحِبْرِ الأَحْمَرِ.

المفــــرَدَات

فَكِهِينَ : مَعْنَى فكِهِينَ وَفَاكِهِينَ مُتَقَارِبٌ، وَالْفكِهُ وَالْفَاكِهُ هُوَ الْـمَرِحُ الضَّاحِك. وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلِ الْفَاكِهُ هُوَ الْـمُتَنَعِّمُ وَالْفَكِهُ هُو الْـمَرِحُ. وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَعْنَى الْمَرِحِ والفكاهة ههنا .

حَافِظِينَ : حَارِسِينَ وَمُرَاقِبِينَ

الخُــلاصَــة

يقولُ تعالى ما مَعْنَاهُ إِنَّ الْكُفَّارَ يَتَغَامَزُون وَيَضْحَكُونَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ وَعِنْدَمَا يَرْجعُونَ إِلَى بُيُوتِهِمْ تَجِدُهمْ مَسْرُورِينَ مِمَّا فَعَلُوهُ يَتفَكَّهُونَ بِأَنَّهُمْ أَسَاءُوا لِلْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا رَأَوْا الْـمُؤْمِنِينَ تَحَدَّثُوا فِيمَا بَيْنَهمْ عَنْهُمْ وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّداً ضَالُّونَ. حَقّاً إِنَّ هَؤْلَاءِ الْكُفَّار لَا عُقُولَ لَهُمْ لِـمَاذَا يَفْعَلُونَ كُلَّ هَذَا، هَلْ هُمْ وُكِّلُوا بِمُرَاقَبَةِ الْـمُؤْمِنِينَ وَحِراسَتِهِمْ وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ عَلَيْهِمْ؟ لِمَاذَا لَا يَشْتَغِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ.

خُــــلاصَــة بالدارجَــة

رَبَّنَا يَقُولُ، يَوَصِّفْ حَالَ الْكَافِرِينَ مَعَ الْـمُسْلِمِينْ كِيف. بِيِتْغَامَزُوا بِيهُمْ وَقِتْ يَلَاقُوهُمْ فِي الطَّرِيق. وبَعَدِين لَّمَا يَرْجعوا لِأَهْلَهُمْ يَرْجَعُوا مَبْسُوطِينْ مِنْ نَفِسُهِمْ. فَاكِهِينْ: يَعْني بِيتْوَنَّسُوا وِيَضْحَكُوا بِالْإِسَاءَاتْ الْ سوُّوهَا لِلْمُسْلِمِينَ. وكَمَانْ وَقِتْ

يَشُوفُوا الْـمُسْلِمِينْ، يَقُولُوا: شُوفُوا الجَمَاعة دِيلْ ضَلَالُهُمْ[1]. دَحِينَ الْكَافِرِين هُمْ تَعْبَانِينْ التَّعَبْ كُلُّه لِي شُنُو؟ هَلْ رَبَّنَا كَلَّفهُمْ بِمُرَاقَبَةَ الْـمُسْلِمِينْ وَحِسَابْ اعْمَالُهُمْ.

عَلِيهُمْ- وَمَعْنَى: (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ)- يَعْنِي رَبَّنَا مَا قَالْ لِيهُمْ احْفَظُوا أَعْمَالَ الْـمُسْلِمِينْ ورَاقْبُوهُمْ- بِسْ دَا سَاكِت[2] اعْتِدَا مِنَ الْـمُشْرِكِينْ لَعْنَةُ الله عَلِيهُمْ.

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

تنبيه:

مِنَ الْكُفَّارِ: الْكُفَّار هَهُنَا فِيهَا إِمَالَةٌ تَامَّةٌ لأَبِي عَمْرٍو، فِي الْأَلِفِ الَّتِي قَبْلَ الرَّاءِ الْـمَكْسُورَةِ. وَلَا إِمَالَةَ لِحَفْصٍ. وَأَبُو عَمْرو يُمِيلُ الْكُفَّار الْأُولَى الْـمَجْرُورة بَعْدَ مِنْ. أَمَّا الْكُفَّارُ الثَّانِيَةُ الَّتِي بَعْدَ هَلْ ثُوِّبَ فَهِيَ مَرْفوعةٌ وَلَيْسَتْ فِيهَا إِمَالَةٌ- لِأَنَّ الرَّاءَ الْـمَفْتُوحَةَ وَالرَّاءَ الْـمَرْفُوعَةَ كِلْتَيْهِمَا تَمْنَعُ الْإِمَالَةَ عِنْدَ الْـعَرَبِ.

المفـــرَدَات

الْأَرَائِكِ	: مَرَّ تَفْسِيرُهَا.
ثُوِّبَ	: أَصْلُهُ مِنَ الثَّوَابِ أَيْ الْـمُكَافَأَةِ. وَمَعْنَاهُ أُثِيبَ أَيْ كُوفِئَ وَجُوزِيَ. هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ؟ أَيْ هَلْ نَالَ الْكُفَّارُ جَزَاءَهُمْ؟ وَهذَا الْاسْتِفْهَامُ مُرَادٌ بِهِ التَّوْبِيخُ لِلْكُفَّارِ وَتَنْبِيهُهُمْ إِلَى أَنَّ عَاقِبَتَهُمْ جَهَنَّم. وإِدْغَامُ اللَّام فِي الثَّاءِ: «هَثُّوِّبَ» لِحَمزة

(1) النطق الدارج ضلالُنْ أو ضلالْمْ. ومن حاول الميم قربها من النون جداً والله أعلم.

(2) ساكتْ: أي بلا شيء أو وجه أو مبعث.... هذا تقريب لمعنى هذه الكلمة «ساكت» والله أعلم.

وَالكِسَائِيِّ وهِشَام عن ابن عَامِرٍ وذكر مثله سيبويه لأبي عمروٍ في كِتَابِهِ[1].

الخُـلاصَة

قَالَ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ الْكُفَّارَ يَتَغَامَزُونَ وَيَضْحَكُونَ الْآنَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ. وَلَكِنْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُجَازِي اللهُ فِيهِ الْعِبَادَ فَيَأْمُرُ بِالْمُؤْمِنِينَ فَيُدْخَلُون الْجَنَّةَ، وَيَأْمُرُ بِالْكَافِرِينَ إِلَى النَّارِ- فِي هَذَا الْيَوْمِ عِنْدَمَا يَكُونُ الْـمُؤْمِنُون فِي حَالَةٍ هَنِيئَةٍ جَالِسِينَ عَلَى السُّرُرِ الْوَثِيرَةِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْكُفَّارِ فَيَضْحَكُونَ مِنْهُمْ، كَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّار يَضْحَكُونَ مِنْهُمْ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ- (وَلَكِنْ بَعِيدٌ مَا بَيْنَ ضَحِكِ الدُّنْيَا الْقَصِيرِ الزَّائِلِ وَضَحِكِ الْآخِرَةِ الطَّوِيلِ الدَّائِمِ).

فِي هَذَا الْيَوْمِ كَيْفَ يَشْعُرُ الْكُفَّارُ؟ هَلْ يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا جَزَاءَهُمْ الْعَادِلَ عَلَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِالْـمُؤْمِنِينَ مِنْ ضَحِكٍ وَاسْتِهْزَاءٍ؟

هَذَا وَقَدْ ذَكَرَ الْـمُفَسِّرُونَ أَنَّ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ نَوَافِذَ يَنْظُرُ مِنْهَا الْـمُؤْمِنُونَ إِلَى حَالِ الْكَافِرِينَ. وَإِذَا كَانَ لِلْمؤْمِنِ عَدُوٌّ كَافِرٌ، فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْأَلُ فَتُفْتَحُ لَهُ النَّافِذَةُ وَيرَى عَدُوَّهُ فِي أَشَدِّ الْكَرْبِ والزَّبَانِيَةُ تَسْحَبُهُ وَتَضْرِبُهُ. وَعِنْدَ ذَلِكَ يَفْرَحُ الْـمُؤْمِنُ أَشَدَّ الْفَرَحِ وَيَنْظُرُ إِلَى عَدُوِّهِ الْـمَلْعُونِ وَيَضْحَكُ مِنْهُ. وَالْـعَدُوُّ يَرَاهُ فِي النَّعِيمِ وَحَوْلَهُ السَّتَائِر وَأَمَامَهُ الْأَكْوَابُ وَعِنْدَهُ الْحُورُ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ أَشَدِّ الْعَذَابِ.

---

(1) وسيبويه دقيق حجة وأستاذه الخليل تلميذ أبي عمرو إلا أن الذي عند أهـل الأداء مـن طريـق الـشاطبية وغيرهـا الآن هـو أن إدغام لام هل في ثاء ثوب للكسائي وحمزة وبعض ابن عامرٍ كما قدمنا والله أعلم. الكتاب بولاق، ٢/ ٤١٧.

خُلاصَة بالدارجَة

قَالَ تَعَالَى مَا مَعْنَاهُ: هَسَّعْ الْكَافِرِينْ بِيَضْحَكُوا مِنْ الْـمُسْلِمِينْ، لَكِين بَعَدِين وَقِتْ رَبَّنَا يَوَدِّي الْـمُؤْمِنِينْ الْجَنَّة وِيَقْعُدُوا فُوقْ كَنَبَاتَها، وَيَعَايْنُوا وِيَشُوفُوا الْكَافِرِين بِيتْعَذَّبُوا. وِيَضْحَكُوا مِنَّهُمْ في عَذَابُهِمْ- بَعَدِين حَالَ الْكَافِرِين بِتَكُونْ كِيفِنْ حِينْ يَحِسُّوا إِنُّه رَبَّنَا جَازَاهُمْ تَمَامْ عَلَى ضِحِكُهِمْ[1] وتِفِخُّرُهِمْ وتَهَزِّيهِمْ بِالْـمُسْلِمِينْ في الدُّنْيَا دِي؟ وقَالُوا الْـمُفَسِّرِين: الْـجَنَّة والنَّارْ بِينَاتِنْ سُور. والسُّورْ دَا بِينْزَاحْ. وَالْمُسْلِمِينْ بِيَعَايْنُوا وِيَشُوفُوا الْكُفَّار بِيتْعذَّبُوا وَالزَّبَانْيَة بِيَضْربُوهُمْ بِعِمْدَان النَّارْ. وَالكُفَّارْ بِيَشُوفُوا الْـمُسْلِمين في الراحَة وعِنْدَهُمْ الشرَاب من الرحِيق المَخْتُوم يَضْحَكُوا مِنهُمْ. وَبَعَدِينْ الْكَافِرين يَعَرْفُوا إِنُّه رَبنَا جَازَاهُمْ بِي جَزَاهُمْ تَمَامْ. لَعْنَةُ الله عَلِيهُمْ.

تَمَّ بِحَمْدِ الله وَعَوْنِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْـمُطَفِّفِينَ.

(1) النطق: ضحكن بكسر الضاد والحاء وضم الكاف ثم نون أو ميم وتفخرهم بكسر التاء والفاء وخاء مشددة مكسورة ثم نون أو ميم ونحو هذا المصدر عرفه العرب، قالوا: ثم اجْتَنَنْتُ بِها بَعْدَ التِفِرّاق. وهذا قريب من قولنا التِفرّق بكسرتين فكسرة مشددة أي الفراق والتفرق والله أعلم.

سورة الانشقاق

نَزَلَتْ بَعْدَ الانْفِطَار وَهْيَ مَكِّيَّة

وَآياتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾.

المفـــرَدَات

إِذَا : جَوَابُ إِذَا مَحْذُوفٌ مِنْ أَجْلِ التَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ وَالتَّهْوِيلِ. أَيْ إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاء، فَيَا لَه مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ. أَوْ لِأَنَّه دلَّ عليهِ مَا بَعْدَه والله أَعْلَمُ.

أَذِنَتْ : أَصْلُ الْفِعْل أَذِنَ يَأْذَنُ أَذَناً[1] وَاشْتِقَاقُهُ مَنَ الْأُذُنِ الْـمَعْرُوفَةِ- وَمَعْنَاهُ سَمِعَ. وَأَذِنَتْ هُنَا مَعْنَاهَا أَطَاعَتْ وَأَذْعَنَتْ وَانْقَادَتْ.

تَقولُ أَذِنْتُ لِلْمُتَكَلِّمِ أَيْ اسْتَمَعْتُ لَهُ.

وحُقَّتْ : تَقُولُ حُقَّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَحُقَّ أَنْ يَفْعَل كَذَا أَيْ هُوَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ يَفْعَل كَذَا أَيْ وَاجِبٌ في حَقِّهِ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا.

(1) باب فرح.

وتَقولُ حُقَّتْ فُلانَةٌ أَنْ تَفعَلَ كَذا وحُقَّ لَها أَنْ تَفعَلَ كَذا أَيْ هيَ حَقيقَةٌ أَنْ تَفعَلَ كَذا أَيْ واجِبٌ في حَقِّها أَنْ تَفعَلَ كَذا. والـمَعنَى هُنا واللهُ أَعلَمُ هُوَ أَنَّ السَّماءَ واجِبٌ في حَقِّها وسَيكُونُ منها ذلِك، أَنَّها تَستَمعُ وتَنقَادُ لأَمرِ رَبِّها.

الخُـــلاصَـــة

يَقُولُ تَعالى مَا مَعنَاهُ، في وَصفِ يَومِ الْقيامَةِ: حِينَ تَنشَقُّ السَّماءُ، وتَستَمعُ مُذعِنَةٌ لأَمرِ رَبِّها، وحَقٌّ عَلَيها واجِبٌ حَتمٌ أَن تَفعَلَ ذِلِكَ- فَيا لَكَ مِنْ هَوْلِ عَظيمٍ حينَئِذٍ يُقال لِلإِنْسانِ الَّذي كَفَرَ أَي شيْءٍ غَرَّكَ، على نَحْوِ ما سَيأْتي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى...

خُـلاصَـــة بالدارجَة

يَقُولْ تَعَالَى ما مَعْناهُ: وَقِت تِنْشَق السَّما، وتَسْمَع وتَطيع رَبَّها وأَصلُه ضَرُوري لِيهَا تَفْعَل كَدِي- وَقِت دَا يحَصل الهُولْ يَكُونْ عَظيمْ خَلاصْ.

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾.

المفـــرَدَات

مُدَّتْ : أَيْ يَمُدُّ اللهُ الأَرْضَ ويَبسُطُها حَتَّى تَتَّسعَ لِلْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ. ومَعَ هذا لا يَجِدُ الإِنسانُ فيها أَكثَرَ مِنْ مَوْضعِ قَدَمِهِ وقالُوا إِنَّ اللهَ يَقِفُ أَمامَهُ الخَلْقُ كُلُّهُمْ. ويَكُونُ

رَسُولُ الله ﷺ أَوَّلَ مَنْ يَدْعُوهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى. ثُمَّ يُدْعَى جِبريلُ فَيقفُ عَن يَمينِ الله سُبحانَهُ وتَعالى. وهذه أَوَّلُ مَرَّةٍ يَرَى جِبريلُ فيها رَبَّهُ، إِذْ مِن قَبلِ ذلِكَ كَانَ يَسمَعُ صَوتَهُ ولا يَراهُ. ويَقولُ النَّبي لِلْحَقِّ جَلَّ وعَزَّ: يا رَبِّ، هذا- يَعني جِبريلُ- أَخْبَرَني أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ. فيَقولُ الْـحَقُّ عَزَّ وجَلَّ: إِنَّه صَدَقَ في هذا الخَبرِ. ثُمَّ يَأْذَنُ اللهُ للنَّبي ﷺ فَيَشفَعُ عِندَهُ. وهذا هُوَ المَقَامُ المحْمودُ الَّذي سَيَقومُهُ النَّبي ﷺ بإِذْنِ الله جَلَّ وعَزَّ ووَعْدِهِ.

أَلْقَتْ مَا فِيها : أَيْ أَخرَجَتْ ما فيها مِنَ الْـمَوْتَى- أَخْرَجَتْهُمْ أَحْياءً لِلْبَعثِ والْحِسابِ.

وتَخَلَّتْ : أَيْ تَخَلَّتْ مِنهُمْ وأَسْلَمَتْهُمْ ليَقِفُوا أَمَامَ رَبِّهِمْ.

وأَذِنَتْ : مَرَّ تَفسِيرُها.

وحُقَّتْ : أَيْ حُقَّ لَها أَنْ تَأْذَنَ أَيْ تَسمَعَ وحُقَّتْ أَنْ تَأْذَنَ أَيْ تَسمَع وقَدْ مَرَّ تَفسيرُ ذلِكَ.

الخُــلاصَــة

يَقُولُ تَعالى: وإِذَا بَسَطْنا الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ومَدَدْنَاها حَتَّى تَتَّسعَ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ. وقَدْ أَخرَجَتْ هيَ جَميعَ ما فيها مِن المَوْتَى وتَخَلَّتْ منهُمْ لِيُواجِهوا حِسابَ مَوْلاهُمْ. واستَمَعت هيَ

لصَوْتِ رَبِّها وأَذعَنتْ لَهُ وحُقَّ لَها ووَاجِبٌ عَلَيها أَنْ تَفعلَ ذلِكَ- فَيا لَكَ من هَوْلٍ عَظيمٍ يَوْمَئِذٍ. وجَوابُ إذا كَما تَرى مَحْذوفٌ يَدُلُّ عَلَيهِ السِّياقُ واللهُ تَعالى أَعلَمُ.

خُـــلاصَـة بالدارجَـة

يَقُولُ تَعالَى مَا مَعْناهُ: وَوَقِتْ الأَرْض نَبْسُطَها زِيادَة مِنْ حَالَتهَا الطَّبيعيَّة فِي شَان تَشِيلَ النَّاس يُومَ الْـمَحْشَر، وَوَقِتْ هِي كَمانْ تمْرُقْ كُلّ الْ فِيهَا مِن الأَمْوات، وَتَسِيبُهُمْ[1] فِي شَان يَوَاجْهُوا رَبَّهُمْ هِي بَرَاهَا[2] تَسْتَمِعْ لِي صُوتْ رَبَّهَا وتَطيع وتِنْقاد وأصلُه ضَرُوري عَلَيها ووَاجِبْ عَلِيهَا هِي تَطيع وتِنْقَادْ- في الْيُوْمْ دَاكْ يَكُونْ الهُوْلْ[3] عَظيم خَلاصْ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾.

المفـــرَدَات

كَادِحٌ : مِنْ كَدَحَ يَكْدَحُ كَدْحاً- أَيْ عَامِلٌ.

إِلى رَبِّكَ : أَيْ عَمَلُكَ كُلُّهُ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ يَعلَمُهُ رَبُّكَ وَمصيرُهُ إِلى رَبِّكَ.

(1) النطق: تَسيبُنْ أو تسيبُمْ.

(2) بَرَاها: أي بنفسها وكلمة براه براها براهم تستعمل بمعنى وحده وحدها وحدهم وما لقيت زول بـراه يعنـي مـا لقيـت أحـداً غيره.

(3) النطق ضمة الهاء من الهول مخلوطة بفتحة فهي حركة مزدوجة فيها طول.

حِساباً يَسيراً : قَالُوا، الْحسابُ الْيَسيرُ هُوَ أَن يَنظُرَ الله سُبحانَهُ وتَعالى في السَّيئات فيَتَجاوَزَها، والْحَسناتِ فيُكافىءَ عَلَيها. واللهُ جَلّ وعَزَّ لا يُناقِشُ المُؤمنينَ في مُحاسَبَتِهِمْ وإِنَّما يُناقِشُ المجرِمينَ. ومَنْ نَاقَشهُ اللهُ تَعالى في الْحسابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ هَلَكَ وصَارَ إِلى النَّارِ. نَعوذُ باللهِ مِنْ غَضَبِ الله.

إلى أَهْلِهُ : أَيْ إلى أَهلِهِ في الجَنَّةِ مِن الحُورِ الْعِينِ وَالْوِلْدَان المُخَلَّدينَ وَكَذلِكَ أَهلُ الإِنْسانِ في الدُّنيا وذُرِّيَّتُه إِنْ كَانُوا صَالِحِينَ أَلْحَقَهُمُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

الخُــلاصَة

بَعْدَ أن وَصَفَ الله تَعالى أَهْوالَ الْقيامَة. وبَعَدِينْ خاطَبْنا وقَالْ: يَابْن آدَمْ فَقالَ لَهُ: يابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لا تَزالُ تَعمَلُ عَمَلاً والله يَعلَمُ ما تَعمَلُهُ مِن خَيْرٍ وشَرٍّ وأَنْتَ بعِمَلِكَ الَّذي تَعمَلُهُ في طَرِيقِكَ إِلى رَبِّكَ حَتَّى تُلاقيهِ، وحينئِذٍ تُلاقي الْحسابَ. فإِنْ كُنتَ مِنْ أَضحابِ الْيَمينِ وأَعْطاكَ رَبُّك صَحيفَةَ عَمَلِكَ في يَدِكَ الْيُمنَى فإِنَّكَ يومَئِذٍ مَنَ الْفائِزينَ وسَيكُونُ حِسابُكَ هَيِّناً يَسيراً، يَنظُرُ اللهُ في عَمَلِكَ فيَغفِرُ لَكَ سَيِّآتِكَ ويُكافِئُكَ على حَسَناتِكَ، ثُمَّ بَعدَ ذلِك تَمضي إِلى أَهْلِكَ في الجَنَّةِ مِنْ حورٍ عِينٍ، وَولْدَانٍ مُخَلَّدينَ وأَزواجٍ مُطهَّرينَ وذُرِّيَّةٍ صالِحِينَ وسَتكُونُ سَعيداً مَسْرُوراً لِلْغايَةِ.

خـلاصـة بالدارجـة

رَبَّنا وصَفْ لَنا هُولْ يُومَ الْقِيامَة. وبَعَدِينْ خاطَبْنا وقَالْ: يَابْن آدَمْ إِنْتَ بِتَعْمَلْ وتَعْمَلْ وَبِعَمَلَكْ دا إِنتَ في طَريقَكْ[1] لي رَبَّكْ وَرَايِحْ تَلاقِيهُ بَعْدَ عَمَلَكْ دَا. وَوَقْتْ تَلاقِيهْ بِيحَاسْبَكْ. وان كُنْتَ مِنْ أَصْحابَ الْيَمين، ورَبَّنا أَدَّاك صَحيفَةْ عَملَكْ في إِيدَك الْيَمينْ، إِنْتَ رايِحْ تَكُونْ فايِزْ، وحِسابَكْ بِيكُون هَيِّنْ وَيَسِيرْ- رَبَّنَا يَنْظُرْ في عَملَكْ ويَغْفِرْ لَكْ السَّيِّئَة ويكافِيكْ عَلى الحَسَنَةْ وبَعْدِين تَمْشِى لي أَهْلَكْ في الجَنَّةْ مِنَ الحُورْ وَالخَيْرات والذُّرِّيَّةْ الصَّالحَة إنْ كَانْ عِندَكْ ذُرِّيَّة صَالحَة أَيْضاً تَكُونْ مَعَاكْ.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾

المفـــردَات

وَراءَ ظَهْرِهِ : قالُوا إِنَّ الْكافِرَ يَجعَلُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ يَدَهُ الشِّمالَ تَدورُ وراءَ ظَهرِهِ، إِهانَةً لَهُ. ويُعطى صَحيفَةَ أَعْمالِهِ فيهَا مِنْ وَراءِ ظَهْرِهِ لأَنَّ الْملائِكَةَ لا تُريدُ أَنْ تُواجِهَهُ، لَعْنَةُ الله عَلَيْهِ.

يدْعُو ثُبُوراً : الثُّبُورُ هُوَ الْهَلاكُ. وكانَ مِنْ عادَةِ الْعَرَبِ أَن يَقولُوا عندَ الْفَجيعَةِ: وَاثُبُورَاهُ أَيْ يا هَلاكي. يا مُصِيبَتي.

---

(1) القاف من طريقك مجهورة كقاف الحجاز والمغرب، والقاف التي الآن عند القارئين ليست بالتي وصف سِيبَوَيْه والعلماء إذ هي مهموسة وهذا موضع بحث: (انظر الكتاب ٢/ ٤٠٥).

وَيَصْلَى سَعيراً	:	أَيْ يَدْخُلُ فِي النَّارِ. والسَّعيرُ مِنْ أَسماءِ النَّارِ. وفي رِوايَةِ وَرشٍ عَنْ نافعْ: يُصَلَّى سَعيراً[1] بضَمِّ الْياءِ وتَشديد اللاَّمِ المفتُوحَةِ ومَعناهَا يُنْضَجُ في النَّارِ مَرَّةً بَعد مَرَّةٍ ، كُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ جُدِّدَ لَهُ جِلْدٌ آخَرَ .
في أَهْلِهِ	:	أيْ في أَهلِهِ في هذِهِ الدُّنيا .
لَنْ يَحُورَ	:	أيْ لَنْ يَرْجِعَ إِلى اللهِ ، ولَنْ يَبعَثَهُ اللهُ مِنَ الْموتِ . والفِعلُ حَارَ يَحُورُ .
بَلَى	:	مَعنَاهَا نَعَمْ . وتَأْتِي بَعدَ الجُملَةِ المنفِيَّةِ . إذا قَالَ أَحَدُ النَّاسِ مَثلاً : إِنَّ الْوَلَدَ لَنْ يَنجحَ فأَنتَ تَقُولُ لَهُ مَثلاً : بَلَى ، سَيَنجَحُ بِإِذْنِ اللهِ تَعالى .

الخُــلاصَة

بَعْدَ أَنْ وَصَفَ الْخالِقُ تَعالى حَالَ أَصحابِ الْيَمينِ ، جَعَلَ يَصِفُ لَنا حالَ أَصحابِ الشِّمالِ فَقالَ : أَمَّا الَّذي تُعطيهِ الْملائكَةُ صَحيفَةَ أَعْمالِهِ مِنْ خَلْفِهِ بِحَسَبِ ما ذكَرَ المفَسِّرُونَ أَنَّهُ تُدارُ يَدُهُ الشِّمالُ وتكُونُ مِنْ وَراءِ ظَهرِهِ ويُعطى فيها صَحيفَةَ أَعمالِهِ فإِنَّهُ سَيكُونُ مِنْ أَصحابِ النَّار وسَيعرِفُ نَفسهُ أَنَّهُ مِنْ أَصحابِ النَّارِ ويَصيحُ واثُبُوراهُ أَيْ واهَلاكي وامُصيبَتي وبَعدَ

(1) وهي قراءة قالون أيضاً وابن كثير وابن عامر والكسائي (غيث النفع ٣٨٢ وشرح الشاطبية ٣٨٣) فذلك أربعة من السبعة وعاصم وحمزة وأبو عمرو بلا تشديد مع البناء للمعلوم.

ذلِكَ سَيُؤخَذُ إلى النَّارِ ويُدخَلُ فيها ويُنضَجُ فيها . وهذا هُو الجزاءُ الَّذي يَستحَقُّهُ فَقَدْ كانَ مَغروراً كافراً راضياً عنْ نَفسِهِ في الدُّنيا فَرْحانَ وَسطَ أَهلِهِ غافِلاً عَنْ ربِّهِ يَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَرْجعَ إلى رَبِّهِ ولَنْ يَبعَثَهُ رَبُّهُ - بَلَى إنَّ رَبَّهُ سَيَبعَثُهُ وإنَّ رَبَّهُ يُبصِرُهُ ويَعلَمُ جَميعَ مَا هُو يَعمَلُهُ مِنَ الشَّرِّ والخَبائثِ في السِّرِّ والْعَلَنِ .

خُلاصَة بالدارجَة

بَعَدْ مَا رَبّنا بَيّنْ لَنَا حَالْ أَصحابَ الْيمين ، بَيّنْ لَنا أَيْضاً حَالَ الْكُفَّار أَصْحابَ الشِّمال . قَالْ : وَالْ بِيَعرِفْ نَفْسُه مِاشِي الْعَذَابْ وبِيكُورِكْ ويَقُولْ وَاثْبوري يَعْني يَا مُصيبَتي ويَا هَلاكي . وبَعَدِينْ الزَّبَانْيَة يَشِيلُوهُ يَدَخْلُوهُ النَّار . وَدَا جَزَاهُ الْ بِيَسْتَحِقُّه، فَي شَانْ هُو كَان مَبْسُوطْ مِنْ نَفْسهُ في الدُّنْيا ، وكانْ مَغْرور قاعدْ فَرْحَانْ بِأَهَلْهْ وغافِلْ مِنْ رَبُّه ومُنْكِرْ بالقِيامَهْ وقايِلْ ما بِيرْجَعْ لي رَبُّه ولكِنْ رَبّنا شَايْفه وعارِف حالْته الْكلِبْ النَّجِسْ وبَعَدِين بيَرْجَع لِي رَبُّه ويجَازيهُ جَزاهْ .

قَالُوا الْكَافِرْ إِيده الشِّمال تِتْلَوي وتَبْقى وَرَا ضَهَرُه ويَدُّوهُ صَحِيفْتُه فَيها فِي شَان المَلائِكَه مَا تَقَابْلُه بِي قِدَّام إهانَة لِيهُ .

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ .

المفـــرَدَات

بِالشفقِ : الشفَقُ هُوَ كَما قَالَ الإمامُ الطبَرِيُّ إقبالُ الليلِ وإدْبارُ النهارِ وأكثَرُ ما يُطلَقُ الشفَقُ على حُمرَةِ الأُفُقِ عِندَ المغرِبِ ،

وَالسِّياقُ هَهُنا يَقضي أَنْ يكونَ المرادُ والله تَعالى أعلَمُ انْصِرامُ النهارِ ، وإيذانُ الليلِ بالدُّنُوِّ . والدليل على ذلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: والليلِ ومَا وسَقَ ، جَل جَلالُهُ مِنْ قائِل .

وَسَقَ : المُضَارِعُ يَسِقُ بكَسرِ السِّينِ . ووَسَقَ يَسِقُ بمَعنَى جَمَعَ يَجمَعُ . وقَوْلُهُ تعالى : ((والليلِ ومَا وَسَقَ)) مَعناهُ ومَا جَمَعَهُ ومَا آواهُ مِنْ أَحياءٍ وغيرِها . وقِيلَ : مَعنى وَسَقَ : سَاقَ ، أي أَقسَمَ الله بالليلِ وبالظلامِ الذي ساقهُ الليلُ مَعَه . والمعنَى مُتَقارِب.

اتسَقَ : تَمَّ واستَوَى واكتَمَلَ .

لَتَرْكَبُنَّ : هذا جَوابُ الْقَسَمِ السَّابَقِ واللَّام لتَوكيدِ الْقَسَمِ والكَلِمَة مُرَكَّبَةٌ مِنْ لامِ القَسَمِ الَّتي تَجيءُ لتَوكيدِهِ ومِن الْفعلِ تَرْكَبُنَّ وأَصلُهُ تَرَكَبونَ بقُوَّةٍ . فاستُعمِلَتْ نُونُ التَّوكيدِ لتَدُلَّ على معنَى القُوَّةِ . فصَارَتْ الْكَلِمَةُ : تَرَكَبونَ نَّ . وهذا تركيبٌ يَصعُبُ النُّطقُ بِهِ ولذلِك حُذِفَت النُّونُ الأُولى فصارَتْ الْعبارَةُ : تَرَكَبونَّ . وهذِهِ أَيضاً ثَقيلَةٌ في النُّطْقِ فحُذفَت الْواوُ للتَّخفيفِ فصارَت العِبارَةُ : تَرْكَبُنَّ وجاءَتْ مَعَها اللَّام فصارَت : لَتَرْكَبُنَّ : والمعنَى ، حَقّاً سَوْفَ تَرْكَبُونَ أَيُّها النَّاسُ رُكُوباً شَديداً الأَشياءَ الآتي ذِكْرُها وهِيَ قَوْلُه تَعالى : ((طَبَقاً عَن طَبَقٍ)) والمُرادُ في هذِهِ الآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى ((لَتَرْكَبُنَّ))

والله تَعالى أَعلَمُ مُخاطبَةُ أَهلِ مكَّةَ اللّذين كانُوا يُكَذِّبونَ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ ، ويَحتَمِلُ التَّركيبُ مُخاطَبَةَ النَّاسِ كُلِّهِمْ .

وقَرأَ ثَلاثَةٌ مِنْ القُراءِ السَّبعَةِ وهُمُ ابنُ كَثيرٍ قارئُ مَكَّةَ وحَمزَةُ والكِسائي الكوفِيانِ : «لَتَرْكَبَنَّ» بِفَتحِ اللَّامِ والتَّاءِ وسُكونِ الرَّاءِ وفَتحِ الكافِ وفَتحِ الْباءِ وتشديدِ النُّونِ المفتُوحَةِ . وهذهِ قِراءَةُ سَيِّدِنا عُمَرَ وابنِ مَسعودٍ وابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنهُمْ أَجمَعينَ . والخِطابُ فيها لسَيِّدِنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَيْ إِنَّكَ سَوفَ تَركَبُ يا مُحَمَّدُ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ وسَيأتي تَفسيرُ ذلِك .

وهذِهِ القراءة رَجَّحَها الطَبَرِيُّ على قِراءةِ : لَتَرْكَبُنَّ مُحتَجاً بأَنَّ أَهلَ التَّفسير فَسَّروا هذِهِ الآيَةَ على أَنَّ الخِطابَ للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ . والحَقُّ أَنَّ الْقراءَتَينِ مُتَقارِبَتا المعْنى جِدّاً وَلا تَرجيحَ بَينَهُما وقَدْ ذكَرْنا آنِفاً أَنَّ الخِطابَ على قراءَةِ الضَّمِّ (وَهْيَ قراءَةُ نافعٍ وعاصِمٍ وأَبي عَمْرو وابنِ عامِرٍ) مُوَجَّهٌ إِلى أَهلِ مكَّةَ ويَحتَمِلُ أَيضاً كُلَّ إِنسانٍ . وسَتَرى مِصداقَ ذلِكَ مِنَ التَّفسيرِ إِن شاءَ اللهُ تَعالى .

طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ : أَصْلُ الطَّبَقِ مِنَ الطَّبَقَةِ وَمِنْ مُطابَقَةِ الشيءِ لِغَيرِهِ والمُرادُ هَهُنا واللهُ أَعلَمُ : لَتَرْكَبُنَّ يأَهْلَ مَكَّةَ حالاً بَعْدَ حالٍ مِنَ

المَشَقَّةِ في خُصومَتِكُمْ لِمُحَمَّدٍ . أَو لَتَركَبُنَّ أَيُّها النَّاسُ جَميعاً طوْراً بَعدَ طَوْرٍ في حَياتِكُم مِن شِدَّةٍ إلى رَخاءٍ وَمِنْ رَخاءٍ إلى شِدَّةٍ . وَ على القِراءَةِ الَّتي رَجَّحَها الطَّبَريُّ : لَتَركَبَنَّ يا مُحَمَّدُ حَالاً بَعدَ حالٍ في جِهادِكَ مَعَ قَومِكَ . وقالَ بَعضُ المفَسِّرينَ: المُرادُ بقَوْلِهِ طَبَقاً عَنْ طبَقٍ : شِدَّةً بَعدَ شِدَّةٍ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَعَ فُلانٌ في ذاتِ طبَقٍ ، أي يا مُحَمَّدُ سَتَجِدُ عَناءً شَديداً في دُعاءِ قَومِكَ . وقالَ بَعضُ المفَسِّرينَ : المُرادُ بالطَّبَقِ هَهُنا السَّماءُ وتَغَيُّرُها لَوْناً بَعدَ لَوْنٍ . والَّذينَ فَسَّروا هَذا التَّفسيرَ لا يَقرأُونَ إلَّا بفَتحِ الكافِ والباءِ ومعنَى قَولِهِمْ إنَّ السَّماءَ سَوْفَ تَصيرُ أَلواناً - تَصيرُ حَمراءَ كالدِّهانِ أَي الصَّبغِ الأَحمَرِ ثُمَّ تَتَشَقَّقُ .

وهذا الْوَجهُ قَدِ استَضعَفَهُ الطَّبَريُّ ولَمْ يَذكُرْهُ الزَّمَخشَريُّ وَالجَلالانِ . وقيلَ المُرادُ بقَولِهِ «طَبَقاً عَن طَبَقٍ» السَّمواتُ، واحِدَةٌ بَعدَ الأُخرَى والخِطابُ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ والآيَةُ على هذا التَّفسيرِ تُشيرُ إلى المِعراجِ - وهذا التَّفسيرُ جائزٌ ولكِنَّهُ ضَعيفٌ إذ يَضيقُ معَهُ معنَى الآيَةِ وتَخرُجُ بِهِ عَنِ السِّياقِ الَّذي قَبلَها وبَعدَها . وقَدْ أَشارَ إلى هذا التَّفسير الشَّيخُ الدِّيرينيُّ رَحِمَهُ اللهُ وذلِكَ قَوْلُهُ :

لِلآدَمي وقِيلَ لِلإسْراءِ لِلْمُصطَفَى في طَبَقِ السَّماءِ أَي

الْخِطابُ في لَتَرْكَبُنَّ لِلإِنْسانِ أَوْ هُوَ في شأْنِ الإِسْراءِ وعُرُوجِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ في طبقاتِ السَّماءِ .

وقيل المرادُ اختِلافُ أَحوالِ المَوْلُودِ مُنذُ يكُونُ جنيناً إلى أن يَصيرَ إلى أَقْصَى العُمرِ ذكر ذلِكَ ابن حجرٍ في الفتح واللهُ أَعلَم .

الخـلاصـة

أَقْسَمَ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى بالشَّفَقِ . وقَدْ سَبَقَ أَنْ بَيَّنَّا لَكَ وَجهَ الرَّأيِ في قَوْلِهِ تعالى : فَلا أُقْسِمُ عَندَما كُنَّا نُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعالى : «فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ» في سُورَةِ التَّكويرِ .

هذا وَأَقْسَمَ رَبُّنا سُبحانَهُ وتَعالى أَيضاً بالليل بَعْدَ أَنْ أَقسَمَ بالشَّفَقِ وبِما يَنطَوي عَلَيهِ اللَّيلُ مِن أَسْرارٍ .

ثُمَّ أَقْسَمَ بالقَمَرِ إذا تَمَّ واستَدارَ .

ثُمَّ جاءَ بَعدَ هذا بِجَوابِ الْقَسَمِ فقالَ بِحَقِّ هذِهِ الأَشياءِ لَتَرْكَبُن طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ : أَيْ أَيُّها المُشرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكةَ إنكُمْ سَوْفَ تبلُونَ أَطْواراً بَعدَ أَطْوارٍ ، في عَداوَتِكُمْ لِمُحَمدٍ وخُصُومَتِكُمْ لَهُ ، ثُم إنكُمْ سَتُهْزَمُونَ آخِرَ الأَمْرِ وكَأَن الْعِبارَةَ فيها تهديدٌ لِلْمشرِكينَ وتَوَعُّدٌ لَهُمْ واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

وإذا جَعَلنا الْخِطابَ للناسِ جَميعاً فإِن الْمَعْنَى يَكونُ حينَئِذٍ: أَيُّها الناسُ إنكُمْ سَوْفَ تَركَبونَ في حَياتِكُمْ طَبَقاً بَعدَ طَبَقٍ، أَيْ حالاً بَعدَ حالٍ مِنْ أَطْوارِ الْعَيشِ، مَرةً تَجِدونَ الشِّدةَ ومَرةً تَجِدُونَ اللِّينَ. وقِيلَ لا تَمُرُّ عِشْرونَ عاماً إلَّا تَغيرَتْ حالُ الناسِ عَما عَهِدُوهُ وأَلِفُوهُ. وقِيلَ الْمُرادُ اختلافُ أَحْوالِ الْمَوْلُودِ إلى وَفاتِهِ كَما تَقَدم واللهُ أَعلَمُ.

وإِذا جَعَلْنا الْخِطابَ لسَيِّدِنا مُحمدٍ صلى اللهُ عَلَيهِ وسَلمَ على قِراءَةِ الْفَتح فالتفسيرُ : إنكَ يا مُحَمدُ سَتُلاقي أَنواعاً مِنَ الأَحْوالِ في دَعوَتِكَ لِقَومِكَ وسَتَدخُلُ في صُنُوفٍ مِنَ التجارِبِ ، حَالاً بَعدَ حالٍ ، وتَجرِبَةً بَعدَ تَجرِبَةٍ . وبهذا الْوَجهِ أَخذَ ابنُ عَباسٍ رَضيَ اللهُ عَنهُما .

ويَجوزُ أَنْ يَكونَ الْخِطابُ لابنِ آدَم ويكونُ الْمَعْنَى : إِنكَ يابْنَ آدَمَ سَتجدُ أَلْواناً مِنَ الْعيشِ فيها اللِّينُ وفيها الْمَرارَةُ . وهذا مَعنى قَولِ الديْريني رَحِمَهُ اللهُ : «لِلآدَميِّ» في بَيتِ الشِّعرِ الذي مَضَى ويَدخل في مَدْلُولهِ اختلافُ أَحوالِ المَوْلُودِ والله أَعلَمُ .

وَالْوجهُ الراجحُ كَما قَدمنا أَنْ يكونَ الْخِطابُ على قِراءَةِ «لَتَرْكَبَن» بالفَتحِ للنبي صلى الله عَلَيهِ وسَلمَ . وعَلى قراءَةِ «لَتَرْكَبُن» بالضمِّ ، وهيَ قراءَتُنا ، لأَهلِ مَكةَ الْمُشرِكينَ والْمعنيانِ مُتَقارِبانِ جِدّاً إِذْ كِلاهُما فيهِ الْوعيدُ والتهديدُ والتمهيلُ للمُشركينَ والتثبتُ لرَسُولِنا صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيهِ على الدعوَةِ والْحَقِّ والْهُدَى . واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

خـُلاصـَة بالدارجَة

رَبّنَا حَلَفْ بِالشَّفَقْ ، يَعْني الْ حُمْرَة الْ بِتْكُونْ وَقت النَّهار يَرُوحْ وَاللَّيْل يَجِي . (ونحْنَا بِنْسَمِّي الشَّفَقْ الْحَمَارْ) وحَلَفْ باللَّيْل والْحاجات الْ بِيلِمَّهَا اللَّيْل والأَسْرار الْ بِيَحْتَوي عَلِيهَا . وحَلَفْ بِالقَمْرَا وقِتْ تَمَامَها . وَقَال لِلْكُفَّار يَا أَهَلْ مَكَّة إِنْتُو رَايْحِين تَرْكَبُوا حَالْ بَعدَ حَالْ في عِنَادْكُمْ وكُفْرَكُمْ بِالنَّبي - وتَجَرّبُوا تَجْرِبة شَدِيدَة بَعَدْ تَجْرِبَة شَدِيدَة[1] .

وجَايِزْ يكُون الْخِطابْ لِسائِر النَّاس : يَعْني يا بني آدَمْ إِنْتُو رايْحِينْ تَرْكَبوا أَحْوَالْ مُخْتَلِفَةْ في دُنْيَاكُمْ فِيهَا الشِّدَّةْ وفِيهَا اللِّينْ .

1 - وفي قراءة الإفراد وفتح الباء مروي عن سيدنا ابن عباس انّه الخطابُ لنبينا عليه الصلاة والسلام ، يعني تجرب في الدعو حالاً بَعْدَ حال وتفسير سيدنا ابن عباس رواه الإمام البخاري الله ارض عنه .

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِم الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . وَاللهُ أَعْلَم بِمَا يُوعُونَ . فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ .

تنبيه :

قراءَةُ أَبي عَمْرٍو : عليهِم الْقرآنُ بكَسْرِ الْهاءِ والْميمِ مِن «عَلَيْهِمْ» وروايةُ حَفْصٍ عنْ عاصِمٍ عَلَيهِمُ الْقرآنُ بكَسرِ الْهاءِ وضَمِّ الميمِ مِنْ عَلَيْهِمْ .

المفـــرَدَات

لا يُؤْمِنُونَ	:	أَي لا يُصَدِّقونَ بالقرآنِ . أَو لا يُؤمنونَ باللهِ .
لا يَسجُدُونَ	:	أَيْ لا يَخشَعُونَ والسُّجودُ هُنا مَعناهُ الْخُشوعُ والْخُضُوعُ .
يُوعُونَ	:	أَيْ يَجمَعون ويَحفَظونَ والفِعلُ مِن أَوْعَى يُوعي . والمرادُ هَهُنا واللهُ أَعلمُ ما تَحفَظُهُ صُدُورُهم أَي ما انطَوَتْ عَلَيهِ صُدُورُهمْ وما كَتَموهُ .
مَمْنُونٌ	:	مَنقُوصٌ . وقيلَ مَحسُوبٌ . والْمَنُّ في اللُّغةِ يأتي بمعنى الْقَطعِ فَيكونُ مَمْنُونٌ بمعنَى مَقطُوعٍ أَيضاً وكُلُّ هذه المعاني مُتَقارِبَةٌ.

الخُـلاصَة

يَقولُ تَعالى مُوَبِّخاً للكُفارِ : ما بالُ هؤلاءِ المشركينَ من أَهلِ مكةَ لا يُؤمنونَ بالقرآنِ ولا يَقبَلونَ التوحيدَ ، وما لَهُمْ لا يَخشَعونَ للقُرآنِ عندَما تَقرؤهُ عليهِمْ يا مُحَمَّدُ - الحَقُّ إِنهُم

يُكَذِّبونَكَ يا مُحَمدُ وقَدْ انطَوَتْ صُدُورُهمْ على شَرٍّ عَظيمٍ اللهُ أَعلَمُ بهِ . فَبَشِّرْهُمْ بالعَذابِ الأَليم يَومَ الْقيامَةِ جَزاءَ جُحودِهِمْ وكَيدِهمْ . لكِن الذينَ آمَنوا وعَملُوا الصالِحات فإِن لَهُمْ أجراً عَظيماً غيرَ مَقطوعٍ ولا مَمنُوعٍ ولا مَنقُوصٍ ولا مَحسُوبٍ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

يَقُول رَبُّنا مَا مَعْناه : نَاس مَكَّة دِيلْ مَالْهُمْ [1] مَا بِيُؤْمِنُوا؟ وَوَقِتْ تَقْرا لْهُمْ الْقُرآن لِي شنُوا مَا بِيَخْشُوا ؟ الْحَقيقة هُم كافِرينْ ومَكَضِّبينْ بيكَ يا مُحَمَّدْ ، ورَبَّك

عَارِفْ الشَّر الْ انْطَوَتْ عَليه صُدُورُهُمْ . بَسْ قُولْ لِيهُمْ أَبْشِرُوا بعَذابِ الله الشَّديدْ المُرّ يُومَ الْقِيامَة . لكِنْ المُؤْمنين لِيهُمْ يُومَ القِيامَة الأَجُر اللاهُو مَقْطُوع وَلا مَمْنوعْ وَلا مَنْقُوصْ وَلا مَحْسُوبْ .

وتم بحَمدِ اللهِ وعَونِهِ تَفسيرُ سُورَة الانشِقاقِ .

1 - النطق : ما لن ميم مفتوحة وألف ولام مضمومة ونون أو ميم - وكذلك تقرأ لم (تقرأ لهم)

سورة البروج

وهيَ مكيّةٌ نزَلَتْ بَعدَ سُورَةِ الشمسِ

وآياتُها اثنتَانِ وعشرونَ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾

المفـــرَدَات

وَ : الْواوُ للقَسَمِ . أَقْسَمَ رَبُّنا بالسماءِ وبالْيَومِ الموْعودِ وشاهِدٍ ومَشهُودٍ ثُم لَمْ يَذكُرْ جَوابَ القَسَمِ لأَن السِّياقَ يَدلُّ عَلَيهِ - أَيْ هذا القرآنُ هوَ الحَقُّ ورِسالَتُكَ صَحيحَةٌ يا مُحمد قَسَماً بالسماءِ ذاتِ الْبُروجِ وباليومِ الموعودِ وبشاهِدٍ ومَشهُودٍ .

ذَاتِ الْبُرُوجِ : هذا وَصْفٌ للسماءِ ، أَي السماءِ التي فيها البُروجُ .

واختَلَفوا في معنى البُرُوجِ والراجحُ أَن المرادَ بها النُّجومُ والكَواكبُ بدَليلِ قولِهِ تَعالى : تَبارَكَ الذي جَعَلَ في السماءِ بُرُوجاً وجعلَ فيها سِراجاً وقَمراً مُنيراً - وهذهِ الآيةُ في سُورَةِ الْفُرقانِ . والمرادُ بالسِّراجِ الشمسُ .وذِكْرُ الشمسِ

والْقمرِ في هذهِ الآيةِ يُشعِرُ بأن المُرادَ منَ الْبُروجِ واللهُ تَعالى أَعلَمُ هوَ المَصابيحُ السماويةُ جَميعُها من نُجومٍ وكَواكبَ ثُم خَصصَ اللهُ الشمسَ والْقمَرَ بالذِّكْرِ لظُهورِهِما ووُضُوحِهما وانتِفاعِ الناسِ بهما . ومثلُ هذا التخصيص بَعدَ التعميمِ كَثيرٌ في الْقرآنِ نَحوَ قولِهِ تَعالى يَصِفُ الجَنَّتَينِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُما في سُورَةِ الرحمنِ : فيهما فاكِهةٌ ونَخلٌ ورُمَّانٌ - فالنخلُ والرُّمانُ تَخصيصٌ بَعدَ تَعميمٍ واللهُ أَعلَمُ .

وقيل المرادُ بالبُروجِ بُرُجُ النُّجومِ المعرُوفَةِ - وكُلُّ مَجْمُوعَةٍ منَ النُّجومِ مُلْتَفةٌ على هَيئَةٍ مَخصُوصَةٍ تُسمى بُرْجاً . وأَصْلُ الْبُرجِ في اللُّغَةِ المْنزِلُ العالي أو الْقَصرُ . وشُبِّهَت مَنازِلُ النُّجومِ بالأَبراجِ لعُلُوِّها . وفي السماءِ بحَسَبِ أَقوالِ عُلَماءِ النُّجومِ اثنْا عَشرَ بُرْجاً ، فهذهِ هيَ المرادَةُ - فيما ذكَرُوا (واللهُ تَعالى أَعلَمُ بمُرادِهِ) - في هذهِ الآيةِ وفي آيَةِ الفُرقانِ ، وهذا التفسيرُ جائزٌ مَقبولٌ وهوَ طَرَفٌ منَ التفسيرِ الأَولِ لأَن الأَبراجَ الاثنَيْ عَشَرَ إنما هيَ منَ النُّجومِ .

وقيل المرادُ الْكواكبُ الْواضِحَةُ المُشرِقةُ مثلُ المُشتَري والزهْرَةِ وهذا التفسيرُ جائزٌ ، لأَن الكواكبَ أَيضاً جُزءٌ مِنَ الأَجرامِ السماويةِ والتفسيرُ بالنُّجومِ أَقوَى هذهِ التفاسيرِ جَميعِها لاشتِمالِهِ عَلَيها واللهُ تَعالى أَعلَمُ . وقد رَجح الطَبريُّ

الْوَجهَ الثاني وهوَ أن المرادَ هُوَ الأَبراجُ الاثنا عَشرَ .

وقالَ بَعضُ المفَسرينَ : الْبُروجُ هُنا بمعنَى الْقُصُورِ ، والسماءُ فيها قُصُورٌ . وقالَ بَعضُهُمْ : الْبُروجُ هيَ أَبوابُ السماءِ .

وقالَ بَعضُهمْ الْبُرُوجُ هيَ الرملُ والماءُ - وهذا التفسيرُ مِنَ الأَقوالِ التي رَواها الطبَري . هوَ بَعيدٌ في ظاهرِهِ .

ولكِن بَعضَ الْعَرَبِ كانَتْ تَبني الْقُصورَ الضخمَةَ مِنَ الرملِ والماءِ والطِّينِ . ونَحنُ في هذا العَصرِ الْحاضرِ عَسى أَلّا نَسْتَنكِرَ أَنْ تَكُونَ السماءُ مُشتَمِلَةً على رَملٍ وماءٍ . واللهُ أَعلَمُ .

وَالْيومِ الموْعُودِ : هُوَ يَوْمُ الْقِيامَةِ .

وَشَاهِدٍ ومَشْهُودٍ : اختَلَفُوا في تَفسيرِ هذا الْحَرْفِ . ورَجَّحَ الطبَرِيُّ أَنْ يَكونَ المرادُ كُلُّ شاهِدٍ وكُلُّ مَشهُودٍ ورَوى أَقوالاً كَثيرَةً عَنْ أَهلِ التأْويلِ . وقالَ الزمَخشَريُّ : وقَدْ اضطَرَبَتْ أَقوالُ المفَسِّرينَ فيها - يَعني الشاهدَ والمشهودَ وذهبَ الزمَخشري إِلى تَفسيرٍ قَريبٍ مِنْ تَفسيرِ الطبَرِيِّ وذلكَ قَولُه : المرادُ بالشاهِدِ مَنْ يَشهَدُ فيهِ منَ الْخَلائقِ كُلِّهمْ وبالمشهُودِ ما في ذلكَ الْيومِ مِن عَجائبِهِ .

ومِنْ أَقوالِ المفَسِّرينَ إِن المرادَ بالشاهِدِ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى .

وقالَ بَعضُهُمْ النبيّ صلى اللهُ علَيهِ وسلمَ . وقالَ بعضُهمْ هوَ سَيِّدُنا عيسَى بنُ مَريَمَ عَلَيهِ السلامُ . وقالَ بَعضُهمْ الشاهِدُ هوَ يومُ الجُمعَةِ والمَشهُودُ هوَ يومُ عرَفةَ . وقالوا الشاهدُ يومُ الأَضحَى [1] والمشهُودُ يومُ الجُمعةِ وقالُوا أقوالاً كَثيرَةً تَجري هذا المجرَى . والرأيُ إنْ شاءَ اللهُ هُوَ ما ذَهَبَ إلَيهِ الطبَريُّ مِنْ أن المرادَ كُلُّ شاهِدٍ ومَشهودٍ والخَلْقُ يوْمَ القِيامَةِ كُلُّهُمْ شاهِدٌ ومَشهُودٌ عَلَيهِ أَمامَ ربِّ العِزَّةِ . والمرْءُ يَشهَدُ عَلَيهِ عَمَلُهُ وتَشهَدُ عَلَيهِ أَعْضاؤهُ وتَشهَدُ عَلَيهِ الملائكَةُ .

الخُـلاصَة

أَقسَمَ رَبُّنا بالسماءِ وبيَومِ القِيامَةِ وبموقِفِ الخَلْقِ أَمَامَ اللهِ جَل وعَلا يَومَ الحِسابِ وكُلُّهمْ شاهدٌ على نَفسِهِ ومَشهودٌ عَلَيهِ .

وجَوابُ القَسَمِ مَحذوفٌ لدِلالَةِ السِّياقِ علَيهِ . والمعنى أَن اللهَ أَقسَمَ بجَميعِ هذهِ الأشياءِ على صِحةِ الإِسلامِ وأَن رسالَةَ النبيِّ صَلى اللهُ عَلَيهِ وسَلمَ حَقٌّ . وأَن يَومَ القِيامَةِ آتٍ وأَن اللهَ سيُحاسِبُ الناسَ على أعمالِهِمْ .

---

1 - بفتح الهمزة وسكون الضاد وحاء مفتوحة وألف لينة جمع أضحاة

خلاصة بالدارجة

رَبّنَا حَلَفْ بالسّما الْ فيها البُرُوج يَعْني النُّجُوم . وحَلَفْ بِاليُومْ المُوعُودْ وَهْوَ يوم الْقِيامَةْ . وحَلَفْ بِالشّاهِدْ والمُشْهُودْ ودَا الإِنْسان وعَمَلُه يَشْهَد عَلَيه واعْضاهُ تَشْهَدْ عَليهُ يُومَ الْقِيامَةْ .

وَالحَلِفْ الْ حَلَفْ بِيهُ رَبّنَا جَلّ وعَزّ تَمامُه ظاهِر مِنَ الآيات فِيْ شان المُعَنَى إِنُّه رَبّنَا حَلَفْ بِكُلّ الأَشْيَا دِي يَبَيّنْ لَنا إِنّهُ الْقرآن حَقْ ورِسالةْ رَسُولَ الله عَليهُ الصّلاةُ والسّلامْ حَقْ وَالْقِيامَةْ حَقْ . والحِسابْ فيها كَايِنْ لا شَكْ نَسْأَل الله نكُونْ مِن النّاجِين .

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

تنبيه :

النارِ فيها إمالَةٌ تامةٌ لأَبي عَمرٍو وحَفصٌ لا يُميلُ .

المفـردات

قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ : لا بُد مِن ذكرِ خبرِ أَصحابِ الأُخْدُودِ حَتى يَتضحَ معنى هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ . وقد ذكَرَ المفَسّرونَ ثَلاثَ قِصَصٍ . الأُولى أن مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ جامَعَ أُختَهُ وهوَ سَكران وَلما صَحا لَمْ يَدْرِ كَيف يَصنَعُ .

فأشارَتْ عَليهِ أُختُهُ أَنْ يَزعُمَ أَن اللهَ أَنزلَ عَليهِ جوازَ نِكاحِ الأَخواتِ .

فلَما زعَمَ ذلِكَ للناسِ لَمْ يُصدِّقوهُ . فذَكَرَ ذلكَ لأُختِهِ :

ذَاتِ الْبُرُوجِ

وقالَ لَها إن الناسَ لَمْ يُصدِّقوني . فنصحَتْهُ أَنْ يَضرِبَهُمْ بالسِّياطِ وأَنْ يَقسُوَ عَليهِمْ . ولكِنهمْ لَم يَرجِعوا عن رأيِهِمْ . فنَصَحَتْهُ أُختُهُ أَن يَحرِقَهُمْ بالنارِ . وذلكَ بأَن يَحفِرَ لَهُمْ أُخدوداً ثُم يَجيءَ بالْحَطَبِ ويُشعِلَهُ فَفَعَلَ ذلِكَ .

والْقَصةُ الثانِيَةُ هيَ أَن أَحدَ الملُوكِ الكافرينَ كانَ لَهُ ساحِرٌ . وأَخذَ هذا الساحرُ غُلاماً فضَمهُ إِلَيهِ ليُعَلِّمَهُ السِّحرَ . وكانَ في طَريقِ الغُلامِ راهبٌ صالحٌ . فجَعَلَ هذا الراهبُ يُزَيِّنُ للغُلامِ أَنْ يدخُلَ في دينِ النصرانيةِ . وذاتَ يومٍ بَينَما كَانَ الغُلامُ سائراً رأَى حَيواناً غريباً قَد حَبَسَ الناسَ وأَخافَهُم . فأَخذَ حَجراً بيَدهِ وقالَ يا رَبِّ إِنْ كانَ كَلامُ الراهبِ أَصَح مِنْ كَلامِ الساحرِ فاقتلْ هذا الْحيوانَ .

فوَقَعَ الْحَجَرُ على الْحيوانِ فَماتَ . ودَخَلَ الإِيمانُ في قَلبِ الْغُلامِ فكانَ بَعدَ ذلِكَ يُداوي الأَعمَى والأَبْرَصَ . واتَّبَعَهُ الناسُ . وسَمعَ الملِكُ بهذا فحاوَلَ أَنْ يَقتُلَهُ بشَتى الوسائلِ ولَمْ يَستَطعْ إِليهِ سَبيلاً . وأَمَرَ بِهِ أَن يُطرَحَ مِنْ رأْسِ جَبَلٍ فَماتَ الذينَ حَملُوهُ إِلى الْجَبَلِ ورَجعَ هوَ سَليماً وأَمَرَ بِهِ أَنْ يُغرَقَ في الْبحرِ فَماتَ الذينَ حَملُوهُ ورَجعَ سَليماً .

ولَما رأى الغُلامُ أَن الملِكَ يَجتَهِدُ في إِهْلاكِهِ قالَ لَهُ أَيُّها الملِكُ إِنكَ لا

تَقدِرُ على قَتلي إلَّا إذا جَمعتَ كُل الناسِ في مَكانٍ واحِدٍ ثُم أَخذتَ سَهماً ورَمَيتَني بهِ وقُلتَ للسهمِ قَبلَ أَن تَرميَني بهِ : باسْمِ رَبِّ الْغُلامِ .

وفَعلَ الملِكُ ذلكَ وماتَ الْغلامُ . ولكِن الناسَ سَمِعوا ما قالَهُ الملِكُ للسهمِ وعَرَفُوا أَن الذي قَتَلَ الغُلامَ لَيسَ هوَ الملِكُ ولكِنْ هُو اللهُ تَبارَكَ وتَعالى الذي كانَ يَدعوهُمْ الْغلامُ إلى الإِيمانِ بهِ . فآمَنوا كُلُّهُم . وغضبَ الملكُ غايَةَ الغضَب . وأَمَرَ بالناسِ الذينَ آمَنوا فوُضِعوا في أُخدودٍ أي حُفرَةٍ عَظيمَةٍ وحُرِّقُوا .

والقِصة الثالثَةُ هيَ قصةُ ذي نُواسٍ مَلِكِ حِميَرٍ ، وحِميَرٌ كانَتْ أُمَّةً باليَمَنِ عَظيمَةً وكانُوا مُلُوكاً وذلكَ أَن ذا نُواسٍ سَمعَ أَن أَهلَ نَجرانَ دَخلوا في دينِ النصرانيةِ فخَرَج إليهمْ بجُنودهِ وكانَ يَهوديّاً . وكانَ أَهلُ نَجرانَ يَهوداً قبلَ أَنْ يَدخُلوا في النصرانيةِ . فقالَ لأَهلِ نَجران ارجعوا إلى ديني ودينِكُمْ الْقديمِ فأَبَوْا . فجَمَعَهُمْ وَوَضَعَهُمْ في الأَخاديدِ وهيَ الحُفَرُ واحِدتها أُخدودٌ وهوَ الشقُّ المحفُورُ في الأَرضِ وذُكِرَ أَن طُولَ الأُخدودِ الذي حَفَرَهُ ذو نُواسٍ أَربَعونَ ذِراعاً وعَرْضُهُ اثْنا عَشَرَ وأَنهُ أَحرَقَ اثنَيْ عَشَرَ أَلفاً مِنْ نَصارى نجران .

وكلُّ هذهِ القِصَصِ يَجوزُ أَن تكونَ قدْ أَشارَتْ الآيةُ الكَريمَةُ إلَيها وأَرجَحها - واللهُ تَعالى أَعلَمُ - قصةُ ذي نُواس الحِميَريّ وبِسَبَبِها

خرَجَتْ الْحَبَشَةُ إلى الْيَمَنِ وسنَذكُرُ ذلك عندَ تَفسيرِ سُورَةِ الفيلِ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى .

والآنَ بَعدَ أن ذكَرنا القِصةَ نَعود إلى تَفسيرِ الآيةِ .

قُتِلَ : فَسرَ قَتادَةُ هذا الْحَرْفِ بالقَتلِ المعروفِ - أَيْ أَصحابُ الأُخدُودِ قُتِلوا - وأَصحابُ الأُخدودِ عندَ قَتادَةَ هُمُ المؤمنونَ الذينَ وقَعَ عليهِمُ الْبَلاءُ - وهذا الْوَجهُ جائزٌ ولكِن الراجحَ واللهُ تَعالى أَعلَمُ هُو أَن قُتِلَ هَهُنا بمعنى لُعِنَ أَيْ لَعنَ اللهُ أَصحابَ الأُخدودِ وهُمُ الكافِرُونَ الذينَ أَحرَقوا المؤمنينَ .

الأُخْدُودِ : هُوَ الشَقُّ في الأَرْضِ والحَفرُ والجْمعُ أَخاديدُ . وأَصحابُ الأُخدودِ هُمُ الكُفارُ الذينَ حَفَرُوا الأُخدودَ أَوْ هُوَ ذو نُواسٍ وجُنُودُهُ . ولله دَرُّ الزمَخشَريِّ إذْ يَقولُ في تَفسيرِ هذهِ الآيةِ ما فحواه أنّ المراد منها تثبيتُ المسلمينَ وتسليتهم وتشجيعهم وأن قَوْلَ الله تَعالى قُتِلَ أَصحابُ الأُخدودِ يَدخُلُ في معناهُ ويُستَفادُ منهُ أَن اللهَ يَلَعنُ كُفارَ قُرَيشٍ الذينَ يُؤذونَ المؤمنينَ كَما لَعَنَ مِنْ قَبلِهمْ أَصحاب الأُخدودِ الذينَ حفَروا الْحُفَرَ وجَمَعوا الْحَطَبَ وأَحرَقوا عبادَ الله المؤمنينَ .

وعِندَ الزمَخشَري أَن «قُتِلَ أَصحابُ الأُخدودِ » دَالةٌ على جَوابِ الْقَسمِ أَي أَن اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أَقْسَمَ بالسماءِ ذاتِ البُرُوجِ وباليومِ الْموعودِ وبالشاهِدِ والمشهودِ على أَن كفارَ قُرَيشٍ الْمُصِرِّينَ على الْكُفرِ مَلْعونُونَ كَما لُعِنَ أَصحابُ الأُخْدودِ .

النارِ : بَيانٌ لِلأُخدودِ وتَوضيحٌ لَهُ .

الْوَقُود : بفَتحِ الواوِ الحَطَبَ الذي تُوقَدُ بِهِ النارُ .

إذ هُمْ عَلَيها قُعودٌ : أي الكافِرُون قاعِدونَ عندَ أَطرافِ الأُخْدودِ يُراقبون المؤمنينَ المُحرَقينَ . وعلى تَفسيرِ قَتادَةَ يكونُ المرادُ بقولِهِ تَعالى «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ» المؤمنينَ الذينَ أَقعَدَهُمْ الْكافرُونَ فَوْقَ النارِ ولكِنَّ سِياقَ الآيَةِ التاليَةِ يَجعَلُ الْوَجه الأَولَ أَقوَى واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

شُهُودٌ : أَيْ حاضِرُونَ يَرَوْنَ ويَسمَعُونَ - وهذا بَيانٌ وتَوضيحٌ لَقسْوَتِهِمْ . ويَجوزُ أن يَكونَ المرادُ أَنهمْ سيَشهَدونَ يومَ الْقيامَةِ بفعلِهِمْ هذا أَمامَ اللهِ جَل وعز . وذكَرَ الزمَخشريّ أَنهُمْ شَهِدوا أَمامَ مَلِكِهِمْ الكافِرِ بأَنهمْ أَدَّوْا عَمَلَهُمْ ولَمْ يُقَصِّرُوا فيهِ .

الخُـلاصَة

أَيْ لَعنَةُ اللهِ على أَصحابِ الأُخدودِ حينَ دَفَعوا بالمؤمنينَ إلى النارِ الموقَدَةِ بالْوَقُودِ المُشتَعِلِ وقَعدوا عندَها في الأُخدودِ يُراقبُونَهم ويُشاهدونَ عَذابَهُم وأَلَمَهم وقلوبُهم قاسيةٌ كالْحجارةِ .

هذا وقد كان كُفارُ مكةَ يُؤذونَ النبي وأَصحابَهُ وكانَتْ قلوبُهُمْ قاسيَةً كالْحجارةِ ففي ذكْرِ لَعنةِ اللهِ لأَصحابِ الأُخدودِ تَهديدٌ لَهُمْ باللعنَةِ إنْ استَمَرُّوا على الْكُفرِ والْعنادِ وأَذى المؤمنينَ واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

خلاصة بالدارجة

أَيْ رَبَّنا بيِلْعَنْ أَصْحابَ الأُخْدُود - يَعْني الجْماعَة الْ حَفَرُوا الحُفَر ورَمُوا فِيها المُؤْمِنينَ وحَرَّقُوهُمْ بالنَّارْ ودِيلْ جَماعة كُفَّار في الزَّمَن الْقَديمْ كَان عَلِيهُمْ مَلِكْ كَافِرْ وقَامُوا جَماعَة منهُمْ آمَنُوا بَسْ جَابُوهُمْ وخَتُّوهُم في أُخْدُود يَعْني شَقْ كَبِيرْ حَفَرُوهُ مَتْل السّرابَة طُولُه قالُوا أَربَعين ضُراع وعَرْضُه عَشْرَة أَضْرُعْ ورَدَمُوهُمْ بِالحَطَبْ وَالْقَشْ وحَرَقُوهُمْ . دَحِين رَبَّنَا لَعَنهُمْ وكَلَّمْنا إِنَّهُمْ مَنْ قَساوَتْهُمْ قَعَدُوا جَنْبَ النَّار يَعَايْنُوا لِلْمُؤْمِنينْ وهُمْ يَنْشَوُوا وبِتْحَرْقُوا في النَّارْ الْ فَيها الوَقُود .

وَالآيَة دِي فِيها تَشجيعْ لِلْمُسْلِمين أَصْحابَ النَّبي عَلِيهُ الصَّلاةُ وَالسَّلامَ فِي شَان قُريْش كَانُوا بِيَاذُوهُمْ ورَبّنا فَهَّمْنا - تَبارَكَ وَتَعَالى - إِنُّه كُفَّارْ قُرِيش [1] إِنْ كَان اسْتَمَرُّوا في الْعِناد وَالْكُفُرْ وأَذَى المُسْلِمِنْ يَكُونوا مَلعُونِينْ مِتِلْ رَبَّنا مَا لَعَنْ أَصْحابَ الأُخْدُود الْ حَرَقُوا المُؤْمِنينْ في الزَّمَان المَاضي .

﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

1 - قريش تنطق في اللغة العربية قافها قريباً من الغين وهو نطق عسى أن يكون فصيحاً إن صح ما ذكر سيبويه من جهر القاف وهو بإذن الله صحيح لدقة ذلك الرجل رحمه الله . قالوا قال أَبْ جَهَلْ (أي أبو جهل) بخاً بخاً يَحَرْدَنَ نِسا قريش بقاف كالغين أي بخ بخٍ لن ترضى ذلك نساء قريش .

المفــــردات

وَمَا نَقَمُوا : الْفعلُ نَقَمَ يَنْقِمُ وَزنُهُ مثلُ وَزنِ ضَرَبَ يَضرِبُ . والضميرُ في نَقَمُوا يَعودُ على الكافرينَ الذينَ حَفَرُوا الأُخدودَ ويَعودُ أيضاً على كُفارِ قُرَيشٍ الذينَ شَبَّهَهُمْ اللهُ بالكُفارِ الذينَ حَفَروا الأُخدودَ ولَعَنَهمْ لِفِعلِهِمْ هذا .
ونَقَموا مَعناها كَرِهُوا .

شَهيدٌ : شاهِدٌ .

الخُــلاصَة

يَقولُ تَعالى : وهَؤلاءِ الْكُفار أَصحابُ الأُخدودِ ما غاظَهُمْ من المؤمنينَ شيءٌ وما كَرِهوا مِنَ المؤمنينَ إِلَّا أَنهمْ آمَنوا باللهِ الْواحِدِ العزيزِ الْحَميدِ . اللهِ الذي لهُ مُلْكُ السمواتِ والأَرْضِ وهوَ يَرى كُل شيءٍ ويَشهَدُ عليهِ وقد رأى ما صنَعوهُ بالمؤمنينَ منَ التعذيبِ .

وقولُ اللهِ تَعالى «وما نَقَمُوا منهُمْ» أَيضا فيهِ توْبيخٌ لأَهلِ مكةَ وإِشارةٌ لِما كانُوا عليهِ منَ الكُفرِ . وكما كَرِهَ أَصحابُ الأُخدودِ مَنَ المؤمنينَ إِيمانَهُمْ باللهِ العزيزِ كَرِهَ المُشرِكونَ منْ إِيمانِ أَصحابِ رَسولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم ، وما كَرِهُوا مَنْ أَمْثَالِ سَادَتِنَا بَلالٍ وعَمَّارٍ وخَبَّابٍ وَابنِ مَسعودٍ والمسلمينَ الأَولينَ رضي اللهُ عَنهُمْ إِلَّا أَنهمْ آمَنوا باللهِ ورَسولِهِ واتبَعوا دِينَ الحَقِّ وتَركوا الأَوثانَ والباطِلَ إِلى عبادَةِ اللهِ العزيزِ الحَميدِ أَي الذي لهُ العِزةُ وهُوَ المحمُودُ ذُو النِّعَمِ العظيمَةِ على خَلْقِهِ .

خـلاصـة بالدارجَة

رَبَّنَا سُبْحانُه وتَعَالى بيقُولْ مَا مَعْنَاهُ إنّو الْكُفَّارْ مَا كَرِهُوا مَنَ الْمُؤْمنينْ حَاجَة إلّا (١) إنَّهُمْ آمَنُوا بِرَبَّنا رَبَّ السَّمواتِ وَالأَرِض الْعَزِيزْ الْحَميدْ الشَّاهِدْ عَلى كلّ شي الْ بِيَشُوفُهمْ وبِيَشوفْ أذَاهُم لِلْمُؤْمنينْ وُ تَعْذيبُهُمْ لِيهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾.

المفـــرَدَات

فَتَنُوا : أيْ عَذبُوا وقيلَ أَحْرَقُوا . والفِتنةُ في الأَصْلِ بمعنى الابتلاءِ ويأتي منها معنى التعذيبِ . والمرادُ هَهُنا واللهُ تَعالى أعلَمُ الكُفارُ الذينَ عَذبوا المؤمنينَ بإحراقهمْ في الأُخدودِ . كَما أَيضاً يُستَفادُ منَ الآيَةِ الإِشارَةُ إلى كفارِ قُرَيشٍ الذين كانُوا يَفتِنونَ أَصحابَ سَيِّدنا مُحمدٍ صَلى اللهُ عَلَيهِ وسَلم ويُعَذِّبُونَهُمْ .

عَذابُ جَهنمَ : قِيلَ يُعَذِّبُهُمْ اللهُ بجَهَنَّم في الآخرَةِ ، ويُعَذِّبُهم بالنارِ التي تُحرِقُهُمْ في الدُّنيا . وقد رَوَوْا أَن النارَ التي أَوقَدَها أَصحابُ الأُخدودِ انقَلَبَتْ فأَكَلَت الكافرينَ مَع المؤمنينَ الذين كانُوا وُضعوا فيها أَول الأَمرِ .

---

1 - النطق الدارج الصحيح المشهورِ علا بعين مكسورة ولام مشددة مفتوحة وألف . وتقول عِلَّنَهُمْ عين مكسورة ولام مشددة مكسورة ونون مفتوحة مشددة وهاء مضمومة ونون ساكنة أو ميم . هذا وجهٌ دارجٌ موغِل وما أثبتنا وجهٌ والله أعلم .

عَذابُ الْحَرِيقِ : تأكيدٌ لعَذابِ جَهَنمَ : أَي عَذابُ الاحتِراقِ . وقالوا الْحَرِيقُ اسمٌ لنارٍ أُخرَى غيرِ جَهَنم ، تتسعُ كَما يَتسعُ الْحَرِيقُ . اللهُ أَعلَمُ .

الخُـلاصَة

يَقولُ اللهُ تَعالى إِن الكافرينَ الذينَ عَذبوا المؤمنينَ والمؤمِناتِ وابتَلوهُمْ إِما بوَضعِهِمْ في الأُخدودِ وهوَ الشَّقُّ المحفورُ مُستَطيلاً على الأَرض وإِحراقِهِمْ وإِما بالأَذى أَيّاً كانَ نَوعُ الأَذى كَما يَفعَلُ كُفارُ قُرَيشٍ بأَصحابِكَ يا مُحمدُ - إِن هؤلاءِ الكافرينَ لَهُمْ عَذابُ جهنمَ جَزاءً لَهم ولَهم عَذابُ النارِ التي ستَحرقُهمْ حَرْقاً .

خـُلاصَـة بالدارجَة

يَقُولُ تَعَالى مَا مَعْناهُ : الْكَافرين الْ عَذَّبُوا الْمُؤمِنينْ وَالْمُؤْمِناتْ بِالنَّارِ أَوْ بِالأَذى أَوْ بِأَيِّ عَذابْ تاني ، دِيلْ جَزاهُمْ جهَنَّمْ [1] وجَزَاهُمْ النَّارْ الشَّديدَة الْ بِتَحْرِقُهُمْ بِإِذنِ الله ، لَعْنَةُ الله عَلَيْهُمْ .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ .

الخُـلاصَة

يَقولُ تَعالى ما مَعناهُ إِن المؤمنينَ الذينَ يؤمنُونَ بالله ويَعمَلُونَ عَمَلاً صالِحاً يُدْخِلُهُمُ اللهُ جَناتٍ تَجري مِن تَحتِ بَساتينِها الأَنْهارُ - أَنْهارُ الخَمرِ والعَسَلِ المُصفى والماءِ العَذْبِ الصافي واللبَنِ النقيِّ الطيِّبِ .

1 - النطق الشهير في الدارجة :جهنّب بالباء .

وعندَئذٍ سيَجدونَ الفوزَ الكبيرَ أي النجاحَ العظيمَ .

ويَجوزُ أنْ يَكونَ المُرادُ بالمؤمنينَ هنا أولئِكَ الذينَ أحرَقهمُ الكُفارُ في الأُخدودِ . ولكن سِياقَ الآيةِ يَدلُّ واللهُ تَعالى أعلَمُ على أن المرادَ سائرِ المؤمنينَ والآيَةُ فيها تَثبيتٌ لأَصحابِ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلمَ وتَشجيعٌ لَهُمْ وَوَعدٌ منَ اللهِ بأَنهمْ سيَدخلُون الجْنةَ وتَذكيرٌ لقُريشٍ وَوَعيدٌ لَهُمْ بأَنهمْ سَيَلقَونَ عَذابَ اللهِ إنْ أَصَرُّوا على الكُفرِ ولَمْ يَتُوبُوا .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنَا تَبَارَكَ وتَعَالى يقُولْ مَا مَعْنَاهُ : المُؤمِنينْ الْ بِيُومِنُوا بِالله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ وبِيَعْمَلُوا الْعَمَلَ الصَّالِحْ - دِيلْ جَزَاهُم الجْنَّاتْ الْ بِتجري تِحِتَها (١) بُحُور اللَّبَنْ والمْا والْعَسَلْ والخَمُر الطَّاهِرَةْ الْ في الجْنَّةْ وهُمْ هُنَاكَ يَلقُوا السَّعادَة ويَفُوزُوا الْفُوز الْكَبير الْ مَا مِتْلُه فُوزْ .

ورَبَّنا سُبْحانَهُ وتَعالى ذَكَرَ الكَلامَ دَا لِتَشْجيعْ أَصْحابَ النَّبي عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلام في الْ وَقِت (٢) الْ كَانُوا الْكُفَّارْ بِيَاذُوا فِيهُمْ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

1 - بكسر التاء والحاء وفتح التاء الثانية ومدها يسيرا وذلك بإهمال نطق الهاء وإبقاء حركتها وهو منهج فصيح روي ما يفيده .

2 - وقت بفتح الواو ، والقاف كاف محضة مكسورة والتاء المثناة الفوقية ساكنة .

تنبيه :

وهْوَ الغَفورُ الوَدُودُ .

قِراءَةُ أَبي عَمْرِو : وَهْوَ بهاءٍ ساكِنَةٍ بَعدَ الْواوِ - وهكَذا مَذهَبُ أَبي عَمْرِو يُسَكِّنُ الْهاءَ مِنْ هُوَ وَهْيَ بَعدَ واوِ الْعطفِ وفائِهِ وبَعدَ لامِ الْفَصْلِ نَحْوَ «لَهْوَ» «لَهْيَ» . أَما حَفْصٌ فيَقرَأُ : وَهُوَ بضَمِّ الهاءِ .

وأما قَوْلُهُ تَعالى إِنهُ هُوَ يُبديءُ ويُعيدُ فالقراءَةُ عندَ أَبي عَمْرِو وحَفصٍ كِلَيهما واحدَةٌ : إِنهُ هُوَ - بضَمِّ الْهاءِ .

المفـــرَدَات

بَطْشَ رَبِّكَ : أَصْلُ البَطْشِ هُوَ الأَخذُ بعُنفٍ وشِدةٍ - والمرادُ هُنا عقابُ الله للظالمينَ وانْتِقامُهُ منهُم .

يُبْدِئ ويُعيدُ : قالُوا إِن اللهَ سُبحانَهُ وتَعالى يُبدئُ البَطْشَ ويُعيدُهُ - وذلِكَ بأَنْ يُجزي الكافرينَ في الدُّنيا ويُعَذِّبَهمْ في الآخرةِ .
وقالُوا يُبديءُ أَيْ يَبدَأُ الخَلْقَ أَولَ مَرةٍ ويُعيدُهمْ بَعدَ الْموتِ إِلى الْحياةِ مَرةً أُخرَى - وهذا هُوَ الْوجهُ الراجحُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالى .
وكَأَن اللهَ عَز وجَل أَرادَ أَنْ يُهَدِّدَ الكافرينَ ويَقولَ لَهُمْ إِن رَبَّكُمْ شَديدُ البَطشِ وقَدْ خلَقكُمْ أَولَ مرةٍ ثُم يُعيدُكُمْ بَعدَ مَوتِكُمْ ويُحاسِبُكُمْ على إِجرامِكُمْ .

وَهُوَ الْغَفور الْوَدُودُ : الغَفورُ الكَثيرُ الغفرانِ . الْوَدودُ الذي فيهِ حُبٌّ شَديدٌ ومَوَدةٌ وعَطفٌ على خَلْقِهِ ورَحمةٌ لَهُمْ .

ذُو العَرْشِ : أَي صاحِبُ الْعرْشِ الْعظيمِ - وعَرْشُ اللهِ فَوْقَ السمواتِ السبْعِ ، مُحيطٌ بسائرِ الخَلْقِ مُشتَمِلٌ على كُلِّ شيءٍ .

المَجيدُ : مِنْ صِفَةِ اللهِ أَيْ هُوَ المجيدُ .

وقَرَأَ الكِسائيُّ وحَمزَةُ : المجيدِ بالجرِّ صِفَةً لِلْعَرْشِ أَيْ أَن اللهَ صاحبُ العَرْشِ المُمَجدِ الكَريمِ .

ولَيسَ بَينَ القِراءَتَينِ اختِلافٌ جَوهريٌّ في المعنَى .

الخــلاصَة

قالَ تَعالى يُحَذِّرُ الكَافرينَ : إن رَبكَ يأْخُذُ الكافرينَ بعُنفٍ وبِبَطْشٍ شَديدٍ . وَهُوَ قَديرٌ على كلِّ ذلِكَ إِذْ بَدأَ الخَلْقَ منَ الْعَدَمِ وسَيُعيدُهُمْ بَعدَ المَوْتِ.

ومَنْ تابَ بَعدَ ظُلْمِهِ فإنه سَيَجِدُ اللهَ غَفوراً رَحيماً عَطُوفاً وهوَ الخَالِقُ والصمَدُ الأعظَمُ صاحبُ المُلكِ الذي لَهُ العَرْشُ العظيمُ .

خـلاصَـة بالدارجَة

رَبّنَا بِيخَوّف الْكُفارْ يَقُولْ لَهُمْ سُبْحانُهْ وتَعَالَى : رَبّنَا عِقابُه شَدِيدْ وهُو قادِرْ يَخْلِقْ الخَلايِقْ مِنَ الْعَدَمْ ويَعيدُهُمْ تَاني بَعَدَ المُوتْ . وَهُو غَفّارْ رَحِيمْ لَلتّايْبِين وهُو الْ عِنْدُه المُلُكْ وَالْعَرِشْ الْ فُوقَ السَّموات وهُو العظِيم المَجيدْ.

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

الخُـلاصَة

مَعنى هذه الآيَةِ والله أعلَمُ أن اللهَ قادِرٌ على كُلِّ شيءٍ وَهُوَ يَتَصرفُ كَما أرادَ ويَفعَلُ كُل شيءٍ يُريدُهُ وذلكَ هَيِّنٌ عَلَيهِ وهُوَ قادرٌ على ذلكَ جدّاً .

خـُلاصَـة بالدارجَة

قَوْلُ تَعَالى : «فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» يَعْني رَبَّنَا يَقْدِرْ بِقُدْرَةْ شَدِيدَةْ يَسَوِّي كُلّ شِي هُو رايْدُهْ .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعوْنَ وَثَمُودَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا في تَكْذِيبٍ . وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِم مُّحِيطٌ . بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ . في لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ .

المفـــرَدَات

هَلْ أَتاكَ حَديثُ الجُنُودِ : أَيْ هَلْ بَلَغَكَ خَبَرُ الجُنُودِ ؟ هَلْ تَعَلَمُ قِصةَ الجُنودِ ؟

فِرْعَوْنَ : مَعرُوفٌ ، هُوَ مَلِك مِصرَ الذي عَذَّبَ بَني إِسرائيلَ وعَصَى سَيِّدَنا مُوسَى عَلَيهِ السلامُ فأَغرَقَه اللهُ وَقَدْ مرَّ عليكَ طَرَفٌ مِنْ خَبَرِ ذلكِ في سُورَةِ النازِعاتِ .

ثَمُودَ : هُمْ أُمَّةٌ مَنَ الْعَرَبِ العارِبَةِ أَيْ القَديمَةِ جَدّاً . وكَانَ زَمانُهُمْ قَبلَ الإِسْلامِ بمِئاتِ السِّنين . وأَرْسَلَ اللهُ إِلَيهِمْ نَبِيَّهُمْ صالِحاً فكَذَّبُوهُ وعَصَوهُ وقالوا لَهُ لَنْ نُصَدِّقَكَ حتى تَجيئنا بمُعجِزَةٍ . فأَعطاهُ اللهُ

مُعجِزَةٍ وهيَ ناقَة أَخرَجَها اللهُ مِنْ صَخرَةٍ وكانَتْ تَشرَبُ وَحدَها يَوماً ويَشرَبُون هُمْ في يوْمٍ آخر . فَتبرَّمُوا بهذِهِ الناقَةِ وأرادوا أَنْ يَنحَرُوها . فنهاهُمْ سَيِّدُنا صالحٌ . فعَصَوْهُ وعَقَرُوا الناقَةَ . فأَرسَلَ اللهُ عَلَيهِمْ صَيحَةً واحدَةً أَهلكَتهُمْ جَميعاً إِلّا الذينَ آمَنوا منهُمْ .

في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ : أَيْ القُرآنُ مكْتوبٌ في لَوحٍ محَفوظٍ عندَ الله .

وقيلَ هذا اللوحُ مَحفُوظٌ في جَبْهَةِ سَيِّدِنا إِسْرافيل المَلَك عَلَيهِ السلامُ ، ويَجوزُ أَن يَكونَ المرادُ أَن القرآنَ يُحفَظُ في الأَلْواحِ وهيَ الأَلواحُ التي يكتبُها الناسُ ويَحفَظُونَ الآياتِ مِنْ طَريقِها .

وقَرَأَ نافِعٌ أَحَدُ السَّبْعَةِ (مَحْفُوظٌ) بِرَفْعِ الظَّاءِ بجَعْل كَلمةِ «محْفُوظ» هُنا صِفَةً لقَوْلِهِ تَعالى : «قُرآنٌ مجيدٌ» - أَيْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ مَحفُوظٌ مِنْ أَنْ يَدخُلَهُ التغييرُ والتبديلُ .

الخُـلاصَة

قالَ تَعالى لِيُسَلِّيَ النبي صَلى اللهُ عَلَيهِ وسَلمَ ويُشَجِّعَهُ ، يا مُحَمدُ هَلْ بَلَغَتكَ قِصةُ الجنُودِ الذينَ تَجَندوا على الله سُبحانَهُ وتَعالى ليُحارِبُوهُ - ثُم بَينَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى هَؤلاءِ الجُنُودَ مَنْ هُمْ فَقالَ هُمْ فِرْعَونُ الكافرُ الذي ادعى الرُّبوبيةَ وهُمْ ثَمُودُ الذينَ فَسَقوا وعَصَوا أَمرَ رَبِّهِمْ - انتَقَم اللهُ مِنهُمْ جَميعاً ، وسَينتَقِمُ مِنْ هؤلاءِ المشركينَ الذينَ كَذبوك يا مُحَمدُ .

ثُم قالَ تَعالى يُوَبِّخُ الكافرينَ : إِنهُمْ دائِماً في تكذيبٍ ، فضَرَبَ لَهُمْ الأَمثالَ يُخَوِّفُهُمْ بها ولكِنَّهُمْ يَستَهزِئُون ويُصِرُّونَ على التكذيب والكُفْرِ . فَقُلْ لَهُمْ اصبِرُوا قَليلاً

فإن اللهَ مُحيطٌ بكُمْ مَنْ كُلِّ جِهةٍ وهَوَ أمامَكُمْ ووَراءَكُمْ ومِنْ حوْلِكُمْ أَيْنما كُنتُمْ هُوَ مُحيطٌ بكُمْ - هذا مَعنى واللهُ مِنْ وَرائِهِم مُحيطٌ .

ثُم قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى يُخاطِبُ الكافرينَ الذينَ يَطعَنونَ في القُرآنِ ويَقولُونَ هُوَ شِعْرٌ وهُوَ كَلامُ كَاهِنٍ - كَلَّا ، إنهُ قُرآنٌ شَريفٌ مَجيد أَنْزَلَهُ اللهُ عَلى عَبدِهِ وهوَ محفوظٌ في اللوْحِ المحْفُوظِ عندَ اللهِ الْعظيمِ .

خلاصة بالدارجة

رَبِّنَا بِيَسَلِّي النَّبي عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلام ويَقُولْ لِيهُ مَا تَحْزَن في شان كُفْرْ قُومَكْ دِيلْ ، انْتَ مَا سِمِعْتَ خَبَرَ الْجُنُود الْ حَارَبُوا رَبَّهُمْ ، فِرْعُون وقُومُه وثَمُود الْ خالَفُوا سِيدْنَا صالِح - رَبِّنَا انْتَقَمْ مِنهُمْ كُلَّهُمْ . ودَحِينَ المُشْرِكِين دِيلْ مِكَضِّبِين طَوَّالي . قُولْ لَهُمْ اصْبُرُوا الله وراكُمْ ومُحِيطْ بِيكُمْ . وقُولْ لِيهُمْ الْقُرآن دَا مَا هُو افْتِرا - دَا كَلامْ الله الْعَظِيمْ جَلَّ جَلالُهُ ، مَحْفُوظْ عِنْدُه في لُوحَ الْقُدْرَهْ .

وقالُوا المفَسِّرين اللوْحُ مَحفُوظٌ في جبهَةْ سِيدْنا إسرافيلْ المِلكْ عَليهُ السلامْ .

وتَم بحَمدِ اللهِ وعَوْنِهِ تَفسيرُ سُورَةِ البُرُوجِ .

سورة الطارق

مَكِّيَّةٌ وآياتُها سَبْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ .

تنبيه :

وَما أَدْراكَ - هَهُنا إِمالَةٌ تامَّةٌ لأَبِي عَمْرٍو في الأَلِفِ الَّتي بَعدَ الراءِ مَنْ كَلِمةِ أَدْراكَ وحَفصٌ لا يُميلُ .

وَفي الآيَةِ «إِن كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيها حافِظٌ - كَلِمَة لَمَّا بفتح اللام [1] وتخفيف الميمِ مَفتوحَةً وأَلِفٌ بَعدَها . وَوَرْشٌ مثلُ أَبي عَمرو .

وقِراءَةُ التَّشديدِ [2] هيَ قراءَةُ ابنِ عامِرٍ وعاصِمٍ وحَمزَةَ وقراءَةُ التَّخفيفِ هيَ قراءَةُ أَبي عمرٍو ونافعٍ وابنِ كثيرٍ والكِسائي .

والمعَنى مُتقارِبٌ . والاختِلافُ نَحويٌّ في جوهَرِهِ . وسيَظهَرُ مع التَّفسيرِ .

---

1 - تشديد اللام من أجل الإدغام وذلك أن قبلها نون التنوين الساكنة .

2 - أي تشديد الميم .

المفـــردات

وَالطَّارِقِ : أَصْلُهُ في اللُّغةِ مَنْ طَرَقَ يَطرُقُ إذا جاءَ بِلَيلٍ وقدْ بَيَّنَ الله تَعالى كَلِمَةَ الطَّارِقِ فيما بَعد بقَوْلِهِ تَعالى : «النَّجْمُ الثَّاقِبُ»

وَما أَدْراكَ : مرّ تَفسيرُها .

النَّجْمُ الثَّاقِبُ : أيْ النَّجمُ المضيءُ المتَوَهِّجُ ويَجوزُ أَن يَكونَ بمعنى المرتَفعِ . وأَصلُ الثَّاقِبِ مِنْ ثَقَبتِ النَّارُ تَثقُبُ ثُقوباً إذا اتَّقَدَتْ . ويَجوزُ أَنْ يكونَ اللهُ تِبارَكَ وتَعالى أَقْسمَ بنَجم بعينِهِ ههُنا وهوَ نَجمُ الثُّرَيَّا إِذْ كَانَتِ الْعَرَبُ كَثيراً ما تُطلِقِ لَفظَ النَّجمِ على الثُّرَيَّا .

«إِن كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ» بالتخفيف لميمِ لما : على هذِهِ القراءَةِ ، إِنْ حَرْفٌ للتَّوكيدِ وهْيَ بمعنَى إِنَّ مُخَفَّفَة مَنها وَ (لَمَا) لَفظٌ دَالٌّ على التَّوكيدِ مُرَكَّبٌ مِنَ اللَّامِ وَمَا أَيْ كُلُّ نَفْسٍ حَقّاً عَليها حَافِظٌ يَحفَظُها وَ «مَا» زائدَةٌ في اللّفظِ بَعدَ اللَّامِ ولكِنْ معناها زيادَةٌ في التَّوكيد . اللهُ تَعالى أَعلَمُ .

«إِن كُلُّ نَفْسٍ لَـمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» : بتَشديدِ ميمِ «لَمَّا» رِوايَة حَفْصٍ عَنْ عاصِمٍ وهي القراءَةُ الَّتي في المُصحَفِ الدَّائرِ المطبوعِ الآنَ . وإِنْ هُنا حَرْفُ نَفْيٍ بمعنَى لَيسَ وبمعنَى ما النَّافيَةِ . ولَمَّا بالتَّشديدِ أَيْ تَشديدِ الميمِ مَعناها إِلَّا .

وهذا هوَ رَأيُ الكُوفِيِّين ذَكَرَهُ الفَرَّاءُ . والمعنَى : لا تُوجَدُ نَفْسٌ مِنَ النُّفوسِ إلّا لَهَا حَافِظٌ يَحفَظُها بِأمرِ الله .

وكَما تَرَى فالمعنَى بالقراءَتَينِ واحدٌ والاختِلافُ في التأْويلِ النَّحَويِّ . والتَّخفيفُ والتَّشديدُ في ميمِ «لما» جاءَ في مَواضعَ أُخرَى منَ القرآن مثلُ قولِ الله تَعالى في سُورَةِ يس : وَإن كُلٌّ لَمَّا جَميعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ؛ وقولُهُ تَعالى في سُورَةِ الزُّخرُفِ : وإن كُلُّ ذلكَ لَمَا مَتَاعُ الحَياة الدُّنْيا والآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقينَ .

حَافِظٌ : أيْ حارِسٌ يَحفَظُها . فَإنْ فَسَّرْنا الحِفْظَ هَهُنا بِأنَّهُ حِفظُ الأعمالِ وكِتابَتُها فإنَّ أقرَبَ معنَى الحافِظِ ههُنا الملائِكَةُ الحافِظونَ الّذينَ يَكتُبونَ أعمالَنا . وقيلَ كُلُّ نَفسٍ لَهَا مَلَكٌ يَكتُبُ أعمالَهَا وقيلَ مَلَكانِ. وإنْ فَسَّرْنا الحافظَ ههُنا بالحارِسِ كَما ذكَرْنا أوَّلَ شيءٍ فيَجوزُ أن يكون المْعنَى أنَّ كُلَّ نفسٍ لَها مَلائكَةٌ تَحرِسُها وتُدافعُ عَنها حَتَّى يَجيءَ أمرُ الله وقيلَ كُلُّ نَفسٍ لَها مِائَةٌ وسِتُّونَ مَلَكاً يَحرِسُونَها واللهُ تَعالى أعلَمُ .

وذَهَبَ الزَّمَخشَريّ إلى أنَّ الحافظَ هُنا هُوَ اللهُ وهوَ رَقيبٌ علَينا جَميعاً. وأشبَهُ بالصَّواب أن نأخُذَ اللَّفظَ بمعناه العام أي كُلُّ نَفْسٍ عَلَيها حافظٌ يَحفظُها بأَمرِ الله سَواءٌ أكانَ هذا الحْافظُ مَلَكاً يكتُبُ عَمَلَها أمْ مَلائكَةٌ يَحرُسونَها أوِ الحارِس هوَ عِلْمُ الله القديرُ الّذي يُراقبُها وَلا تَخفَى علَيهِ خافيَةٌ مَنْ سِرِّها أوْ جهرِها .

الخُــلاصَة

أَقْسَمَ رَبُّنا بالسَّماءِ وبالطَّارِقِ وسأَلَ سُبحانَه وتَعالى النَّبيَّ صَلَّى الله علَيهِ وسَلَّمَ فَقالَ هَل تَعلَمُ هذا الطَّارِقَ ما هُو ؟ إِنَّه النَّجمُ المضيءُ . ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَبارَكَ اسمُهُ لَنا لماذا أَقسَمَ فقالَ - أَحْلِفُ بالسَّماءِ ونَجمِها المضيءِ على أَنَّ كُلَّ مَخلُوقٍ قد وَكَّلْنا بِهِ حافظاً يَحفظُهُ . فقَولُهُ تَعالى «إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْها حَافِظٌ» جَوابُ القَسَمِ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنَا حَلَفْ بِالسَّمَا وبِالطارِقْ وفَسَّرْ لَنا الطَّارِقْ قالْ سُبْحانُه وتَعَالى للنَّبي عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ إِنْتَ الْ عَرَّفَكْ بِالطَّارِقْ دَا شِنُو ؟ هُوَ النَّجِمَ الْ ضَوُّو كَبيرْ . وحَلَفْ رَبَّنا بالسَّمَا والنَّجِمْ فِي شَان يَقُولْ لَنا كُلُّ نَفِسْ لِيهَا حَافِظْ وكَّلهُ بِيها رَبَّها في شان يَحْفَظَها

وَيَكتِبْ عَمَلَها [1] ويَحرِسَها . وقَالُوا رَبَّنا وَكَّلْ بالمؤمن مِيَّةْ وستِّينْ مَلَكْ يَحْفَظُوهُ ويَطْرُدُوا مِنُّه المُصائِبْ واللهُ تَعالى أَعْلَمَ .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ .

المفــرَدات

1 - عملها تنقها عملا كلها مفتوح ويحرسها بياء مفتوحة وحاء ساكنة بعدها راء مكسورة ثم سين مفتوحة وتصير الهاء ألفاً .

فَلْيَنْظُرْ : فَلْيَتأَمَّل وَلْيُعايِنْ .

مِمَّ خُلِقَ : مِنْ أَيِّ شيءٍ خُلِقَ . مِمَّ أَيْ مِنْ ماذا وهيَ مرَكَّبَةٌ مِنْ كَلِمةِ مِنْ معها مَا الاسْتِفهاميَّةِ .

وَما أَدْراكَ : مرّ تَفسيرُها .

مِن مَّاءٍ دَافِقٍ : أَيْ مَنْ ماءٍ مُندَفعٍ . وزَعمَ بَعضُ النحاةِ أَنَّ كَلِمةَ دافِقٍ هنا بمعنى مَدْفوقٍ وهذا وَجهٌ جائزٌ ولكنَّه غيرُ قويٍّ . لأَنَّ اللهَ تبارَكَ وتَعالى وَصَفَ الماءَ نَفسَهُ بأَنَّهُ مُندَفعٌ وكأَنَّهُ لقوَّةِ اندِفاعِهِ يَدفقُ نَفسَهُ واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

والماءُ الدَّافِقُ هُوَ المَنيُّ .

مِنْ بَيْنِ الصُّلبِ : الصُّلْبُ : هُو ظَهْرُ الرَّجُلِ .

وَالتَّرَائِبِ : هيَ عظامُ صَدْرِ المرأَةِ أَوْ ما فَوْقَ ثَديها ومَعنى قَولِهِ تَعالى وهُوَ أَعلَمُ بمُرادِهِ : «مِن بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ» :

مِنْ بَينِ الرَّجُلِ والمرأَةِ – لأَنَّ هذا الماءَ الدَّافِقَ إِنَّما يَندَفقُ بالتِقائِهِما وتَجامُعِهما . وهذا التَّعبيرُ القرآنيُّ دَقيقٌ للغايَة وفيهِ منَ البَلاغةِ والبيانِ ما تَرى . ويَجوز في التأْويلِ ماءُ الرَّجلِ وماءُ المرأَةِ فالصُّلْبُ كنايَةٌ عنِ الرَّجلِ والتَّرائبُ كِنايَةٌ عنِ المرأَةِ والمعنى مُتقارِبٌ بإِذنِ اللهِ تَعالى .

الخُلاصَة

يَقولُ تَعالى مُذكِّراً لَنا : الواجبُ على الإنسانِ أَنْ يتأَمَّلَ ويَنظُرَ في مَبدَإِ خَلْقِهِ كَيفَ كَانَ . إِنَّ اللهَ خَلَقَهُ مِنْ ماءٍ مُندَفعٍ مِنِ التِقاءِ الذَّكَر والأُنْثى يَخرُجُ من بَينِ ظَهرِ الرَّجلِ وثَدْيي المرأَةِ .

هذا وزَعَمَ بَعضُ المفَسِّرينَ أَنَّ قَولَه تَعالى «يَخرُجُ مِن بَينِ الصُّلْب والتَّرائِبِ» مَعناهُ مِنْ بَينِ عَينَي الرَّجلِ ويَدَيه ورِجلَيهِ ، فجَعلوا الحَديث كُلَّه عنِ الرَّجلِ ، وهذا جائزٌ ولكِنَّه أَضْعَفُ منَ التأْويلِ الَّذي ذكَرناهُ وقَد نَبَّه على هذا الإِمامُ الطَّبَريُّ رَضيَ اللهُ عنهُ حيثُ ذكَرَ أَنَّ المعروفَ مِنْ كَلامِ العرَبِ الَّذي بِهِ جاءَتْ أَشعارُهُمْ هوَ أَنَّ التَّرائبَ هيَ مَوضعُ القِلادَةِ مِنَ المرأَةِ .

خُلاصَة بالدارجَة

يَقول تَعالى يَوَعِّظ الإِنْسَانَ : وَاجِبْ على الإِنْسان يَفكِّرْ يَشُوف ابْتِدَا أَمرُهُ كَانْ كَانْ كِيفْ ورَبَّنا خَلقَهُ مِنْ شِنُو؟ رَبَّنا خَلَقُه مَنْ مُويَه انْدَفَقَتْ مِنْ صُلْبَ الرَّجُلْ يَعْني ضَهرُه - «وَالتَّرَائِبْ» يَعني تَرَائِبَ المْرأَة يَعني صَدْرَ المْرْأَةْ دَا مَبْدا أَمْر الإِنْسَان - شي ضَعيفْ خَلاصْ .

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ ﴾ .

المفـــردات

عَلى رَجْعِهِ : على إعادَتِهِ - أَيْ إعادَةِ الإِنْسانِ بَعدَ المَوْتِ والفِعلُ رَجَعَ يَرْجِعُ رَجْعاً . تَقولُ : رَجعْتُ إِلَيكَ مالَكَ أَيْ رَدَدْتُ إِلَيك مالَكَ . والنَّاسُ الآنَ يَقولُونَ أَرْجَعتُ وهيَ رَديئَةٌ والقرآنُ لَمْ يَستَعمِلْها [1].

وقَالَ بَعضُ المفَسِّرينَ : الضَّميرُ في قَولِهِ تَعالى «على رَجْعِهِ» يَعودُ على الماءِ الدَّافقِ أَيْ رَبُّنا قادِرٌ أَن يُعيدَ هذا الماءَ إِلى مكانِه الَّذي خَرج منهُ مَنْ جسمِ الرَّجل والمرأَةِ . وهذا الوَجهُ جائزٌ ولكنَّه ضعيفٌ لأَنَّ السِّياقَ يدلُّ على أَنَّ الضَّمير راجعٌ على الإِنسانِ وانظُرْ هُدِيتَ إِلى قولهِ تَعالى : «يَوْم تُبْلَى السَّرَائِرُ» فهذا يدلُّ على إِعادَةِ الإِنسانِ إِلى الحَياةِ بَعدَ الموتِ ليُواجهَ رَبَّه . وقالَ بَعضُهمْ : على رَجْعهِ أَيْ على إِعادتِهِ صَغيراً بَعدَ أَن كانَ كَبيراً وهذا أَيضاً وَجهٌ ضَعيفٌ واللهُ أَعلَمُ .

لَقَادرٌ : اللَّامُ للتَّوكيدِ - أَيْ قادِرٌ حَقّاً .

يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ : هُوَ يَوْمُ القيامَةِ . تُبلى أَصلُها مَنْ بَلا يَبْلُو أَيْ اختَبَرَ وامتَحَنَ . وتُبلَى فِعلٌ مَبْنيٌّ للمَجهُولِ مَعناهُ تُختَبَرُ وتُمتَحَنَ . أَيْ اليَوْم الَّذي يَمتَحِنُ اللهُ فيهِ سَرائرَ النَّاس بمُناقَشَتِها وحسابِها وهوَ يومُ القيامَةِ . وقالَ

---

1 - الفعل الرباعي أرْجَع يسوغ حينَ يُرادُ بِه رَد الْيَدِ لإِعادَةِ الرمْي ،،،، قال الْهُذَلي : فغيث في ا الكنانةِ يُرْجِعُ .
وهذا كأنه استعمالٌ اصطلاحي فتأمل . والله أعلم .

بَعضُهمْ السّرائرُ هيَ الصَّومُ والصَّلاةُ وغُسلُ الجَنابَةِ لأَن الإِنسانَ يَقولُ في هذهِ الدُّنيا صُمتُ وما صامَ وصَلَّيتُ وما صَلَّى – وَلا يَخفى أَنَّ هذا القَولَ لا يَنطَبِقُ على الصَّومِ والصَّلاةِ وغُسْلِ الجَنَابَةِ وَحدَها ولكِنْ على جَميعِ الأَفعالِ الَّتي يَدَّعيها النَّاسُ ادِّعاءً ولَمْ يَفعَلُوها ويَفضَحُهمْ اللهُ تَعالى بذلكَ يومَ القيامَةَ فالوَجهُ الأَوَّلُ على هذا أَقوَى في التَّفسيرِ إن شاءَ اللهُ تَعالى .

الخُـلاصَة

أَيْ إِنَّ اللهَ يَقدِرُ أَنْ يُعيدَ الإِنسانَ حَيّاً بَعدَ الموتِ كَما قَدرَ على خَلْقِهِ أَوَّلَ الأَمرِ مِن ماءٍ دافقٍ مُندَفقٍ . وإِنَّه سيُعيدُ الإِنسانَ حَقّاً ويَجدُ الإِنسانُ نَفسَهُ واقفاً أَمامهُ ولَيسَتْ له قُوَّةٌ وليسَ له ناصرٌ يَنصُرُهُ بل هو ضَعيفٌ أَمامَ رَبِّهِ وذلكَ يكونُ في يومِ القيامَةِ اليومِ الذي يَمتَحنُ اللهُ فيهِ سَرائرَ النَّاسِ .

تنبيه :

مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصرٍ . كَلِمَةُ (مِنْ) هُنا أَتَتْ لتَقويةِ العبارَةِ وأَصلُها : ما لهُ قوَّةٌ وَلا ناصرٌ فلمَّا جاءَتْ كلمةُ (مِنْ) صارَ المعنَى فَما لَهُ أَيَّةُ قُوَّةٍ وما لَه أَحَدٌ كائناً ما كانَ ليَنصُرَه.

خلاصة بالدارجة

رَبّنا سُبحانه وتَعالى بيقولْ : إِنَّه على رَجْعِهِ لَقَادِرٌ - يَعْني رَبّنَا بِيقْدَرْ يَرَجّعْ ابْن آدَمْ حَيْ مَرّةً تانْيَة مِتِل مَا خَلَقُهْ بَس مِنْ مُوَيه دَافْقَهْ . ويَعَدِين ابْن آدَمْ يقِيفْ قِدّامْ رَبُّه ذَلِيل ضَعيف لا لِيهْ قُوّه وَلا لِيهْ نَاصِر يَنْصُرُهُ ودَا عَادْ بيكُونْ يُومَ الْقِيامَه الْيُومَ الْ بِيِخْتَبِرْ رَبّنَا فِيهْ سَرَايْرَ النَّاسْ والْ كَانُوا كَاتْمِينُه في الدُّنيا كُلُّهْ بِيَظْهَرْ نَسأَل الله السِّترْ .

وَالسَّماءِ ذَاتِ الرَّجعِ . وَالْأَرْض ذَاتِ الصَّدْعِ . إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ . وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً .

تنبيه :

أَبو عَمْرٍو يُميلُ الأَلفَ في كلمةِ الكافرينَ إِمالةً تامَّةً وحَيثُما وقَعتْ كلمةُ الكافرينَ في القرآنِ فأبوعَمْرٍو يُميلُها يَعني في حالَتَي الجَرِّ والنَّصبِ . وحَفصٌ عَن عاصِمٍ لا يُميلُها .

المفـــردَات

ذَاتِ الرَّجْعِ : الرَّجعِ هُوَ المطَرُ . وسَمّى اللهُ تَعالى السَّماءَ ذَاتَ الرَّجْعِ لأَنَّ المطَرَ يَجيءُ مِن جِهتِها . وقيلَ الرَّجعُ هوَ السَّحابُ وهوَ مَعنًى مُقارِبٌ وفي البُخاريِّ عَنْ مُجاهِدٍ هُوَ «سَحابٌ يَرجعُ بالمطَرِ» وهذا مثلُ التفسيرِ الأَوَّلِ أَوْ مُقارِبٌ لهُ بإِذنِ اللهِ تَعالى . وقيلَ الرَّجْعُ : الرِّزْقُ لأَنَّها أَي السَّماءُ تُعيدُ أَرزاقَ العِبادِ مِنْ طَريقِ المطَرِ كُلَّ عامٍ وهذا أَيضاً مُقاربٌ لِمَا يَظهَرُ فيها الْقَمَرُ وَحِيناً تَظهرُ فيها الشَّمسُ . اللهُ تَعالى أَعلَمُ .

ذَاتِ الصَّدْعِ	: الصَّدْعُ هُوَ الشَّقُّ - وذلكَ أَنَّ الأَرْضَ تنشَقُّ للمَطَرِ ويَخرُج منها النَّباتُ ، وقالوا : الصَّدعُ هوَ النَّباتُ وهذا القولُ جائزٌ لأَن النَّبات يَخرُجُ مَنَ الصَّدْعِ الَّذي يَكونُ في الأَرْضِ حينَ تَتصَدَّعُ بالنَّباتِ أيْ تَتَشَقَّقُ بالنَّبات .
	وقالوا الصَّدْعُ هوَ الرِّزْقُ وهذا المعنى أَيضاً مُقارِبٌ لأَنَّ الصَّدْعَ يكُونُ فيهِ النَّباتُ والنَّباتُ يكونُ منهُ الرِّزْقُ .
	والشَّقُّ أَقوَى المعاني لأَنَّ اللهَ تَعالى يَقولُ : ثُمَّ شَقَقْنا الأَرْضَ شَقّاً . واللهُ تَعالى أَعلَمُ .
إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ	: هذا هُوَ جَوابُ القَسَمِ .
فَصْلٌ	: يَفصِلُ بَينَ الحَقِّ والباطِلِ أَيْ حَقٌّ .
وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ	: الهَزْلُ هُوَ الباطِلُ واللعبُ والمُزاحُ . والباءُ تَجيءُ في خَبَرِ «ما» النَّافيَةِ لتَقويتِهِ . والنَّحوِيُّونَ يُسَمُّونَها الباءُ الزَّائدَةُ وإِنَّما سَمَّوْها زائدَةٌ اصطِلاحاً لأَنَّها زائدَةٌ مِنْ حيثُ حاجةُ المعنَى إِليها فهيَ تُفيدُ التَّقويَةَ كَما قَدَّمنا واللهُ أَعلَمُ .
يَكيدُونَ كَيْداً	: يَمكُرُونَ مَكراً - والخَبَرُ هُنا عنِ الكافرينَ أَعداءِ اللهِ ورَسُولِهِ .
وأَكيدُ كَيْداً	: وأَمكُرُ مَكْراً - ومَكْرُ اللهِ هُوَ أَنْ يُفسِدَ مَكْرَ الخُبَثاءِ ويَمُدَّ لَهُمْ فيَتَمادَوْنَ في المعاصي فيأْخُذَهُمْ أَخذاً عَزيزاً .
	وقَدْ سَمَّى اللهُ تَعالى إِحباطَهُ لِمَكْرِهِمْ وعِقابَهُ لَهُمْ عَلَيهِ مَكْراً لَمَّا جَعَلَهُ بِإِزائِهِ ومُقابِلاً لَهُ وجَزاءً علَيهِ . قالَ تَعالى في سُورَةِ النَّملِ يَذكُرُ مَكرَ

القَومِ المفسِدينَ مِنْ ثَمودَ وعقَابَهُ لَهُمْ وتَدميرَهُ إيَّاهُمْ : «ومَكَروا مَكْراً ومَكَرْنا مَكراً وَهُمْ لا يَشعُرُون فانْظُرْ كَيفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إنَّا دَمَّرْنَاهمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينْ» فَجَعَلَ سُبْحانَهُ وَتَعالى عِقَابَهُ إيَّاهُمْ مَكْراً منهُ مُقابِلاً لِمَكْرِهِمْ ومُحيطاً بهِ . وكذلكَ فكانَ ذلكَ حُجةً ومُعجِزَةً وبُرْهاناً .

رُوَيْداً : لَفظٌ مَعناهُ تَمَهَّلْ (١) - أَي يا مُحَمدُ تَمَهَّلْ قَليلاً وَأَمهِلِ الكافِرين فإنِ اللهَ سَيُعاقِبُهُمْ .

الخُـلاصَة

أَقسَمَ رَبُّنا بالسماءِ التي يَنزلُ منها المطَرُ وبالأَرْضِ ذاتِ الشُّقوقِ التي يَخرُجُ منها النباتُ على أَن القرآنَ قَوْلٌ فَصْلٌ يَفصِلُ بَينَ الحَق والباطِلِ وأَنهُ ليسَ بافْتِراءٍ وَلا لَعِبٍ وَلا مُزاحٍ . ثُم قالَ جَلَّ شأْنُهُ في الكافرينَ إنهُمْ يَكيدونَ ويَمكُرُنَ واللهُ تَعالى يُفْسِدُ مَكْرَهُمْ ويُبطِلُهُ ثُم قالَ لنَبيِّنا علَيهِ الصلاةُ والسلامُ يُخاطِبُهُ ويُثَبِّتُه فاصبِرْ يا مُحَمدُ وأَمْهِلْهُم قَليلاً فإنهُمْ مُنهَزِمُونَ .

وقَد كانَ ذلكَ - جَل اللهُ تَعالى .

خُلاصَـة بالدارجَة

حَلَفَ رَبُّنا بالسَما الْ فِيها الرجع يَعني المَطَرْ وبالأَرْض الْ فِيها الصدْع يَعْني الشُّقُوق الْ بِيقُوم فِيها النَبات وَ الأَرِض وَقِتْ يَنْزِلْ المَطَرْ

---

١ - ويجيء بمعنى أمهل أيضاً وهو كذلك في شِعْرِ هُذيل : رُوَيْدَ عَلِيّاً ، أي أرْوِدْ علياً ، البيت .

ويَجي فيها المًا [1] بِيتشقَّقْ وَيَمْرُقْ منهَا الزرعْ وصُنُوفَ النباتْ . وقَالَ لَنا الله سُبْحانَهُ وتَعَالى إِن الْقُرآنَ كَلامْ حَقْ وجَدْ بِيَفصِلْ بَيْنَ الْحَقْ وَالْبَاطِلْ وما هُوَ بِالْهَزْل يَعْني مَا هُو مِزاحْ [2] ولِعِبْ وقَالَ الْمُوْلى عَز وجَل للنبي صَلى الله عَلَيه وسَلم الْكَافِرينْ دِيلْ [3] بِيَمْكُرُوا ويَكِيدُوا ولكِنْ أَنا رَبهُمْ بَكِيدْ لِيهُمْ [4] ومَكْرَهُمْ دَا كُلُّه بَفْسِدُهْ عَلِيهُمْ . بَسْ مَهِّلْهُمْ شِوَيهْ - اصْبُرْ لَهُمْ شِوَيه . ورُوَيْداً مَعْناها اصْبُرْ شِوَيه . الْمُوْلَى عَز وَجَل هُنَا بِيَثَبِّتْ نَبِينَا عَلِيهُ الصلاةُ والسلامْ . وَوَعَدُه النصْرْ عَلى الْكُفارْ وأَمَره بِالصبُرْ .

وتم بحمد الله وعونه تفسير سورة الطارق

---

1 - الما بألف ولام ساكنة وميم وألف أي الماء ، هكذا في الدارجة ويقال المي بميم مكسورة والمُوية والميهيه بألف ولام وميم بكسرة وفتحة ممالتين ، في حركة مزدودة طويلة وهاء مكسورة وياء مشددة مفتوحة ثم هاء التأنيث .

2 - بكسر الميم وضمها .

3 - ديل بدال ممالة الحركة بعدها .

4 - ليهم أو لهم كما في الفصيح .

سورة الأعلى

مَكِّيَّةٌ وآياتُها تسع عَشْرَةَ – نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ﴾ .

تنبيه :

في هذهِ السُّورَةِ فَواصِلُ تَنتَهي بالألفِ الليِّنَةِ وهيَ قولهُ تَعالى : الأَعْلَى ، فَسَوّى ، فَهَدَى، المُرْعَى ، أَحْوَى ، تَنْسَى ، يَخْفَى ، الْيُسْرَى ، الذكْرَى ، يَخْشَى ، الأَشْقَى ، الْكُبْرَى ، يَحْيَى ، تزكى ، فَصَلَّى ، الدُّنْيَا ، أَبْقَى ، الأُولى ، مُوسَى .

فَفيها إِمالَةُ التقليلِ لأَبي عَمْرو بحَسَبِ ما ذكَرْناهُ في سُورَتَي «وَالنازِعاتِ» وَ «عَبَسَ» وإِذا كانت الأَلف اللينة بعد راءٍ كما في : لِلْيُسْرَى ، الذِّكرَى ، الكُبرَى . فالإِمالَةُ تامةٌ . وَلا إِمالَةَ لحَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ .

المفـــرَدَات

سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلى : أَيْ قلْ سُبحانَ رَبِّي – ومَعنَى قُلْ سُبحانَ رَبِّي هُوَ : تَنزيهاً لرَبِّي عن كُلِّ ما يَصِفُ بِهِ الكافرُونَ أَربابَهمْ . فيكونُ مَعنَى سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الأَعلى هوَ : نَزِّه اسمَ رَبِّكَ الأَعظَم وذلكَ بِأَلَّاتُشرِكَ بِهِ أَحَداً وأَنْ تُفرِدَهُ وحدَه بالرُّبُوبيةِ والعبادَةِ منكَ لَهُ .

وقالوا كانَ سَيِّدُنا عَليٌّ كَرمَ اللهُ وَجهَهُ إِذا قرأَ : سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الأَعلى - قالَ سُبحانَ رَبِّي الأَعلى .

الخُـلاصَة

أَمَرَ اللهُ المُؤمِنَ أَنْ يُنَزِّهَ اسمهُ تَبارَكَ وَتَقدَّسَتْ أَسْماؤُهُ عَنْ كُلِّ ما لا تَصحُّ نسبَتُهُ إِلى الخالقِ الأَعلى - ويَجوزُ أَن تكونَ الأَعلى صفَةٌ للاسم .

خـُلاصَـة بالدارجَة

سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى - مَعْناهَا عَظِّم رَبَّكَ الْكَبيرْ يا مُسْلِمْ ونَزِّهْ اسْمَه وَلا تُشرِكْ بِيهُ وكَانُوا المُشركينْ في عِبادَتهُمْ يَلَبُّوا ويَقُولُوا مَعَ الله شَريكٌ ومَا بِيَفْرِدُوا اسْمَ الله سُبْحَانُه وتَعَالى بالْعِبادَةْ . الله أَمَر نَبِيُّه عَليهُ الصلاةُ وَالسلامْ يَنزِّهُه ويَفْرِدُه وَحْدُه بالْعِبادَةْ .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ .

تنبيه :

فَسَوّى - فَهَدَى - المُرْعَى - أَحْوَى - فيها إِمالاتُ التقليلِ لِمَنْ عَمِلَ بها بحَسَبِ ما تَقدمَ في قراءَةِ أَبي عَمْرِو - ولا إِمالَةَ لحفصٍ .

المفـــرَدَات

خلَقَ فسَوّى	:	أيْ صَنَع الأَشياءَ وعَدَلَها .
قَدَّرَ	:	هَيأَ - وقَرأَ الكِسائيُّ قَدَرَ بفَتحِ الدالِ ورَجَّحَ الإمامُ الطبَرِيُّ رَضيَ اللهُ عنهُ التشديدَ والكِسائيُّ رَحِمَهُ الله مِن رِجالِ القِراءَةِ السبعَةِ ومن أعلامِ اللُّغةِ والنحوِ وقراءَتُهُ لَها وَجهُها ومَعناها ، وهوَ قريبٌ مِن معنى : قَدَّرَ واللهُ تَعالى أَعلَمُ .
فَهَدَى	:	اختَلَفوا في معنَى الهِدايةِ هُنا - فقالوا أرادَ تَعالى أن اللهَ هَيأَ للإنسانِ مَعيشَتَه وهَداهُ للسعادَةِ والشقاءِ وقالوا إن اللهَ هَدَى الذُّكورَ للإناثِ. والراجحُ هُوَ الوَجهُ الأَولُ لأَن قولَهُ تَعالى في سُورَةِ البَلَدِ «وَهَدَيْناهُ النجْدَينِ» يُقَوِّيهِ ويُؤَيِّدُهُ .
المَرْعَى	:	النبَات .
غُثَاءً	:	هَشيماً يابِساً - والغُثاءُ أَيضاً ما يَحمِلُهُ السيلُ وما تَحمِلُهُ الرِّيحُ .
أَحْوَى	:	أَسْوَدَ اللونِ - وأَحْوَى أيضاً تُستَعمَلُ للأَخضَرِ الشديدِ الخُضرَةِ وقوَلُهُ تَعالى : فَجَعَله غُثاءً أَحْوَى : يَحتملُ وجهَينِ في التأويل : الأَوّل أنْ تَقولَ كِلمَةُ أَحْوَى مُتَأَخِّرةٌ مِنْ أجلِ الفاصلَةِ والتركيبُ هُوَ : والذي أَخرَجَ المَرْعى أَحوَى فجَعَلَهُ غُثاءً - أَيْ اللهُ الذي أَخرَجَ المَرْعَى أَخضَرَ شَديدَ الخُضرَةِ ثُم صَيَّرَهُ هَشيماً يابِساً . والوَجهُ الثاني أنْ تَقولَ اللهُ الذي أَخرَجَ النباتَ مِنَ الأَرْضِ مُختَلفَ الأَلوانِ

أَخضَرَ وأَصفَرَ وأَحمَرَ - ثُم صَيَّرَهُ جَميعَهُ يابِساً هَشيماً كالغُثاءِ الذي يَحمِلُه السيلُ والدَّرِينِ الذي تَحمِلُهُ الريحُ وقد تَغيرَ لَوْنُه وضَرَبَ إلى السوادِ.

هذا وكلمةُ الأَحوَى وإِنْ كانَتْ تُطلَقُ في الأَصلِ على الأَسْوَدِ وعلى الأَخضَرِ الشديدِ الخُضرَةِ، فقَدْ تُطلَقُ على المتَغَيِّرِ اللونِ تَغَيُّراً شَديداً كما هذهِ الآيةِ. ومَنْ تأَملَ غُثاءَ السيلِ وَجدَ فيهِ سواداً واتِّساخاً.

وقَدْ رَجَّح الطبَرِيُّ الوَجهَ الثاني وذلكَ أَشبَهُ بالصوابِ مِنَ التأْويلِ لأَن اللهَ عَز وجَل كأَنما أَرادَ أَنْ يُعطيَنا أَولَ الأَمرِ صُورَةَ خُرُوجِ المرعَى مَن الأَرضِ زاهياً مُتَوَقِّدَ الأَلوانِ مُختَلِفَها. ثُم تَصويحُهُ[1] بَعدَ ذلكَ وصَيرُورَتُهُ شَيئاً أَدْكَنَ ذَاهبَ اللَّمعَةِ، كَزَبَدِ السيلِ وما تَذرُوهُ الرِّيحُ مَنْ تِبْنٍ وهَشيمٍ.

ثُم إِن الوَجهَ الأَولَ فيهِ منَ التقديمِ والتأخيرِ ما لا يُلائِمُ سَلاسَةَ هذهِ الآياتِ وانْسِيابَها. والتقديمُ والتأخيرُ مَعرُوفٌ في مَذاهبِ البَلاغةِ العَربيةِ. إِلَّا أَن هذا على الراجحِ لَيسَ مِنْ مَواضعِهِ، لِتساوُقِ الفواصلِ واطِّرادِها وصَلاحيةِ كُلٍّ منها لأَنْ يَكونَ مَوقفاً، وجَعلُ أَحْوَى حالاً منَ المرعى، فيهِ إِفسادٌ لهذا التساوُقِ والاطِّرادِ الذي يَقتَضي أَن تكونَ أَحْوَى صِفَةٌ لقَولِهِ تَعالى «غُثاءً» واللهُ أَعلَم.

---

1 - أي ثم يجيء تصويحه أو على حَذفِ مضافٍ أي صُورةُ تصويحه.

الخُــلاصَة

بَعدَ أَنْ أَمَرَنا اللهُ تَبارَكَ وتَعالى بأَنْ نُسَبِّحَ اسمَهُ العظيمَ جَعلَ يُعَدِدُ لَنا نِعَمَهُ علَينا وصَنائعَه ويذكُرُ لنا عَجائبَ قُدرَتهِ - فقالَ أَيُّها الإِنسانُ سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الذي خلَقَ الخَلْقَ وسَواهمْ في خلَقٍ معُتَدِلَةٍ مُستَويَة والذي هَيأَ للناسِ كُل شيءٍ وهَداهُمْ نَحوَ الطريقِ فَمِنهُم مَنْ يَسْلُكُ نَحوَ الخَيرِ ومنُهمْ مَنْ يَسلُكُ نَحوَ الشرِّ ، والذي أنبَتَ النباتَ مُختَلِفاً أَلْوانُهُ ثُم يَجعَلُهُ آخرَ الأَمرِ يابِساً مُتَغيِّرَ اللُّونِ أَدكَنَ كالغُثاءِ الذي يَحملُهُ البَحرُ والهَشيمُ الذي تَذْروهُ الرِّيح .

خـُلاصَــة بالدارجَة

رَبنَا قَال لِّينا : نَزِّهُوا اسْمَ اللهِ الْعَظيم الْ خَلقَكُمْ وسَواكُمْ في صُورَهْ مُعْتَدِلَةْ تَامةْ والْ هَيأْ لِيكُمْ كُل حاجَة وَوَرَّاكُمْ السِّكة الْ تَمْشُوا عَلِيهَا . مِنكُم الْ بِيَمْشُوا في سِكةَ الخَير ومِنكمْ الْ بِيَمشُوا في سِكةَ الشَر ، والْ مَرَقَ النبات مِنَ الأَرِض أَلوانُه مُختَلْفَة ويَعَدين يَسَوِّيهُ دَرِين وهَشيمْ لُونُه مَتغيِّرْ أَسْوَادْ .

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ ﴾.

تنبيه :

اليُسْرَى - الذِّكْرَى . هاتانِ الكَلِمَتانِ فيهِما الإمالَةُ التامةُ لأَبي عَمْرٍو ولا يُميلُها[1] حَفْصٌ . أما (تَنْسَى) وَ (يَخْفَى) فَفيهِما التقليلُ لِمَنْ يَعمَلُ بهِ في قراءَةِ أبي عمرو كما تَقدم .

المفـــرَدات

سَنُقْرِئُك فَلا تنْسَى : أَيْ سَنَجعَلُكَ تَقرَأُ القُرآنَ فَلا تَنساهُ

إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ : اختَلَفوا في تأويلِ الاستِثناءِ ههُنا - فَقالَ بَعضُهُمْ إنهُ لتأْكيدِ الكَلامِ السابِقِ وإن مَعناهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وإن اللهَ لَنْ يَشاءَ أَنْ تَنسَى .

وذكَرَ آخَرُونَ أَن المرادَ هوَ أَن اللهَ سَيَجعَلُكَ تَحفَظُ وَلا تَنسَى إِلَّا مَا يُريدُكَ هُوَ أَنْ تَنساهُ وذلكَ ما يَنسَخُهُ اللهُ ومَا يَرْفَعُه منَ الصُّدورِ .

وقيلَ إن المرادَ إِلَّا مَا تَنساهُ سَهواً ثُم تَتذكرُه كالذي ذكَروهُ من أَن أُبَيَّ بنَ كَعبٍ أَحَس أن النبي صَلى اللهُ عَلَيهِ وسَلمَ أَسقَطَ آيَةً في الصلاةِ فسأَلَهُ عنها فقالَ نَسيتُها أَوْ إِلَّا ما شاءَ اللهُ .

وقالَ الزَّمَخشَريُّ - في الوُجوهِ التي ذكَرَها - الْغَرَضُ نَفيُ النِّسيانِ ومَثَّلَ لهذا الوَجهِ بقولِ القائلِ أَنتَ شَريكٌ لي فيما أَملِكُ إِلَّا ما شَاءَ اللهُ - وهذا الوَجهُ عندَنا ضَعيفٌ ، لأَنَّ ذكرَ المشيئَةِ احتِراسٌ على كُلِّ حالٍ إِذْ لا أَمرَ يَخرُجُ عَنها وكَمالُ الإِيمانِ والحَزمِ يَقتَضي تَقييدَ

---

1 - أي الإمالة ولحفص إمالة واحدة وهي في هود ((مجراها)) بفتح الميم وسكون الجيم وراء فألف فهاء فألف .

كُلِّ عَزْمٍ بها قَالَ تَعالى : وَلا تَقولَنَّ لشيءٍ إنِّي فاعلٌ ذلكَ غداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ .

وقالَ بَعضُهمْ فلا تَنسَى أَصلُهُ فلا تَنسَ وجاءَت الألف للإِطلاقِ من أَجلِ الفاصلَةِ ، وهذا وَجهٌ ضَعيفٌ . وقالَ بَعضُهُمْ : فلا تَنسَى: أَيْ فَلا تَترُكُ العَملَ أَيْ إِنَّكَ سَتَعمَلُ بها تأمُر بِهِ الآياتُ . وهذا وَجهٌ ضَعيفٌ لأَنَّه لا يُلائمُ مَعنى القراءَةِ . والصَّوابُ إِن شاءَ اللهُ أَن نَقولَ إِنَّ المرادَ واللهُ تَعالى أَعلَمُ هوَ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى وعَدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بأَنَّهُ سيَجعَلُه يَقرأُ القرآنَ ويَحفَظُه ولا يَنساه إِلَّا ما شَاءَ اللهُ أَنْ يَنساهُ إِمَّا سَهواً وإِمَّا على سَبيلِ الرَّفع والنَّسخِ . وقولُهُ تَعالى فلا تَنسَى يَحتَملُ هذينِ المعنَيَينِ مَعاً فلا يَصحُّ لَنا أَنْ نُخَصِّصَ واحداً منهُما دونَ الآخَر .

والسَّببُ في نُزولِ هذِه الآياتِ كما ذكَروا هوَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ كانَ يَحرِصُ على القرآنِ ويَتَلَذَّذُهُ وإِذا قرَأَهُ علَيهِ جبريلُ علَيهِ السَّلامُ تَعَجَّلَ وكانَ يَهتَمُّ جِدّاً خَشيَةَ أَلَّا يَنسَى القرآنَ ويَضيعَ منهُ ، فَعَزّاهُ اللهُ جَلَّ وعَلا ووَعَدَه بأَنَّه سَيقرأُ القرآنَ ويَحفَظُهُ ولا يَنسَى منهُ إِلَّا مَا يَسهُو عَنهُ إِلى أَمَدٍ قَصيرٍ ثُمَّ يَتذَكَّرُه أَوْ ما يُريدُ اللهُ تَعالى لَه النَّسخَ والرَّفعَ . وذكَرُوا أَنَّ جبريلَ علَيهِ السَّلامُ كانَ يقرَأُ الوَحيَ على النَّبي صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ويُكَرِّرُ له حتَّى يَثبُتَ ذلكَ في فُؤادِهِ .

وجاءَ في البُخاريِّ : سَمعَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ رَجلاً يَقرأُ في سُورَةٍ باللَّيلِ فَقالَ يَرحَمُهُ اللهُ لَقَدْ أَذْكَرَني آيَةَ كَذا وكَذا كُنتُ أُنْسيتُها مَنْ سُورَةِ كَذا وكذا .

قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في فَتحِ الباريّ بمعرَضِ هذا البابِ وشَرْحِ الأَحاديثِ فيهِ : قَوْلُه وفي الحديثِ حُجَّةٌ لَمَنْ أَجازَ النِّسيانَ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ فيما لَيسَ طَريقُه البلاغَ مُطلَقاً ، وكذا فيما طَريقُه البَلاغُ لكنْ بشَرْطَينِ ، أَحَدُهُما أَنَّه بَعدَما يَقعُ منهُ تَبليغُه والآخرُ أَنَّه لا يَستَمرُّ على نسيانِهِ بَلْ يَحصُلُ لهُ تذَكُّره إِمَّا بنَفسهِ وإِمَّا بغَيرِهِ .

الجَهْرَ وَمَا يَخْفَى : يَجُوزُ أَنْ يَكونَ الجَهرُ مَنْ حَيثُ هُوَ والسِّرُّ الَّذي يَخفَى مِنْ حَيثُ هوَ. ويَجوزُ أَن يكونَ المعنَى إِنَّ اللهَ يَعلَمُ يا مُحَمَّدُ أَنَّكَ تَتلو جَهراً وتَتلو سِرّاً فلا تكُن مَهموماً فإِنَّ اللهَ يُيَسِّرُ لكَ أَمرَ القُرآنِ ويُحَفِّظُكَ إِيَّاه .

ونُيَسِّرُكَ لليُسْرَى : أَيْ نُهَيِّئُكَ ونَدُلُّكَ ونَقودُكَ إِلى الأَمرِ الأَيسَرِ في سائرِ شؤونِ الدِّينِ والدُّنيا - وهذا وعدٌ منَ الله تَبارَكَ وتَعالى لنَبيِّهِ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسَلمَ بأَن يَجعَل دينَهُ يُسْراً وأُسلوبَه في الحياةِ يُسراً وأَنْ يَجعَلَ شريعَتَه سَمحَةً كما أَنَّه وَعدٌ منه أَن يُيَسِّرَ له القرآنَ حتَّى يَسهُلَ حفظُه .

فَذَكِّرْ : أَيْ فذكِّرِ العبادَ وادعُهُمْ إِلى الله . الرَّاءُ في كَلمَةِ «فذكِّرْ» تكونُ رَقيقَةً

في التِّلاوَةِ فتنَبَّهْ لذلكَ هُدِيتَ وذلك لأَنَّها سَاكِنَةٌ بَعدَ كَسْرَةٍ أَصيلَة .[1]

الذِّكْرَى : التَّذكيرُ .

الخـُـلاصَة

يَقولُ تَعالى : يا مُحَمَّدُ إنَّا سَنَجعَلُكَ تَقرَأُ القُرآنَ وتَحفَظُه ولا تَنساهُ إلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ أَنْ تَنسَى آيَةً سَهواً ثُمَّ تَتَذَكَّرُها ، أَو يَشاءُ الله أَنْ يَنسَخَ آيَةً ويَرْفَعَها . فلا تَهتَمّ وتَحزَن يا مُحَمَّدُ فإنَّ اللهَ سَيُحَفِّظُك القرآنَ ويَحفَظُه عَلَيكَ وهوَ يَعلمُ جَهرَكَ بالقراءَةِ وسِرَّكَ بها في صَدْرِكَ كَما أنّه يَعلَمُ كُلَّ جَهرٍ وكلَّ سِرٍّ . وإنَّ اللهَ سَيُهَيِّئُكَ لطَريقِ الصَّوابِ للمَسلَكِ السَّمحِ الكَريمِ ، فادعُ إلى رَبِّكَ وذَكِّرْ قَومَكَ بِهِ وباليَوْمِ الآخرِ إنْ كانَ يَنفعَهُمُ التَّذكيرُ أَوْ كانِتْ تَنفَعهُمُ المواعظُ والتَّنبيهُ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبُّنَا قالَ للنبي عَلِيهُ الصلاةُ والسلامْ يُشَجِّعُه وكانَ النبي عَلِيهُ الصلاةُ والسلامْ بِيَخَافْ يَنْسَى القُرْآنْ ودِيمَةْ يَقْرَاهُ خُوف[2] مِنْ يَنْساهُ - قَالَ لَهُ رَبنَا سُبحَانَهُ وتَعَالى نَحنَ بَنحَفِّظَكَ الْقُرآنْ وإِنت تَبْ مَا بِتَنساهُ إِلَّا تَسْهَى عَنْ آيَة

---

1 - ذلك بأن الكسر العارض لا يقتضي الترقيق نحو : أم ارتابوا فكسر الميم للساكنين كما ترى .

2 - خوف ، حركة الخاء بين الفتحة والضمة - هي ضمة منحو بها نحو الفتحة ثم ذلك مُشْبَعٌ .

وتِذّكَرها [1] أَوْ نَحنَ نَرْفَع آيَة مَنَ الْقُرآنْ ونَنْسَخَها ونبَدِّلْ حُكُمَها بِي أمْرنَا . وانْتَ مَا تَشْفقْ نَحْنَ شَايْفِنَّكْ وبنعلَمْ جهْرَكْ وبِنَعلمْ سِرَّكْ . ونَحْنَ بِنخَلِّي طَرِيقَك في دِينَ الله سَاهِل وشَريعتَكْ مَيْسُورَه . دَحِينْ ذَكِّرْ قومَكْ دِيلْ أَكَانَ التذكِيرْ بِيَنْفَعْ فِيهُم.

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾.

تنبيه :

في رَسمِ القرآنِ (يَحيا) تُكتَبُ بالياءِ ولكن في الإملاءِ الآنَ تُكتَبُ بالألفِ إلَّا إذا كانَتْ عَلَماً مثلَ اسمِ سَيِّدنا يَحيى عَلَيهِ السَّلامَ فإنَّها حينَئِذٍ تُكتَبُ بالياءِ .

هذا وكلمةُ «الكُبرى» فيها إمالةٌ تامَّةٌ لأَبي عَمرٍو . ولا إمَالَة لِحَفْصٍ .

والكلماتُ : يَخشى . يَحيَا . فيها إمَالَةُ التَّقليلِ لمنْ عمِلَ بها في قراءَةِ أَبي عَمْرٍو بحَسَبِ ما قَدَّمنا .

المفـــرَدات

سَيَذَّكَّرُ : أَصلُها سيَتَذكَّرُ ، وأُدغمَتِ التَّاءُ في الذَّالِ .

مَن يَخشَى : أَيْ يَبتَعدُ عَنها ويأْباها والضَّميرُ راجعٌ إلى ا لذِّكرَى . أَيْ يَبتَعدُ عنِ الذِّكرَى ويَأْباها مَنْ شأْنُه كذا وكذا كما سيأْتي إن شاءَ الله .

الأَشقَى : الكافرُ الشَّقيُّ .

---

1 - النطق الدارج الموغل : تظكرها بالظاء مكان الذال . بكسر التاء وتشدد الظاء مفتوحة وراء مفتوحة بعدها ألف.

النَّارَ الكُبرَى : قيلَ النَّارُ الصُّغرَى هيَ نارُ الدُّنيا . والنَّارُ الكُبرَى هيَ جَهَنَّمُ . وقيلَ النَّار الكبرَى هيَ أَسفلُ طبَقَةٍ في نارِ جهنَّمَ .

ويَجوزُ أَنْ تكونَ الكُبرَى هُنا نَعتاً أَيْ صفَةً للنَّارِ أَيْ النَّارَ الكَبيرَةَ الفَظيعَةَ . وهذا كقَولِه تَعالى في النَّازعاتِ : الطَّامَّةُ الكُبرَى ، أَيْ الدَّاهيةُ الكبيرَةُ العظيمَةُ الَّتي تُغَطِّي كلَّ شيءٍ .

لا يَموت فيها وَلا يَحيا : قالوا كانَتِ العرَبُ إِذا أَرادَتْ أَنْ تَقولَ إِن فُلاناً في شِدَّةٍ قالَتْ لا هُو حَيٌّ وَلا هُو مَيِّتٌ فعَبَّرَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى عنِ الشِّدَّةِ في هذا الموضعِ بالأُسلوبِ الَّذي تَعرِفُه العَرَبُ - أَيْ قالَ ثُمَّ يَصيرُ الإِنسانُ في كَرْبٍ عَظيمٍ . وعندي أَنَّ هذا التَّفسيرَ ضَعيفٌ . وإِنْ كانَ يَجوزُ . وسَبَبُ ضَعفِهِ أَنَّ قولَهُمْ لا هُو حَيٌّ وَلا هُوَ مَيِّتٌ فيهِ معنى الرِّثاءِ والرَّحمةِ لحالِ المسكينِ الَّذي يَتَحَدَّثونَ عنهُ ، أَو فيهِ معنى التَّبَرُّمِ مِنْ حالَهِ كالَّذي فَعَلَتْهُ زَوجَةُ صَخرِ بنِ عَمْرِو بنِ الشَّريدِ حينَ جُرِحَ وأَشرفَ على الموتِ وسَئِمَتْ هيَ من علاجِهِ وسُئِلَتْ عنهُ فقالَتْ لا حَيٌّ فيُرجَى وَ لا مَيِّتٌ فيُنعَى . ولَيسَ مُراداً ههُنا - واللهُ تَبارَكَ وتَعالى أَعلَمُ بمُرادِهِ - إِلى رِثاءِ هؤلاءِ الكُفَّارِ ولا إِلى إِظهارِ التَّبَرُّمِ بهِمْ ، لأَنَّ الملائكَةَ الغِلاظَ الشِّدادَ يَوْمَ القيامَةِ لا يَتبَرَّمُونَ بأَحدٍ ، بلْ همْ لا يسأَلونَ ويَعمَلُونَ ما أَمَرَهَمُ اللهُ بِهِ عبادَةً وطاعةً .

وقالوا : تكونُ نَفسُ الإِنسانِ في حَلْقِهِ فلا تَخرُجُ وَلا تَرجعُ لِجسمِهِ - وهذا الوَجهُ جائزٌ ولكنَّه غيرُ شافٍ . وقالَ الزَّمَخشَرِيُّ ما مَعناهُ

يكونُ الكافرُ في مرتبةٍ بين الحياةِ والموتِ وهذا أَفظَعُ .

وهذا هوَ الوَجهُ إنْ شاءَ اللهُ وهوَ أَشبَهُ بمعنى الآيَةِ الواضحِ إذِ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى يُخبرُنا أَنَّ الكافرَ لا يَموتُ وَلا يَحيا - أيْ يَكونُ في حالَةٍ منَ العَذابِ لا تُوصَفُ بأَنَّها مَوْتٌ ، لأَنَّ الكافرَ يكونُ حَيّاً يُحِسُّ ورُوحُهُ في جسمِهِ كُلِّهِ لا تَخرُجُ منهُ - يُنفَخُ جلدُه وتُنزَعُ أَطرافُه وتَعودُ كَما كَانَتْ وهْوَ حَيٌّ يُحِسُّ ويَتأَلَّمُ آلاماً تَقتُلُ في لَمحِ البَصَرِ لَوْ كانَتْ في هذه الدُّنيا . ثُمَّ إنَّه لا يُمْكنُ أَنْ يُقالَ عنهُ إنَّه حَيٌّ - لأَنَّ الحياةَ بالمعنَى المعرُوف غيرُ مَوْجودَةٍ في النَّارِ بلْ الموجودُ عَذابٌ مُستَمرٌّ وإبلاسٌ في العذابِ .

فَحالَةُ الكافرِ يوْمَ القيامَةِ هيَ حالةُ الشَّقاءِ الدَّائمِ ، لا مَوْتَ بالمعنى المعرُوف ولا حَياةَ بالمعنى المعروف واللهُ أَعلَمُ .

الخُــلاصَة

قالَ تَعالى للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ : يا مُحَمَّدُ ذكِّرْ قوْمَكَ إنْ كانَتِ الذِّكرَى تنفعُهُمْ . ذكِّرْهُمْ فإنْ كانُوا يَخافُونَ اللهَ ويَخشَونَ لَقاءَهُ وحسابَهُ فسَتَنفَعُهُمْ الذِّكْرَى . ويَتذكَّرونَ اللهَ بَعدَ تَذكيرِكَ لَهمْ . وأَمَّا الأَشقَى الكافرُ العنيدُ فسَيَتَجنَّبُ المواعظَ والذِّكرَى الَّتي تَتَقدَّمُ بها أَنتَ إلَيهِ، فلا يَنفَعُ مَعهُ تَذكيرٌ ولا يَنتَفِعُ وهذا الكافرُ الشَّقيُّ سَيكون مَصيرُهُ إلى النَّارِ الفَظيعةِ يَحتَرِقُ فيها ويَلْقى عَذاباً يَجعَلهُ في حالَة لا تُوصَفُ بأَنَّها حَياةٌ أَوْ مَوْتٌ ويكونُ هوَ مَعَها لا هوَ حَيٌّ وَلا هوَ مَيِّتٌ .

أقُولُ واللهُ أَعْلَمُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعالى قدْ أَعَدَّ للكافرينَ حالَةً منَ العذابِ هيَ وَسَطٌ بينَ الموتِ والحياةِ تكونُ كُلُّها مَن الألَمِ ولا يَعَلمُ كُنهَها وحَقيقَتَها إلّا اللهُ تَعالى لأَنَّ خَيالَنا لا يُمكِنُ أَنْ يَتَصَوّرَها الآنَ لعَجزِنا وقُصُورِنا .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنا قَالْ للنبي عَلِيهُ الصلاةُ والسلامْ الْ بِيَخَافْ الله تَذْكِيرَكْ بِيَنْفَعُه وبَعَدِين بِيَذْكُرَ الله . لكِن الشقي [1] الْكَافِر بَيابَا الْتذكِير دَا وِيتْجَنَّبْ مَوْعِظْتَكْ وَدَا بِرُوح النار الْكَبيرَة نَارَ الآخْرة وهُنَاكْ بِتْعَذبْ عَذاباً لا هُو مُوت وَلا هُو حياة . شي فَظِيعْ يَعْلَمْ حَقيقْتُه الله وَحْدَه [2] سُبْحانَه وتَعالى .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

تنبيه :

قَرَأَ أَبُو عَمْرِو وَحْدَهُ : «بَلْ يُؤثِرُونَ الحَياةَ الدُّنيا» يُؤثِرُونَ بالياءِ المنقُوطَةِ بنُقطتَينِ مِنْ تَحْتِ . وقرَأَ حَفْصٌ في روايَتِهِ عَنْ عاصمٍ والباقُونَ بالتَّاءِ المنقُوطَةِ مِنْ فَوْقٍ .

والكَلِماتُ : تَزكَّى . فَصَلَّى . الدُّنْيا . وأَبْقَى . ومُوسَى . فيها إمَالَةُ التَّقليلِ لمنْ عَملَ بها في قراءَةِ عَمْرٍو بحسَبِ ما قَدَّمنا لَكَ مَنْ قَبلُ وَلا إمالَةَ لحَفْصٍ .

---

1 - الشقي : القاف بينا نطقها وبعدها كسرة المنقوص ولا تشدد الياء .

2 - الدارجة تشدد الحاء وآثرنا الفصيح ههنا لأن المجال يسوغ ذلك وهو أفضل في هذا الموضع والله أعلم .

المفـــردات

قَدْ أَفْلَحَ	: قَدْ فَازَ .
تَزَكَّى	: تَطَهَّر بالإيمانِ أَوْ تَطَهَّرَ مِنَ المعاصي ويَجوز أن يكونَ المعنى : تَصَدَّقَ مِنَ الزَّكاةِ - وقولُه تَعالى : فصَلَّى يُقَوِّي هذا الوجهَ لأَنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ كَثيراً ما تَجيئانِ مَعاً في القُرآنِ . وقالُوا : المرادُ بقولِهِ تزَكَّى هنا : زَكَاةُ الفِطْرِ .
ذكَرَ اسمَ رَبِّهِ	: قالوا مَعناها وَحَّدَ اللهَ . وقالوا دَعا اللهَ - وَلا فَرقَ بَينَ المعنَيَيْن لأَنَّ في كِلَيهما تَذكُّراً لاسمِ الله تَبارَكَ وتَعالى .
فَصَلَّى	: أَيْ الصَّلواتِ المكتُوبَةَ وقالوا صَلاةَ العيدِ يَوْمَ الْفِطرِ والنَّصُّ يَحتَمِلُ الفَرْضَ والنَّافَلة والدُّعاءَ والتَّحميدَ والتَّمجيدَ جَميعاً إِن شاءَ اللهُ تَعالى .
تُؤْثِرُونَ	: مِنْ آثَرَ يُؤْثِرُ أَيْ فَضَّلَ يُفَضِّلُ واختارَ يَختارُ - أَيْ الفوزُ أَيُّها النَّاسُ في ذكرِ اللهِ والصَّلاةِ ولكنَّكُمْ تُفَضِّلُونَ الحياةَ الدُّنيا والمنفَعَةَ العاجِلَةَ. وَ «بَلْ يُؤْثِرُونَ» بالياءِ التَّحتيَّةِ قراءةُ أَبي عَمْرٍو وسُئِلَ عنها فَقال المرادُ الأَشقياءُ أَيْ الكُفَّارُ - ويكونُ المعنَى : الفَوْزُ والفَلاحُ لِمَنْ يَذكُرُ اللهَ ويَعبُدُهُ ولكنَّ هؤلاءِ الأَشقياء من كُفَّارِ قومِكَ يُفَضِّلونَ الدُّنيا والمنفَعَةَ العاجلَةَ - أَوْ ولكِنَّ النَّاسَ

لتَفضيلهِم العاجلَةَ يُؤثِرُونَ أَيْ يُفَضِّلونَ الحَياةَ الدُّنيا . ويَجوزُ أَنْ يكونَ الكُفَّارُ همْ المعنيِّينَ بقَوْلِهِ تَعالى «بَلْ تُؤثِرُونَ» ومَعنى القراءَتَينِ بالياءِ على هذا مُتَقارِبٌ واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

وأبقى : أَيْ هيَ باقيَةٌ ونَعيمُها خالِدٌ وهذا كَقولكَ في الأَذانِ «اللهُ أَكْبَرُ» - تُريدُ أَنَّهُ كبيرٌ . وسَوَّغَ المجيءَ بالتَّفضيلِ هُنا أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى ذكَرَ الآخرَةَ في مَعرِضِ الموازَنَةِ بَينَها وبَينَ الدُّنيا - لأَنَّ الآخرَةَ هيَ الدَّارُ الحَقَّةُ - وأرادَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى وهوَ أَعلَمُ بمُرادِهِ أَنْ يُقَرِّبَ لَنا حالَها حتى نَفهَمَها فَدَلَّ أَفعَلُ التَّفضيلِ على طُولِ البَقاءِ .

إنْ هذا لَفي الصُّحُفِ الأُولى : اختَلَفوا في المرادِ مِن قولِه تَعالى (هذا) إلى ماذا يُشيرُ - فقالوا أَشارَ إلى آياتِ سُورَةِ سَبِّح وأَنَّها وَرَدت في الصُّحُفِ الأُولى ، الَّتي أَعطاها الحَقُّ عَزَّ وجَلَّ لسَيِّدنا إبراهيمَ الخَليلَ وسَيِّدنا مُوسَى الكَليمِ عَلَيهِما السَّلاَمُ .

وقالوا بَل المرادُ قَولُه تَعالى «والآخرَةُ خيرٌ وَأَبقَى» أي وَصْفُ الآخرَةِ بأَنَّها هيَ الباقيةُ وهيَ الَّتي خَيرٌ وَرَدَ في صُحُفِ سَيِّدِنا مُوسَى وسَيِّدِنا إبراهيمَ عَلَيهِما السَّلامُ .

وقالَ الطَّبَرِيُّ المرادُ هوَ قولُه مِنْ : قَدْ أَفلَحَ مَنْ تَزَكَّى إلى قولِهِ والآخرَةُ خَيرٌ وأَبقَى - أَيْ هذه المعاني كلُّها وَرَدَتْ في صُحفِ إبراهيمَ ومُوسَى . وذكَرَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ صُحُفَ إبراهيمَ ومُوسَى

نَزَلَتْ كُلُّها في رَمَضانَ . وتابَعه الزَّمَخْشَريُّ على هذا . وعَسَى الوَجهُ الأَوَّلُ أن يكونَ هُوَ الصَّوابُ لأَنَّ اللهَ تَعالى وَصَفَ القرآنَ في سورَةِ الشُّعراءِ فقالَ : وإِنَّه لتَنزيلُ رَبِّ العالَمينَ . نَزَلَ بهِ الروُّحُ الأَمينُ - على قَلبكَ لتكونَ منَ المنذِرينَ . بِلسانٍ عَرَبيٍّ مُبين . وإِنَّهُ لَفي زُبُرِ الأَولين ، أيْ القرآنُ . وهذا يُشبهُ قولَه تَعالى : إِنَّ هذا لَفي الصُّحُفِ الأُولى - أيْ إن هذا القرآنَ قَدْ أَنزَلْنا مثلَهُ مِنْ أَمرِنا ووَحْينا مِنْ قبل على على مُوسَى وإِبراهيم في الصُّحفِ أيْ الكُتُبِ الَّتي أعطَيناها إِيَّاهم . والصُّحُفُ جَمْعُ صَحيفَةٍ وقالوا إن اللهَ أَعطَى سَيِّدَنا إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ عَشْرَ صَحائفَ . وصَحائفُ سَيِّدنا مُوسَى علَيهِ السَّلامُ هيَ التَّوراةُ . واللهُ تَعالى جَلَّ جَلالُه أَعلَمُ .

الخُلاصَة

قالَ تَعالى : المؤمِن الصَّالحُ الَّذي يُطَهِّرُ نَفسَه مِنَ الأَرْجاسِ ويُقيمُ الصَّلاةَ ويُؤتي الزَّكاةَ ويَذكُرُ اللهَ كَثيراً هذا هوَ الفائزُ حَقّاً . ولكنْ أَنتُمْ أَيُّها النَّاسُ تُحبُّونَ الدُّنيا ومَتاعَها مَعَ أَنَّ الآخرَةَ أفضَلُ وهيَ دارُ البَقاءِ .

إِنَّ هذا القرآنَ كَلامُ اللهِ القديمِ ومَواعظُه خالدَةٌ وقد نَزَلَتْ بتَصديقِ ما أَنزَلَهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى لتَذكيرِ النَّاسِ مِنْ قَبلُ في الصُّحفِ الأُولى الَّتي أَنزَلَها على إِبراهيمَ . ومُوسَى علَيهما السَّلامُ .

خلاصة بالدارجة

رَبَّنَا قَالْ مَا مَعنَاهُ : الْ بِيتْزَكى يَعْنِي يُؤمِنْ بِالله ويِتْطَهرْ بالإِيمانْ ويزَكِّي مَالُه والْ بِيذْكُرْ اسمَ الله ويَوَحِّدُه ويَصَلِّي ويَدعُو ربُّه دَا هُو الْفَايِزْ . لكِن انْتُو يَا بَني آدَم بِتفَضِّلُوا الدُّنْيَا الْفَانِيَة دِي والآخْرَه أَخِير[1] - وَالكَلامْ دَا - يَعْنِي القُرآن - رَبنا نَزَّل مَعنَاهُ بِتَصديقَ الْوَحي الْ نَزَّله سُبْحانَهُ وتَعالى في الصُّحُفِ الأُولى يَعني الْكُتُبِ الأُولى - الْ أَوْحَى بهَا لسَيِّدْنَا إِبْراهِيمْ عَلَيْهِ السلام وَلِسَيِّدْنَا مُوسَى عَلَيْهِ السلام . وفي قِرآيَة أَبي عَمْرو : «بَلْ يُؤْثِرُون» - يَعْني الناسْ بِيفَضِّلُوا الحَيَاة الدُّنْيا والْكُفارْ لِشَقَاهُمْ بِيفَضِّلُوا الدُّنْيا عَلى الآخِرة . والمَعْنى مُتَقارِبْ والله أَعْلَمْ .

وتَمَّ بَحمدِ الله وَعَوْنِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبِّحْ

---

1 - أصلها من أخير بفتح الهمزة وسكون الخاء وفتح الياء ثم نقلت الفتحة إلى الخاء وميل بها نحو الكسرة فنشأت حركة طويلة مزدودة ، هكذا نطقها في الدارجة .

سورة الغاشية

مَكِّيَّةٌ وآياتُها سِتٌّ وعشرُونَ آيَة

نَزلَتْ بَعدَ الذَّارِياتِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ ﴾.

تنبيه :

قَرَأَ أَبُو عَمْرِو : تُصْلَى بضَمِّ التَّاءِ وسُكُونِ وفَتْحِ اللامِ بَعدها أَلفٌ لَيِّنَةٌ . وقَرَأَ حَفْصٌ عَنْ عاصِمٍ تَصْلَى بفَتحِ التَّاءِ وسُكونِ الصَّادِ وفَتحِ اللامِ بَعدَها أَلفٌ لَيِّنَةٌ .

المفـــرَدَات

الْغَاشِيَة : أَصْلُها اللُّغويُّ مِنْ غَشِيَ[1] يَغشَى . والغاشِيَةُ هيَ الَّتي تَغشى . وقالوا هيَ القيامَةُ لأَنَّها تَغشَى النَّاسَ بالأَهوالِ . أَو هي كالدَّاهيةِ الَّتي تَغشَى النَّاسَ بالأَهوالِ . وقالوا هي السَّاعةُ لأَنَّها أَيضاً داهيةٌ تَغشَى «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذهَلُ كُلُّ مُرضعةٍ عمَّا أَرْضَعتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها» وقالوا هي النَّارُ لأَنَّها تَغشَى وُجوهَ الكافرينَ بَلهيبِها

1 - بفتح الغين وكسر الشين وفتح الياء في الماضي مثل فرح .

ولَفحِها .

وقالَ الطَّبَرِيُّ ما مَعناهُ : إنَّ الغاشيَةَ كلمَة عامَّةٌ لا نَقدِرُ عَلى أنْ نَجزِمَ بأنَّها القيامَةُ أوْ النَّارُ أوِ السَّاعَةُ لأنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالى سأَلَ نَبِيَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ هَلْ أتاكَ حَديثُ الغاشيَةِ ثُمَّ بَيَّنَ سُبحانَه وتَعالى ما الغاشيَةُ فَقالَ : وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشعَةٌ عاملَةٌ ناصِبَةٌ تَصلَى ناراً حاميَةً - فدَلَّنا على أنَّ الغاشيَةَ مِنْ أسماءِ الْيَومِ الآخرِ . واليوْمُ الآخرُ يَبدأُ بالسَّاعةِ لا بلْ بِمَوتِ الإنسانِ وفيهِ الحسابُ والْهَوْلُ والعَذابُ والنَّارُ الَّتي لَهيبُها يَغشَى وُجوهَ المجرِمينَ .

يَوْمَئِذٍ : أي في ذلِكَ اليومِ . أيْ في يَوم إذْ تكُونُ وُجوهٌ خاشعَةً عامِلَةً ناصِبَةً.

خاشعَةٌ : ذَليلَةٌ خاضعَةٌ . وقالوا خاشعَةٌ في النَّارِ أيْ حينَ تُعرَضُ على النَّارِ تَذِلُّ وتَخشَعُ وتَنكَسِرُ : قالَ تَعالى : وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفيٍّ .

عَامِلَةٌ : مِنَ العمَلِ وَهُوَ مَعرُوفٌ - وقالوا عامِلَةٌ في النَّارِ أيْ هي تَعمَلُ في النَّارِ .

نَاصِبَةٌ : مِنَ النَّصَبِ وهوَ التَّعَبِ في العملِ ومنهُ - أيْ تَتعَبُ في النَّارِ وقالوا لا أَحدَ أَشَدُّ تَعباً مِن أَهلِ النارِ .

وقالَ الزَّمَخشَرِيُّ رَحِمَهُ الله : عاملَةٌ ناصِبَةٌ : تعْمَلُ في النَّارِ عَمَلاً تَتعَبُ فيهِ وجَرُّ السَّلاسِلِ والأَغلالِ وخَوْضُها في النَّارِ كَما تَخوضُ الإبلُ في الوَحلِ الخ .

وأشبهُ الأقوالِ بمعنى قولهِ تبارَكَ وتَعالى : «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشعَةٌ عاملَةٌ ناصبَةٌ تَصلَى ناراً حامِيةً تُسقى مَنْ عَيْنٍ آنيَةٍ» أنْ يُقالَ إنَّ يومَ القيامَةِ فاضحٌ للكُفَّارِ ومَلاِهِم وإنَّهمْ سَيَعرِفونَ فيهِ الذُّلَّ بَعدَ كبريائِهِمْ ، والعَمَلَ في عَذابِ النَّارِ والنَّصبَ والمشَقَّةَ بَعدَ الَّذي كانَ مِنْ تَنَعُّمهمْ وتَكَبُّرهمْ وتَرَفِهِمْ في الدُّنيا . يَقولُ الملَكُ الغَليظُ الشَّديدُ المكَلَّف بالعَذابِ مَثَلاً للكافرِ المجرِمِ منهُمْ الَّذي كانَ مُتَنَعِّماً مُتكبِّراً سادِراً في الدَّارِ الفانيةِ : اصْعَدْ تلكَ الصَّخرَةَ .

وتُرفَعُ للكافرِ صَخرةٌ من جَحيمٍ فيَترَدَّدُ فيَضرِبُهُ بسَوْطٍ مِن نارٍ . فيُحاولُ صُعودَها ويَنزَلِقُ لَعنَةُ الله عَلَيهِ ويَتعذَّبُ فيطولُ ذُلُّه وعذابُهُ ويَقولُ في حَسرَةٍ إلى مَتى أنا ماكِثٌ في هذهِ الحالَةِ ويُنادى الكافرُونَ مالِكاً خازِنَ النَّارِ «يا مَالِكُ لِيَقْضِ علَينا رَبُّكَ قالَ إنَّكم مَّاكِثونَ» ويَسأَلُ الكَفرَةُ في خُنُوعٍ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ أَنْ يَدعُوا رَبَّهمْ يَسأَلُونَهُ أن يُخَفِّف عنهُم مِنَ العذابِ مِقدارَ يَومٍ واحِدٍ فيُوَبِّخُهمْ خَزَنَةُ النَّارِ وَلا يَزالونَ في العذابِ الفَظيعِ فيَقولُ لَهُمْ مالِكٌ بَعدَ سُكاتٍ طَويلٍ يَدومُ مِئاتِ السِّنينَ : «إنَّكم مَّاكِثونَ» أَيْ باقُونَ في هذهِ الحالَةِ مَنَ العذابِ .

ويَقولُ الملَكُ مَثَلاً للكافرِ كُلْ هذا الزَّقُّومَ - إنَّكَ كُنتَ تَقولُ في الدُّنيا - كَما يَقولُ أبوجَهلٍ لَعَنَهُ اللهُ - : إنَّ الزَّقُّومَ مثْلُ الزُّبْدِ والتَّمْرِ فكُلِ الآنَ . ويَتَرَدَّدُ الكافرُ فيَضرِبُهُ الملَكُ على رأْسِهِ آلافَ

السِياطِ مِنَ النَّارِ . ثُم يُرْفعُ لَهُ لَهَبٌ يُشبِهُ الزُّبْدَ . ولَهَبٌ يُشبِهُ التَّمرَ . ويُقالُ لَهُ : «ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيزُ الكَريمُ» .

وقراءَةُ أَبي عَمْرٍو بضمِّ التَّاءِ [1] عَلى البِناءِ للمجهولِ .

أَيْ تُدْخَلُ أَيْ تُدخِلُها الزَّبانيَةُ في نارٍ حاميةٍ .

وبفَتحِ التَّاءِ : أَيْ تَدخُلُ أَيْ هيَ تَدخُلُ في نارٍ حامية والكَلِمَتانِ مَعناهما مُتقارِبٌ .

مَنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ : قِيلَ مَعناها : حاضِرَةٌ ، مُعَدَّةٌ لأَهلِ جَهَنَّمَ . وقيلَ ساخِنَةٌ طُبِخَتْ مُنذُ يَومِ خَلَقَ اللهُ الدُّنيا . والمعنى الواضح الرَّاجِحُ هوَ مَعنَى : حامي الرَّاجِحُ هوَ مَعَنى : حاميَةٌ وساخنَةٌ بدَليلِ قولِهِ تَعالى في سُورَةِ الرَّحمنِ ، جَلَّ مِنْ قائِلٍ : «هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتي يُكَذِّبُ بها المجرِمونَ يَطوفونَ بَينَها وبَينَ حَميمٍ آنٍ» والآني هُنا مَعناها الحارُّ جَداً . والآنيَةُ هيَ الصِّفَةُ المؤَنَّثَةُ منهُ والعينُ مُؤَنَّثَةٌ وتُوصَفُ بصفَةِ المؤنَّثِ .

الخُــلاصَة

قالَ تَعالى : يا مُحَمَّدُ هَلْ بَلَغَكَ خَبَرُ الغاشيَةِ ؟ هَلْ تَعلَمُ ما هيَ ؟ في يَومِ تَجيءُ هذِه الغاشيَةُ ، تكونُ وُجوهٌ مِنْ هؤلاءِ الكُفَّارِ المتكَبِّرِينَ ، ذَليلَةً خاشعةً ، ويُكَلَّفونَ أَشَقَّ الأَعمالِ في

---

1 - وكذلك قراءة شعبة عن عاصم والباقون كحفص .

النَّارِ فيَكونونَ لَهَا ضُعَفاءَ مُستكينينَ ويَتعَبونَ ويَنهارُونَ . وتَزُفُّهمُ الملائكَةُ وتُدخِلُهُمْ في النَّارِ الحاميَةِ . ويَعطَشونَ فَلا يَجدُونَ شَراباً إِلَّا مِنْ عَينٍ ساخنَةٍ هيَ الحَميمُ الَّذي يَغلي في البُطونِ ويهرِدُ الأَجواف .

خـُلاصَـة بالدارجَة

اللهُ سَأَلَ النبي عَليهُ الصلاةُ والسلامُ قالْ لَه يَا مُحَمدْ هَلْ جَاكَ خَبرَ الْغَاشِيَة وبَعَدين رَبنا فَسر الْغاشِية . قَالْ يُوم تَجي الغاشِيَةَ - يَعني الْقِيامَة الْ بِتَغْشَى الناس بِهُوهَا - وُجُوهم في الْيُوم دَاكْ تَكُون ذَليلَة مَهْيونَه ودِي وُجُوه الْكُفارْ ، مِتْلَ ابْ جَهَلَ ورَفَاقْتُه لَعنَةُ الله عَليهُمْ ، وبَعَدِين بَعَدْ تِكَبرُهُمْ وترِفُّهْهُمْ رَبنا يَأمرْ بَهُمْ يَعْمَلُوا ويَنْصَبُوا ويَكْربُوا ويَتْعَبُوا في النار ، ويَدَخِّلُهُمْ في النار الْحَامِيَة ويَسْقوهُمْ الزبَانْيَة يَعني مَلايِكَةَ الْعَذابْ مَنْ بِركَة في النارْ حَامْيَة سَاخْنَة هي بِركَةْ الْحَميمْ ، عينٍ آنْيَةٍ يَعْني بِركَة سَاخْنَة .

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ .

المفـــرَدَات

مِن ضَريعٍ : اختَلَفوا في الضَّريعِ ما هُوَ - واختِلافُهُم مُتَقارِبٌ . قالوا الضَّريعُ شَجَرٌ كَريهٌ لاصِقٌ بالأَرضِ لَهُ شَوْكٌ يَنبُتُ بالحجازِ ، يُسمَّى

الشِّبْرِقَ وهوَ أَخضَرُ ويُسَمَّى الضَّرِيع إذا يَبِسَ وهوَ سامٌّ . فهذا سَيكونُ طَعامَ الكُفَّارِ . وقالوا الضَّريعُ هو الشَّوكُ اليابِسُ . وقالوا الضَّريعُ الحجارَةُ . وقالوا الضَّريعُ هوَ شَرُّ الطَّعامِ وأَخبَثُهُ . وكُلُّ هذِهِ المعاني مُتقاربةٌ لأنَّها تَدُلُّ على الأَكلِ الكَريهِ .

وبما أَنَّ الضَّريعَ هوَ الشَّوكُ اليابسِ في الأَصلِ ، فيَجوزُ أَنَّ هذهِ الآيَةَ الكريمَةَ جاءَتْ بِهِ على سَبيلِ التَّشبيهِ - أَيْ كَما أَنَّ الماشيَةَ إذا أَكَلَتِ الضَّريعَ لَمْ تَشبَعْ ولَمْ تَسمَنْ ولَمْ تَستَفِدْ فهَؤلاءِ عندَما يأكُلونَ طَعامَ النَّارِ يَكونُونَ كَذلكَ .

ويَجوزُ أن يكونَ الضَّريعُ مِنْ نَوعِ الزَّقُّومِ أَوِ اسماً آخرَ لَهُ . وأَقرَبُ الرَّأيِ عندي أَنَّ قَولَه تَعالى : لا يُسمِنُ وَلا يُغني مِن جُوعٍ فيهِ وعيدٌ وتَخوفٌ للكافرينَ مِنْ حَيثُ إنَّهُم الآنَ يَتَمَتَّعونَ ويأْكُلونَ كَما تأْكُلُ الأَنعامُ ويَسمَنونَ ويَشبَعونَ . وهُم في يَوْمِ القيامَةِ سَيُحرَمونَ مِنْ هذا السِّمَنِ والشَّبَعِ ويُقَدَّمُ لَهُمْ طَعامٌ كَريهٌ ذو شَوْكٍ مِنْ نارٍ ويُقالُ لَهُمْ ذُوقوا وكُلُوا مِمَّا أُعِدَّ لَهُمْ مَنَ الْعَذابِ الأَليمِ والعِياذُ باللهِ وسُبحانَهُ وتَعالى عَمّا كانُوا يُشركونَ .

الخُـلاصَة

أَيْ أَنَّ الكافرينَ لا يَجدُونَ في النَّارِ إلَّا العذابَ ولا يأْكُلونَ إلَّا الضَّريعَ وهوَ مِنْ طَعامِ أَهلِ النَّارِ ولَيسَ يُسَمِّنُهمْ وَلا يُشبِعُهمْ بَلْ يَحرِقُ أَجوافَهُمْ .

خـلاصـة بالدارجَة

يَعْني الْكَافرين يُوم الْقِيامَة بَسْ أَكِلهُمْ الضريعْ ودَا من أَكِلْ أهل النار ، وهو لا بِيسَمِّنُهُمْ[1] وَلا بِشَبِّعهُمْ بَسْ بِيَحْرَقْ جُوفُهمْ .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾.

تنبيه :

قراءَةُ أَبي عَمْرِو ، لا يُسمَعُ فيها لاغِيَةٌ – يُسمَعُ بضَمِّ الياءِ المنقُوطَةِ مِنْ تحتِ وفَتحِ الميمِ . ولاغيَةٌ برَفعِ التَّاءِ في الآخرِ على أنَّها نائب فاعِلٍ[2] .

وقراءَةُ حَفْصٍ عَنْ عاصِمٍ تَسمَعُ بالتَّاءِ والبِناءِ للمَعلومِ والفاعِلُ مُستَتِرٌ تَقديرُهُ هيَ ضَميرُ الوُجوهِ ولاغيةٌ مَنصُوبَة على أنَّها مَفعولٌ بِهِ . ويَجوزُ أن يَكونَ الفاعِلُ أَنتَ ضَميرَ المخاطَبِ بغَرَضِ التَّقريبِ للمَعنَى كَما قالَ تَعالى في سُورةِ هَلْ أَتى : «وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبِيراً» .

1 – النطق : لا بسمُّنْم أو بسمنُنْ بالنون وهو الأشهر وكذلك ولا بشبعن بتشديد الباء وضم العين فنون بعدها ، وجوفن ضمة الجيم إلى الفتح مزدوجة طويلة .

2 – وقراءة ابن كثير كذلك ونافع بالتاء والبناء للمجهول وعاصم والباقون بفتح التاء والبناء للمعلوم ونصب لاغية وذكر الطبري أن قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو كلها كنافع بالتاء والياء لابن محيصن (تفسيره ، حلبي ٣٠/ ١٦٣).

المفــــرَدات

ناعِمَةٌ : مُتَنَعِّمةٌ .

لاغِيَةٌ : مِنَ اللَّغْوِ ومَعناها الأذَى والباطِلِ والكَلامُ الغَثُّ الَّذي لا خَيرَ فَيهِ .

جَارِيَةٌ : أيْ مُتَدَفِّقَةٌ سائِلَةٌ فَائِضَةٌ .

مَرْفُوعَةٌ : أيْ هيَ عاليَةٌ ومكانَتُها كَريمَةٌ - أَوْ هذِهِ السُّرُرُ في مَكان أنيقٍ مُرتَفعٍ وهيَ مَصفُوفَةٌ بَعضُها فوقَ بَعضٍ .

مَوْضُوعةٌ : أيْ مَوْضُوعَةٌ أمامَهمْ . أَوْ مَوْضُوعَةٌ على حافَّةِ العَينِ الجاريَة مَتى شاءُوا اغتَرفُوا . أَوْ امتَلأَتْ هيَ مَنْ ذاتِ أَنْفُسِها .

نَمارِقُ : جَمْعُ نُمرُقَةٍ وهيَ الوِسادَةُ وما يَتَكيءُ علَيهِ الإنسانُ كالمِخَدَّةِ . ويَجوزُ أنْ تَكونَ هذهِ الوسائِدُ على السُّرُرِ أَوْ على الأَبسِطَةِ أَوْ في مَواضع أُخرى قَد صَنعَها اللهُ تَبارَكَ وتَعالى بقُدرَتِهِ ليَجلِسَ علَيها المؤمنونَ متى وليَتَّكِئُوا .

وَزَرابيُّ : جَمْعُ زِرْبيَةٍ وهيَ كالسَّجَّادَةِ لَها خَمْلٌ أَيْ شَعرٌ عندَ أَطرافِها رَقيقٌ لَطيفٌ وهيَ نَفسُها تكونُ لَيِّنَةً رَقيقَةً .

مَبْثُوثَةٌ : أيْ مَنشُورَةٌ في الجَنَّةِ - أيْ الجَنَّةُ مَفروشَةٌ بالطَّنافسِ والبُسُطِ النَّاعَمةِ .

الخلاصة

وَصَفَ لَنا رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى حالَةَ الكُفَّارِ ثُمَّ وَصَف لَنا حالَ المؤمنينَ فَقالَ جَلَّ مِنْ قائلٍ : وُجوهُ هؤلاءِ يومَ القيامَةِ في نَعيمٍ وسَعادَةٍ ولَها رَوْنَقٌ وهيَ راضيَةٌ عَنْ سَعيِها. أيْ عَمَلِها - الَّذي في الدنيا لأنَّه جلَبَ عَلَيها السَّعادَةَ . ومسكَنُها في الجنَّةِ العاليَةِ ذاتِ القُصُورِ العاليَةِ الَّتي لا يَسمعونَ فيها إلَّا الكَلماتِ الطَّيباتِ ولا يَسمَعونَ اللَّغوَ وفيها عُيونُ الماءِ والعَسَلِ واللَّبَنِ والخَمرِ الطَّاهرَةِ تَجري وفيها السُّرُرُ المصفُوفَةُ المرْفوعةُ يَتَّكيءُ عَلَيها المؤمنونَ وأَمامَهُمْ أكوابُ الخَمرِ مَوضُوعةٌ والوَسائدُ اللَّيِّنَة تَحتَ مَرافقِهِمْ والمفارِشُ النَّاعمَةُ في كُلِّ مَكانٍ وهمْ في السَّعادَةِ الأَبَديَّةِ .

خلاصة بالدارجة

بَعَدْ ما وَصَفْ رَبِّنا حَالَ الْكَافرين وَصَفَ حالَ الْمُؤمنين . وَكانُوا الْمُسلِمين زَمَانْ مُسْتَضعفِين والْكَافرينْ أَقْوِيا وفَاجِرينْ ورَبِّنا بِيعَذِّب الْكَافرين ويَذِلهُمْ بَعَدْ قُوتُهمْ والْمومنينْ يَدْخُلُوا بَرحْمَتُه الْجَنة قالْ سُبحانَهُ وتَعالى : وجُوهَ الْمُؤمنين يُومَ الْقِيامَة في نَعيمْ وهُمْ يَكُونوا رَاضينْ مِنْ عَملَهُمْ الْ عَمَلُوه في شان ودَّاهُمْ الْجَنةْ الْعَالْيَة أَلْ ما بِيَسْمَعوا فيها كَلام لَغْو أَو أَيِّ بَذَاءَة - وبَعَدِينْ رَبنا سُبحانَهُ وتَعالى وَصَفَ الْجَنةَ دِي - قالْ فِيها عِينْ يَعني بِركَة جَارِيَة بِالْمُويَه والْعَسَلْ واللبَنْ والْخَمْرْ وفيها سَرايِرْ مَرْفُوعَة يَعَايْنُوا لَيها الْمُؤمِنينْ ويَجْلِسُوا عَلِيها وفيهَا كَاسات مَخْتُومَة ومَخَداتْ مَصْفُوفَة ومَفَارِشْ مَبْسوطَة - وفيها النعيم الْمُقيم .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾.

الخُـلاصَة

هذِهِ الآياتُ ظاهرةُ المعنى . وذلكَ أَنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ أرادَ أَنْ يُذَكِّرَ الخَلْقَ ويَدُلَّهُمْ على بَدائعِ نِعَمِهِ فَقالَ أَلا يَنظُرُ هؤلاءِ القومُ إلى الإبْلِ الَّتي مَنَحَهُمُ اللهُ إِيَّاها ليَرْكَبوها ويأْكُلوا منها ولَهم فيها مَنافعُ غيرُ ذلكَ وزينَةٌ - أَلا يَنظُرون إلى بَدائعِ خَلْقِها وعَجائبِهِ . أَلا يَنظُرُونَ إلى السَّماءِ الَّتي فيها النُّجومُ وفيها الغيومُ والرِّياحُ كَيفَ رَفَعها اللهُ وجَعلَها سقْفاً أَو كالسَّقْفِ أَلا يَنظُرُونَ إلى الجِبالِ كَيفَ جعَلَها اللهُ قائمَةً كأَنَّها أَبنيَةٌ رَفيعَةٌ لا تَخِرُّ ولا تَتَساقَطُ أَلا يَنظُرونَ إلى الأَرضِ كَيفَ هيَ مَفرُوشَةٌ مَبسوطَةٌ - أَلا يُفكِّرُونَ ويَتأَمَّلونَ ويُؤمنونَ منْ بَعد ؟

هذا وقولُه تَعالى : أَفلا ، نَصَّ سيبوَيهِ على أَنَّ الفاءَ والواوَ مِمَّا يكثُرُ مجيئُها بَعدَ هَمزَةِ الاستِفهامِ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبنَا بيذَكِّر الْعَرَبْ مَن أَهلْ مَكة والْ حَوالَيها والناس كُلُّهُمْ وبِيقُول مَا يَتفكرُوا ويعَايْنُوا وَيَشُوفُوا الجُمالْ رَبنَا خَلقَهَا كِيفِنْ[1] وَيشُوفُوا السمَا وفَرْشَها كِيفِنْ - أَخِيرْ يِتْفكرُوا يمْكِنْ رَبَّنَا يَهدِيهُمْ بَالتفكُّرْ والنظَرْ في خَلْقِ الله وعَجَايْبَ المُخَلُوقْ[1] .

---

1 - أصل العبارة كيف إن من الكلمتين جمع بينهما انسياب النطق ويقولون كيف انك أي كيف أنت فأدخلوا إن على الضمير ثم كثر هذا حتى صرنا إلى كيفن بكاف وفتح ممال مشبع بالياء وفاء مكسورة ونون ساكنة .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾.

تنبيه :

إِذَا وَقَفْتَ على الرَّاءِ مِنْ (مُذَكِّر) ، (بِمُصَيْطِر) فالواجِبُ تَرقيق الرَّاءِ في القراءَةِ لجميعِ القُرَّاءِ وكَذلِكَ إذا وَصَلْتَ لأَنَّها مَجرُورَةٌ بكَسرَةٍ ظاهرَةٍ ولكِنَّ الرَّاءَ في (كَفَر) و (الأَكْبر) مُفَخَّمَةٌ.

المفــــرَدَات

بَمُصَيْطِرٍ : مِنْ سَيْطَرَ يُسَيْطِرُ ومَعَنى السَّيطرَةِ مَعرُوفٌ ، وتُقلَبُ سِينُها صاداً عِندَ أَكثر القُرَّاءِ ولهذا تُكتَبُ في المصاحِفِ بالصَّادِ وهوَ الرَّسمُ العُثمانيُّ . وبَعضُ المصاحِفِ تَضَعُ سِيناً صَغيرةً تَحتَ الصَّادِ لتَدُلَّ على أَنَّ أَصلَ الكَلِمَةِ مِنَ السَّيطَرَةِ بالسِّينِ . وقَرأَ هِشامٌ عن ابنِ عامرٍ بالسِّينِ وقَرأَ حَمزَةُ بإِشمامِ الصَّادِ الزَّاي وَهوَ وَجهٌ عربيٌّ جَيِّدٌ ذكَرَهُ سِيبَوَيهِ في كتابِهِ . والمعنَى في قَولِهِ تَعالى «لَسْتَ عَلَيهِمْ بِمُصَيطِرٍ» أَيْ أَنتَ لَست مُتَسَلِّطاً عَلَيهِمْ والخِطابُ لسَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . فذَكِّرهمْ واكتَفِ بالتَّذكيرِ ، وقالَ بَعضُهُمْ

1 - حقيقة الخاء أنها ساكنة ولكن سرعة النطق تجعلها كأنها مفتوحة .

إنَّ هذه الآيَةَ نَسَخَتها آياتُ القِتالِ الَّتي أَمَرَتِ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بِجِهادِ الكُفَّارِ حتَّى يُؤمِنُوا . وقيلَ إنَّها لَم تُنسخْ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أُمِرَ بالجِهادِ حتَّى يَقولَ النَّاسُ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحِسابُهُمْ على اللهِ إذِ اللهُ وحدَهُ هُوَ الَّذي يُسَيطِرُ على ضَمائِرِهِمْ وسِرائرِهِمْ . الرَّاجِحُ عَدَمُ النَّسخِ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ أُمِرَ بالجِهادِ والتَّذكيرِ فالجَمعُ بَينَ المعنيَينِ مُمكِنٌ وعَلَيهِ فلا نَسخَ واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

إلَّا مَنْ تَوَلَّى وكَفَرَ : اختَلَفوا في مَعنَى إلَّا هُنا . ويَجوزُ أَنْ تكونَ راجعَةً إلى قَولِهِ تَعالى فذَكِّرْ إنَّما أَنتَ مُذَكِّرٌ – أَيْ ذكِّرِ النَّاس إلَّا الَّذينَ عَلِمتَ فُجورَهُمْ الشَّديدَ إذْ هؤلاءِ لا خَيرَ عندَهمْ . اللهُ تَعالى أَعلَمُ .

والوَجهُ الثاني أَنْ تكونَ إلَّا مُنقَطعَةً كَما يَقولُ النَّحويونَ وكأَنْ قَدْ بُدِىءَ بِها كَلامٌ جَديدٌ . ومَعناها حينَئذٍ قَريبٌ مِنْ مَعنى لكِنَّ الَّذي تَوَلَّى وكَفَرَ فلَهُ العذابُ الأَكبرُ جَزاءً مِنَ اللهِ . وتَوَلَّى مَعناها انْصَرَفَ وأَبَى ولَمْ يُطِعْ .

ولعلَّ هذا الوَجهَ أَنْ يكونَ أَقوَى واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

إيابَهُمْ : رَجْعَتَهُمْ يَومَ الْقِيامَةِ .

الخُـلاصَة

يَقولُ اللهُ تَعالى لنَبيِّهِ صَلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ . فذَكِّرْ هَؤلاءِ القَوْمَ ولا تَحزَنْ . فإنَّكَ لَمْ تُكَلَّف السَّيطَرَةَ عَلَيهِمْ وإنَّما واجبُكَ تَذكيرُهمْ فَقَط ومَنْ أَبى تَذكيرَكَ وتَوَلَّى عَنهُ وكَفَرَ فإنَّ اللهَ أَعَدَّ لهُ

العذاب الأكبَرَ يَوْمَ القيامَةِ . إنَّ هؤلاءِ الكفَّارَ إلَينا إيابُهُم ورُجوعُهُمْ يَوْمَ يبعَثُهُمُ اللهُ ويَبعث الخَلْقَ جَميعاً يومَ القيامَةِ ثُمَّ إنَّنا سنُحاسِبُهُمْ على ما فَعلُوهُ جَميعاً .

خـُلاصَـة بالدارجَة

يَقُول تَعَالى يُسَلِّي نَبيهُ عَلَيْهِ الصلاةُ والسلامُ ويوَعِّظُه - يا مُحَمَّدْ ذكِّر الْكَافرينْ دِيل ومَا تَحْزَنْ إنْ عِصُوا وكَفَروُا إنتَ بَسْ وَاجبَكْ تَذَكِّرُهُمْ [1] مَا وَاجْبَكْ تَسَيْطِرْ عَلَيْهُمْ وتِسَلَّطْ عَليهُم . والْ كَفَرْ وتِغَا [2] مِنهُمْ دَا لِيهُ عِند رَبُّه الْعَذابْ الأَكْبَرْ في جَهَنَمْ . وهُمْ كُلَّهُمْ رُجُوعُهُمْ لِينَا يُوم الْقِيامَةْ وحِسابُهُمْ عَلِينَا يَعْني نِحْنَ رايْحِين نَحَاسِبهُمْ عَلى أفعالُهُمْ كُلها .

وفي مُفَسِّرينْ قالُوا : «لَسْتَ عَلَيهمْ بِمُصَيطِرْ» نَسَخَتها آيات الجْهاد . وفي مُفَسِّرينْ قَالُوا : لا مَا نَسَخَتها آيات الجْهاد، في شان آيات الجْهاد أَمَرَتْ النبي عَلَيهُ الصلاْ والسلامْ بِقِتال الْكافِرين حَتى يِتْشَهدوا وبَعَدين رَبنا جَل شأنُه هُو الْ يُسَيطِرْ على ضَمائرُهُمْ ويَعْرِفْ سَرائِرُهُمْ.

تَم بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفسيرُ سُورةِ الْغَاشِيَةِ .

---

1 - تظكَّرُنْ بفتح التاء وظاء مفتوحة وكاف مشددة مكسورة ونون ، هذا هو النطق الدارج الموغل ، والذي أثبتنا بضم الراء بعدها نون أو ميم .

2 - بتاء مكسورة وغين وألف أي طغى من الطّغيان .

سورة الفجر

وهي مَكّيّةٌ آياتُها ثلاثون

نَزَلَتْ بَعدَ الليل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾.

تنبيه :

قِرَاءةُ أَبُو عَمْرِو : (واللَّيلِ إذا يَسْرِ) لِمَنْ يَقِفُ عندَ الرَّاءِ . أَمَّا إِذا وَصَلْتَ فقِراءَةُ أَبي عَمرٍو (واللَّيلِ إذا يَسري هَلْ في ذلكَ قَسَمٌ لذي حِجرٍ) وفي مصاحفِ خَطِّ اليَدِ تُرْسَمُ هذهِ الياءُ باللَّونِ الأَحمَرِ . وَلا بُدَّ مَنْ نُطقِها جَلِيَّةً واضحَةً في القراءَةِ وذلكَ بإشباع كَسرةِ الرَّاءِ إشباعاً بيِّناً في الوَصلِ . أَمَّا حَفْصٌ عنْ عاصِمٍ فيقرأُ في الوَقفِ (إذا يَسْرِ) ويَقرأُ في الوَصل (وَالليلِ إذا يَسْرِ هَلْ في ذلِكَ قَسَمٌ لِّذي حِجْر) بدونِ ياءٍ - بكَسْرَةٍ فَقَطْ .

المفـــرَدَات

والفَجرِ : أَقْسم اللهُ تبارَكَ وتَعالى بالفَجرِ . والمُرادُ - واللهُ تعالى أعلَمُ بِمُرادِهِ - هُوَ فَجرُ الصَّباحِ . وقالوا بلْ النَّهارُ . وقالوا صَلاةُ الفَجرِ . وقالوا قَسَمٌ أَقسَمَ اللهُ بهِ .

والرَّاجحُ أَنَّ معنَى الفَجرِ ، الصُّبحُ لقَولِهِ تَعالى : واللَّيلِ إذ أَدْبَرَ

والصُّبحِ إذا أَسفَرَ [1] - ولمْ يَذكُرِ الزَّمخشريُّ رَحِمَه اللهُ غيرَ هذا الوَجهِ وهوَ الصَّوابُ إن شاءَ اللهُ تَعالى .

ولَيَالٍ عَشْرٍ : هيَ لِيالٍ عَشْرٌ مُكَرَّماتٌ أَقسَمَ بها اللهُ تَعالى واختَلَفوا ما هيَ ، والرَّاجحُ واللهُ أَعلَمُ أَنَّ المرادَ بها عَشْرُ ذي الحَجَّةِ إلى يومِ العيدِ الكبيرِ ، وقالَ بعَضُهُمْ بلِ المرادُ عَشرُ المُحَرَّم مِنْ أَوَّلِ السَّنةِ إلى يومِ عاشُوراءَ وعَسَى أن يكونَ ذلكَ ولكنَّ الوَجهَ الأَولَ أَقرَبُ .

وَالشَّفعِ وَ الوَتْرِ : الشَّفعُ كُلُّ ما دَلَّ على اثنَينِ أَوْ على عَدَدٍ زَوْجيٍّ والوَتْر مَا دَلَّ عَلى الواحِدِ أَوْ على العَدَدِ الفَرْديِّ .

وكَلِمةُ الوَتْرِ في اللُّغةِ تكونُ بفَتحِ الواوِ هكذا (الْوَتْر) وهيَ لغةُ أَهلِ الحجازِ وبها قرأَ أَبوعَمرٍو وعاصِمٌ ونافعٌ وابنُ كَثيرٍ وجَماعَةٌ مِنَ القُرَّاءِ . والوِتْرُ بكَسرِ الواوِ قَرَأَ بها الكوفيُّونَ ما عَدَا عاصِماً وهي لُغَةُ بني تَميمٍ مِنَ العربِ .

واختَلَفوا في تَفسيرِ الشَّفعِ والوَتْرِ فقالوا المرادُ بها الصَّلاةُ لأَنَّها شَفعِيةٌ وَوَترِيَةٌ ، الصُّبحُ مَثَلاً شَفعيٌّ والمغرِبُ وِتْريٌّ وقيلَ المرادُ صَلاةُ المغرِبِ لأَنَّها رَكعَتانِ ورَكعَةٌ .

وقيلَ المرادُ بالشَّفْعِ هوَ العَدَدُ وأَنَّ رَبَّنا تَبارَكَ وتَعالى أَقسَمَ بالواحِدِ والاثنَينِ لسِرٍّ عندَهُ يَعلَمُهُ هوَ جَلَّ وعَلا . وقيلَ الشَّفْعُ هُمُ الخَلْقُ

1 - إذ أدبر : قراءة حفص عن عاصم ، وإذا دبر لأبي عمرو .

لأَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ أَزواجاً مِنْ ذكَرٍ وأُنْثى وعالِمٍ وجاهِلٍ وشَقيٍّ وسَعيدٍ والوِتْرُ هو اللهُ الواحدُ القَهَّارُ . وقالوا بلِ الشَّفعُ هوَ يومُ العيدِ الكبيرِ لأَنَّهُ عاشرُ ذي الحجَّة والوِتْرُ هوَ يومُ عرَفَةَ وإِنَّه التَّاسعُ . وقيلَ الشَّفْعُ والوَتْرُ هيَ الأَيَّامُ الَّتي بَعدَ العيدِ الكبيرِ .

وقَدِ انتَقَدَ الزَّمَخشَريُّ رَحِمَهُ اللهُ هذهِ الأَقوالَ وتَفريعَها وقالَ : وقد أَكثَروا في الشَّفْعِ والوَتْرِ حتَّى كادوا يَستَوعبون أَجناسَ ما يَقَعانِ فيهِ وذلكَ قليلُ الطائلِ جَديرٌ بالتَّلَهِّي عَنْهُ . ا.هـ.

والرَّاجِحُ أَنَّ المرادَ بالشَّفْعِ والوَتْرِ يَوْمُ النَّحرِ ويَومُ عَرَفَةَ خَصَّصَهُما اللهُ تَبارَكَ وتَعالى بَعدَ أَنْ ذكَرَ اللَّيالي العَشْرَ على وجهِ الإِجْمال . واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أَعلَمُ .

وَ اللَّيلِ إِذا يَسْرِ : أَقْسمَ رَبُّنا عَزَّ وجَلَّ باللَّيلِ حينَ يَسْري . وفَسَّروا يَسْري هُنا بمعنى يَسيرُ . فَقالوا أَقسَمَ رَبُّنا بذهابِ اللَّيلِ ومُضِيِّهِ كَما قالَ واللَّيلِ إِذْ أَدبرَ [1] . والرَّاجِحُ أَنَّ مَعنَى واللَّيلِ إِذا يَسْري مُقارِبٌ لمعنى قولِهِ تَعالى «واللَّيْلِ إِذا عسْعَسَ» ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ المرادُ أَوَّلَ مجيءِ اللَّيلِ، أَوْ مجيءِ اللَّيلِ وحَرَكتِهِ بوَجهٍ عامٍّ ، أَوْ آخرَهُ حينَ يَمضي واللهُ تَعالى أَعلَمُ .

لِذي حِجْرٍ : لِذي عقلٍ ، والحِجْرُ هوَ الرَّأْيُ والعَقْلُ .

---

1 - إذا دَبر : قراءة أبي عمرو – دبر دال وباء وراء وقبلها إذا ألف وذال وألف . والفرق بين القراءتين أن (أدبر) رباعي و (دبر) ثلاثي .

الخُـــلاصَة

أَقْسَمَ رَبُّنا بالفَجرِ وبلَيالٍ عَشْرٍ مُكَرَّماتٍ الرَّاجحُ أَنَّها اللَّيالي العَشْرُ مَنْ ذي الحِجَّةِ وبالشَّفْعِ والوتْرِ والرَّاجحُ أَنَّهُما يومُ النَّحرِ ويَومُ عرَفَة وأَقْسمَ رَبُّنا بسرَيانِ اللَّيلِ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخرِهِ . ثُمَّ قال تَبارَكَ وتَعالى هلْ هذا القَسَمُ الَّذي أَقسمتُ بِهِ مُقنِعٌ لأَصْحابِ العقُول والأَلْبابِ ؟

والمرادُ مِنْ هذا الاستِفهامِ واللهُ تَبارَكَ وتَعالى أَعلَمُ بمُرادِهِ التَّأْكيدُ لا السُّؤالُ ، أَيْ هذا قَسَمٌ كافٍ لَمِنْ كانَ لَهُ عَقْلٌ .

خُـلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنا سُبحانُه وتَعالى حَلَفْ بالفَجُرْ وبِلَيَال عَشَرَه اخْتَلَفُوا فِيها الْمُفَسّرينْ والراجِحْ إنهَا لَيالي شَهَرَ الحَجْ الْ آخِرَها[1] لَيلَةَ الْعيد الْكَبير . وحَلَفْ بالشَّفِعْ والْوِتِرْ واختَلَفُوا الْمُفَسِّرينْ فِيهِنْ والراجِحْ إِنهُ الْمُراد يُومَ النحِرْ ويُوم عَرَفه فِي شَان يُوم النحِر عاشِر ودَا شِفِع والشِّفِع كَلْمَةْ تَدُلْ عَلى الْجُوزْ يَعني الاثْنِينْ ويُوم عَرَفَة تَاسِعْ وَدَا فَرِد والوِتِر كُلُّ عَدَدْ فَرْدِي .

وبَعَدِينْ رَبنَا حَلفْ بِاللَّيلْ وَقِتْ يَمْشي - إِذَا يَسْرِ - يَسْرِي مَعْنَاهَا يَمْشي ، ومَشِيهُ دَا يَا في أَولُه يا في آخْرُه يَافِيه كُلُّه[2] .

وبَعَدِينْ رَبنَا قالْ إِن الْقَسَمَ الْ حَلَفْ بِيهُ دَا قَسَمْ كِفَايَةْ ومُقْنِعْ لِلْ[3] عِنْدُه عَقُلْ - (لِذي حِجْرٍ) مَعَنَاهُ لِلْ عِنْدُه عَقُلْ .

---

1 - أي التي آخرها ال موصولة فآخرها تنطق بألف بعد الراء كما في الدارجة .

2 - يا : أي إمّا التي للتفصيل وردوا في الفصيح)) أيما إلى جنةٍ أيما إلى نارٍ)) فههنا الياء كما ترى والله أعلم .

3 - لل : اللام مفعوحة ممالة إلى الكسرة في نوع من إشباع وبعدها أل الموصولة وكأنها مختزلة من ((إلى ال)) والله أعلم.

وَالْحِجرْ هُو الْعَقْلُ فِي شان بيَحْجِر الإِنْسَانْ مِن الطلاشَه[1] .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾.

المفــــرَدَات

بِعَادٍ : عاد : مِنَ الْقَبائلِ العربيَّةِ القديمَةِ . كانُوا يَسكُنونَ في جَنوبِ الجَزيرَة العَربيَّةِ . وكانُوا أقوياءَ أَشِدَّاءَ يَبْنونَ مَساكنَهُمْ على المواضعِ المشرِفَةِ مِنَ الجِبالِ . ويتَّخذون لأَنْفُسِهِم القُصُورَ الشَّاهقَةَ . ويَخزِنُون الماءَ في مُستَودَعاتٍ متينَةِ الصُّنْعِ ثُمَّ إنَّهم بَغَوْا واستكبَرُوا وقالُوا مَنْ أَشَدُّ منَّا قُوَّةً . وبَعَثَ اللهُ فيهمْ هُوداً نَبِيّاً مِنهُمْ يَدعوهُمْ إلى أَنْ يُؤمِنُوا باللهِ . فكَفَرُوا بِهِ وكذَّبوهُ . وقالوا لَهُ ما أَنتَ إلا بَشَرٌ مثلُنا ، صنَعوا به منَ التَّكذيبِ شَبيهاً بما صارَتْ كُفَّارُ قُرَيشٍ مِنْ بَعْدُ تَصنَعُهُ كُفراً بنَبِيِّنا محَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ . وقالوا لسَيِّدنا هُودٍ : لَوْ شاءَ رَبُّنا لأَنزلَ مَلائكَةً . وبالَغوا في الضَّلالِ . وعاقَبَهُمُ اللهُ بأَنْ حَبس عنهُمْ المطَرَ فأَمحَلُوا . فأَرسَلُوا وَفداً إلى مَكَّةَ ليَطوفوا بالبَيتِ ويَستَسقوا . وكانوا على كُفرهمْ يُعظِّمونَ البَيتَ كما كانَتْ تَفعَلُ العرَبُ مِنْ قَديمِ الزَّمانِ . وذهَب الوَفدُ إلى مكَّةَ وأَكرَمَهُم الجُرْهُميُّونَ الَّذينَ كانُوا يَلُونَ شأْنَ مكَّةَ . وأَعْطَوهمْ الشَّرابَ .

---

1 - أي الخطأ في التصرف والطيش .

وأحضَرُوا لَهُمْ مُغَنِّيَتَينِ يُقالُ لَهُما الجَرادَتانِ . فانشَغَلوا بالشَّرابِ والغِناءِ . ومكثوا على ذلكَ زَمَناً طَويلاً . ثُمَّ تذَكَّروا أَنَّهمْ جاءُوا مكَّةَ ليَسْتَسْقوا .

فذَهَبوا وطافُوا واستَسقوا . فأَرسَلَ اللهُ لَهُمْ ثَلاثَ سَحاباتٍ ذَواتِ أَلْوانٍ مُختَلِفَةٍ . فاختاروا واحدَةً منها ، ظَنُّوا أَنَّها أكثَرُ مَطَراً . ولكنَّها كانَتْ سَحابَةَ شُؤمٍ وهَلاكٍ . ولما رأى قَوْمُ عادٍ السَّحابَةَ مُقبِلَةً قالوا هذا المَطرُ كثيرٌ سَيُزيلُ عَنَّا المحْلَ . وما هوَ إلَّا قَليلٌ حتَّى أَصابَتهُمُ السَّحابَةُ بريحٍ صرْصَرٍ عاتيَةٍ ، هَبَّتْ عَلَيهِمْ سَبعَ لَيالٍ وثَمانيَةَ أيَّامٍ مُتواليَةٍ فأَهلكَتْ كُلَّ شيءٍ إلا الَّذينَ آمَنُوا فَقَدْ نَجَوْا .

وبَقيتْ مَساكِنُ عادٍ وآثارُهُمْ خَلاءً لا أَحَدَ فيهِم والرِّمالُ تَسفي عَلَيها وإِلى اللهِ المــآب .

إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ : اختَلَفَ المفَسِّرُون في تَفسيرِ هذا الحَرْفِ . فَقالَ بَعضُهُمْ إِرَمَ هيَ مَدينَةُ دِمَشقَ وقالَ بَعضُهُمْ هيَ مدينَةُ إِسكَنْدرِيَّةَ . وقد فَنَّدَ الإمام الطَّبَرِيُّ هذَينِ الرَّأْيَيْنِ بحُجَّةٍ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى قَدْ خبَّرَنا بأَنَّ مَنازِلَ عادٍ كانَتْ بالأَحْقافِ ، فَلا داعي لذِكرِ إِسْكَنْدَرِيَّةَ ودِمَشقَ .

وقالوا إِنَّ إِرَمَ اسمُ قَبيلَةٍ مِنْ عادٍ وإلى هذا الرَّأْيِ مَالَ الطَّبَريُّ ونَسَبَهُ إِلى قَتادَةَ . وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ في بَعضِ الوُجوهِ الَّتي ذكَرَها ما فَحواهُ إِنَّ إِرَمَ جَدُّ عَادٍ وفي البُخاريِّ : إِرَمَ ذاتِ العِمادِ : يَعني القَديمَةَ . والعِمادُ أَهلُ عَمُودٍ لا يُقيمونَ . وقالَ ابنُ حَجَرٍ : «وأَصَحُّ هذهِ

الأقوالِ الأوَّلُ وَهوَ أنَّ إرَمَ اسمُ القبيلةِ» وهذا لَيسَ ببَعيدٍ مِنْ قَوْلِ مَنْ قالَ هُوَ جَدُّ القَبيلَة لجَوازِ إطلاقِ جَدِّ القبيلةِ عَلَيها إذْ منهُ استَفادتْ اسمَها واللهُ أعلَمُ .

وقالُوا في ذاتِ العِمادِ إنَّهُ طُولُ الأَجْسَامِ وقالوا هيَ أعمِدَةُ البُنيانِ وذكَرُوا خَبرَ مَدينَةِ إرَمَ وعَجائِبَها وسَنَذكُرُهُ إنْ شاءَ اللهُ مِنْ بَعد وقالَ ابنُ حَجَر في مَعرِضِ الحَديثِ عَنْ قِصَّةِ مدينَةِ إرمَ ذَاتِ العِمادِ وخَبَرِ عَبدِ الله بنِ قلابَةَ وفيها ألفاظٌ مُنكَرَةٌ وراويها عبدُ الله بنُ قِلابَةَ لا يُعرَفُ» .

ورَجَّحَ الطَّبَريُّ أنَّ المرادَ بذاتِ العِمادِ أنَّهُمْ أهلُ عَمُودٍ وخِيامٍ ، قالَ رَضيَ اللهُ عنه : «لأنَّ المعروفَ في كَلامِ العَرَبِ مِنَ العِمادِ ما عُمِّدَ بِهِ الخِيامُ مِن الخَشَبِ والسَّواري الَّتي يُحملُ علَيها البِناءُ وَلا يُعلَمُ بِناءٌ كانَ لَهمْ بالعِمادِ بِخَبَرٍ صَحيحٍ» .

وعَسَى الطَّبَريُّ رَحِمَهُ اللهُ أنْ يَكُونَ يُشيرُ بقَولِهِ «بخَبَرٍ صَحيحٍ» إلى خَبَرِ عَبدِ الله بنِ قِلابَةَ واللهُ أعلَمُ . وفي سورَةِ الشُّعراءِ قَولُهُ تَعالى في خَبَرِ عادٍ : «وتَتَّخِذُونَ مَصانعَ لَعلَّكُمْ تَخلُدونَ» وفي سُورَةِ الأَحقافِ في خَبَرِهِمْ «فأَصْبَحوا لا تَرى إلَّا مَساكنَهُمْ»[1] .

---

1 - لا يرى بالبناء للمجهول ورفع النون من ((مساكنُهم)) لحفص .

فَعلى الَّذي ذكَرَ الطَّبَريُّ بالتَّرجيحِ مِنْ أَنَّهمْ كانُوا أَهلَ عَمَدٍ وهوَ في البُخاريِّ يجوزُ أَن يَكونوا مُتَرَحِّلينَ وإِنَّما كانَتْ مَصانعُهُمْ لخَزْنِ الماءِ ومساكنُهُمْ مَواضعُها ومَضارِبُها ونأْمَلُ أَنْ نَعرِضَ لهذا في مَوضعِهِ مِنْ تَفسيرِ سُورَتَي الأَحْقافِ والشُّعَراءِ حينَما نَبلُغُ ذلكَ إِنْ شاءَ اللهُ.

ولَيسَ ببَعيدٍ أَنْ يَكونوا قَدْ كانُوا أَهلَ تَرَحُّلٍ وكانتْ لهُم مَساكنُ مَبنيَّةٌ في الأَودِيَةِ وبقُرْبِ المصانعِ وأَنَّهُ كانَتْ لَها أَعمِدةٌ مَنحُوتَةٌ إِذْ نَحوُ ذلكَ قدْ يَتَّفقُ وذكَرَ ابنُ حَجَرٍ في تَفسيرِ إِرَمَ ذَاتِ العِمادِ قالَ وأَخرَجهُ ابنُ أَبي حاتِمٍ مِنْ طَريقِ الضَّحَّاكِ قالَ: العِمادُ القوَّةُ.

وفي سُورَةِ فُصِّلَتْ: «فأَمَّا عَادٌ فاسْتكبَرُوا في الأَرْضِ بغَيرِ الحَقِّ وقالوا مَن أَشَدُّ منَّا قُوَّةً» والأَشْهَرُ في معنى العِمادِ ما ذكَرَ الطَّبَريُّ[1] فكانُوا أَهلَ عِمادٍ وأَهلَ قُوَّةٍ وبهما وُصِفُوا واللهُ أَعلَمُ.

وذكَرَ بَعضُ المفَسِّرينَ أَنَّ ذاتَ العِمادِ وَصْفٌ لقَبيلةِ عادٍ نَفسِها بطُولِ الأَجسامِ وأَنَّ طُولَ الرَّجلِ مِنْ عادٍ كانَ يَبلُغُ اثنَىْ عَشَر ذراعاً وهذا قَد يَدخلُ في معنَى القُوَّةِ كَما لا يَخفَى وَاللهُ أَعلَمُ.

ويَجوزُ أَنْ يُرادَ بالعِمادِ عِمادُ الأَبنيةِ على النَّحوِ الَّذي قَدَّمناهُ فَتكونُ «إِرَمَ ذَاتِ العِمادِ» على هذا بمعنَى ذاتِ الأَساطينِ والأَعْمِدَةِ.

ويَجوزُ أَنْ يرادَ أَنَّها ذاتُ طُولٍ وذاتُ أَعْمدَةٍ مَعاً ولَيسَ ببَعيدٍ في

---

1 - أي ما ذكره الطبري بحذف العائد.

التَّأويلِ إنْ شاءَ اللهُ ، ويَجوزُ أَنْ يكونَ قَولُهُ تَعالى «إِرَمَ ذَاتِ العِمادِ» لَقباً لَها عَلَماً أَيْ لَقَباً لقبيلَةِ عَادِ الأُولى أَوْ لَقَباً لبَلَدِهِمْ على قولِ مَنْ قالَ إنَّ إِرَمَ بَلَدٌ وَالوَجهُ الأَوَّلُ أَقوى كَما تَقَدَّمَ .

وذكَرَ الأَخباريُّونَ أَنَّ إِرَمَ ذاتَ العِمادِ مَدينةٌ عَجَبٌ مِنَ العَجَبِ بَنَتها قَبائِلُ عادٍ ثَلاثَمائة سَنَةٍ مِنَ الدُّرِّ والياقُوتِ والجَوهرِ وحَصباؤها مِنْ ذَهبٍ . ثُمَّ لَمّا تأَذَّنَ اللهُ تَعَالى على قَبائِلِ عادٍ بالْهَلاكِ حَجَبَ هذهِ المدينَةَ منَ الأَنظارِ فلَمْ يَزرها إِلّا رَجلٌ مُسلِمٌ واحدٌ على زَمانِ مُعاويَةَ رَضيَ اللهُ عَنه . قِيلَ هُوَ عَبدُ الله بنُ قِلابَةَ وقَدْ مَرَّتْ بكَ مَقالَةُ ابْنِ حَجَرٍ في إِنكَارِ هذا الخَبَرِ ولَيسَ ضعفُهُ وَلا بُطلانُهُ مَرَّةً واحدَةً بالَّذي ينفي جَوازَ أَنَّ إِرَمَ نَفسَها كانَتْ بَلَداً لِعَادٍ إِذْ لَيسَ كَونُها بَلَداً بِنَافٍ أَنَّها عَلَمٌ للقَبيلَةِ القديمَةِ ، سُمُّوا بجَدِّهِمْ إِرَمَ وسُمِّيَتِ البَلْدَةُ بذلكَ أَيضاً وقَوْلُ الله تَعالى : «الَّتي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا في الْبِلادِ» قَدْ يُقَرِّبُ مِنْ هذا التأْويلِ وإِن كانَ يُمكِنُ القَوْلُ فيهِ بأَنَّ رجالَ القبيلة المذكُورَةِ لَمْ يُخلَقْ مثلُهُمْ في البلادِ واللهُ تعالى أَعلَمُ .

وَثَمُودَ : مَرَّ بكَ خَبَرُ ثَمُودَ مِنْ قَبْل في تَفسيرِ والسَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ .

جَابُوا الصَّخْرَ : جَابُوا بمعنى قَطَعوا والمضارِعُ يَجوبُ . وقد كانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيوتاً . فهذا مَعنى قَطْعِهِمْ للصَّخرِ .

بِالْوَادِ : أَيْ بِالْوَادِي حُذِفَتِ الْيَاء تَخْفِيفاً وَالْوَقْفُ بِالسُّكُونِ [1].

وَفِرْعَوْنَ : هُوَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ الَّذِي كَانَ عَلَى مِصْرَ وَدَعَاهُ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلى الْحَقِّ فَكَذَّبَ وَعَصَى وَقَدْ مَرَّ بِكَ خَبَرُهُ فِي سُورَةِ «وَالنَّازِعَاتِ».

ذِي الأَوْتَادِ : الأَوْتَادُ جَمْعُ وتَدٍ والْوَتَدُ مَعْرُوفٌ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ من وَصْفِ الله تَعَالَى فِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ ذُو الأَوْتَادِ. فَقَالُوا هُمُ الأَجْنَادُ لِأَنَّهُمْ يُثَبِّتُونَ مُلْكَهُ وَيُقَوُّونَهُ وَقَالُوا الأَوْتَادُ: مَلاعِبُ كَانَتْ لَه يَلْعَبُ بِهَا وَخِيَامٌ ذَاتُ أَوْتادٍ كَانَ يَسْتَظِلُّ بِهَا حِينَ يأْخُذُ فِي أَمْرِ مَلَاعِبِهِ.

وَقَالُوا كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِالْأَوتَادِ. يَجْعَلُ رِجْلاً ههُنَا وَرِجْلاً ههُنَا وَيَداً ههُنَا وَيَداً ههُنا ثُمَّ يَدُقُّ فِيهَا الأَوْتَادَ. وَقَالُوا الأَوْتَادُ اسمُ مَبَانٍ لَهُ كَانَ يُعَذِّبُ فِيهَا النَّاسَ. وَقَالوا إِنَّهُ عَذَّبَ امْرَأَتَهُ آسِيَةَ بِأَنْ دَقَّ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا بِالْأَوْتَادِ. وَلَعَلَّ الْوَجْهَ فِي التَّفْسِيرِ أَنْ نَقُولَ مَعْنَى: وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ وَفِرْعَوْنَ صَاحِب الْأَوْتَادِ يَلْعَبُ بِهَا وَيُعَذِّبُ بِهَا النَّاسَ واللهُ أَعْلَمْ.

---

1 - لك في المنقص إن لم يكن بأل الوقف بالسكون وبالياء وبها قرئ والذي بأل تحذف ياؤه تخفيفاً كما ههنا وصلاً ووقفاً وللقراء والنحاة في جميع ذلك مذاهب، والله أعلم.

الخُلاصَة

يُخاطِبُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا النَّبيَّ ﷺ عَلَى سَبِيلِ التَّسْلِيَةِ لَهُ أَوْ يُخاطِبُ ابْنَ آدَمَ عَلَى سَبِيلِ التَّذْكِيرِ : أَلَمْ تَرَ الَّذي صَنَعَهُ رَبُّكَ بِقَبِيلَةِ عادٍ الأُولَى الَّتي كَانَ يُقَالُ لَهَا إِرَمُ وَكَانُوا أَهلَ خِيَامٍ وَطُولِ أَجْسَامٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ في بِلَادِ اللهِ مِثْلَهُمْ في عِظَمِ الْخَلْقِ وَالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَبِمَدِينَتِهِم الْعَجِيبَةِ إِرَمَ ذَاتِ الطُّولِ وَالأَبْنِيَةِ العِظَامِ الَّتي لَمْ تَكُنْ مِثْلُهَا مَدِينَةٌ في الأَرْضِ ؟ أَلَمْ تَرَ أَيْضاً كَيْفَ صَنَعَ رَبُّكَ بِثَمُودَ أَصْحَابِ الْبَأْسِ الَّذينَ قَطَعُوا الصُّخُورَ مِنْ رُخَامٍ وَغَيْرِهِ وَبَنَوْا بِهَا الأَبْنِيَةَ في وَادِيهِم ؟ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِفِرْعَوْنَ الطَّاغِيَةِ الدَّاهِيَةِ صَاحِبِ الأَوْتَادِ يُعَذِّبُ بِهَا النَّاسَ وَيَلْعَبُ بِهَا في مَلاعِبِهِ ؟

خُلاصَة بالدارجَة

رَبَّنا سُبحانَهُ وتَعالى بِيذَكِّرْنَا كِيفْ[1] انْتَقَمْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ في الزَّمان الْماضي وَالْكَلامْ دَا فِيه مَوْعِظَة لِينَا وكَمان كَانَتْ فيهُ تَسْلِيَه وتَشجيعْ للنَّبي عَلَيهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ في قِيامُه بَدَعوةْ الإِسْلامْ قَالْ تَبارَكَ وتَعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ - يَعْني شَايِفْ رَبَّكْ سَوَّى شِنُو لقَبيلَةْ عَادْ - عَادَ الْقَديمَةْ الأَوَّلانِيَّةْ الإِسِمُهُمْ[2] إِرَمْ الْ كَانُوا بِيرْحَلُوا في الْخِيام وليهَا عِمْدَانْ وكَانُوا طُوال ومِتِلْ خِلْقَتْهُمْ مَافي في كُلْ بِلادَ الدُّنْيا

1 - حركة الكاف بين الكسرة والفتحة .

2 - النطق تجيء بأل وهمزة مكسورة وسين مكسورة وميم مضمومة بعدها نون ساكنة أو ميم وبك أيضاً تشديد اللام من أل والغاء الهمزة المكسورة تنقل كسرتها إلى اللام . ولك بعد الهمزة سكون السين وفتح الميم وضم الهاء وميم ساكنة ، كل أولئك وجه ، والله أعلم .

وهُمْ الْ بَنُوا مَدينَة إِرَمَ ذَاتَ الْعِمادْ - والْ مَدينة دِي قالوا الأَخْبارِيِّين - الّا كَلامُهُمْ ما هُو قَوي عِنْد [1] عُلَمَا الْحَديثْ والتَّفْسير الْكُبار رَضي اللهُ عَنهُم - بَنَاهَا شَدَّاد بنْ عَادْ مِنَ الْياقُوت والْجَوْهَرْ مَا في مَدينَة تَبْ مِثْلَها في البِلاد وكَمَان رَبَّنا قالْ للنَّبي عَلَيهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ وشايِفْ رَبَّنا سَوَّى شْنُو أَيْضاً بِقَبيلَةْ ثَمُود الْ كَانُوا بِقِدُّوا الْحَجَرْ ويَنْحَتُوه وشايِفْ رَّبنا سَوَّى شْنُو بِفِرْعُون - «وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد» يَعْني فِرْعون صاحبَ الأَوْتاد . قَالوا كَانَتْ عِندُهُ أَوْتَادْ بِيلْعَبْ بَهَا وكَانَتْ عِنْدُه أَوْتَاد بِعَذِّب بها النَّاسْ

وعَذْبْ مَرَتُه سِتَّنا آسيَة الصِّدِّيقَة ، دَقَّ في إِيدِيها أَوتادْ وفي رِجْليِها أَوْتادْ ، لعنةُ الله عليهُ ورَحمَتُهْ وَرِضْوَانُهْ عَلِيها .

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

المفــــردات

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّك سوْطَ عَذَابٍ : أَيْ سَوْطاً مِنْ عَذَابْ . أَيْ عَذَاباً انْصبَّ عَلَيْهِمْ كَما يَنْصَبُّ السَّوْطُ عَلَى جِسْمِ الْمَجْلُودِ بِهِ في سُرْعَتِهِ وَمُفَاجَأَتِهِ وَإِيجَاعِهِ . وَقَدْ عَذَّبَ ا للهُ عَاداً بِالرِّيحِ وَثَمُوداً [2] بِالصَّيْحَةِ وَفِرعَوْنَ وَقَوْمَهُ بِالْغَرَقِ فَأَخَذَهُمْ أَخذاً .

---

1 - لا تنطق الدال من عند ولكن العين والنون وأثبتنا الدال خوف اللبس .

2 - قرئ بالتنوين وبدونه في حالة النصب .

لَبالمِرْصَادِ : اللّام لِلتَّوْكيدِ . وَالمعنَى إنَّ رَبَّنَا يَمُدُّ لِهؤُلاءِ الْكافِرينَ وَيُمْهِلُهُمْ وَيُؤَجِّلُهُمْ ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ وَعِقَابُهُ رَاصِدٌ لَهُمْ لا يَقْدِرُونَ أنْ يَهْرُبُوا مِنْهُ . وَقَالُوا إنَّ رَبَّنَا يَضَعُ كُرْسِيَّهُ أَمَامَ النَّارِ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ كَافِرٌ . وَقَدْ مَرَّ بِكَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً» في سُورةِ عَمَّ . وَقَدْ مَرَّ بكَ مَا وَعَدْنَا مِنْ تَفْصِيلِ الْقَوْلِ عَنِ الْكُرْسِيِّ وَالاِسْتِواءِ وَالجُلُوسِ كُلُّ ذلِكَ في مَوْضِعِهِ إنْ شَاءَ اللهُ.

الخُـلاصَة

وَصَفَ رَبُّنَا عاداً وَثَموداً وَفِرْعَوْنَ فَقالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ هُمُ الَّذينَ طَغَوْا وَجارُوا وَتَجَبَّرُوا في الْبلادِ وَأَفْسَدُوا فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ عِقابَهُ الشَّدِيدَ .

وَقَدْ كَانَ اللهُ أَمْهَلَهُمْ وَأَطَالَ لَهُمُ الأَمَدَ وَإِنَّما كَانَ يَتَرَقَّبُهُمْ بِأَمْرِهِ وَكَانَ عِقَابُهُ لَهُمْ بِالمِرْصَادِ حَتَّى تجاوَزُوا الحَدَّ ، فَأَخَذَهُم أَخْذاً .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنَا سُبحانُه وتَعالى وصَفَ عَادْ وثَمودْ وفِرْعُون وَقُومُه قالْ هُمْ أَلْ تِغُوا في الْبِلادْ وأفْسَدُوا فيهَا وظَلَمُوا ورَبَّنا نَزَّلْ عَلَيْهُم عَذَابُه وضَرَبْهُمْ بِسُوط [1] الْقُدْرَة . وأَصلُه رَبَّنا تَبارَكَ وتَعالى أَمْهَلْهُمْ فِي شَان يَقْطَعْ عَلَيْهُمْ الْعُذْرْ ومَا كَانْ غافِل عَنَّهُمْ وكَانْ عَذابُه رَاصِد لَهُمْ لَعْنَةُ الله عَلِيهُم .

1 - ضمة السين معها فتحة فهي حركة مزدوجة لا ضمة خالصة .

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

تنبيه :

رِوَايَةُ حَفْصٍ رَبِّي أَكْرَمَن – بِكَسْرِ الْبَاءِ مِنْ رَبِّي وَتَشْدِيدِهَا وَإِشْبَاعِ يَائِها ومَدِّها، وَكَسْرِ النُّونِ مِنْ أَكْرَمَنِ تَخْفِيفاً وَأَصْلُها (أَكْرَمَنِي) . وَكَذلِكَ رَبِّي أَهَانَنِ بِكَسْرِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِهَا وَإِشْبَاعِ يَائِهَا وَمَدِّهَا وَكَسْرِ النُّونِ مِنْ أَهَانَنْ تَخْفِيفاً وَأَصْلُهَا (أَهَانَنِي) . وَإِذَا وَقَفْتَ قُلْتَ (أَكْرَمَنْ) (أَهَانَنْ) .

وَقِرَاءَةُ أَبي عَمْرٍو مِثْلُ حَفْصٍ في أَهَانَنْ وَأَكْرَمَنْ وَلكِنَّهُ يُخَالِفُهُ في (رَبِّي) فَإِنَّهُ يَقْرأُ : (رَبِّيَ أَكْرَمَنِ) بِفَتْحِ الْيَاءِ مِنْ رَبِّيَ فَلا يُشْبِعُهَا وَلا يَمُدُّهَا كَمَا يَفْعَلُ حَفْصٌ وكَذلِكَ رَبِّيَ أَهَانَنِ» وَرَوى بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو إِذَا وَصَلَ الْآياتِ قَرَأَ (فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَهَانَنِي كَلَّا) وَهكَذَا قِراءَةُ نَافِعٍ وَعَلَيْهَا وَرْشٌ.

المفـــرَدَات

الْإِنْسَانُ	:	كُلُّ إِنْسَانٍ . وَفِيهِ تَذْكِيرٌ لأَهْلِ مَكَّةَ وَوَعْظٌ لَهُمْ إِذْ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِم الدَّعْوَةُ كَمَا فِيهِ تَذْكِيرٌ لِلنَّاسِ كُلِهِمْ أَجْمَعِين واللهُ أَعْلَمُ.
ابْتَلاهُ	:	امْتَحَنَهُ وَاخْتَبَرَهُ .
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ	:	أَيْ نَقَّصَه وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَبْسُوطاً وَاسِعاً . وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ أَحَدُ السَّبْعَةِ

«فَقَدَّرَ» عَلَيْهِ رِزْقَهُ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَهْيَ قِرَاءَةُ أَبِي جَعْفَر المَخْزُومِي أَحَدِ الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ . وَقَدَّر وَقَدَرَ مُتَقارِبَا المَعْنَى .

الخُـلاصَة

يَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّجْرِبَةِ وَالامْتِحَانِ فَأَعْطَاهُ النَّعْمَةَ وَالمَالَ ، طَغَى وَتَاهَ عَلَى غَيْرِهِ وَقَالَ مَنْ مِثْلِي إِنَّ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَمَا أَكْرَمَنِي إِلَّا لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْ أَفْضَلِهِمْ .

وَكَذلِكَ الإِنْسَانُ إِذَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّجْرِبَةِ وَالامْتِحَان فَضَاقَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ فَإِنَّهُ لا يَصْبِرُ بَلْ يَجْزَعُ وَيَضْجَرُ وَيَقُولُ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْرِي عِنْدَ الله خَسِيساً وَلِذلِكَ فَأَنَا أَلْقَى هذا الضِّيقَ وَلَوْ فَطَنَ [1] الإِنْسَانُ وَتَنَبَّهَ لَعَلِمَ أَنَّ اللهَ إِنَّما يَبْلُوهُ وَيَخْتَبِرُهُ - وَهذا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالى فِيما بَعْدُ : (كَلَّا) واللهُ تَعَالَى أَعْلَم .

خـُلاصَـة بالدارجَة

يَقُولُ تَعالى فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ يَعْني الإِنْسان رَبَّنا يَبْتَلِيهُ يَعْني يَمْتَحْنُه . أَهَا أَكَانْ مَرَّة امْتَحَنُهْ بِالْعَطا وأَدَّاهُ كَتير ونَعَّمُهْ يَقُومْ يَقُولْ شُوفُوا أَنامُهِمْ عِنْد [2] رَبَّنا أَنَا أَخيرْ مِنكُمْ أَنَا رَبَّنا أَكْرَمْني . وَإِذَا رَبَّنا سُبحانهُ وتَعالى امتَحَنَهْ

1 - بفتح الطاء (باب نصر) وبكسرها (باب فرح) وبضمها (باب كرم) .

2 - بحذف الدال نطقاً .

بِالشَّقاوَةْ وبِقيَ هُوَ فَقير ، طوَّالي يَقُولْ ، رَبَّنَا مُو راضي مِنِّي ، وأنا مَاني مُهِمْ مِقْداري عِنْدُه[1] في شان كَدي هُو

أَهانِّي والْكَلامْ دَا مُو صَحيحْ . رَبَّنا سُبحانُه وتَعالى بِيمتَحْنَ الإِنْسَانْ بِالخير والشرْ والواجِبْ الإِنْسَانْ يَصبُرْ ويَشْكُرْ . ودَا مَعَنى قُول رَبَّنا في الآيَة الجاية : (كلَّا) . وَاللهُ تَعَالى أَعْلَمْ .

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

تنبيه :

الْكَلِمَاتُ (تُكرِمُونَ) (تُحِبُّونَ) كُلُّ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ يَقْرَأُونَهَا بِالتَّاءِ إِلَّا أَبَا عَمْرٍو . أَبو عَمْرٍو وَحدَهُ يَقرأُهَا بِالْيَاءِ وَهكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ أَهْلِ البَصْرَةِ (يُكْرِمُونَ) (يَأْكُلُونَ) (يُحِبُّونَ) وَقَوْلُهُ تَعالَى : (تَحَاضُّونَ) أَهْلُ الْكُوفَةِ وَحْدَهُمْ كَانُوا يَقْرَأُونَهُ (تَحَاضُّون) بِتَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَحَاءٍ مَفْتُوحَةٍ مَمْدُودَةٍ وَصَادٍ مَضْمُومَةٍ مُشَدَّدَةٍ بَعْدَهَا وَاوُ الْإِشْبَاعِ وَنُونٌ وَمَعْنَاهَا تَتَحَاضُّونَ أَيْ يَحُضُّ

1 - بإظهار الدال في النطق عين مكسورة نون ساكنة دال مضمومة وهاء أي عنده الفصيحة .

بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَيَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً. وَعَاصِمٌ أُسْتَاذُ حَفْصٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَلَذلِكَ رِوايَةُ حَفْصٍ (تَحَاضُّونَ) كَمَا تَرَى .

وَكُلُّ الْقُرَّاءِ الْآخَرِينَ غَيْرِ الْكُوفِيِّينَ يَقْرَأُونَ (تَحُضُّونَ) وَلكِنَّ أَبَا عَمْرٍو يَقْرَأُ (يَحُضُّون) بِالْيَاءِ لا بِالتَّاءِ . فَقِرَاءَةُ أَبي عَمْرٍو عَلَى حَسَبِ هذَا التَّبْيِينِ تَكُونُ :

كَلَّا بَلْ لا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً . وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً .

وَرُبَّمَا يُسْتَحْسَنُ فِي الْقِرَاءَةِ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ كَلَّا الْأُولَى لِأَنَّ فِيهَا نَفْياً لِلْكَلامِ السَّابِقِ عَلَى سَبِيلِ الزَّجْرِ وَالرَّدْعِ وَلَيْسَ ذلِكَ بِلازِمٍ . واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

المفــــردات

كَلَّا : كَمَا بَيَّنَّا هِيَ لِلرَّدْعِ وَالزَّجْرِ وَمَعْنَاهَا في هذَا الْمَوْضِعِ ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَتَوَهَّمُ الْإِنْسَانُ حِينَ يَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِي ، رَبِّيَ أَهَانَنِي وَلكِنْ فِي الْحَقِّ أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي الْإِنْسَانَ . وَالْإِنْسَانُ سَادِرٌ فِي غَيِّهِ مُعْرِضٌ عَمَّا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ مِنْ فِعْلِ الْبِرِّ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ .

التُّرَاثَ : الْمِيرَاثَ .

الخُـــلاصَة

يَقُولُ تَعَالَى : كَلَّا ، رَادِعاً لِلنَّاسِ عَنْ عَجَلَتِهِمْ وَسُرْعَةِ غُرُورِهِمْ وَسُرْعَةِ ضَجَرِهِمْ ، ثُمَّ يُنَبِّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النَّاسَ إِلى ضَرُورَةِ عَمَلِ الْبِرِّ بِقَوْلِهِ إِنَّكُمْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحُضُّونَ

عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ أَيْ لا تَدْعُونَ إِلى إِطْعامِ الْمِسْكِينِ - وَالمَعْنَى مُتَقَارِبٌ) وَإِنَّكُمْ تأكُلُونَ الْمَوريثَ ، تَحُوزُونَهَا وَتَلُمُّونَهَا لَمَّاً وَتَظْلِمُونَ أَهْلَهَا الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا

حِينَ تسْتَضْعِفُونَهُمْ إِذَا كَانُوا صِغَاراً أَوْ نِسَاءً . وَحُبُّ الْمَالِ شَدِيدٌ فِي نفُوسِكُمْ يُلْهِيكُمْ عَنِ الْتِمَاسِ الْخَيرِ بِإِنْفَاقِهِ في الْبِرِّ .

وَعَلَى قِراءَةِ التَّاءِ وَهْيَ الْقِرَاءَةُ الَّتي عَلَيْهَا هذِهِ الْخُلاصَةُ ، يَكُونُ الْخِطَابُ فِي مَبْدَإِ أَمْرِهِ لِلكُفَّارِ بِمَكَّةَ وَمُشْرِكِيهَا زَجْراً لَهُم عَلَى إِهْمَالِهِمْ حُقُوقَ الْيَتَامَى وَالْمسَاكِينِ ، ثُمَّ إِنَّه بَعْدَ ذلِكَ عَامٌّ في تَنْبِيهِهِ لِسَائِرِ النَّاسِ عَلَى ضَرُورَةِ عَمَلِ الْبِرِّ .

وَعَلَى قِرَاءَةِ أَبي عَمْرو بِالْيَاءِ - «يُكْرِمُونَ - يَحُضُّونَ - يأْكُلُونَ - يُحِبُّونَ» يَكُونُ الْمُرَادُ وَاللهُ أَعْلَمُ هُوَ تَبْيِينُ حَالِ الْكُفَّارِ أَيْ هُمْ لا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وِلَا يَدْعُونَ إِطْعَامِ الْمِسْكِينِ وَيَأْكُلُونَ الْمَوَارِيض وَيُحِبُّونَ الْمَالَ - وَيَكُونُ الْمُعْنَى بعْدُ عَامّاً فِيهِ أَيْضاً تَبْيِينٌ لِحَالِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَفِيهِ حثٌّ لهمْ على الخيرِ وزجرٌ لهُمْ عَنِ الطَّمَعِ الْعَائِقِ عَنِ الْبِرِّ.

خلاصة بالدارجة

ربَّنا سُبحانَهُ وتَعالى خاطَبَ النَّاسْ بِيزْجُرْن على عَجَلْتَنْ وإِنَّهْ الْواحدْ مِنهُمْ أَكَانْ جَاتُه النِّعْمَةْ بِيبْطَرْ وكانْ جَاتُه مِحنَة بِيضجَرْ قالْ ربَّنا سُبحانُه وتعالى : «كلا بل لا تكرمون اليتيم» يَعْني إِنْتُو ما بتكْرِمُوا الْيَتيمْ وبتقْهَروهُ . بَدَلْ مَا تَرْحَمُوهُ . «وَلا تَحاضُّونَ على طَعامِ الْمِسكين» يعني ما بتحِثُّوا بَعْضكُم على إِطْعام الْمِسكين وتَحاضُّون يعني تَتَحاضُّون يعني بَعضكُمْ يَحُضّوا يعني يَحِثوا بَعض مِتِلْ ما فَسَّرْنا .

«وتأكلُون التُّراثَ أَكْلاً لمَاًّ» يَعْني تَلِمُّوا المُواريثْ وتَحُوزُوها وتَظْلُمُوا الضُّعَفا وَالْيَتَامَى «وتُحِبُّون المُالَ حُبّاً جَمّاً» يَعني وبتحِبُّوا المُالْ حُبّاً شَديدْ .

وَبَيَّنَّا وجُوه الْقِرايَة وعندَنا في قِرايَة أبي عمرو بنقرا : «كَلَّا بَل لا يُكْرِمُونَ الْيَتيم» يَعْني دِيل الْبِتْغرَّهم النِّعْمَةْ ويَضجَرُوا عند البَلا ومَا يَصبرُوا ويَرجُو الله دِيل هُم ما بيكرِمُوا الْيَتيم ولا بيحثُّوا على إِطْعامِ المِسكين ويسْتَولُوا على المُواريث ويحُوزوها ويَلمُّوها لَمْ وحُبُّهمْ لِلْمال شَديدْ وهُمْ غافلين مِن الآخِرَةْ . والله تَعالى أعلَم.

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

تنبيه :

قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍ وفِيهَا الإِمَالَةُ التَّامَّةُ لِلأَلِفِ اللَّيِّنَةِ بَعْدَ الرَّاءِ في كَلِمَةِ (الذِّكْرَى) وَحَفْصٌ لا يُمِيلُ .

المفـــرَدَات

كَلَّا : لِلزَّجْرِ وَالرَّدْعِ كَمَا تَقَدَّمَ وَمَعْنَاهَا أَنَّ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلَ المُوَارِيثِ وَظُلْمَ النَّاسِ لا يُؤَدِّي إِلَّا إِلى الهَلاكِ وَسَيَتَبَيَّنُ الإِنْسَانُ ذلِكَ فِي الْآخِرَةِ حِينَ تُدَكُّ الأَرْضُ وَيَقُومُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ . وَالْقُرَّاءُ قَدْ لا يَسْتَحْسِنُونَ أَنْ تَبْدَأَ بِهَا وَتَصِلَهَا بِمَا بَعْدَهَا . وَالْبَدْءُ بِأَوَائِلِ الآي

وَالْوَقْفُ عِنْدَ رُؤُسِهِنَّ وَجْهٌ وَسَبِيلٌ مِنْ سُبُلِ الْقُرَّاءِ كَمَا لا يَخْفَى وَالله أَعْلَمُ .

وَجَاءَ رَبُّكَ : قَالُوا مَعْنَاهَا وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ . وَهُوَ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ فِي التَّأْوِيلِ وَبِهِ أَخَذَ الْجَلَالانِ رَحِمَهُمَا الله . وَرَأْيُ الزَّمَخْشَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ هذِهِ الْآيَاتِ تَمْثِيلٌ مَثَّلَهُ اللهُ يَذْكُرُ جَلالَهُ وَيَجْعَلُ حَالَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ حِينَ يَجِيءُ مَثَلاً لَهُ . وَهذَا وَجْهٌ وَتَأْوِيلُ مَنْ أَوَّلُوا «جَاءَ رَبُّكَ» بِقَوْلِهِمْ : «جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ» - فِيهِ عَلَى حُسْنِهِ نَوْعٌ مِنْ بُعْدٍ .

وَمَجِيءُ اللهِ فِي الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ وَالْكَيْفُ اللهُ أَعْلَمُ بِهِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّفْسِيرُ عَلَى هذَا الْوَجْهِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَقَالُوا إِنَّ الْخَلْقَ يُحْشَرونَ وَيَقِفُونَ فِي الْمَحْشَرِ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الْأَزْمَانِ الطَّوِيلَةِ . ثُمَّ تَنْفَتِحُ السَّمَاءُ الدُّنْيَا وَيَخْرُجُ أَهْلُها وَهُمْ عَدَدٌ جَمٌّ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَيَحْتَارُ النَّاسُ فِي الْمَحْشَرِ وَيَسْأَلُونَ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ .

فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا هُوَ آتٍ . وَهكَذَا يَسْأَلُونَ أَهْلَ كُلِّ سَمَاءٍ عِنْدَمَا تَنْفَتِحُ . حَتَّى تَنْفَتِحَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ . ثُمَّ يُجَاءُ بِالْعَرْشِ يَحْمِلُهُ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ ثُمَّ يَجِيءُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَعَهُ الْمَلائِكَةُ صَفّاً صَفّاً وَمَعَهُ الرُّوحُ قَائِمُونَ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ .

وَعِنْدَئِذٍ يَبْدَأُ الْحِسَابُ . وَتُدْعَى كُلُّ أُمَّةٍ إِلَى كِتَابِهَا فَتَصْطَفُّ مَعَ نَبِيِّهَا وَكِتَابِهَا تَنْتَظِرُ الْحِسَابَ . وَيَصْطَفُّ الْمُنَافِقُونَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ . وَيُقَالُ لَهُمْ اسْجُدُوا . فَيَسْجُدُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا الْمُنَافِقِينَ فَإِنَّ

اللهَ يُحَوِّلُ فَقَارَ ظَهْرِهِمْ عِظَاماً جَامدَةً لا تَنْثَني وَلا تَلِينُ فَلا يَقْدِرُونَ عَلَى السُّجُودِ وَيَسْقُطُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

وَيَدْعُو اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِالنَّارِ فَتَبْرُزُ ظَاهِرَةً حَتى يَرَاهَا الضَّالُّونَ الْغَاوُونَ . قَالُوا يَقُودُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجِيئُونَ بِهَا يَسْحَبُونَهَا بِالسَّلاسِلِ فَتَمُدُّ رَقَبَتَهَا يَرَاهَا الْكُفَّارُ فِيهَا عُيُونٌ مِنْ جَحِيم . وَتُخَاطِبُ الْكُفَّارَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ . ثُمَّ تَمُدُّ أَلْسِنَتَهَا وَتَلْتَهِمُهُمْ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهَا . وَعِنْدَمَا يرَى الْكُفَّارُ النَّارَ يَوَدُّونَ لَوْ يَكُونُونَ تُرَاباً أَوْ يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ : الإِنْسَانُ ههُنَا مُرَادٌ بِهِ الْكَافِرُ - وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادُ بِهِ كُلُّ إِنْسَانٍ إِذِ الْغَالِبُ عَلَى النَّاسِ التَّقْصِيرُ وَرُبَّ مُحْسِنٍ مِنْهُمْ إِذا تَجَلَّتْ لَهُ الْآخِرَةُ يَوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ قَدِ اسْتَزَادَ مِنَ الْبِرِّ وَعَمَلِ الْخَيْرِ . وَقِيلَ الْمُرَادُ ههُنَا أُبَيُّ بْنُ خلَفٍ وَهُوَ مِنْ شِرَارِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ يوْمَ أُحُدٍ وَقِيلَ الْمُرَادُ أَخُوهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَكَانَ مِنْ رُءُوسِ الْكفْرِ وَكَانَ يُعَذِّبُ سَيِّدَنَا بِلَالاً . وَاللهُ تَعَالى أَعْلَمُ .

قَدَّمْتُ لِحَيَاتي : أَيْ قَدَّمْتُ عَملاً صَالِحاً لِحَيَاتي قِيلَ أَيْ لِحَيَاتي الَّتي حَيِيتُهَا أَيْ مُدَّةَ حَيَاتي في الدُّنْيَا وَقِيلَ بَلِ الْمُرَادُ لَيْتَني قَدَّمْتُ لحيَاتي في الْآخِرَةِ . وَعِنْدِي أَنَّ حَيَاتي ههُنَا تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَيَيْنِ مَعاً وَالْمُرَادُ بِهَا نَفْسِي أَيْ لَيْتَني قَدَّمْتُ لِنَفْسي ، لَيْتَني قَدَّمْتُ هذَا الْعَمَلَ في دُنْيَاهَا فَتَصْلُحَ بِهِ أُخْرَاهَا وَالْعَرَبُ تَقُولُ بِنَفْسِي وَبِحَيَاتي وَلَعمْرِي وَلكِنَّهَا مُنْصَبَّةٌ عَلَى

مَعْنىً وَاحِدٍ وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَحْلِفُ بِنَفْسِهِ الْعَزِيزَةِ عِنْدَهُ .

وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى : أَيْ وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ الذِّكْرَى أَيْ التَّذَكُّرُ وَالتَّفَكُّرُ وَالتَّوْبَةُ إِلى الله . وَأَنَّى مَعْنَاهَا (مِنْ أَيْنَ) وَ (كَيْفَ) وَقَدْتَكُونُ فِيهَا الدِّلالَةُ عَلَى الْبُعْدِ وَالاسْتِحَالَةِ وَشِبْهِ ذلِكَ وَالله أَعْلَمُ .

فَيَوْمَئِذٍ : أَيْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ إِذْ يَجِيءُ الله وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلى الله الْمَصِيرُ .

لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد : الضَّمِيرُ فِي (عَذَابَهُ) يَعُودُ عَلَى رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ شَأْنُهُ . أَيْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعَذِّبُ الله الْكَافِرِينَ عَذَاباً شَدِيداً لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ بِأَحَدٍ .

وَفِي هذِهِ الآيَةِ تَهْدِيدٌ لِلطَّاغِينَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ عِبَادَ الله الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَمْثَالَ بِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَسُمَيَّةَ رَضِيَ الله عَنْهُمْ . فَالله يَقُولُ إِنَّ هؤُلاءِ سَيُعَذِّبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُمْ إِذْ يُعَذِّبُونَ بِلَالاً وَسُمَيَّةَ وَعَمَّاراً وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْسَبُونَ[1] أَنْ قَدْ مَلَكُوا الْقُوَّةَ مِنْ أَطْرَافِهَا وَالْجَبَرُوتَ مِنْ أَقْطَارِهِ وَالله عَلَيْهِمْ رَقِيبٌ وَسَوْفَ يَرَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بطش الله الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ بَطْشٌ وسَيَنْدَمُونَ حَيْثُ لا يَنْفَعُهُمُ النَّدَم عَلَى تَعْذِيبِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ يَجِدُونَ عَذَابَ الله وَإِنَّ الله حِينَ يُعَذِّبُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُعَذِّبَ كَمِثْلِ عَذَابِهِ .

---

1 - يجوز لك في مضارع حسب التي بكسر السين فتح سينه وهي قراءة حفص وكسرها وهي قراءة أبي عمرو ؛ كذلك كانا يقرآن مضارع حسب حيث وقع . والله أعلم .

وَلَايُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ : أَيْ إِنَّ اللهَ سَيَأْمُرُ بِالْكُفَّارِ فَيُكْتَفُونَ بِالسَّلَاسِلِ وَأَوْثَقَ مَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ - كَتَفَ [1] . وَالْوَثَاقُ الْكِتَافُ . وَكَمَا قَدْ كَانَ طُغَاةُ كُفَّارِ مَكَّةَ يَكْتِفُونَ الْمُسْتَضْعَفِينَ . فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَهُمْ عِقَاباً أَلِيماً كَمِثْلِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ إِلَّا أَنَّ عِقَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ . وَسَيُوثَقُونَ أَيْ يُكْتَفُونَ بِأَمْرِ اللهِ كِتَافاً لا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ وَسَيَرَى هؤُلَاءِ الطَّاغُونَ الْمُتَجَبِّرُونَ ذلِكَ عِنْدَمَا يُكْتَفُونَ فِي سِلسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً . وَقَرأَ الْكِسَائِيُّ : لا يُعَذَّبُ عَذَابهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ - وَعَلَى هذِهِ الْقِرَاءَةِ يَكُونُ الْمُرَادُ هُوَ الْكَفِرُ أَنَّهُ سَيُعَذَّبُ عَذَاباً شَدِيداً لا يُعذَّبُ مِثْلَهُ أَحَدٌ وَيُكْتَفُ كِتَافاً لا يكتف مِثْلَهُ أَحَدٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ . وَحَمْلُ الْمَعْنَى عَلَى الْعُمُومِ أَجْوَدُ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ كُفَّارُ الْإِنسِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ش اا

الخُــلاصَة

يَقُولُ تَعَالَى ، كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَصِفُونَ وَسَيَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ حِينَ تُدَكُّ الْأَرْضُ دَكّاً وَذلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَقِيَامِ الْقِيَامَةِ ، وَحِينَ يَجِيءُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَمعَهُ الْمَلَائِكَةُ صُفُوفاً قَائِمِينَ . ثُمَّ تُحْضَرُ جهَنَّمُ حَتَّى يَرَاهَا الْكَافِرُونَ . حِينَئِذٍ يُدْرِكُ الْكَافِرِ الْحَقِيقَةَ . وَيَتَذَكَّرُ مَا فَرَطَ مِنْهُ فِي دُنْيَاهُ . وَلا فَائِدَةَ لَهُ فِي هذا التَّذَكُّرِ إِذْ قَدْ فَاتَهُ أَوَانُ الذِّكْرِ وَالاتِّعَاظِ وَالانْتِفَاعِ بِالتَّذَكُّرِ وَحِينَئِذٍ يَتَمَنَّى وَهُوَ فِي حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ لَوْ يُرَدُّ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلَ صَالِحاً وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي أَطعْتُ أَمْرَ اللهِ وَعَمِلْتُ عَمَلاً أُنجِي بِهِ نَفْسِي وَهَيْهَات . وَعِنْدَئِذٍ يُؤْمَرُ

1 - كتف من باب ضرب مضارعها مكسور التاء .

بالْكُفَّارِ إِلَى العَذَابِ وَإِلَى السَّلاسِلِ . وَسَيَرَى هؤُلاءِ الْكُفَّارُ أَنَّ عَذَابَ الله أَشَدُّ مِمَّا يَتَصَوَّرُونَ وَلَا يَغْتَرُوا بِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ الْآنَ عَلَى أَنْ يُعَذِّبُوا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فإِنَّ اللهَ الْعَزِيزَ الْقَدِيرَ سَيُعَذِّبُهُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُعَذِّبَ كَمِثْلِ عَذَابِ الله أَوْ أَنْ يَكْتِفَ كَمِثْلِ كِتَافِهِ نعُوذُ بِهِ مِنْ غَضَبِهِ وَنَسْأَلُهُ عَفْوَهُ وَرِضَاهُ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

يَقُولُ اللهُ تَعالى ما معناهُ : بَعدِين لَمَّا تَقُومُ السَّاعة وتِندَكّ الأَرِض ويَجي يُومَ الْقِيامَة ويَجي رَبَّنا ومَعاهُ الْملايكَة صفُوفْ صفُوفْ ويَجيبُوا جَهَنَّمْ حامِية لِيها لِسْنات ويَشُوفُوها الْكُفَّارْ ، بَعدِينْ الْكافِرْ يِتْذَكَّرْ ويَنْدَمْ ومَاهَا ساعَةْ نَدَمْ سَاعَة النَّدَمْ فَاتَتْ . ويَقولْ يَا رِيتْ[1] قَدَّمتَ عَمَلاً صالِحْ لِي نَفْسي أنجي بِيُه . مِسْكينْ مِسْكينْ . بَعَدِينْ رايِحْ يَشُوفْ عَذابَ الله الْ مَال بْيَقْدَرْ يَعْمَلْ مِثْلُه زُولْ . وبَعدِينْ رايِحْ يَشُوف كِتَافَ الله الْ ما بْيَقْدَرْ يَسَوِّي مِثْلُه زُولْ .

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

المفـــرَدَات

يَاأَيَّتُها النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ : أَي الَّتي تَرْضَى بِمَا كَتَبَهُ اللهُ ، إِنْ أَعطَاهَا النِّعْمَةَ شَكَرَتْ وَإِنْ قَدَّرَ عَلَيْهَا رِزْقَهَا صَبَرَتْ وَلَمْ تَقُلْ بِزَهْوٍوَغُرُورٍ : أَكْرَمَنِي رَبِّي حِينَ النِّعْمَة وَلَمْ تَقُلْ بِتَبَرُّمٍ وَسُخْطٍ حِينَ الضِّيقِ أَهَانَنِي رَبِّي ، وَإِنَّمَا تَقُولُ إِنَّ رَبِّي يَبْلُونِي

---

1 - ياريت أي يا ليت وحركة الراء مزدوجة ليست بكسرة خالصة .

لِأَشْكُرَ وَلِأَصْبِرَ فَتَشْكُرُ وَتَصْبِرُ . وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي إِيمَانِهَا لا يَتَزَعْزَعُ يَقِينُهَا .

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ : أَيْ عُودِي إِلَى اللهِ فَهوَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكِ وَإِنَّكِ سَتَجِدِينَ لَدَيْهِ الرِّضَا وَالْأَمْنَ وَالسَّعَادَةَ . أَوْ - الْمَعْنَى : ((ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ)) أَيِ ارْجِعِي مِنْ أَجْلِ الْبَعثِ وَالْقِيَامَةِ وَأَنْتِ رَاضِيَةٌ بِالْعَمَلِ الَّذِي قَدَّمْتِهِ وَاللهُ رَاضٍ عَنْكِ .

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي : قَالُوا ادْخُلِي فِي أَجْسَامِ عِبَادِي لِيَقُومُوا أَحْيَاءً ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ هذَا الْقَوْلَ هُمُ الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ النَّفْسَ بِالروحِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ ، وَادْخُلِي فِي سِلْكِهِمْ ، وَعَسَى الصَّوَابُ أَن يَجْمَعَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَيْ يُقَالُ للأَرْوَاحِ ادْخُلِي فِي الأَجْسَادِ وَلِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ ادْخُلِي فِي عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَهذَا الْوَجْه عِنْدَ الطَّبَرِي وَالْبُخَارِي [1] وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَادْخُلِي جَنَّتِي : أَيْ ادْخُلِي فِي جَنَّتِي ، حُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ تَوَسُّعاً .

---

1 - أول كلام الطبري يفيد رد الأرواح في الأجساد وهو القول الذي ذكره عن الضحاك وابن عباس (٣٠/ ١٩١-١٩٢) ولكنه ذكر من بعد اختلاف أهل التأويل وذكر عند ترجيحه قراءة الجمهور على قراءة الكلبي ((فادخلي في عَبْدِي)) بالإفراد : والصواب من القراءة في ذلك ((فادخلي في عبادي)) بمعنى فادخلي في عبادي الصالحين لإجماع الحجة من القراء عليه ، وفي البخاري عن النفس المطمئنة ((فأمر بقبض روحها وأدخله الله الجنة وجعله في عباده الصالحين)) - فتح الباري، المتن ، ١٠-٣٢١. والله تعالى أعلم.

الخـُـلاصَة

خَاطَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفسَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمطْمَئِنَّةُ عُودِي إِلَى اللهِ رَبِّكِ رَاضِيَةً لأَنَّكِ أَبَداً كُنْتِ رَاضِيَةً بِقَضَاءِ الله ، وَسَتَجِدينَ الرِّضَا عِنْدَهُ وَالْأَمْنَ وَالسَّعَادَةَ ، وَعُودِي مَرْضِيَّةً لأَن اللهَ رَاضٍ عَنْكِ وَعَنْ صَبْرِكِ وَشُكْرِكِ ، وَادْخلي يَا رُوحَ عَبْدِي الصَّالِحِ في جِسْمِهِ لمحْشَرِكِ وَادْخُلي يَانَفْسَ عَبْدِي الصَّالِحِ بِرَحْمَتي في عِبَادِي الصَّالِحِينَ الَّذينَ شَمَلَهُمْ رِضَايَ وَعَمَّتْهُمْ رَحْمَتي ، هذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى فَادْخُلي في عِبَادي وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وادْخلي جَنَّتي أَيْ جَزَاؤُكِ أَيَّتُهَا النَّفس الْمُطْمَئِنَّةُ الجَنَّةُ - لَكِ فِيهَا مَا تَشْتَهِينَ خَالِدَةً مُخَلَّدَةً .

خـُلاصَـة بالدارجَة

خَاطَبَ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى نَفْسَ الْمُؤمِنِ وَهْيَ مُطْمَئِنَّةٌ يَعْني مَطَّامْنَة ثَابتَة في إيمانها مَا بِتْزَعْزَعْ صَابْرَة في الْقَسَا ، شَاكْرَة زَمَنَ الرَّاحَة ، رَبّنا قالْ لَها إِنْتِ يا نَفْسَ الْمُؤمِنْ الْمِطَّامْنَه تَعَالي راجْعَة لي رَبّكْ تَعَالي رَاضِيَة مَرْضِيَّة يَعني إِنْتِ كُنْتِ رَاضِيَة طُول وَقْتِكْ هَسَّعْ دِي مَا بتَلْقي إِلَّا كُلّ شي يَرَضِّي عَليكِ وانْتِ عِندَ رَبّكْ مَرْضِيَّة ورَبّكْ عافي مِنّكْ ورَبّكْ بِقُولْ لِيكِ (فَادْخُلي في عِبادي) يَعْني ادْخُلي يا رُوح عَبْدي الْمُؤمِن في جِسْمُه وادْخُلِي يا نَفْسْ عَبدي الْمُؤمِنْ في جُمْلَةْ عِبادي الصَّالِحِين بِرُضايَ عَنّكْ ، وادْخُلي جَنَّتي ، فِي شانْ انْتِ مَصيرِكْ الخُلُود في الجَنَّة ورَحْمَةُ الله الْواسِعَة بِالْعَمَلِ الصَّالِحْ أَلْ قَدَّمْتِيه لآخِرْتِكْ . نَسْأَلْ الله اطمئنَان النَّفْس ويُومْ يامُرْ أَرْواحَنا بِالرُّجُوعْ في أَجْسامْنا لِيُوم الْحِسابْ نكونْ أَيضاً فايزينْ بالدُّخولْ في جُملَةْ عبادُهْ الصالِحِينْ بِرُضاهُ وشفاعَةْ نَبِيِّنا عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامْ .

وتَمَّ تَفسِيرُ سُورةِ الْفَجر بحَمدِ الله تَعالى وعَوْنه .

سورة البلد

مَكِّيَّةٌ وآياتُها عِشْرونَ نَزَلتْ بَعْدَ ق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾.

المفـــرَدات

لا أُقْسِمُ : بَيَّنَّا مِنْ قَبْلُ أَنَّ مَعْنَاهَا أُقْسِمُ وَلَا لِتَأْكِيدِ الْقَسمِ وَالْمَعْنَى لَأُقْسِمُ .

بِهذَا الْبَلَدِ : الْمُرادُ بِهِ مَكَّةَ .

حِلٌّ : أَيْ حَلَالٌ ، وَهْيَ ضِدُّ حَرَامٍ . وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي مَا هُوَ خَارِجَ مَكَّةَ حِلًّا ، يَحِلُّ فِيه الصَّيْدُ وَالْقِتَالُ ، وَكَانَتْ مَكَّةُ حرماً يَحْرُمُ فِيهَا الصَّيْدُ وَالْقِتَالُ .

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ في الْمُرَادِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ» - فَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ هذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِأَنَّ مَكَّةَ سَتَكُونُ حَلَالاً لَهُ يَفْتَحُها وَيَقْتُلُ الْكُفَّار فِيهَا ، وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْمُرَادُ وَصْفُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ حَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِذْ

كَانُوا يَسْتَحِلُّونَ حُرْمَتَهُ ، وَيُؤْذُونَهُ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَكَّةَ بَلَدٌ حَرَامٌ .

وَفي الْبُخَارِيّ : وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ - مَكَّةَ لَيْسَ عَلَيْكَ مَا عَلَى النَّاسِ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ وَهذَا يُقَوِّي الْوَجْهَ الأَوَّلَ وَهُوَ الَّذي عَلَيْهِ الطَّبَرِيُّ وَالجَلالَانِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ووَالِدٍ وَمَا وَلَدَ : اخْتَلَفُوا في تَأْوِيلِ هذِهِ الآيَةِ فَقَالُوا أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالْوَالِدِ وَبِالَّذِي مَا وَلَدَ أَيْ بِالْعَاقِرِ ، أَيْ أَقْسَمَ بِجَمِيعِ النَّاسِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ هذَا تَكُونُ مَا نَافِيَةٌ وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ أَقْسَمَ بِآدَمَ وَبَنِيهِ وَهُوَ الْوَالِدُ ومَا ههُنَا بِمَعْنَى الَّذي فَهِيَ مَوْصُولَةٌ . وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْوَالِدُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَالَّذِينَ وَلَدَهُمْ هُمُ الْعَرَبُ بَنُو إِسْماعِيلَ الَّذينَ تَبَوَّأُوا الْبَيْتَ الحَرَامَ وَإِلَى هذَا الْوَجْهِ ذَهَبَ الزَّمَخْشَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في الْكَشَّافِ إِذْ قَالَ : (فَإِنْ قُلْتَ) مَا الْمُرَادُ «بِوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» (قُلْتُ) رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ وَلَدَهُ أَقْسَمَ بِبَلَدِهِ الَّذي هُوَ مَسْقَطُ رَأْسِهِ وَحَرَمُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْشَأُ أَبِيهِ إِسْماعِيلَ وَبِمَنْ وَلَدَهُ . اهـ . وَظَاهِرُ الآيَةِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَقْسَمَ بِكُلِّ وَالِدٍ وبِكُلِّ مَوْلُودٍ وَهذا هُوَ الَّذي بِهِ نَأْخُذُ وَبِهِ أَخَذَ الطَّبَرِيُّ وَاللهُ أَعْلَمُ .

في كَبَدٍ : اخْتَلَفُوا في الْكَبَد مَاهُو - فَقَالُوا الْمُرَادُ بِالكَبَدِ الشِّدَّةُ . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ ههُنَا بِالكَبَدِ الشِّدَّةُ الَّتي يُلَاقِيهَا الطِّفْلُ عِنْدَمَا تَنْبُتُ أَسْنَانُهُ. وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ في كَبَدٍ مَعْنَاهَا في انْتِصَابٍ ، أَيْ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ مُنْتَصِباً عَلَى رِجْلَيْنِ بِخِلافِ سَائِرِ الْبَهَائِمِ الَّتي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ وَهذَا الْقَوْلُ يَبْدُوا ضَعِيفاً مُهَلْهَلاً إِذا قِسْنَاهُ إِلى جَانِبِ السِّيَاقِ . وَقَالَ

آخَرُونَ الْمُرَادُ بِكَبَدِ السَّمَاءِ وَمَعْنَى الآيَةِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي السَّمَاءِ . وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي كَبَدٍ أَيْ فِي جهْدٍ وَمَشَقَّةٍ وَعَمَلٍ وَكَدْحٍ وَهذَا هُوَ مَعْنَى هذَا اللَّفْظِ الْمَعْرُوفِ فِي اللُّغَةِ قَالَ الطَّبَرِي : وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَى ذلِكَ أَنَّهُ أَيِ (الْإِنْسَانُ) خُلِقَ يُكَابِدُ الْأُمُورَ وَيُعَالِجُهَا فَقَوْلُهُ (فِي كَبَدٍ) مَعْنَاهُ فِي شِدَّةٍ . اهـ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

الخــلاصة

أَقْسَمَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَكَّةَ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّنِي أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمَةِ حُرْمَتُهُ عِنْدِي ، وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ مَنْصُورٌ بِإِذْنِي وَسَتَحِلُّ لَكَ حُرْمَتُهُ وَتَقْتُلُ مَنْ شِئْتَ مِنْ الْكَفَرَةِ فِيهِ وَعْداً مِنَ اللهِ حَقّاً وَقَسَمِي عَلَى أَنَّ هذَا الْقُرْآنَ حَقٌّ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِي وَإِنَّكَ صَادِقٌ .

وَأُقْسِمُ أَيْضاً بِكُلِّ وَالِدٍ وَمَوْلُودٍ أَنَّ ابْنَ آدَمَ قَدْ خُلِقَ وَهُوَ يُعاني الْمَتَاعِبَ وَيَجْهَدُ وَيَكْدَحُ وَيَسْعَى .

تعليق

التأْوِيلُ الذي أَوَلْنَا ذَهَبْنَا فِيهِ إِلَى أَن جَوَاب الْقَسَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ» مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ «أَن هذا حَق» .

ثم قال تعالى «وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» وَهذَا قَسَمٌ جَدِيدٌ مُسْتَأْنَفٌ وَجَوَابُهُ مَذْكُورٌ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ» وَهذَا الْقَسَمُ الثَّانِي جَارٍ مَجْرَى الْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ.

وَلَعلَّ مُعْتَرِضاً أن يَقُولَ : فَلِمَ لا يَكُونُ الْكَلامُ كُلُّهُ قَسَماً وَاحِداً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : «لَا أُقْسِمُ بِهذا الْبَلَدِ» أَقْسَمَ رَبُّنَا تَعَالَى بِمَكَّةَ ثُمَّ أَقْسَمَ بِالْوَلَدِ وَالْمَوْلُودِ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ في شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمُكَابَدَةٍ لِضُرُوبِ الْجَهْدِ (وَإِلى هذَا الْوَجْهِ ذَهَبَ الزَّمَخْشَرِيُّ في الْكَشَّافِ) وَالْجَوَابُ أَنَّهُ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى (لا أُقْسِمُ بِهذا الْبَلَدِ) جاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى «وأَنتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ» - فَإِنْ جَعَلْتَهَا اعْتِرَاضِيَّةً بَيْنَ الْقَسَمِ الْأَوَّلِ وَالْقَسَمِ الثَّاني ، فَلَكَ إِذَنْ أَنْ تَجْعَلَ الْقَسَمَ كُلَّهُ وَاحداً ، وَحِينَئِذٍ قَدْ يَرْجُحُ أَنْ تَأْخُذَ بِرَأْيِ الزَّمَخْشَرِيِّ ، إِذ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَقْسَمَ بِمَكَّةَ وَبِإِسْماعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ وَبَنِيهِما - فَهذَا يُنَاسِبُ السِّيَاقَ . وَأَشْبَهُ بِالصَّوابِ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْجُمْلَةَ لَيْسَتْ اعْتِرَاضِيَّةً بَيْنَ الْقَسَمِ الْأَوَّلِ «لا أُقْسِمُ بِهذا الْبَلَدِ» أَغْنَى عَنْ جَوَابِ الْقَسَمِ الأَوَّلِ فَحُذِفَ وَأَمْثِلَةُ حَذْفِ

جَوَابِ الْقَسَمِ في كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ . فَصَارَ الْمَعْنَى : أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَأُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ وَلكِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ سَيَنصُرُكَ اللهُ وَتَحِلُّ لَكَ حُرْمَةُ هذَا الْبَلَدِ فَتَفْتَحُهُ أَوْ وَلكِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَسْتَ في حَالِ حُرْمَةٍ وَلَسْتَ في حالِ أَمَانٍ لِأَنَّ أَهْلَهُ كَذَّبُوا بِكَ وَأَنْتَ صَادِقٌ وَبِوَحْيِ اللهِ مُرْسَلٌ [1] ثُمَّ جَاءَ الْقَسَمُ الثَّاني «وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ في كَبَدٍ» تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتثبيتاً لَهُ وَتَعْزِيَةً . أَيْ أَنَّ الْإِنْسَانَ ، خُلِقَ يُكَابِدُ وَيَلْقَى التَّعَبَ. وَكَمَا يَجْهَدُ الْكَافِرونَ جَهْدَهُمْ فِي تَكْذِيبِكَ وَأَذَاكَ فَاصْبِرْ ، إِنَّ اللهَ نَاصِرُكَ وَمُعَذِّبُهُمْ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَعَلى هذَا التَّأْوِيلِ يَقْوَى الْوَجْهُ الَّذِي رَأَيْنَا وَاللهُ أَعْلَمُ .

1 - وهذا التأويل قدمه الزمخشري ورجحنا عليه قولَ الطبري والبخاري كما تقدم . والله أعلم .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنا حَلَفْ بالْبَلَدْ وهيَ مكَّة بَلَدَ النَّبي عَلَيهُ الصلاة والسلام وكَانَتْ حَرامْ مِتِلْ ما هَسَّعْ هي حَرامْ ما بيجُوز فيهَا الصَّيدْ وَلا الْقِتالْ . قالَ رَبُّنا سُبحانَهُ وتَعالى للنَّبي عَلِيه الصَّلاةُ والسَّلامْ وَلاكِينْ إنْتَ يا مُحَمَّدْ رَبَّكْ جاعِل لَّكْ الْبَلَدْ دا حَلالْ وحُرْمَتَهُ تكُون لكْ حَلالْ وْدَا وَعَدْ من الله بنَصُرْ الرَّسُولْ عليهْ الصَّلاة والسَّلامْ . وفي مُفسِّرين قالُوا المعنَى ولكين [1] إنتَ يا مُحَمَّدْ في الْبَلَدِ الحَرامْ دَا المُشركينْ يَاذُوك ويَعَذِّبوا أَصْحَابَك، والوجه الأوْلاني أقْوى في شان عليهُ السَّلَفْ واللهُ تَعَالى أعلَمْ .

وَحَلَفْ رَبَّنا سُبحانُه وتَعالى قالْ «وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنا الإِنسَانِ في كَبَدٍ» يَعني حَلَفْ رَبَّنا بِكُلّْ وَالِدِ وكلّْ مَوْلُود عَلى إنَّه الإنْسان حَيَاتُه كُلَّها تَعَبْ وجِهَادْ . كَبَدْ يَعْني مَشَقَّة ومُجاهَدَةْ .

وبَعض المُفَسِّرينْ قالُوا : وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ - رَبَّنا حَلَفْ بِسَيِّدْنا إِبْراهيمْ عَلِيه السَّلامْ هُو الْوالِد وَوَلَدُه سِيدْنا رسول الله عَليه الصَّلاةُ والسَّلامْ . والمُعنى رَبَّنا حَلَفْ بمَكَّةَ وبحُرْمَتَها وبسَيِّدْنا إبْراهيمْ وسَيِّدْنا رَسُولَ الله اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلِيهُ وعَلى سَيِّدْنا إبراهيم - على إنُّه الإنسان مَخْلُوقْ وهوَ دايماً في حالَةْ تَعَبْ . والْوَجِه دَا جايِزْ لكنْ الأوْلاني أقْوَى والله تعالى أعلَم .

«لَقَدْ خَلَقْنا الإنسان في كَبَدْ» جَواب الْقَسَمْ الْ أَقْسَمْ بِيهُ رَبَّنا سُبحانُه وتَعالى. واللهُ تَعالى أعْلَم .

---

1 - ولكين : ولكن والنطق الدارج وكاد يندرس: ياكين بالياء مكان اللام ، فتأمل .

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾.

تنبيه:

قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو : «أَيَحْسِبُ» في المَوْضِعَيْنِ بِكَسرِ السِّينِ مِنْ كَلِمَةِ يَحْسَبُ وَحَفْصٌ : «أَيَحْسَبُ» في المَوْضِعَيْنِ بِفَتْحِ السِّينِ وَكِلْتَاهُمَا لُغَةٌ جَيِّدَةٌ .

المفـــرَدَات

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً : أَيْ يَقُولُ أَهلَكْتُ مَالاً كَثِيراً . وَقَوْلُهُ تَعَالَى «لُبَداً» مَعْنَاهُ «كَثِيراً» وَأَصْلُ اشْتِقَاقِهَا مِنَ التَّلَبُّدِ . وَقَرَأَ أَبُوجَعْفَرٍ ، أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْقُرَّاءِ الزَّمَخْشَرِيُّ ، وَالمَعْنَى مُتَقَارِبٌ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ السَّبْعِيَّةُ هُوَ فَتْحُ الْبَاءِ بَعْدَ اللَّامِ المَضْمُومَةِ «لُبَداً» بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ «لُبُداً» بِضَمَّتَيْنِ ، ذَكَرَ ذِلكَ.

وفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى حَالِ الْجَاهِلِيِّينَ إِذْ كَانُوا يَتفَاخَرونَ بِالْإِنْفَاقِ وَيَتَبَاهَوْنَ بِهِ وَيقُولُونَ نَحرْنَا الجُزُورَ وَسَبَأْنَا الخَمْرَ أَيْ شَرَبنَاهَا وَلَعبْنَا المَيْسِرَ وَكَانُوا إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذِلِكَ تَفَاخُراً وَتَكَاثُراً لَايُرِيدُونَ بَهِ الْبِرَّ وَلَا عَمَلَ الخَيْرِ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى . وَكَانُوا يَذْكُرُونَ ذلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَيَتَمَدَّحُونَ بِهِ فَرَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ يُبَيِّنُ لَنَا مَا كَانُوا عَلَيهِ مَنْ هذَا الْغُرُورِ وَالزَّهْوِ .

الخلاصة

قَالَ تَعَالَى : هذَا الْإِنْسَان ، يَرْكَبُهُ الْغُرُورُ وَيظُنُّ أَنَّهُ قَوِيٌّ ، فَهلْ يَحْسَبُ أَنَّ أَحداً لَنْ يَقْوَى عَلَيْهِ وَأَنَّ أَحداً لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ . بَلَى سَيَقْدِرُ عَلَيْهِ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ يَأْخُذُهُ مِنْ دُنْيَاهُ فَتَتَوَفَّاهُ الْمَلائِكَةُ ظَالِماً لِنَفْسِهِ ثُمَّ يَحْضُرُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً . وَهذَا الْإِنْسَانُ الْمَغْرُورُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ يَتَمَدَّحُ وَيَفْتَخِرُ وَيَقُولُ لَقَدْ أَنْفَقْتُ مَالاً كَثِيراً فَأَنَا كَرِيمٌ وَأَنَا سَيِّدٌ وَأَنَا ذُو مُرُوءَةٍ - أَيَحْسَبُ أَنَّ أَحداً لَمْ يُبْصِرْهُ وَهُوَ يَفْعَلُ ذلِكَ - بَلَى إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْصَرَهُ وَرَأَى مَا كَانَ يَمْلأُ قَلْبَهُ مِنَ الزَّهْوِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَطَلَبِ السُّمْعَةِ وَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا فَعَلَهُ بِقَصْدِ الْبِرِّ وَالرَّحْمَةِ لِلْمَسَاكِينِ وَالْخَيْرِ .

تعليق

ذَكَرُوا أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «أَيَحْسَبُ أَنْ لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُمَحٍ ، كَانَ قَوِيّاً شَدِيداً ، وَكَانَ يُدْعَى أَبَا الْأَشَدِّ ، وَكَانَ يَقِفُ عَلَى الْبِسَاطِ وَيَقُولُ مَنْ يُزِيلُنِي عَنْ مَوْضِعِي فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذلِكَ أَحَدٌ . وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْمُرَادُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ. وَكُلُّ ذلِكَ جَائِزٌ إِلَّا أَنَّ حَمْلَ مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى الْعُمُومِ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَلَيْسَ ذلِكَ بِمُخْرِجٍ عَنِ التَّأْوِيلِ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهِ أَبُو الْأَشَدِّ أَوِ الْوَلِيدُ أَوْ كِلَاهُمَا وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

خلاصة بالدارجة

قَالَ رَبُّنا تَبَارَكَ وتَعالى : « أَيَحْسِبُ أَن لَنْ يَقْدِرْ عَلَيهِ أَحَدٌ» يعني الإِنْسانْ قايِل ما في أَحَدْ بِيقْدَرْ عليهُ - قَالُوا بعضَ الْمُفَسِّرينَ الآيَة دِي نَزَلَتْ في رَاجِلْ كافِرْ إِسمُه أَبُو الأَشَدَ كَانْ قوي وكانْ يَقيفْ فُوقَ الْبِساطْ الْكَبيرْ ويَقُولْ منو [1] أَلْ بِيقْدِرْ يَزَحْزِحني . وبَعَدينْ رَبَّنا سُبحانُه وتَعَالى قالْ : « يَقُولُ أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً» يَعني

---

1 - منو بضم الميم الأولى أو كسرها أو بينهما ونون مضمومة ثم واو أي من في الاستفهام .

الإنْسانْ يَفْتَخِرْ ويقُولْ صَرَفْتَ «مَالاً لُبَداً» مَعْناها كَتيرْ خَلاص . وصَرْفَ الإنْسانْ دَا مَا هُو في سَبيل الله ، وَلا فِي شان الْبِرْ والتَّقْوَى ولكِنْ رِيَا وفَاشْ [1] سَاكِتْ . فِي شان كَدِي رَبَّنا قالْ : «أَيَحْسِبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ» يَعني هُو قايِلْ رَبَّنا ما شَافُه وشاف الْ فاشْ والرِّيا والْفخُرْ أَلْ في قَلْبُه؟

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ ؟

تنبيه :

في قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرِو «وَمَا أَدْرَاكَ» فِيهَا الإِمَالَةُ التَّامَّةُ في الْأَلِفِ الَّتي بَعْدَ الرَّاءِ مِنْ «أَدْرَاكَ» - وَحَفْصٌ لا يُمِيلُ .

المفـــــردات

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ : اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ في النَّجْدَيْنِ مَا هُمَا ؟ وَأصلُ النَّجْدِ في اللُّغة المُكَانُ الْمُرْتَفَعُ وَالْمَسْلَكُ الْمُرْتَفِعُ وَيَقُولُونَ أَنجدَ فُلَانٌ أَيْ سَارَ إِلَى نَجْدٍ . وَقَالُوا الْمُرَادُ بِالنَّجْدَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ طَرِيقُ الْهُدَى وَطَرِيقُ الضَّلَالَةِ . وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْمُرَادُ هُهُنَا بِالنَّجْدَيْنِ الثَّدْيَان - أَيْ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ جَعَلَ لِلْمَرْءِ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ثُمَّ أَخرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَاهْتَدَى لِمَوْضِعِ

---

1 - فاش أي تفاخر ودعوى وزهو . ساكت : فقط .

الثَّدْيَيْن مَنْهَا وَرَضَعَ . وَسُمِّيَ الثَّدْيَانِ نَجْدَيْنِ عَلَى التَّشْبِيهِ لِارْتِفَاعِهِما .
وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَقْوَى وَاللهُ أَعْلَمُ .

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ : مَعْنَى اقْتَحَمَ مِنَ الِاقْتِحَامِ وَهُوَ الدُّخُولُ في الْأَمْرِ مَعَ إِقْدَامٍ وَجَسَارَةٍ فَاقْتَحَمَ مَعْنَاهُ دَخَلَ بِإِقْدَامٍ وَجَسَارَةٍ . وَمَعْنَى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ أَيْ لَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقَبَةَ وَالعَقَبَةُ مَعْنَاهَا اللُّغوِيُّ مَعْرُوفٌ . وَقَالوا الْمُرَادُ ههُنَا عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ قَبْلَ الْجِسْرِ الْأَوَلِ مِنْهَا . وَقَالَ آخَرُونَ هِيَ سَبْعُونَ دَرَجَةً فِي جَهَنَّمَ . وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى الْعَقَبَةَ مَا هِيَ فِيمَا يَلِي مِنَ الْآيَاتِ كَمَا سَنَذْكُرُ مِنْ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَمَنْ جَعَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» نَفْياً احْتَجَّ بِأَنَّ لَا مُكَرَّرَة فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ الْمَعْنَى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَلَا فَكَّ رَقَبَةً وَلَا أَطْعَمَ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

وَقَالَ آخَرُون بَلْ قَوْلُهُ «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» بِمَعْنَى التَّحْضِيضِ أَيْ بِمَعْنَى أَفَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَة .

وَقَدْ يُقَوِّي مِنْ هذَا الْوَجْهِ شَيْئاً مَكَانُ الاسْتِفْهَامِ الْبَلِيغ قَبْلَهُ - إِلَّا أَنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّل أَظْهَرُ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . بَعْدَ اللَّامِ الْمَضْمُومَةِ «لُبَّداً» بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ «لُبُداً» بِضَمَّتَيْنِ ، ذَكَرَ ذِلِكَ.

الخُـلاصَة

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَلَا يَتَأَمَّلُ الإِنْسَانُ حَالَ نَفْسِهِ ، إِنَّا جَعَلْنَا لَهُ عَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِما وَلِساناً يَنْطِقُ بِهِ وَيَذُوقُ بِهِ وَشَفَتَيْنِ يُعَبِّرُ بِهِما وَيَتَذَوَّقُ بِهِما ودَلَلْناهُ فَاسْتَبانَ الطَّرِيقَيْنِ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَر ، فَسَلَكَ مِنْهُما مَا سَلَكَ ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَقْتَحِمِ العَقَبة أَيْ لم يَحْمِلْ نَفْسَهُ عَلَى مُجاوَزَةِ الْعَقَبَةِ ثُمَّ إِنَّ اللهَ سَأَلَ نَبِيَّه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَنِ الْعَقَبَةِ مَا هِيَ لِيُبَيِّنَها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ فَقالَ جَلَّ وَعَلَا إِنَّها كَذا وَكَذا على ما سَيَأْتِي بَيانُه مِنْ بَعْد إِنْ شاءَ اللهُ .

وَيَجُوزُ فِي التَّأْوِيلِ - واللهُ تَعَالى أَعْلَمُ - أَنْ نَقولَ أَلَيسَ اللهُ قَدْ جَعَلَ لابْنِ آدَمَ عَيْنَيْنِ ولِساناً وَشَفَتَيْنِ وَدلَّهُ فَاسْتَبانَ الطَّرِيقَيْنِ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ فَهَلَّا جَمَعَ عَزْمَه وَاقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ثُمَّ سَأَلَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ هَل تَعْلَمُ ما الْعَقَبَةُ أَيُّ شَيْءٍ هِيَ ثُمَّ بَيَّنَها سُبْحانَهُ وَتَعالى فقالَ جَلَّ وَعَلا هِيَ : كذا وكذا على نَحْوِ مَا بَيَّنَهُ مِنْ بَعْدُ . واللهُ تعالى أَعْلَمُ .

خُـلاصَـة بالدارجَة

رَبّنا سُبْحَانُه وتَعالى بيَوعِظْ فِي ابْنِ آدَمْ بيقولْ أَلَمْ نَجْعلْ لَهُ عَيْنَيْنِ يَعْنِي نَحْنَ ما سَوِّينا لُه عينين «ولساناً وشفتَيْنِ» وكمانْ نِحْنَ ما سَوينا لُه لسانْ وشفتَينْ «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» وكَمانْ نَحْنَ ما هَدِيناهُ ودلِّيناهُ فِي سكّتينْ واحدَة للخيرْ وواحْدَة للشَّرّ والنجدِيْن يعني السِّكَتَيْنْ . اهَا لِي شنُو ما بيرْكَبَ الْعَقَبَةْ ال قِدَّامُه دِي ما دامْ نَحنَ عَمَلْنَا لُه كلَّ حاجَةْ ؟ والْعَقَبَةْ انْتَ أدراكَ بِيها شْنُو - ربّنا سُبْحَانُهْ

وتعالَى - هِنا بيخاطِبْ نبينا عليهُ الصَّلاة والسَّلامْ بقولُه : «وما أَدْراكَ ما الْعَقَبَةُ» وبعدِين ربّنا سُبحانُه وتعالى فَسَّر العقبَةْ دِي شِنُو . وفي جماعَةْ مِن المُفَسِّرِينْ قالُوا الْعَقَبَةْ دي يَعَنِي كُبْرِي قِدَّامْ جهَنَّمْ وجَمَاعَةْ قَالُوا سِلَّمْ قِدَّامْ جهَنَّمْ والتفسِيرْ الْقَوِي للعَقَبَةْ هُو الْبَيانْ ال بَيَّنُهْ ربّنا سُبْحانُه وتعالى في الآياتْ الجَايَة إنْ شَاءَ الله .

وجَمَاعَةْ قالُوا النَّجْدَيْن يَعْني الشَّطْرَيْن يَعْني ربّنا سُبْحانه وتعالى أدّى الانسان عُيُونْ ولِسانْ وشَلالِيف [1] وبَعدين ورَّاهُ شُطُورْ أُمُّهْ في شان يَرْضَعْ ، ودا تفسِير ما هو قَوِي مِتلْ الْفَاتْ والله تَعالَى أَعْلَم .

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾.

تنبيه :

قِرَاءَةُ أَبي عَمْرِو بْنِ الْعَلاءِ هكذا :

فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . «فك» قَرَأها حَفص عن عاصم (فَكُّ) بفتح الْفاءِ وضم الْكَافِ وتشديدِها على أَنَّها مَصْدرٌ مَرْفوعٌ خَبرٌ لمبتداٍ مَحْذُوفٍ تقْدِيرُهُ هِيَ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْعَقَبَةِ مِنْ قَوْلِهِ تعالى : «وما أَدْراكَ ما الْعَقَبَةُ» وَقَرَأها أَبُو عَمْرٍو «فَكَّ»

1 - شلاليف : شفاه . شُطور جمع شَطْرٌ بفتح وضم في الدارجة وهو الثَّدْي .

بفتْحِ الفاءِ وفَتْحِ الكاف وتشديدِها على أنَّها فِعْلٌ ماضٍ وَالفاعِلُ ضَمِيرٌ يعودُ على الإِنْسانِ وهذَا الْفِعْلِ والْأَفْعَالُ بَعْدَهُ بيانٌ لَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعالى : «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» واللهُ أَعْلَمُ .

«رقبة» جرَّها حَفْصٌ عن عاصمٍ بالاضافة هكذا «فَكُّ رَقَبَةٍ» وَنَصَبَها أبوعَمْرٍو على أنَّها مَفْعُولٌ بِهِ هكذا «فَكَّ رَقَبَةً» .

«أَطْعَمَ» قَرَأَها حَفْصٌ «إِطْعَامٌ» بِكِسْرِ الْأَلِفِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَعَيْنٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا أَلفٌ وِمِيمٌ مَضْمُومَةٌ مُنَوَّنَةٌ على أنَّها مَصْدَرٌ مَرْفُوعٌ عَطْفاً عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى «فَكُّ رَقَبَةٍ» بِالرَّفْعِ . وَقَرَأَها أبو عَمْرٍو «أَطْعَمَ» بِأَلِفٍ مَفْتُوحَةٍ وَطَاءٍ ساكِنَةٍ وَعَيْنٍ مَفْتُوحَةٍ وَمِيمٍ مَفْتُوحَةٍ عَلَى أنَّها فِعْلٌ ماض مثل «فكَّ» كما تَقدَّمَ بَيانُ ذلِكَ .

وَقِرَاءَةُ أَبي عَمْرٍ عَلَيْهَا ثَلاثَةٌ مِنَ السَّبْعَةِ هُمْ أَبُو عَمْرٍو وابْنُ كَثير والْكِسائي . وقِراءَةُ عاصم وَعَنْهُ أَخَذَ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمانَ رَحِمَهم اللهُ جَمِيعاً عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ هُم نافعٌ وَعاصِمٌ وَابْنُ عامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالقِراءَتَانِ مَعْرُوفَتانِ جَيِّدَتَانِ ولِكُلٍّ مِنْهُمَا وَجهٌ في الإِعْرابِ ولا تُؤَدِّيان إِلى اخْتِلافٍ في المَعْنى وقد رَجَّحَ الطبريُّ قِراءَةَ أَبي عَمْرٍو على سَبِيلِ الاسْتِحْسَانِ لا غَيْرُ وَلِكِلْتَا الْقِراءَتَيْنِ بَعْدُ وَجهٌ حَسَنٌ ومَعَنًى جليلٌ عَظِيمٌ واللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ .

المفـــرَدات

فَكُّ رَقَبَةٍ : فَكُّ الرَّقَبَةِ عِتقُهَا . وَفَكَّ رَقَبَةً أَيْ أَعْتَقَ رَقَبَةً ، وَتَأْوِيلُ الْكَلامِ فَهلَّا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ بِأَنْ فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ مِسْكِيناً على قَوْلِ مَنْ جَعَلَ فَلَا للتَّحضيضِ أَو فَلَم يَقْتَحِم الْعَقَبَة بِأَنْ يَكُونَ قَدْ فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ مِسْكِيناً عَلى النَّحْوِ الَّذي بَيَّنَّا مِنْ قَبْلُ واللهُ أَعْلَمُ .

في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ : المَسْغَبَة هِيَ الجُوعُ وفِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ أي في يَوْمٍ ذِي جُوعٍ وَمَعْنى يَوْمٍ ذِي جُوعٍ أي يَوْمٍ تَكُونُ فِيهِ مَجاعَةٌ أَوْ يَوْمٍ يَشْتَهِي فيهِ النَّاسُ الطَّعَامَ أَوْ يَوْمٍ يُصادِفُ المَرْءُ فِيهِ إنساناً جَائِعاً - كُلُّ هذِهِ المَعاني مِمَّا يَصِحُّ بِهِ تأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعالَى «فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» إن شَاءَ اللهُ وَقَدْ يَدُلُّ عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً مَعاً لأَنَّ إطْعَامَ الْيَتِيمِ وَالمِسْكِينِ في أَيَّامِ المَجَاعَةِ أَوْ حِينَما يَكُونانِ جائِعَيْنِ أَوْ في الأَيَّامِ الَّتي يَشْتَهِي فِيهَا النَّاسُ الطَّعَامَ مِنَ الفَضَائِلِ الْعَظِيمَةِ وَيُدْخِلُ على نُفُوسِ المَساكِينِ واليَتامى مِنَ السُّرُورِ ما لا يَخْفَى ثُمَّ قَدْ يَتَّفِقُ حُصُولُ الجُوعِ وَمُصَادَفَةُ الجائِعِ وَاشْتِهاءُ الطَّعَامِ كُلُّ ذلِكَ مَعاً والله أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ .

يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ : أَي ذَا قُرْبَى وَخُصِّصَ ذُو القُرْبى لأَنَّ وَقْعَ الإِحْسَان

فَكُّ رَقَبَةٍ : يَكُونُ عَلَيْهِ عَظِيماً وَيَشْعُر بِأَنَّك تُعامِلُهُ مُعامَلَةَ الْوَالِدِ الَّذي حُرِمَ هُوَ منه . وَالمَقْرَبَةُ مَعْنَاها القُرْبى .

مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ : أَي ذَا فَقْرٍ وَالمَتْرَبَةُ هِيَ الْفَقْرُ مِنْ تَرِبَ يَتْرَبُ إذا الْتَصَقَ بالتُّرَابِ فَكَأَنَّ المِسْكِينَ ذَا المَتْرَبَةِ مُلْتَصِقٌ بالتُّرابِ مِنْ شِدَّةِ فَقْرِهِ .

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذينَ آمَنُوا : ثُمَّ ههُنَا جَاءَتْ واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ لإتْمَامِ المَعْنَى وَاسْتِيفَاءِ جَوَانِبِهِ قَالَ طَرَفَةُ :

ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ في قَوْمِهِمْ
خُفُرٌ جارُهُمُ غَيْرُ غُدُرْ

أي هذا مَعَ الَّذي ذَكَرْنَا مِنْ فَضْلِهِمْ وَفاءً لَهُ وَتَكْمِيلاً - وَكَانَ ههُنَا بِمَعْنَى يَكُون وَكَثِيرٌ في اللُّغَةِ وُرُودُ المَاضي لِلدَّلاَلَة عَلى المُضارِعِ وَلا سِيَّمَا في بَابِ كَانَ فَإِنَّهَا

مما يُفِيدُ مَعْنَى الْحَالِ وَدوامَهُ وَاسْتِمْرَارَهُ ؛ قَالَ تَعَالى : ((وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً)) – فَالْمَعْنَى عَلَى هذا هُو : ثُمَّ يَكُونُ المرءُ ، مَعَ جَمِيعِ الَّذي ذَكَرْنَاهُ مِنْ إِطْعَامٍ وعتقٍ للرِّقَابِ مُؤْمِناً – فالإيمانُ كما تَرَى ههُنَا شَرْطٌ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ لا يَصِحُّ عَمَلٌ إِلَّا بِهِ . وَثُمَّ كَما قَدَّمْتُ لَكَ جاءَتْ للاسْتِيفاءِ . والرَّاجِحُ – واللهُ أَعْلَمُ – أَنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى قَدْ وَهِمَ إِذْ ظَنَّ أَنَّهَا جَاءَتْ للدِّلالَةِ عَلَى أَنَّ الإِيمان مُتَأَخِّرٌ في الْمَرْتَبَةِ عَن الْعِتْقِ وَإِطْعَامِ المساكين ، وَلَيْسَ الأَمْر كَذلكَ بَلِ الإِيمان أَعلى كُلِّ شَيءٍ في أَمْرِ الدِّينِ مَرْتَبَةً وَكُلُّ عَمَلٍ مَنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ مُتَرَتِّبٌ عَلَيْهِ . وَلَعَلَّ الزَّمَخْشَرِيَّ أَرادَ أَن الإِيمانَ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالَحِ مِنْ إِطْعَامٍ وَعِتْقٍ أَفْضَلُ مِنَ الإِيمانِ وَحْده بِلا عَمَلٍ وهذا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى كما قَالَ صاحبُ الجوهرة رَحِمه الله :

ورُجِّحَت زِيادَةُ الإِيمانِ   بِما تَزِيدُ طَاعَةُ الإِنْسانِ

والإِيمانُ منْ شَأْنِهِ أَن يَدْفَعَ المَرْءَ إِلى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، إِذ لا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ إِيمانٍ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ صَالحٍ قَلَّ أَو كَثُرَ واللهُ تَعَالى أَعْلَمُ .

تَوَاصَوْا : أَوْصَى بَعْضُهم بَعْضاً .

بِالْمَرْحَمَةِ : الْمَرْحَمَةُ هِيَ رَحْمَةُ النَّاسِ وَالْعَطْفُ عَلَيْهِم .

أَصْحَابُ الْمَيْمَنَة : الْمَيْمَنَة هِيَ جِهَةُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ هُمُ الَّذينَ يُعطَوْنَ صُحُفَهم بِأَيْمَانِهم ويُؤْخَذُون إِلى جِهَةِ الْيَمِينِ إِلى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيامَة . وَيَجوز أَن تكُونَ الْمَيْمَنَةُ بِمَعنَى الْيُمْنِ وَالسَّعادة والْمَعْنى مُتَقارب .

الخـلاصة

بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى لَنَا الْعَقَبَةَ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى : «وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ» ما هِيَ فقالَ جَلَّ من قائلٍ : فَكُّ رَقَبَةٍ أو أَطْعَمَ في يَوْمٍ ذي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بالْمَرْحَمَة فَبَيَّنَ لَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعالى أَنَّهُ : إِذَا أَرادَ الْمَرْءُ أَنْ يَجْتَازَ الْعَقَبَةَ الَّتي أَمَامَهُ لِيَنْجُوَ في الدَّارِ الآخِرَةِ وَيَنَالَ رَضا الله فَالطَّرِيقُ الَّذي يُمكِّنُهُ مِنْ فِعْلِ ذلِكَ هُوَ أَنْ يَفُكَّ رَقَبَةً أَيْ أَن يُعْتِقَ رَقَبَةَ الْمَمْلُوكِ

الَّذي في أَسْرِهِ وَرِقِّهِ سَواءٌ أَكانَ رَجُلاً أَمِ امْرَأَةً أَو أَن يُطْعِمَ الْيَتِيمَ ذَا الْقُرْبى أَوِ الْمِسْكِينَ الْمُحْتاجَ في يَوْمٍ مِنْ أَيَّام الجُوعِ أَو الأَيَّامِ التي يَشْتَهِي النَّاسُ فيها الطَّعَام كالأَعْيادِ أَوْ حِينَما يَجِدُهُ جائعاً . ثُمَّ مع كُلِّ هذا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً مِنَ الَّذينَ يُؤْمِنُون بالله وَالْيَومِ الآخِرِ وَيَتَواصَوْنَ أي يُوصي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِالصَّبْرِ عَلَى الأذى والاعْتِمادِ على الله وَيَتَواصَوْنَ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوى وَعملِ الخَيْرِ وَرَحْمَةِ الضُّعفاءِ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَمِنْ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ في الجَنَّةِ .

وَيَجُوزُ في التَّأْويلِ - واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - أَنْ نَقولَ أَلَيسَ اللهُ قَدْ جَعَلَ لابْنِ آدَمَ عَيْنَيْنِ ولِساناً وَشَفَتَيْنِ وَدلَّهُ فَاسْتَبانَ الطَّريقَيْنِ طَريقَ الخَيْرِ وَطَريقَ الشَّرِّ فَهَلَّا جَمَعَ عَزْمَه وَاقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ثُمَّ سَأَلَ اللهُ تَعالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ هَل تَعْلَمُ ما الْعَقَبَةُ أَيُّ شَيءٍ هِيَ ثم بَيَّنَها سُبْحانَهُ وَتَعالى فقالَ جَلَّ وَعَلا هِيَ : كذا وكذا على نَحْوِ مَا بَيَّنَهُ مِنْ بَعْدُ . واللهُ تعالى أَعْلَمُ .

خـلاصـة بالدارجة

رَبِّنا قال : «وما أدْرَاكَ ما العَقَبَةَ» يَعْني بِيخاطب نبِينا عليهُ الصَّلاة والسَّلام ويقول لُه أَل عَرَّفك بالْعَقَبَة دِي هِي شْنُو - وَبَعْدين ربّنا سُبْحانه وتَعالى بَيَّن لنا مَعْنَى الْعَقَبَة دِي - قَالْ يا الإِنْسان يِفكّ رَقَبة يا يَطْعِم الْيتيمْ القريبْ ليهُ والمِسْكينْ المُحْتَاجْ [1] - يَطْعِمُن فِي زَمَن المُجاعَةْ وفي يَوُم [2] يَكُونوا هُمْ جيعانِينْ وكَمانْ في الْيَوْم أَل بِيشْتَهُوا النَّاسْ فَيهُ الطَّعام زَيْ يُومْ الْعِيدْ مثلاً - دا مَعْنَى في يَوْمِ ذِي مَسْغَبَةٍ - المُسْغَبَة يَعْني الجُوعْ . وربّنا خَصَّص اليتيمْ القريبْ - ذَا مَقْرَبَةٍ - يَعْني الْقَرِيبْ علشَانْ [3] والله سُبحانُه وتَعالى أَعلم إِطعامُه بيدْخِلْ السِّرورْ فِي قَلْبُه والزُّول أَكان قَرِيبه يعني قريب اليَتِيم واطْعَمهُ يَبْقَى لُه مِتِلْ والدُهْ المَاتْ . والمِسْكينْ المُحْتاج - ذَا مَتْرَبَةٍ - يَعْنِي اللَّصِقْ بالتُّرابْ والمِتِلْ دَا الإِحْسان بِيشْرَحْ قَلْبُه ويَبْسُطُهْ .

وبَعْدين رَبّنا قَالْ وضرورِي الإِنْسانْ يَكُونْ مَعَ فِعْل الخَيْرْ دَا من المؤمنين الْ بِيتْواصوا بالبّر يَعْنِي عَمَل الخَيْر وبالمَرْحَمة يَعْني رحمة النَّاس . ودِيل - يَعْني المؤمنين ال بسَوّوا الفِعِلْ دا - بَعدِينْ بيكُونُوا من أَصحابَ الْيَمِين يعني من أَهَلْ الجَنَّة ، صَحَايِفْ أَعمالُهم يدُّوهم إِيَّاها بأَيْمانُهم وياخدُوهم جِهَةَ الْيَمِينْ للجنَّة والسَّعادة الدَّايمة .

---

1 - يا : إما التفصيلية ههنا وتتكرر .

2 - ضمة وفتحة على الياء للحركة المزدوجة في ياء يوم .

3 - علشان نطقها عين ولام بفتحة ممالة إلى الكسرة شديداً مع طول يكاد يأتي بياء ثم شان ولا تفتح اللام في دارجتنا وهكذا نطقها : ((على شان)) وكان حقها أن نكتبها هكذا ولكن آثرنا ما درج عليه كاتبو هذه الكلمة تيسيراً والله أعلم .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

المفـــردات

فَكُّ رَقَبَةٍ : أيْ أَصْحَابُ الشِّمالِ . وسُمِّيَ الشِّمالُ مَشْأَمَةٌ لأنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتَشَاءَمُ بِمَا يَجِيءُ مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ مَنْ طَائِرٍ وَحَيَوَانٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرادُ واللهُ أَعْلَم : «أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» أَيْ أَصْحَابُ الشُّؤْمِ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ لأَنَّ أَصْحَابَ الشِّمالِ هُمْ أَهْلُ النَّارِ وهُمْ مشائِيمُ لا أَحَدَ أَشْأَمُ مِنْهُم .

مُؤْصَدَةٌ : أي مُطْبَقَةٌ إِطْبَاقاً وَمُغْلَقَةٌ إِغْلاقاً لا فَرَجَ فِيها ولا انْفِتاحَ . تَقُولُ آصَدَ الْبَابَ وَأَوْصَدَهُ أي أَغْلَقَهُ وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فَبَعْضُهُمْ قَرَأَ «مُؤْصدة» أي مُغْلَقة بهَمْزةٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الميم وَهذِهِ هِيَ قِراءَةُ أَبي عَمْرٍو وَحَفْصٍ عن عاصم . وبَعْضُهم قَرَأَ «مُوصدَة» من دُونِ هَمْزَةٍ وهذه هِيَ قِراءَةُ نافعٍ وابنْ كثيرٍ وابن عامرٍ والكسائي وأبي بكر عن عاصم .
وكلا الهمزِ وَتَرْكِهِ عربِيٌّ فَصِيحٌ جَيِّدٌ .

الخـلاصة

يَقُولُ تَعَالى بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لنا حَالَ الْمُؤْمِنِينَ «والَّذينَ كَفَروا بِآياتِنا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمة عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ» أي أنَّ الكافِرِينَ بآياتِ الله وَشَواهِدِ وِحْدَانِيَّتِهِ وشَوَاهِدِ صِدْقِ الرِّسالَةِ

المُحَمَّدِيَّةِ هُم المُشائِيمُ الَّذينَ يُعْطَوْنَ يَوْم القِيامَةِ صَحَائِفَهُمْ بِالشِّمالِ وَيُساقُونَ جِهَةَ الشِّمالِ إلى النَّارِ وَيَدْخُلونَ فِيها ثُمَّ تُوصَدُ عَلَيْهِمْ وَتُطْبَقُ وَيَحْتَرِقُونَ لا يَحْيَوْنَ ولا يَمُوتُونَ ولا يُفْرَجُ عنهم بَلْ يَمْكُثُون إلى ما شاءَ اللهُ أَبَدَ الأَبِيدِ والعياذُ بالله.

خـُلاصـة بالدارجَة

ربّنا سُبْحانُه وتَعَالَى بَعْدْ ما وَصَف المُؤْمِنين وَصَفَ الْكُفَّار أَلْ كَفَرُوا بالله وبالنَّبِي عليهُ الصَّلاة والسَّلام وقَال هُمْ أَصْحَابُ المُشْأَمَةِ يَعْني الشُّوم أَهل الشِّمال أَل بِيدِّيهم رَبّنا صَحايِفهُم بالشِّمال وَيَمْشُوا للنَّار بِي جَهة الشِّمالْ ويَدْخُلوا فيها وتِنْسَد وتِسَكَّرْ[1] عليهم دا : معنى «مُؤْصَدَةٌ» - يَعْني مَقْفولة عليهم ما بْيَمْرُقوا تَبْ مِنَّها وما تِنْفَتِحْ أَبداً . لَعْنَةَ الله عَلَيْهم .

وتم بحمد الله تفسير سورة البلد

1 - تِسَّكر تاء مكسورة وسين مفتوحة مشددة وكاف مفتوحة مشددة أي تنقفل من سكّر فلان الباب بتشديد الكاف أي أوصده وهي فصيحة - وفي سورة الحجر ((إنما سُكّرتْ أبصارنا)) .

سورة الشمس

مَكِّيَّةٌ وآياتُها خمس عشرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾.

تنبيه :

وَالنَّهارِ فيها إِمَالَةٌ تَامَّةٌ لأَبي عَمْرٍو في أَلف النَّهارِ الَّتي قَبْلَ الرَّاءِ المُكْسُورَةِ وَسَبَبُ الإِمَالَةِ هُوَ تَطَرُّفُ الرَّاءِ مَكْسُورَة بَعْدَ أَلِفٍ وَحَفْصٌ لا يُمِيلُ . وفِي الأَلِفات اللَّيِّنَةِ ما قدَّمنا مِنْ أَمْرِ إِمالَةِ التَّقْلِيلِ .

المفـــرَدَات

الواو : لِلْقَسَم . وأَقْسَمَ رَبُّنا عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّهارِ وَاللَّيْلِ وَالسَّماءِ وَبِنُفُوسِ الْبَشَرِ وَجَوابُ الْقَسَمْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها – أَيْ أَقْسَمَ اللهُ بِهذِهِ الأَشْياءِ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ ورسَالَة مُحَمَّدٍ ﷺ صِدْقٌ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنِ انْتَفَعَ بِذلِكَ وَفَعَلَ ما أَمَرَ بِهِ اللهُ مِنْ تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ أَيْ تَطْهِيرِها وَخابَ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ .

وَضُحاها : قالُوا : ضُحَاهَا أَي نَهارُها وقَالوا ضوؤُها والْوَجهُ إِنْ شاءَ اللهُ أَنْ

نَقُولَ ضُحاها هُوَ ضَوْؤها وإِشْرَاقُها بالصَّبَاحِ وَقْتَ إشْراقِها بالصَّباحِ وَلَعَلَّ أَجْوَدَ التَّفْسِيرِ وَأَدَلَّهُ على المُعْنَى قَوْلُنا الضُّحا هُوَ المُعْرُوف منْ هذا اللَّفظِ أَي ارْتِفاع الصَّباحِ وقَوْلُ مجاهِدٍ ضحاها ضوْؤها يَدُلُّ عَلَى هذا إن شاءَ الله إِذْ أَوَّلُ ما يَظْهَرُ مِنْ شَمْسِ الصَّبَاحِ ضَوْءُهَا ؛ ولا أرى أَنَّهُ النَّهار لِذِكْرِ النَّهارِ فيما بَعْدُ ولأَنَّ الضُّحى جُزْءٌ مِنَ النَّهارِ واللهُ تَعالى أَعْلَمُ .

تلاهَا : أَي جاءَ بَعْدَها ، ومِنْ شَأْنِ الْقَمَرِ أَنْ يَجِيءَ لَيْلاً واللَّيْلُ بَعْدَ النَّهارِ فَهذا مَعْنَى تَلاها ، واللهُ أَعْلَمُ .

جَلَّاها : النَّهارُ يَجْلُو الشَّمْسَ على الخَلْقِ في ضَوْئِها . وَزَعَمَ بَعْضُ عُلَماءِ النَّحْوِ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُود على الظُّلمَةِ أي والنَّهارِ إذا جَلَّى الظُّلْمَة وكَلِمَة «جَلَّى» هِيَ مُضَعَّفَةُ كَلِمَةِ «جَلَا» وَهذا الْقَوْلُ لَهُ وَجْهٌ وَرَفضَهُ الطَّبَرِيُّ لِأَنَّ أَهْلَ التَّأْويلِ فَسَّرُوا جَلَّاها بِقَوْلِهِمْ إذا أَضاءَ والتَّوضِيحُ الَّذي وَضَّحْنَاهُ يَكْشِفُ هذا المعْنَى وهو الصَّوابُ إن شاءَ اللهُ إِذْ في الْوَجْهِ الَّذي ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّحوِيُّون الَّذينَ ذكَرْنا نوعٌ مِن بُعدٍ ، واللهُ أَعْلَمُ .

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاها : مِن غَشِيَ يَغشَى أَي إذا غطَّاها لأَنَّ اللَّيْلَ يَغشَى الشَّمْسَ وَيَحْجُبُها.

وما بَنَاها : ما ههُنَا مَوْصُولَةٌ بِمَعْنى مَن وإنما جاءَت ما مَكَان من - والله تعالى أَعلَمُ - للإِبْهام المُرادِ بِهِ التَّعْظِيم إِذ الحَدِيثُ عَن رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحانَهُ تَقَدَّسَت أَسْماؤُهُ . فَيَكون المُعْنَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقسَمَ بالسَّماءِ

وبِحَقِّهِ هُو الخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذي بَنَاها . وقالَ بَعْضُهم أن ما ههُنا مَصْدَرِيَّة وَتَأَوَّلُوا أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بالسَّماءِ وَبنائِها وبِالْأَرْضِ وَطَحْوها وبالنَّفسِ وَتَسْوِيَتِهَا ثُمَّ بِمَا حَدَثَ لَهَا مِن إِلْهَامِ الْفُجُور والتَّقوى .

والْوَجْه الأَوَّلُ أقوى والْوَجْهُ الثَّاني جائِزٌ وقَد عَابهُ الزَّمَخْشَرِيُّ رَحِمَهُ الله بِأَنَّ فيه إِفْسَاداً للنَّظْمِ وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذلِكَ على الأَرْجَحِ واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

طَحَاها : بِمَعْنَى دَحَاها أي بَسَطَهَا وَفَرَشَهَا وَقالَ بَعْضُهُم أَيْ ما خَلَقَ فِيها . وقالَ بَعْضُهم جعَلَها أَقْساماً وَأَصْنافاً وَالمُعْنَى الأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ إِنْ شاءَ اللهُ وهُوَ الَّذي عَلَيْهِ اللُّغَةُ والدَّالُ والطَّاءُ أُخْتانِ في اللُّغَةِ وَكَلِمَة طَحَاها بِمَعْنَى دَحَاها أي بَسَطَهَا كَما تَقَدَّمَ واللهُ أَعْلَمُ .

وَنَفْسٍ : أي نَفْسِ ابْن آدَمَ أَوْ نَفْسِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام .

سَوَّاها : عَدَلَهَا وَصَنَعَهَا صُنْعاً تَامّاً .

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاها : تَأْوِيلُها قَرِيبٌ مِنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعالى في سُورَةِ الْبَلَدِ «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» وَقَوْله تعالى في سُورةِ هَلْ أَتَى : «هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً» أي رَبَّنا سُبْحانه وَتَعَالَى أَلْهَمَ النَّفْسَ المُعْرِفَةَ فَعَرَفَتْ مَعْنَى الْفُجُورِ ومَعْنى التَّقْوَى وطريقَيْهِما فالَّتي وفَّقَها الله تعالى اهْتَدَتْ فَاتَّقَتْ وَالَّتي سَبَقَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ضَلَّتْ وَكانَتْ مَنْ أَهلِ الْفُجُورِ . أَوْ أَلْهَمَهَا الْعَقْلَ وَالمُقْدِرَةَ اللَّذَيْنِ بِهِمَا تَتَمَكَّنُ مِنْ

مَعْرِفَةِ التَّقوى والْفُجُورِ ثُمَّ الْعَمَلِ في نِطَاقِ مَعْرِفَتِها بِتَوْفِيقِ الله مَنْ وَفَّقَهُ منها وَخُذْلانِهِ مَنْ خَذَلَ مِنْهَا .

وَيَجُوز أَن يَكُونَ مَعْنَى «فَأَلْهَمَهَا» «فَبَيَّنَ لَها» - والْفُجُور الْعِصْيَان وَالْخُرُوج مِنْ طَاعَةِ الله وَالتَّقْوى مَعْناها خَوْفُ الله وَالتِزامُ طَاعَتِهِ .

الخُـلاصَة

أَقْسَمَ رَبُّنَا سُبْحانَهُ وَتَعالى بالشَّمْسِ وبِضُحاها وبالْقَمَرِ الَّذي يَظْهَرُ لَيْلاً بَعْدَها وبالنَّهارِ الَّذي يَجْلُوها على الدُّنْيَا كَالْعَرُوسِ وباللَّيْلِ الَّذي يَسْتُرُها ويُغَشِّيها عَنِ الْعُيونِ ثُمَّ أَقْسَمَ رَبُّنَا بالسَّماءِ وَبِنَفْسِهِ سُبْحانَهُ وَتعالى وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَظِيم الَّذي بَنَاها وَرَفَعَها وبالأَرْضِ ثُمَّ بِنَفْسِهِ سُبْحانَهُ وتعالى وهو الرَّبُّ الْكَرِيم الَّذي دَحَاهَا وَبَسَطَها وَجَعَلَها فِراشاً وَمِهاداً وَبِنَفْسِ ابْنِ آدَمَ وَبِنَفْسِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وهُوَ الْخَالِقُ الْقَادِرُ الَّذي صَنَعَها ورَكَّبَها وعَدَّلَها ثمَّ بَيَّنَ لَها سَبِيلَ الْهَدْيِ وَسَبيلَ الضَّلالِ ثُمَّ وفَّقَ مَنْ وفَّقَهُ مَنْها فَعَرَفَ التَّقْوَى واهْتَدَى وحَقَّ الْقَوْلُ على آخَرينَ فَضَلُّوا وَفَجَرُوا وَالْعِيَاذُ بالله .

وَجَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ علَيْهِ ما بَعْدَهُ وهوَ قَوْلُهُ تَعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها .

ومن قال إِنَّ ما مَصْدريَّة فَسَّر هكذا - ثُمَّ أَقْسَمَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِالسَّماءِ وبِنائِها الْعَجِيبِ وبِالْأَرْضِ وانْبِساطِها وانْفِراشِها وَبِنَفْسِ ابْنِ آدَمَ وَالْهَيْئَةِ الْبَديعَةِ الَّتي سُوِّيت وعُدِّلَتْ فيها وبالإِلْهام الْعَجِيب الَّذي تَمَّ بِفَضْلِ الله لِهٰذِهِ النَّفْسِ الآدميَّةِ حَتَّى عَرَفت الْهُدى والضَّلال .

والتَّفْسِيرُ الأَوَّلُ أَقْوى واللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ .

خـُلاصَــة بالدارجَة

رَبّنا سُبْحانُه وتَعَالَى حَلَفْ بالشَّمِسْ وبالضَّحا [1] وبالقَمَر وَقِت يجِي باللَّيل بَعَد النَّهار وبَعَد الشَّمِس ودَا مَعنى «إِذَا تَلَاها» وحَلَف رَّبنا سبحانه وتعالى بالنَّهار وَقِت يجَلِّي الشَّمِس ، يَعْنِي يَمْرقها سَمْحَهْ ومُضَوِّيَهْ مِتْلَ الْعَرُوس وَقِت يجَلُوها وباللَّيل وَقِت يَغَطِّي الشَّمِس وَيجِيب الضُّلُمَّةُ [2] ، وبَعَدِين رَبَّنا سبْحانُه وتعَالَى حَلَف بالسَّما وبالْخَالِق الْعَظِيم أَلْ بَناها يَعْنِي نَفْسُه سُبْحَانُه وتَعالى وَحَلَفْ بالأَرِض وبالرَّب الْكَرِيم أَلْ دَّحَاها يَعْنِي نَفْسُه سُبْحانُه وَتعالى مَعْنَى دَحاها يَعْنِي بَسَطَها [3] ومَدَّاها وسَوَّاها مِتْلَ الْفُراشْ.

وَحَلَفْ رَبَّنا جَلَّ وعَزَّ بالنَّفِس الآدميّة وبالرَّبّ ال سوَّاها بِيَعْنِي نَفْسُه سُبْحانه وتعالى ، وبَعَد مَا سَوَّاها وَرَّاهَا الهِدَايَه وَوَرَّاها الضَّلال أَلْ [4] اللهَ وَفَّقُه كَتَبْ لُه الهِدَايَةْ وال سَّبقَتْ عَلِيهُ الكلمة ووقَعْ عليه الخُذْلان بِقَى من أَهَلَ الضَّلالْ نَعوذُ بالله .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾.

---

1 - وبالضَّحا في الدارجة بفتح الضاد والنَّهار بكسر النون مع التشديد في كل . وتكسر ضاد الضحا مشددة أحياناً.

2 - أي الظلمة .

3 - النطق بسطا كما لا يخفى إن شاء الله تعالى .

4 - أل هُنا موصولة كما ترى . أي الذي فقه الله الخ .

مسألة :

الضمير ها عائدٌ إلى النَّفسِ . فيَكُون المُعْنَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَه وأصْلَحَها بِفِعْلِ الخَيْرَاتِ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاها أي أَخْمَلَهَا وَدسَّسَها بِفِعْلِ السَّيِّئاتِ وعن مجُاهِدٍ : دَسَّاها : أَغْواها وهو غَيْرُ بَعيدٍ مِنَ الأَوَّلِ وهو الَّذي في البُخَارِي . وأَصْلُ دَسَّى : دَسَّسَ . والتَّزكِيَةُ هِيَ التطْهير .

وقَالَ بَعْضُهُم فَاعِلِ زكَّاها ودَسَّاها هو اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى والضميرهنا يَعُودُ على مَنْ الَّتي تَرجِعُ إلى كَلِمَةِ النَّفْسِ من قَوْلِهِ تَعالى : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها . أي قَدْ أَفْلَحَ من زكَّى اللهُ نَفْسَهُ أي قَدْ أَفْلَحَتْ نَفْسٌ زَكَّاها اللهُ وهكذا في «مَنْ دَسَّاها» .

وهذا الرَّأيُ انْتَقَدَهُ المُعْتَزِلَةُ وَقَالُوا بَلْ فَاعِلُ زَكَّاها وَدَسَّاهَا ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلى مَنْ وَهُو الإِنْسَان . وزَعَموا أَنَّ ها يُؤَيِّدُ مَذْهَبَهُم مِنْ نِسْبَةِ الأَفْعَالِ جَمِيعها إلى العِبادِ وأَنَّ القَوْلَ الأَوَّلَ يَنْسبُ فِعْلَ الشَّرِّ وَالخَيْرِ إلى تَقْدِيرِ المَوْلَى وَهذا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ والمُعْتَزِلَةُ يُنْكِرُونَهُ .

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا الآيَتَيْنِ وَجَدْنَاهما تحْتَمِلانِ الوَجْهَيْنِ مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ ولا يُمْكِنُ أَنْ نسْتَنْتِجَ مِنْهَا ما اسْتَنْتَجَهُ المُعْتَزِلَةُ وغَيْرُهم إلَّا بِتَأْويل .

والواجِبُ حَمْلُ القُرْآنِ على مَعْنَاهُ الوَاضِح إلا أَن يَردَ نَصٌّ يَكُون اتِّباعُهُ وَاجباً .

الخُــلاصَة

يَقولُ تعالى : إن الله بَيَّنَ سَبيلَ الهُدَى وسَبيلَ الضَّلال فالمُفْلِحُ هُوَ الَّذي زَكَّى نَفْسَهُ وطَهَّرَها وزَكَّاهُ اللهُ وطَهَّرَهُ وَهَيَّأَ نَفْسَهُ لِقَبُولِ الصَّلاحِ وَالخَائِبُ الخَاسِرُ هُوَ الَّذي أَغْوَى نَفْسَهُ فَتبِعَتْ سُبُلَ الضَّلالِ وهُوَ الَّذي أَخْمَلَ نَفْسَهُ وَجَعَلَها مَدْسُوسَةً مُظْلِمَةً بِعَمَلِ المَعاصي وأَخْمَلَهُ اللهُ وجَعَلَه مُظْلِماً مَدْسُوساً بِعَمَلِ المَعَاصي نَعُوذُ باللهِ من خذلانِهِ وَغَضَبِهِ .

هذَا هُوَ المَعْنَى الظَّاهِرُ وَتَأْويلاتُ المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ تَطْويلٌ لا طَائِلَ وَرَاءَهُ إن شاءَ الله والله أَعْلَمُ وأَحْكَمُ . هذا وقوْلُنا غَيْرِهِمْ أَي من غَيْرِ أَهْلِ السُّنَّةِ كَأَصْنَافِ أَهْلِ الْبِدَعِ والْأَهْوَاءِ .

خُلاصَة بالدارجَة

بَعَدْ ما رَبّنا سُبْحانُه وتَعالَى قَالْ لنا إنه بَيَّن سِكَّة الْهُدَى وَسِكَّةَ الضَّلالة قَال لَّنا «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاها» يَعْني إِنُّه الْمُفْلح يَعْني الفايز هو البيزكِّي نَفْسُه وال بزكِّيهُ الله والتَّزْكِية مَعْناها الطَّهارَةْ بِعَمَل الْعَمَلْ الصَّالِح . وربّنا قالْ «وقد خَابَ مَن دَسَّاهَا» يَعْني سُبْحانُه وتَعالَى ال دَسى نَفْسه وربّنا خَلَّى نَفْسُه مَدْسُوسة دَا خَايِبْ خَاسِرْ يَوْم الْقِيَامة ، ومَعْنَى «دَسَّاها» يعني دَسَّى نفسه يعني سَوَّاها خَمْلَةْ تِدَسَّى من عَمَلَ الخَيْر وضُلُمَّة فِي شانْ بِتَعْمل الْعَمَلْ الْبَطَّال ، هادي اندِسَاسَتها [1] والْعِياذ بالله تَعالى .

وفَسَّرُوا : وقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاها : يعني ضَلَّاها ومشى بِيها في سِكَّة السَّوْ ودَا ما هُو بَعِيد من المعنى الأَوَّلاني والله تَعالَى أَعلَمُ .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾.

1 - اندساستها : ألف ونون ودال وسين وألف وسين وتاء ولا تنطق الهاء من بعد ولكن تجعل فتحة التاء ألفاً ، هكذا في الدارجة ، أي اختفاءتها .

تنبيه :

قِراءَةُ حَفْصٍ عن عَاصِمٍ «كَذَّبَتْ ثَمُودُ» تَنْطِقُ التَّاءَ من (كَذَّبَتْ) ساكِنَةً وَاضِحَةً وَبَعْدَها الثَّاءُ مِنْ ثَمُود مَفْتُوحة واضِحة . ولكن في قِراءَةِ أبي عَمْرٍو تُدْغِم التَّاءَ في الثَّاءِ وتَقْرَأُ هكَذَا «كَذَّبت ثَّمُودُ» نطقها :

كَذَّبَثَّمُودُ يَعْني التَّاءُ غَيْرُ مَنْطُوقَةٍ وَتَجِيءُ بَعْدَها بتَشْديدِ الثَّاءُ بَعْدَ حَذْفِ التَّاءِ كَما هُوَ مَذْهَبُ الْإِدْغامِ وتُرْسَمُ في المُصْحَفِ «كَذَّبَت ثَّمُودُ» كما بيَّنَّا بدُونِ علامَةٍ على التَّاءِ المُثَنَّاة وبِشَدَّةٍ على الثَّاءِ المثلَّثَة هذا على قِراءَةِ أبي عَمْرٍو .

المفــــرَدَات

بِطَغْوَاها : قَالُوا أَي بِطُغْيَانِها أَيْ بِسَبَبِ طُغْيانِها وعِصْيَانِها وهو الوجْه الَّذي في الْبُخاري عن مُجَاهِدٍ بطغواها بِمَعَاصِيها . وقال آخَرُونَ : بِطَغْوَاها أيْ بأَجْمَعِها . وقالَ آخَرُونَ : بطَغْواها أي بِعَذَابِها والطَّغْوى ههُنا اسْمُ الْعَذَابِ الَّذي وَقَعَ عَلَيْهِمْ .

وهذا الْوَجْه الثالث هُوَ الرَّاجِحُ عند الطَّبَري وجمع بَيْنَهُ وبَيْنَ القول الأَوَّل ابْنُ حَجَرٍ فَقَالَ ويُحْتَمَلُ في البَاءِ أَنْ تَكُونَ للاسْتِعانَةِ والسَّبَبِ أَو المعْنَى كَذَّبَت بالعَذَابِ النَّاشِيءِ عن طغيانها . اهـ . ومذهب الطبري يُقَوِّيهِ قَوْلُه قَرِيبَةٌ مِنْ كَلِمَةِ الطَّغْوى في الاشْتِقاقِ والمَعْنَى . وقدْ جَعَلَها اللهُ وَصْفاً أَو اسْماً لِلْعَذَابِ الَّذي أُهْلِكَت بِهِ ثَمُودُ في سُورَةِ الحَاقَّة . فأَشْبَهُ على قَوْلِ الطَّبَري ، وهو تفسيرُ ابن عباسٍ ،

والله تعالى أعلمُ أَنْ تكُونَ كَلِمَةُ «طَغْوى» من قوله تعالى «بِطَغْوَاها» في سُورَةِ الشَّمْسِ أَيْضاً وَصْفاً أو اسْماً لِهذا الْعَذَابِ. والله تَعالى أَعْلَمُ .

وقَوْله تَعالَى «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بَطَغْوَاها» مَعْنَاهُ أي أَنَّ ثَمُودَ كَذَّبَتْ سَيِّدَنا صَالِحاً عليه السلام فيما قَالَهُ مِنْ أَنَّها ستُصِيبها صَاعِقَةٌ مِنَ الْعَذَابِ الَّذي اسْمُه الطَّغْوَى إِذَا أَقْدَمُوا على عَقْرِ النَّاقةِ . ويُقَوي هذا التَّأْوِيل أَنَّ اللهَ تَعالى يَقُول في سُورَةِ الشُّعَراءِ على لِسانِ سيِّدِنا صالحٍ عليه السَّلامُ يُحَذِّرُ قَوْمَهُ ثمود : «قَالَ هذِهِ نَاقَةٌ لَها شِربٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فأصبحُوانادِمِينَ فأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ في ذلِكَ لآيَةً وَما كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ .» أي فكذَّبوه أَن يَحِلَّ بِهِم العَذَابُ واللهُ أَعْلَم . وَكِلا وَجْهَي التَّأْوِيل بَعْدُ مُتَقَارِبانِ في المَعْنَى على النَّحْوِ الَّذي ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ . واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أَعْلَمُ .

إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا : إِذ بمعنى حِين وتَدُلُّ عَلَى الزَّمانِ الماضي .

انْبَعَثَ : مَعْنَاها انْدَفَعَ وَتَقَدَّمَ وقَدَّمَ نَفْسَهُ لِيَفْعَلَ كَذا وكذا تقول بَعَثْتُه أي أَرْسَلْتُهُ فانْبَعَثَ أي فَذَهَبَ كما أَرْسَلْتُه - إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها: أي حِينَ تقدَّم أَشْقَى ثَمُودَ وقَدَّمَ نَفْسَهُ لِيَفْعَلَ كذا وكذا من عَقْرِ النَّاقَةِ كَما سَيَأْتي إِن شاءَ اللهُ .

أَشْقَاهَا : أَيْ أَشْقى ثَمُودَ وهُوَ قُدارُ بْنُ سَالِف وكَانَ رَجُلاً جَلِيداً ذَا مَنَعَةٍ في قَوْمِهِ . وكَانَتْ ثَمُودُ تَرَدَّدَتْ واضطَّرَبَتْ في مُعامَلَةِ سيدنا صالِحِ عليه السَّلام ، فَبَعضُها آمَنَ بِهِ وَبَعْضُها رَأى أَنْ يُذْعِنَ لِكَلامِه . ولَمَّا قَالَ لَهُمْ سيِّدنا صَالِحٌ عليْهِ السَّلامُ هذه النَّاقَةُ لَكُمْ مُعْجِزَةٌ ولَها أَنْ تَشْرَبَ يَوْماً وَلَكُمْ أَنْ تَشْرَبُوا يَوْماً ، رَضُوا بالَّذي قالَهُ.

ثُمَّ إِنَّ تِسْعَةً مِنهم تَآمَرُوا أَنْ يَقْتُلُوا سَيِّدَنا صَالِحاً عليه السَّلام . وَتَقَدَّمَ قُدارٌ وقَالَ إِنَّه سَيَعْقِرِ النَّاقَةَ . ولكنَّهُ اشْتَرَطَ على ثَمُودَ أَن يُبايِعوهُ رِجَالُهم وَنِساؤُهُم . فَكَفَرُوا كُلُّهم إِلَّا نَفَراً قَلِيلاً آمَنُوا بِسَيِّدنا صالِحِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَطاعُوه .

نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاها : هذِهِ الْعِبَارَة جاءَتْ على أُسْلُوب التَّحْذِيرِ . وَمَعْنَاها أَيُّها النَّاسُ أُحَذِّرُكُم نَاقَةَ اللهِ أَنْ تَمَسُّوها بِسُوءٍ . وأُحَذِّركم أَنْ تَتَهاوَنُوا بِسُقْيَاها أَي شَرابِها .

وأُسلوبُ التَّحذِيرِ في اللُّغةِ أَن تَقولَ كَلاماً مُوجَزاً فيهِ تكْرَارٌ أَوْ عَطْفٌ تُريدُ بهِ التَّحْذِيرَ وَيَكون المحذَّرُ منه منصوباً مثل : الأَسَدَ الأَسَدَ : أَي احْذَرِ الأَسَدَ ، احْذَرِ الْأَسَد أَوْ رَأْسَكَ وَالْحَجَرَ أَي احْتَرِسْ مِنَ الْحَجَرِ حَتَّى لا يُصِيبَ رَأْسَكَ.

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ : فَدمَّرهم بالصَّاعِقَةِ الَّتي دَمْدَمَتْ عَلَيْهِمْ أَي هَدَرَتْ وَزَمْجَرَتْ عَلَيْهِم.

بِذَنبِهِمْ : بِسَبَبِ ذَنْبِهِم .

فَسَوَّاها : أي فسوَّى الدَّمْدَمَة بَيْنَهم أيْ جَعَلَ الصَّيْحَةَ ذَاتَ وَقْعٍ واحِدٍ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً وسَوَّى بَيْنَهمْ في فَتْكِهَا بهم فَطَحَنَتْهُم كُلَّهم مَعاً صَغِيرَهُم وَكَبِيرَهُم امْرَأتهم وَرجُلَهُم وَذلِكَ لِأَنَّهُمْ كَما قَدَّمْنَا اشْتَرَكُوا جَمِيعاً في مُبَايَعَةِ قُدَارٍ عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ فلم يُفلِتْ أَحَدٌ إلَّا الَّذينَ آمَنُوا بِصَالِحٍ وَكَانوا قَلِيلاً .

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ «فَسَوَّاها» كُلُّها رَاجِعَةٌ إلى أَشْقَى ثَمُودَ . وَيَكُون المَوْقِف عِنْدَ (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهم) ثُمَّ ما بَعْدَ ذلِك كَأَنَّهُ تَعْلِيقٌ عَلَى قِصَّةِ ثَمُودَ كُلِّها هكذا : فَسَوَّاها أَشْقَى ثمودَ ولا يَخافُ عُقْباها .

والضَّمِيرُ في سَوَّاها يَعُودُ عَلَى الفَعْلَةِ الَّتي فَعَلَهَا . وَإِعَادَةُ الضَّمِيرِ هكَذَا جَاءَ مِثْلُها في الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعالى : «قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا» أي بَعْدَ الأَسْئِلَةِ الَّتي مَضَتْ أو بَعْدَ هذِهِ المَرَّةِ الَّتي مَضَت أو بَعْدَ هذِه المَسْأَلَة الَّتي مَضَتْ واللهُ أَعْلَمُ .

وسَوَّاها تَكُونُ بِمَعْنَى فَعَلَها . وَقَدْ قَدَّمْنَا لَكَ أَنَّهُ أَشْرَكَ مَعَهُ كُلَّ أَحَد في جَرِيمتِهِ فاسْتَوَوْا مَعَهُ في الجُرْم .

وعسى أن يُقَوِّيَ هذَا التَّأْوِيلَ الثَّانِي عِنْدي أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ المُفَسِّرين كَالسُّدّي والضَّحَّاكِ فَسَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى «ولا يَخافُ عُقْباها» أي الَّذي ارْتَكَبَ جَرِيمَةَ الْعَقْرِ ، فَعَلَها ولَمْ يَخَفْ عَاقِبَتها .

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاها : قَدْ مَرَّ بِكَ أَحَدُ الْوُجُودِ في تأْوِيلِها والَّذي عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ المُفَسِّرينَ أَنَّ الضَّمير في لا يَخافُ يَعُود إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ أي أَنَّ اللهَ عَذَّبَ ثَمُودَ

وَأَوْقَعَ بِهِم الصَّيْحَةَ الَّتي دَمْدَمَتْ عَلَيْهِم وَلَمْ يُبَالِ عَاقِبَة ذلِك إذ هُوَ سُبْحَانَهُ القَادِرُ وَالقَاهِرُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّ حُكْمَهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ إلَيْهِ المَصِيرُ - قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ، ولَا يَخَافُ عُقْبَاها أَي عَاقِبَتَها وتَبِعَتَها كَما يَخافُ كُلُّ مُعَاقِبٍ مِنَ المُلُوك . وقَالَ الجَلَالانِ : لا يَخَافُ تَعَالَى تَبِعَتَها .

وعَلَى هذا التَّفْسِيرِ الثَّاني يَكُون المُرادُ والله تَعَالَى أَعْلَمُ هو زَجْرُ الكافرين على غرورِهِم بأَنَّ اللهَ قَادِرٌ على أَنْ يَصْنَعَ بِهِم ما صَنَعَ بِثَمُود ولَيْسُوا هُمْ بِذَوي خَطرٍ عِنْدَه حَتَّى يُبَالي بِعُقْبَاهم ، فَإِنَّه الخالِقُ الأَعْظَمُ الَّذي لا يَسْأَلُه أَحدٌ عَمَّا يَفْعَل ولا يَتَتَبَّعُهُ أَحَدٌ فيما يَصْنَعُ .

الخـــلاصة

قَصَّ عَلَيْنا رَبُّنا جَلَّ شَأْنُهُ قِصَّةً مِنْ خَبَرِ ثَمُودَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعالى لَنَا إِنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُم سَيِّدنا صَالِحاً عَلَيْهِ السَّلام حِينَ أَنْذَرَهُم وَحَذَّرَهُم وقَالَ لَهُم إِنْ اللهَ سَيُرْسِلُ عَلَيْكُم إن عَصَيْتُم عِقَاباً وَكَانَ ذلِكَ الْعَذَابُ هُوَ الطَّغْوى أَي صَيْحَةُ الْعَذَابِ الَّتي تَطْغَى عَلَيْكُم بِقوَّتِها أَو أَن اللهَ سَيُرْسِلُ عَلَيْكُم عِقاباً بِسَبَبِ عِصْيانِكم وَطُغْيَانِكم .

وَكَانَتْ ثمُود أَوَّل أَمْرِها تَمِيلُ إلى تَهَيُّبِ سيِّدِنا صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .

وكَانَ سَيِّدُنا صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ جَاءَهُم بِمُعْجِزَةٍ وهِي نَاقَةٌ مَعَها وَلَدُها اسْتَخْرَجَها لَهُمْ مِنَ الحَجَرِ وقَالَ لَهُم لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ ولَهَا شِرْبُ يَوْمٍ أَي نَصيبٌ من الشَّرابِ مَقْدارهُ يَوْمٌ مُخَصَّصٌ لَهَا وَلَكُم شِرْبُ يَوْمٍ أَي نَصِيبُكُم يَوْمٌ مُخَصَّصٌ فيَوْمَ شُرْبِها

لا تَشْرَبُونَ معها ويوْمَ شُرْبِكِم لا تَشْرَبُ هِيَ مَعَكُم .

فتآمَرَ جَمَاعةٌ مِنْ ثَمُود كَانُوا يَكْرَهُونَ سَيِّدَنا صالِحاً عَلَيْهِ السَّلامُ . وَانْدفَعَ أَشْقَى ثَمُود قُدَارُ بْنُ سَالِف ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ ثَمُود هَلُمُّوا بَايِعُوني عَلَى عَقْرِ النَّاقِةِ السَاحِرَةِ الَّتي جَاءَ بِها صَالِحٌ أَو مَا هُو مِنْ مَعْنى هذا القَوْلِ واللهُ تعالى أَعْلَمُ .

فَقَالَ سَيِّدُنا صَالِحٌ عليه السَّلام يامَعْشَرَ ثَمُود إِيَّاكُم أَن تَمَسُّوا نَاقَةَ الله بِسُوءٍ . إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْتَدُوا عَلَيْها وَعَلَى سُقْيَاها بَلْ دَعُوها تشْرَبُ وَتَرْعَى واتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعوني . وإِنْ لم تَفْعَلُوا فَإِنَّ اللهَ سَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ الطَّغْوى لِتُهْلِكَكُم أَو إِنَّ اللهَ سَيُرْسِلُ عَذَابَهُ عَلَيْكُمْ عِقاباً لَكُم على عِصْيَانِكم وطُغْيانكُم أَو كما قَالَ عَلَيْهِ السَّلام .

فَكَذَّبَتْ ثَمُودُ واجْتَمَعَت كُلُّها - إلا المُتَقِينَ الَّذينَ أطاعُوا سَيِّدنا صَالِحاً . - وَبَايَعَتْ ثَمُودُ أَشْقاها قُدَاراً ، بَايَعَتْهُ كُلُّها رِجالُها وَنِسَاؤُهَا وَصِغَارُهَا .

فَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ دَمْدَمَ عَلَيْهِمْ بِذَنْبِهِم ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ الصَّاعِقَةَ فَما اسْتَطَاعُوا مَنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرين بل وَقَعُوا في دارِهِم بارِكِين قَدْ حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ الله فَهَلَكُوا . وَذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ .

وَهكَذَا فَعَلَ قُدَارُ فَعْلَتَهُ وَأَشْرَكَ قَوْمَهُ جَمِيعاً فيها وَلَمْ يَخَف الْعَاقِبَةَ وَلَوْ قَدْ خَافَ الْعَاقِبَةَ لَكانَ تَرَدَّدَ فَلَمْ يَنْدَفِعْ إِلى مَا انْدَفَعَ إِلَيْهِ ولمْ يُقْدِمْ على ما أَقْدَمَ عَلَيْهِ . وَإِذَنْ لَنَجَا وَنَجَا قَوْمُه مَعَهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

هذا على التَّفْسِيرِ الَّذي رَجَّحْنَاه . وَوَجْهٌ آخر أَن تَقُولَ : وسَوَّى رَبُّكَ الدَّمْدَمة أَي صَيْحَةَ الْعَذَابِ الَّتي أَهْلَكَتْهُم عَلَى ثَمُودَ ، فاسْتَوَوْا فيها جَمِيعاً لَمْ يُفْلِتْ مِنْ كُفَّارِهِم

أَحدٌ، امْرَأَةٌ أَوْ رَجُلٌ أَوْ طِفْلٌ ، ولَمْ يَخَفْ رَبُّكَ عَاقِبَةَ ذلِكَ مَنْ أَمْرِهِم لأَنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لا يُسْأَلُ عما يَفْعَلُ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

خـلاصـة بالدارجة

ربَّنا سُبْحانُه وتَعالى قَصَّ علينا قِصَّة كُفَّار ثَمُودْ وكان نَبِيهُم سِيْدنا صَالِحُ عليهُ السَّلام أَنذَرهم ودَعاهم فِي شانْ يَبْقُوا مُؤْمِنِينْ وطَلَبُوا مِنُّه مُعْجِزَة وجَابْ لهَمْ مُعْجِزَة، مَرَقْ لهَم نَاقَةْ من الحجر حَيَّه وَمَعَاها وَلَدها . وقَالْ لهَمْ النَّاقَةْ دِي لِيها يُومْ تَشْرَبْ فِيهُ وليكُمْ يوم تَشْرَبُوا فِيهُ وأَوْعَكُمْ تَلْمَسُوها وكَانْ لِمِسْتُوها يجِيكُمْ عَذَابْ شَدِيدْ . قَامُوا كَضَّبُوا سِيْدنا صَالحْ عَلِيهُ السَلامْ دَا مَعْنَى قول ربَّنا سُبْحانُه جَلَّ جلاله «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا» - بَعَض المُفسرين قَالُوا ثَمُودْ كَذَّبَتْ سِيْدنا صَالِح عَلِيهُ السَّلام في شان كَانَتْ طَغْيَانَهْ وبَعْضَهُمْ قَالُوا بِطَغْوَاها يَعْنِي بالْعَذابَ الأَسْمُه الطَّغْوى الْكَانْ رَايِحْ يجِيها إِن كَضَّبَتْ وكَفَرَتْ وهو العذابْ ال جَّاها وَقِتْ كَضَّبَتْ وأَخدَها بِشدَّة وقُوَّة . يَعني العذابْ ذاتُه تَغَى على ثَمُود وأَهْلَكها واسْمْ الطَّغْوى فيهُ المَعَني دَا - واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

أَهَا وَكَانْ فِي وَاحِدْ اسْمُه قُدَارُ كَانْ كَافِرْ وكَانْ لِيهُ نَاسْ قُوَّة مَعَاهُ . دَا وَقَفْ وَسِطْ ثَمُود وقَالْ تَعَالُوا نَضْبَحْ النَّاقة دِي - قُولْ رَبَّنا عَزَّ وجَلَّ «إِذِ انبَعَثَ أَشْقاها» - أَشْقَاهَا يَعْنِي أَشْقَى وَاحِدْ في قَبِيلَةْ ثَمُودْ وهُو قُدَار بْن سَالِفْ . وانْبَعَثْ يَعْني قدَّم نَفسُهُ وبقَى في رَاسْ الخِلَافْ على سِيْدنا صالحْ عَليهُ السَّلام وتَوَلَّى أَمُرْ كَتْل النَّاقَة وقال للنَّاس تَعالُوا نَضْبحَها ، عَاذْ سِيْدْنا صَالحْ عليهُ

السَّلامْ جَا وقَال لِيهُم أوْعَكُمْ من نَاقَة الله أل جَابَا ليكُم مُعْجِزة . لا تَفرِّطوا فِيها لا تفرِّطوا في شَرَابها - دَا مَعنى كَلَامْ ربَّنا عزَّ وجَلَّ «فَقَال لَهُمْ رَسُولُ الله نَاقَةَ الله وَسُقْيَاها» ناقَةَ الله : يعني أُوعكم من ضَرَرها . وَسُقْيَاها يعني أَوْعَكُم من التَّفْرِيطِ في أَمْرْ شَرابها . قَامُوا كَضَّبُوا وَعَقَرُوا النَّاقَة وربَّنا دَمْدَمْ عليهم بالْعَذاب يَعْنِي جَابْ الصّاعِقَةْ ال دَمْدَمَتْ وزَمْجَرت عَليهُمْ بالْعِقَابْ .

وربَّنا سَوَّى الدَّمْدَمَة فِيهُم كُلُّهم ما مَرَقْ واحِد من الكَفَرة المَلْعُونِين . وربَّنا مَا خَافْ مِنْ عَاقْبة وَرا هَلاكُهم ربَّنا سُبْحانُه وتعالى ما بِيخافْ مِن شِي وسُلْطَانُهْ جَلَّ شَانُه فُوقْ كلَّ شِي وَقِت يَقْضِي أَمُرْ إِيَّاهُ بِيكُون .

وجَايِزْ يَكُون مَعْنَى ولا يَخَافُ عُقْباها - يَعْنِي أَشْقَى ثَمود عَمَل جَريمْتُه ال عَمَلَها وما خَافْ عَاقِبَتها في شان هُو شَقِي بكُفْرانِيْتُه وجَرَّ الشَّقا بِعْصَيانُه تَغَاهُ على قُومُه . والله أَعْلَمْ .

تعليق :

وَلا يَخَافُ عُقْباها : قَرَأها نافِعٌ وابن عَامِرٍ : فلا يَخَافُ بالفاءِ مَكان الواو وكَانَتْ مَرْسُومَةً كَذلِكَ في مَصَاحِفِ المَدِينَةِ والشَّام . وَهذِهِ القِرَاءَةُ تُقَوِّي تَفْسِيرَ مَنْ فَسَّرَ بِأَنَّ الضَّمير في «ولا يَخَافُ عُقْباها» يَعُودُ على الله تَعَالى لا على أَشْقَى ثَمُودَ وإِن كَانَ لِهذا أَيْضاً وَجْهٌ . واللهُ تَعالى أَعْلَمُ .

وَتَمَّ بَحَمْدِ الله وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاها .

سورة الليل

مكّيةٌ وآياتُها إحدى وعشرونَ

ونزلت بعد سبح اسم ربك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾.

تنبيه :

هُنالك بِحَسَبِ ما تَقَدَّم أَن تُميلَ إمالٌ بَيْن عِنْد رُؤُوسِ الآي عَلَى طَريقِ التَّقْليلِ في الْكَلِماتِ «يَغْشَى» «تَجَلَّى» «الأُنثى» «لَشَتَّى» وَلَيْسَتْ لِحَفْصٍ إمالَة .

المفـــرَدَات

وَالنَّهارِ : فيها إمالة تامَّة لأَبِي عَمْرٍو وَحَفْصٌ لا يُمِيل - الإمالَة في الأَلِفِ قَبْلَ الراءِ المجرورة .

الواو : لِلْقَسَمِ وجَوَابُهُ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى .

وَمَا خَلَقَ : إما أَنْ تَكُونَ «ما» بِمَعْنَى «مَنْ» وَيَكُون المُرادُ هُو اللهُ الخَالِقُ جَلَّ

وَعَلا أو الإِنْسَانُ المَخْلُوق . فَإِذَا كَانَ المُرَادُ هُوَ الله الخَالِقُ جَلَّ وعلا فَالتَّأْوِيلُ : وبِالخَالِقِ الَّذي خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى . أي قَسَماً بالله الخَالِقِ الَّذي خَلَقَ الذّكَرَ والأُنْثَى .

وإِنْ كَانَ المُرادُ واللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ سُبْحَانَهُ المَخْلُوق فَالتَّأْوِيلُ : وبالإِنْسان الَّذي خَلَقَه الله ، مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى أي قَسَماً بالَّذي خَلَقَهُ الله أي الإِنسَانِ الذَّكَر منه والأُنْثَى أي أَقْسَمَ رَبُّنا سُبْحانَهُ وتَعالى بِخَلْقِهِ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى . وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَا مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى الَّذي مُطْلَقاً - أي وبالمَخْلُوقِ الَّذي خَلَقَه مِنْ قِراءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَالذَّكَر والأُنْثَى . وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ خلْقِهِ الَّذين سَوَّاهُم بِقُدْرَتِهِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى لِمَا أَوْدَعَ بِقُدْرَتِهِ في خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، مِنَ الْبَدائِعِ وقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ والزَّيْتُونِ ، فَلَعَلَّ الوَجْهَ الأَخِيرَ الَّذي ذَكَرْنا في التفْسِيرِ أَن يَقوى مِن هذِه الناحيَةِ والله تَعالَى أَعْلَمُ .

لشَتَّى : اللام للتوكيد . وشتّى معناها مختلف .

الخُــلاصَة

أَقْسَمَ رَبُّنا جَلَّ وَعَلا باللَّيْلِ حِينَ يَجِيءُ وبِالنَّهارِ حِينَ يَتَجَلَّى عَلَى الْكَوْنِ ثُمَّ أَقْسَمَ بِالزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ والأُنْثَى ، بِخَلْقِهِ هُو سُبْحانَهُ إِياهما وَبِنَفْسِهِ تَبارَكَتْ أَسْماؤُهُ الَّذي خَلقَهما .

أَقْسَمَ رَبُّنا عَزَّ وَجَلَّ على أَنَّ سَعْيَ النَّاسِ شتَّى أي مختلف مِنْهُم الْبَرُّ ومِنْهُم الْفَاجِرُ ومِنْهُم أَهْلُ الطَّاعَةِ ومنهم أَهْلُ المَعْصِيَة ومنهم من وَفَّقه اللهُ لِلْبِرِّ ومِنْهُمْ من وَقَعَ عَلَيْهِ الخذْلانُ

فلم يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ كَما بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى في قَوْلِهِ : «فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقى وصَدَّقَ بالْحُسْنَى ». والآياتِ الَّتي بَعْدَها .

خـلاصـة بالدارجَة

ربَّنا سُبْحانُه وتَعالى حَلَف باللَّيْل وقت يَجِي ويَغَطِّي الدِّنيا - دَا مَعَنى «يَغشى» وبالنَّهارْ وَقِتْ يَضوِّي . وبالخَلِق أَلْ خَلَقُه رَبَّنا مِنَهم الضَّكَرْ ومنَّهُمُ الأنتَايَةْ - دا مَعَنى «وما خَلقَ الذَّكَر والأُنْثَى » .

حَلف ربَّنا بِي ديل كلَّهم وقال سُبْحانُه وتَعالَى بيخَاطِبْ

النَّاس إنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى يَعْني عَمَلْكُم مُخْتَلِفْ مِنَكُم الْمُومِنْ ومِنَكم الْكَافِرْ - مِتِلْ ما بَيَّنْ لَنا سُبْحَانه وتعالى في الآياتْ الْجَايَةْ .

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسِنُيَسِّرُه لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُه لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْني عَنْهُ مَالُه إِذَا تَرَدَّى .

تنبيه :

لك إمالة بَيْنَ بَيْنَ على طَريقةِ التقليل بِحَسَبِ الَّذي قَدَمْناه في «اتَّقى» و «بالْحُسْنَى» و «اسْتَغْنَى» و «تَرَدَّى» - على قِراءَةِ أَبي عَمْرٍو لا حَفْصٍ . ولَكَ أَنْ تُميلَ إمالَةً تَامَّةً في - «لِلْيُسْرَى» و «لِلْعُسْرَى» في قِراءَةِ أبي عمرو . تُميلُ الْأَلِفَ الأَخِيرة الَّتي بَعْدَ الرَّاءِ . وَلَيْسَتْ لِحَفْصٍ إمَالَة .

المفـــردات

وصَدَّق بالحُسْنى : اخْتُلِفَ في تأْويلِ الحُسْنَى ، وأَصْلُها في اللُّغَةِ مِنْ كَلِمَةِ الحَسَنَةِ ، وَمَعْنَاهَا الحَسَنَةُ جداً لأنَّ الحُسْنَى مؤنث الأَحْسَن . قَالُوا : المُرَاد بالحُسْنى والله تَعالى أعلَمُ بِمُرادِهِ ، الجَنَّة . وَقَالُوا : المرادُ بِها وَعْدُ الله الَّذي وَعَدَه مِنْ ثَوَابِ المُؤْمِنِين وَعِقَابِ الكَافِرِين . وَقَالُوا مَعْنَاها الخَلَفُ الَّذي يُخْلِفُهُ الله تَعالَى أي إذا أَنْفَقَ الإنْسَانُ نَفَقَةً فَإنَّ اللهَ يُخْلِفُهُ بأَنْ يَجْعَلَ لَه الحَسَنَةَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِها وَبِأَضْعافٍ مُضَاعَفَةٍ . وَالَّذي يَرْجُح عِنْدِي والله تَعَالَى أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ أن كُلَّ هذِهِ التَّأْوِيلاتِ مُتَقَارِبَةٌ لأَنَّ الجَنَّةَ هِيَ وَعْدُ الله لِلْمُتَّقِين وَفِيهَا مُجَازَاةُ الله لِلنَّاسِ الحَسَنَةَ بِأَضْعَافِهَا ولا إلهَ إلَّا الله هِيَ أَصْلُ الإِيمانِ وَمَنْ صَدَّقَ بِأَنَّ اللهَ سَيَجْزِيه خَيْراً لا يَفْعلُ ذلِك إلَّا بَعْدَ أَنْ يُصَدِّقَ بِلا إله إلَّا الله نَفْسِهَا . وَأَشْبَهُ القَوْلِ بالتَّفْسِيرِ الوَاضحِ الظَّاهِرِ إن شاءَ اللهُ تَعالى أن نَقُولَ ((وَصَدَّقَ بالحُسْنَى)) : أَيْ آمَنَ وَصَدَّق بالحُسْنَى وهِيَ كَلِمَةُ الشهادَةِ الَّتي وَعَدَها الله عبادَه الصَّالِحِينَ .

فَسَنُيَسِّرُهُ : أَصْلُها مِنَ الفَاءِ وَالسِّين وَكَلِمَةِ نُيَسِّرُهُ أي نُهَيِّئه وَنُمَكِّنه مِنْ أَنْ يَفْعَلَ كَذا وَكَذَا .

لِلْيُسْرَى : لِلأَعْمَالِ الكَرِيمَةِ المَحْمُودَةِ وَالعَوَاقِبِ الكَرِيمَةِ المَحْمُودَة الَّتي غَايَتُها الجَنَّةُ . وَأَصْلُ كَلِمَةِ اليُسْرى مِنَ التَّيْسِير وَهُو جَعْلُ الأَشْيَاءِ مَيْسُورَة هَيِّنَة لَيِّنَة غَيْرَ عَسِيرَة .

لِلْعُسْرى : أي لِغَيْرِ اليُسْرَى .

وذلِك أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى لَمَّا ذَكَرَ المُؤْمِن المُصَدِّق فَقَالَ «فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» أي فَسَنُوَفِّقُهُ للْيُسْرَى، وقد مَرَّ تَفْسِير اليُسْرَى، ذَكَر

الْكَافِرِ المكَذِّب فقال «فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» أيْ فَسَيَكُون غَيْرَ مُوَفَّقٍ مِنَّا لِلْيُسْرَى أي لا نُوَفِّقُهُ لِلْيُسْرَى ولكن يَكُونُ مُيَسَّراً لِلْعُسْرَى .

وَجَاءَ في حَدِيثِ عَلِيٍّ وهُوَ أَصْلٌ مِنْ أُصولِ الإيمانِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال : ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ [1] إِلَّا كُتِبَ مَكَانُها مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله أَفَلا نَتَّكِلُ على كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَان مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لَعَملِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُون لَعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوة ثُمَ قَرأَ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى الآية .

قال ابْنُ حَجَرٍ [2] ما مَعْنَاه إن هذَا الحَدِث يُبْطِلُ قَوْلَ أَهْلِ الجَبْرِ لأَن الْعَبْدَ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَلَيْسَ في ذلِكَ إِكْرَاهٌ ثُمَّ هُوَ يَأْمُر بَالْعَمَلِ لأَنَّ الْعَبْدَ عَلَيْهِ طَاعَةُ خَالِقِهِ وفي شَرْحِ النَّوَوِي [3] مَا مَعْنَاهُ أَنَّ عِبَادَالله الصَّالِحِين تَنْكَشِفُ لَهُمْ أَسْرَارُ الْقَدَرِ إِذَا دَخَلُوا الجَنَّةَ .

وقَالُوا العُسْرَى طَرِيقُ النَّار وهذا مُقارِب لما مَرَّ لأَنَّ من يَسَّره الله لِلْعُسْرَى وَهِيَ نَقِيضُ الْيُسْرَى وَذلِكَ بِأَنْ يَكفُر ولا يَعْمَلَ بالبِرِّ ثُمَّ كانَتْ عاقِبَتُه غَضَبَ الله وَعَذَابُهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَوْ كَانَ عَمَلُهُ من عَمَلِ أَهْلِ النَّار.

---

1 - أي مخلوقة أو مولودة . قالوا والسائل سراقة بن مالك وقال صاحب زاد المسلم هو علي وقالوا سأل جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر تفصيل ذلك في فتح الباري كتاب القدر - زاد المسلم - حلبي ١٣٦٣هـ ٢-٣٤٧.

2 - في كتاب القدر من البخاري وقد أورده في غير ذلك من المواضع كالجنائز وكتفسير سورة الليل وذكر ابن حجر أنه أصل في الأول واستوفى شرحه في كتاب القدر جـ ١٤ من فتح الباري ٢٩٣ وفي شرح مسلم للنووي كما سيلي إن شاء الله.

3 - صحيح مسلم بشرح النووي - مصر - جـ١٦/ ١٩٥-١٩٧ وانظر الشرح بالهامش ص ١٩٥-١٩٦ وما نقل الإمام عن السمعاني . باب القدر ١٨٩ ، وفي زاد المسلم ٣/ ٣٤٩ ان القسطلاني استدل بهذا الحديث على إمكان معرفة الشقي من السعيد في الدنيا كمن اشتهر له لسان صدق وعكسه لأن العمل أمارة . والله أعلم .

وقالَ النيسابُوري ((ومن جُمْلَةِ الْيُسْرَى الجَنَّةُ ومِنْ جُمْلَةِ الْعُسْرَى النَّار))
أَي الجَنَّة مُتَضَمَّنَةٌ في مَعْنَى الْيُسْرَى وَالنَّار مُتَضَمَّنَةٌ في مَعْنَى الْعُسْرَى واللهُ
تَعَالَى أَعْلَم.

وقال النَّسَفِي: لِلْعُسْرى أي للخَلَّةِ المؤَدِّية للنَّارِ فتكونُ الطَّاعَةُ أَعْسَر شيءٍ عَلَيْهِ
وَأَشدّ وسَمَّى طَريقَةَ الخَيْرِ الْيُسْرَى لأَنَّ عاقِبَتها اليُسْرَى وطريقَةَ الشَّرِّ الْعُسْرَى
لأَنَّ عاقِبَتها الْعُسْرى أَرادَ بِهِما طَريقَي الجَنَّةِ وَالنَّار. ا.هـ وقالُوا: لِلْعُسرَى
أَي لِلعَمَلِ بِمَا يَكْرَهُهُ الله ولَيْسَ فِيهِ رِضَاه . وَالْوَجْهُ الَّذي ذَكَرَ
الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ الله أَشْمَلُ وَأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وبالَّذي اتَّفَقَ عَلَيْهِ
الأَئِمَّةُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رضيَ الله عَنْه واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

الخُلاصَة

بيّنَ لَنا اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى قَوْلَه : إِنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى . فقال ((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّره لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ
لِلْعُسْرَى)) أَي فالَّذي مِنْكُمْ يُعطِي وَيَتَّقِي الله ويُؤْمِن بِثَوَابه وبِإِحْسَانِهِ وَجَنَّتِه الَّتي وَعَدَ المُتَّقِين
ولا يُشرِكُ بِهِ أَحَداً فَإِنَّ الله سَيَهْدِيه ويُوَفِّقُه لِلأَعْمالِ الصَّالِحَة ويُيَسِّره لَهَا . وَأَمَّا الَّذي يَبْخَلُ
وَيَسْتَغْنى عَنْ مُكَافَأَةِ الله وَثوابِه يَوْم القِيَامَة مُغْتَرّاً بِغِناه وَبِمالِهِ [1] في هذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَة ويُكَذِّبُ
بِإِحْسَانِ الله وَبِجَنَّتِهِ وَبِثَوَابِهِ وَيَكْفُرُ بالآخِرَةِ - فَإِنَّ اللهَ لن يَهْدِيَه ولن يُوفِّقه ولن يَسْلُكَ سَبيلَ
الطَّاعَةِ وَالخَيْرِ الهَيِّنة [2] اللَيِّنَة وَلكِن يَطْغى وَيَسْلك سَبِيلَ الْعِصْيانِ وهِيَ الْعُسْرى وعاقِبَةُ ذلِكَ

1 - أي بالذي له من بنين وقوة وما أشبه أو بماله كأنها تأكيد وتقوية لغناه أيهما اخترت جاز إن شاء الله والله أعلم .

2 - الهينة صفة لسبيل وتؤنث .

غَضَبُ الله ، نعوذ بالله . وحِينَ يَتَرَدَّى أي حِينَ يموت ، يَنْدَمُ غَاية النَّدَمِ لأَنَّ مَالَه لنْ يَنْفَعَهُ حِينَئِذٍ ولن يُغْني عَنْهُ شَيْئاً . نَسْأَلُ اللهَ لُطْفَهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ غَضَبِهِ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

بَعَدْ قُوله تَعَالَى : إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتى يَعْنِي مُخْتَلِفْ بَيِنْ لَنا سُبْحَانُه وتَعالَى الْإِخْتِلافْ دَا - قَالْ لَنَا سُبْحَانُه وتَعالى إِنُّه أَلْ بِيَعْطِي ويَتَّقِي رَبُّه (واتَّقى يَعْني خَافْ رَبُّه ؛ أَعْطَى واتَّقَى يَعْنِي أَلْ بِيَنْفِقْ وبِيخَافْ رَبُّه) ويصدَّقْ بِجَزَا رَبُّه وإِحْسَانُه وبِالجَنَّة ونَعِيمها : دَا تَفْسِيرْ قُوله تَعالَى : وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى ، قَالُوا الْحُسْنَى يَعْني الشهَادَة وقَالُوا يَعْني الجَنَّة والمَعْنَى قَرِيب فِي شانْ الجَنَّة مع الْإِيمانْ ، يَعْني أل بينفق وبِيخافْ رَبُّه ومُومِنْ بِالجَنَّة ويَشْهَدْ شِهادَةْ لَا إِله إِلَّا الله بالحَقْ دَا رَبَّنا سُبْحانُه وَتَعالى قَال بِنْعِينُه ونْيَسِّر لُه الطَّرِيقْ فِي شانْ يَمْشي في سِكَّةَ التَّيْسِيرْ والْعَمَل الصَّالِحْ أَلْ بِوَدِّيهُ لِلْجَنَّه وبِجِيبْ رُضَا رَبُّه - دَا مَعَنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . واللهُ تَعالى أَعْلَمُ .

وأَمَّا الْ بِيبْخَلْ بِمالُه وبِيسْتَغْنِي مِن رَبُّه ويَكَضِّبْ بِي جَزَاهْ وآخِرتُه ، دَا بِنْحَرِمْ من تَوْفِيق المَوْلَى ويَكُون مُيَسَّر يَعْني طَرِيقُه سَاهِل مُو لِلْيُسْرى لكِينْ للْعُسْرَى يَعْني الخِصَالَ الْعَسْرَا يَعْني الْ فِيها عَدَمْ طَاعَةَ الْمَوْلَى وَعواقِبها غَضَبُه وعَذَابُه والْعِياذْ بالله. رَوُوا الْأَئِمَّة قَالُوا سِيدْنا عَلِي اللَّهُمَّ ارْضَ عَنُّه قَالْ رَسُولْناعَلَيهُ الصَّلاةُ والسَّلام قَالْ كَلامْ في الحَدِيثْ وسَعَلُوه[1] الصَّحابَة قَالُوا ما نِتَّكِلْ على المَكْتُوبْ لَنا،

1 - سَعَلُوه: سين عين لام بضمة مزدوجة الحركة اي تخالطها فتحة ليست بضمة خالصة إلا ان الضم اغلب عليها ثم واو هي جزء من الحركة السالفة ثم هاء اي سالوه والهمزة تصير عيناً في كثير من الدارجة في هذا الحرف .

بَيَّنْ لَهمْ عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلامُ إنُّهْ العَبِدْ مَكَلَّف بالْعَمَلْ وَطَاعَةْ سِيدُه رَبَّ الْكَوْن وإِنُّه رَبَّنا سُبْحَانُه وتَعالى يَسَّرْ لأَهل السَّعادَةْ يَعْمَلُوا بِعَمل السَّعَادَةْ وَيفُوزوا ولأَهَل الشَّقَاوَةْ يَعْمَلُوا بِعَمَل الشَّقَاوَةْ وَيَهْلَكُوا وقَرا عَلِيهُ الصَّلاةُ والسلام الآية فَأَما مَنْ أَعْطَى واتقَى . والْحَدِيث دَا حُجة لِينا في الْإِيمانْ بالقَدَرْ وتَكْلِيفَ الْعِبَادْ بالْأَعْمَالْ وكُلّ وَاحَدْ منهُم مَيَسر لِلْ كَتَبُوا لِيهُ ربُّه سُبْحَانُه وتَعالى . واللهُ تَعالى أَعْلَمْ.

دَا إِن شَاءَ اللهُ تَفْسِير قَوله تَعالى : فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى .

وَبَعَدِينْ الْكَافِر لما يِتْردى يَعَني يَمُوت . إِذا تردى يَعَني إِذا مَاتْ . بَعدِين مالُه ما بِيْنْفَعُه ولا بِيِغْني عنُّه . نَسْأَل الله رُضَاهُ ونَعوذ بيه من غَضَبُه .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾

تنبيه :

لك إِمَالَةُ التَّقْليلِ بحَسَبِ ما تَقَدَّم في قِراءَةِ أَبي عَمْرٍو عند ((لَلْهُدَى)) ((والأُولَى)) ((تَلَظَّى)) ((الأَشْقَى)) ((تَوَلَّى)) ((الأَتْقَى)) ((يَتَزَكَّى)) ((تُجْزَى)) ((الأَعْلَى)) ((يَرْضَى)) ولا إِمالة لحفص .

المفـــردات

لَلْهُدَى : اللَّام لِلتَّوْكِيدِ : أَيْ حَقّاً عَلَيْنَا الْهُدَى .

للآخِرَةَ : اللَّام للتَّوْكِيد ، أَي لَنَا الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَة حَقّاً حَقّاً .

تَلَظَّى : تَتَلَظَّى : أَي تَتَلَهَّب . التاءُ الأُولَى مَحْذُوفَةٌ وَهذا مِنْ أَسالِيبِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة ، تقول أَنتَ تَكَلَّمُ وهِيَ تَكَلَّمُ وهِيَ تَكَلَّمُ أي أنت تتكلم وهِيَ تَتَكَلَّمُ .

الأَشْقَى : الشَّقي جدّاً وهُوَ الكَافِرُ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِ .

كَذَّبَ وَتَوَلَّى : كَفَرَ وَانْصَرَفَ عَنِ الحَقِّ .

الأَتْقَى : التَّقِيُّ المُؤْمِنُ جِدّاً .

يُؤْتِي : يُعْطِي .

يَتَزَكَّى : يَتَطَهَّر مِنَ الذُّنُوبِ بِطاعَةِ الله وبِإِعْطَاءِ المساكِينِ وإِيتاءِ ذِي القُرْبَى أو يَتَزَكَّى أَيْ يُعْطِي الزكَاة .

الخـــلاصـــة

قَالَ تَعَالَى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى إِلى قَوْلِهِ تَعالى : ((وَلَسَوْفَ يَرْضَى)) وهو آخِرُ السُّورَةِ أي : نَحنُ عَلَيْنَا الإِرْشاد ثم إِنَّ لَنا مُلْكَ الدُّنْيَا والآخِرَة ، نَعْلَمُ أَعْمالَكم في الدُّنيا ونُحاسِبُكم عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ وَلِذلِكَ فإِنَّ اللهَ رَبَّكُمْ يُنْذِرُكم مِنَ النَّارِ ذَاتِ اللَّهَبِ الَّتي لن يَدْخُلها إِلَّا الشَّقِيُّ الشَّدِيدُ الشَّقَاوَةِ الَّذي كَذَّبَ بِرِسَالَةِ سَيِّدنا محمدٍ ﷺ وانصرفَ عَنْهُ وأَعْرَضَ وتَوَلَّى وسَيَنْجُو مِنْها التَّقِيُّ المُؤْمِنُ الَّذي يُعْطِي مِنْ مَالِهِ المُسَاكِينَ وَيَتَطَهَّرُ مِنْ ذُنُوبِهِ بالعَمَلِ الصَّالحِ بإِعْطَاءِ الفُقَراءِ عَطَاءً خَالِصاً لا يَفْعلُه يُريدُ

بِهِ أَن يُكافِيءَ نِعْمَةً قَدَّمَها إِنْسَانٌ . أَو يَصْنَعُ بِهِ مَنْفَعَةً لإِنْسانٍ ، يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِذلِك أَوْ يُرِيدُ بِهِ سُمْعَةً ورِياءً . وإِنَّما يَفْعَلُهُ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى. وإِنَّ اللهَ سَوْفَ يُعْطِيهِ عطاءً جَزْلاً حَتَّى يَرْضَى كُلَّ الرِّضا في ثَوابِ اللهِ الدَّائِمِ وجَنَّةِ الخُلْدِ الَّتي فيها النَّعيمُ المُقِيم .

خُلاصَة بالدارجَة

قَوْله تعالى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى إِلى آخرِ السُّورة : يَعْنِي ربَّنا قَالْ إِنُّه سُبْحانُه وتَعالى بِيَهْدِي خَلْقُه وعَليهُ تَبيِين الطَّرِيقْ لِيهُم بإِرْسال الرُّسُل والْوَحِي والتَّذْكِيرْ وهُو سُبْحَانُه وتَعالى ليهُ مُلْكَ الدُّنيا وليهُ مُلْكَ الْآخْرَةْ . وانُّه سُبْحَانُه وتَعالى بِيَنْذِر خَلْقُه ويحَذِّرْهمْ[1]. منَ النَّار ((ناراً تَلَظَّى)) يَعْنِي ناراً تِتْلَهَّبْ . ربَّنا بيحذِّرْنا من النَّار ال بِتلهَّبْ أَلْ ما بيدْخُلها إِلا أَشْقَى النَّاس التَّعِيسْ الكافر ((الَّذِي كَذَّبَ وتَوَلَّى)) يعني أَل كَفَر وكضَّب بالرِّسالة بنبوَّة الْانبياءْ وأَبى الْإِيمانْ وقَبَّلْ غادِي ورَفَض الهِدَايَةْ .

وبِيَنْجَى منَّها ((ويَتَجنَّبُها)) - يَعْني يِزَّحْزَح من جِهَتَها وما بَدْخُلها ((الأَتْقى)) يعني التَّقي الخَايِفَ الله البِيَمْرُقْ مِنْ مالُه وبِتْزكَّى بِزَكاةْ مَالُه وبالعَمَل الطَّيب : يَتَزَكَّى يعني يَطهِّر نَفْسُه بالزَّكاة ويطهِّرْ نَفْسُه بالعَمَل الطيِّب والْإِحْسَانْ . وما هو وَقِتْ يتزكى دايِرْ يَكافِي لُه إِحْسانْ زُولْ أَحسَنْ ليهُ ، ولَّا يتقرَّبْ لِزُولْ بالعَطَا ال بِيَدِّيُه . لكن دَايِرْ وَجْهَ المُوْلَى - إِلا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّه الْأَعْلَى يَعْنِي قاصد رضا رَبُّه الأَعْلى سُبْحَانُه وتعالى . ال مِتِلْ دَا بِيلْقَى جَزَا المُوْلَى ورُضاه وهو ذاتُه بِيَرْضى بَعَدين وَقِتْ يُومَ الحسابْ يكونْ منَ النَّاجِين ويدْخُل في جَنَّات النعيم .

وتَمَّ بحمد الله وعونِهِ تفسير سورة ((واللَّيْلِ إِذا يَغْشَى)) .

1- في اللسان الدارج النطقُ بنون ساكنة او ميم ساكنة بَعْد الراء المكسورة من يحذرهم . والنطق القديم جعْل الذال ظاء وقالوا في المثل الدارج : الحَظَرْ ينجي من النَّدمْ .

سورة ((والضحى))

مكية وآياتها إحدى عشرة

نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾

تنبيه :

أولاً إِمَالَةُ التَّقْليلِ لأَبِي عَمْرٍو على النَّحْوِ الَّذي قَدَّمنا عند رُؤُسِ الآي ، والضُّحَى . سَجَى . قَلَى . الأُولى . فَتَرْضَى . وليست لِحَفْصٍ إمالة .

التَّكْبِير : هُوَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ مَرْوِي عَنِ الْبَزِّيِّ . وأَيضاً عن قُنْبُل مَعَ خِلافٍ في ذلِكَ . البَزِّيُّ وقُنْبُل رَاوِيَا قراءَة ابن كثير كَمَا ذَكرنَا في المُقَدِّمةِ .

والتَّكْبِيرُ هو قَوْلُ ((الله أَكْبَر)) وقِيل ((لا إِله إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَر)) وقيل ((لا إِله إِلَّا الله والله أَكْبَر ولله الحَمْدُ)) - والأَوَّلُ أَشْهَر - بَعْدَ سُورة والضُّحَى أَو قَبْلَها وَقِيلَ كُلُّ السُّور التي تَلي إلى ((قُلْ أَعُوذ بِرَبِّ النَّاس)) أَو بَعْدَها .

ولك أَن تَصِلَ التَّكْبير بآخِر السورةِ هكَذا مثلاً ((وأَمَّا بِنِعْمةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ اللهُ أَكْبر)) ((فاسْجُدْ واقْتَرِبِ اللهُ أَكْبَر.)) وإِذا كَانَ آخرُ السُّورةِ لا يُنَاسِبُ اتِّصَالَ التَّكْبِيرِ بِهِ فالْوَجْهُ أَنْ

تَقِفَ عِنْدَ آخِرِ السُّورَةِ ثُمَّ تُكَبِّرَ بَعْدَ ذلِكَ كَما في قَوْلِهِ تَعالَى : ((في عَمَدٍ مُمَدَّدةٍ)) وقَوْلِهِ تَعالَى بِـ ((مُمَدَّدةٍ)) و ((حَامِيَةٌ)) غَيْرُ مُلائِمٍ .

والتَّكْبِيرُ مَرْوِيٌّ في قِراءَةِ أَبي عَمْرٍو عَنِ السُّوسِيِّ ومَرْوِيٌّ أَيْضاً للقُرَّاء الآخَرين فِيما ذكَرَهُ صَاحِبُ غَيْثِ النَّفْعِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ العُلَماءِ كَانُوا يَقُولُونَ بِنَحْوِ ذلِكَ . وَالْوَجْهُ الذي قَدَّمْناه أَوَّلاً هُوَ الصَّحِيحُ المأْثُورُ واللهُ تَعالى أَعْلَمُ .

وسَبَبُ التَّكْبِيرِ فيما ذَكَرُوا هو أَن سُورَة والضُّحَى قد نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الْوَحْي . فلَمَّا نَزَلَت كَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُون بَعْده . قَالُوا وكَانَ النبيُّ ﷺ يُكَبِّرُ ويأْمُرُ أَصْحَابَهُ بالتكْبِيرِ طَوَالَ أَيَّامِهِ بِمَكَّة ثُم لما صَارَ إِلى المدينَةِ تَرَكَهُ وَبَقِيَ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ على الفِعْلِ الأَولِ من سنتِه عَلَيْهِ الصلاةُ والسلام وَعَنْهُم أَخذَهُ القارِئون المكِّيُّون مِنْ بَعْدُ . قَالَ الشاطِبِيُّ رَحِمَه اللهُ :

وقَالَ بِهِ الْبَزِّيُّ من آخِرِ الضُّحا ... وَبَعْضٌ له من آخر اللَّيْل أَرْسَلَا

والذي في السِّيرَةِ أَن سَبَبَ فَتْرَةِ الوَحْيِ فِيما ذَكَرَ ابْنُ إِسْحقَ هُوَ ما كَانَ من سُؤَالِ الْقَوْمِ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الرُّوح وذِي الْقَرْنَيْن وأَهلِ الْكَهْفِ فَوَعَدَ أَن يُخْبِرَهُم مِنَ الْغَدِ ولم يَسْتَثْنِ أَي لَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ فَفَتَرَ عَنْهُ الْوَحْيُ اثْنَي عَشَرَ يَوْماً أَوْ نَحْوَ ذلِكَ . قَالُوا وكانَ سَبَبَ فَتْرَةِ الوَحْيِ جَرْوُ كَلْبٍ مَيِّتٍ كَانَ في دارِ رسولِ الله ﷺ قِيلَ وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُور ، قَالَ ابْنُ حَجَر (فتح الباري ١٠-٣٣٩) : ((وقصة إِبطاءِ جِبْرِيل بِسَبَب كَوْنِ الْكَلْبِ تَحْتَ سَرِيرِهِ مَشْهُورَةٌ لكنَّ كَوْنَها سَبَبَ نُزُولِ هذِهِ الآيَة غَرِيبٌ بل شَاذٌّ مَرْدُودٌ بِما في الصحِيحِ ، واللهُ أَعْلَمُ.)) .

والَّذي في الصَّحِيح ((اشتكَى رَسُولُ الله ﷺ فلَم يَقمْ لَيْلَتَيْنِ أَو ثَلاثاً فَجاءَتْ امْرَأَةٌ فقالَتْ يا مُحَمَّدُ إِنِّي لأَرجو أَن يَكُون شَيْطَانُكَ قد تَرَكَكَ فلم أَرَهُ قُرْبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَو ثَلاثاً فأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ والضُّحى واللَّيْلِ إِذا سَجَى ما ودَّعك رَبُّك وما قَلَى))

قَالُوا والمَرْأَةُ هِيَ أُمُّ جميلٍ بِنْتُ حَرْبٍ امْرأَةُ أَبي لَهَبٍ وَهِيَ حَمَّالَةُ الحَطَبِ.

وَنَبَّهَ ابن حَجَر على أَن فَتْرة الوَحْي وإِبطاءَته ههُنا غَيْرُ إِبْطَاءَتِهِ الأُولى وبَعْضُهم يَقول إِنَّ الفَتْرَة الأُولى استمرَّت عَامَيْنِ ونِصْفَ عَامٍ وسَنَعْرِضُ لَها إِن شاءَ اللهُ عِنْدَ سُورَةِ العَلَقِ وعندَ سُورةِ المُدَّثر حِينَ نَصِل إِلى تفسيرِها بإِذنِ الله تَعَالى وَعَوْنِهِ ومَشِيئَتِهِ.

المفـــرَدَات

والضُّحى	:	الوَاوُ لِلْقَسَمِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ سَيأْتي وَهُوَ قَوْلُه تعالى ((ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)) - والضُّحا هُوَ ارْتِفاع النَّهارِ. وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ بِوَقْتِ الضُّحَا لأَنَّه يَتَجَلَّى فِيهِ النَّهار وَيَنْسَفِرُ.
سَجَى	:	الفِعْلُ وَاوِي سَجَا يَسْجُو وَقَالُوا مَعْنَاهُ إِذَا جَاءَ وإِذَا غَطَّى النَّاسَ. وقَالُوا إِذا سَجَا أَيْ إِذا اسْتَقَرَّ وَسَكَنَ واسْتَوَى قَالَ الشَّاعِرُ:

يا حَبَّذَا القَمْرَاءُ واللَّيْلُ السَّاج   وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ

أَي حَسَنَةٌ القَمْرَاءُ واللَّيْلُ الشَّامِلُ لِلْكَوْنِ المُسْتَقِرُّ عَلَيْهِ بِسُكُونِهِ وشُمُولِهِ والطُّرُق المُشْتَبِكَةُ الَّتي تَلُوحُ في ضَوْءِ القَمَرِ مِثْلَ مُلاءَات النسَّاج في هَيْئَةِ التِقاءِ دُرُوبها وافْتِراقِهِنَّ.

ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ : أَي ما تَرَكَكَ رَبُّك . والفِعْلُ ودَّعَ يُوَدِّعُ أَي تَرَكَ يَتْرُكُ . وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَالَتْ : وَدَّعَ اللهُ مُحَمَّداً ، أَي تَرَكَهُ بَعْدَ ما كَانَ يُوحي إِليهِ . وقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ وَدَعَكَ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ والمَشْهُورُ تَشْدِيدُها .

قَلَى : مُضَارِعه ((يَقْلي)) بكسر اللَّام بَعْدَها يَاءٌ وقِيلَ أَيضاً ((يَقْلَى)) بِفَتْحِ اللَّام بَعْدَها أَلِفٌ لَينَةٌ[1] ومَعْنَى قلى يَقْلي ، كَرِهَ يَكْرَهُ . والاسْمُ الْقِلَى بكسر القافِ بَعْدَها لامٌ وَأَلِفٌ لَينَةٌ بمعنى الكَراهِيَةِ (ومَا قَلَى) مَعْنَاها وما قَلَاكَ أَي وما كَرِهَك وَحُذِفَت الكافُ لِدَلَالَةِ كَافِ (وَدَّعَك) عَلَيْهَا . والله تَعالى أَعلَمُ .

وَلَلْآخِرَةُ : اللَّام للتَّوْكِيد ويُقَال لَهَا في لُغَةِ النَّحوِ لَامُ الابْتِدَاءِ . أَيْ والْآخِرَةُ حَقّاً أَفْضَلُ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَهِيَ الدُّنْيَا - أَي ما أَعَدَّه اللهُ لَكَ مِنَ الخَيْرَاتِ في الجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ .

وَلَسَوْفَ : اللَّام للتَّوْكِيد ويُقَال لَهَا في لُغَةِ النَّحْوِ وَاقِعَةٌ في جَوَابِ الْقَسَمِ. أَي جاءَ قَبْلَها قَسَمٌ وهي مؤَكِّدَة للكلامِ في أَوَّلِ جَوَابِهِ والَّتي يُقَالُ لَها لامُ الابْتداءِ هي الَّتي تَقَعُ قَبْلَ الْمُبْتَدإِ.

---

1 - وهذه مضارع قلي بفتح فكسر باب فرح إذ قالوا ما جاءت العرب بفعلٍ من باب منع غير حلقي العين واللام غير ابي ، وذكروا عشرة افعال فيها جميعاً اقوال مثل سلي وقلي والله تعالى اعلم .

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى	: قَالُوا أَعْطَاهُ ﷺ رَبُّنَا تَبارَكَ وتعالَى أَلْفَ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ في الجَنَّةِ فِيهِنَّ الْأَزْوَاجُ والخَدَمُ وتُرابُهُنَّ مِنَ المِسْكِ . وقِيلَ هذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعالى أَنَّه سَيَنْصُره ﷺ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ وَقَدْ نَصَرَه اللهُ بِبَدْرٍ ومَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَأَظْهَرَ دِينَ الْإِسْلامِ عَلَى دِينِ المُشْرِكين آخِرَ الْأَمْرِ . والْوَجْهُ الجَيِّدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ نُفَسر الآيَةَ على عُمُومِهَا فنقول إن الله تبارك وتعالى وَعَد رَسُولَهُ ﷺ أنه سيُعْطِيه حتَّى يَرْضَى فَيَدْخُل في ذلِكَ النَّصْرُ له في الدَّارَيْنِ وَعُلُوُّ أَمْرِ دِينِ الإسْلامِ عَلَى الدينِ كُله والشَّفَاعَةُ والمقامُ المحمودُ وَتَطْهِيرُ أَهْلِ الْبَيْتِ وما شَاءَ اللهُ من عَطَائِهِ الْكَرِيمِ الجَزِيل. واللهُ تَعَالى أَعْلَمُ .

الخُــلاصَة

أَقسَمَ تَعَالَى بالضُّحى واللَّيْلِ إِذا سَكَنَ واسْتَقَرَّ على أَنَّه لَمْ يَتْرُكْ مُحَمَّداً ولا كَرِهَهُ بَلْ إِنَّه قدِ اصْطَفَاهُ لِرِسالَتِهِ ولِوَحْيِهِ إِلَيْه . ثُمَّ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُسَلِّي سيدنا مُحَمَّداً ﷺ ويُثَبتهُ وَيُطَمْئِنُهُ لِكَيْلَا يَحْزَنَ لأَنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا وقد وَعَدَهُ اللهُ فيهَا الثَّوَابَ الجَزِيلَ والرزْقَ الحَسَنَ وأَنَّهُ سَوْفَ يُعْطِيه الْعَطَاءَ الْكَثيرَ حَتَّى يَرْضَى - يُعْطِيه في الآخِرَةِ الشَّفَاعَة والسَّعَادَةَ والْمَقامَ المَحْمُود وما شاءَ مِنَ النعَمِ وفي الدُّنيا النَّصْرَ وما شاءَ من البيناتِ والْفَضَائِل . هذَا وفي قَوْلِهِ تَعالى : ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ)) أَيْضاً مَعْنَى أَنَّه سُبْحانَه وتَعالى قَدْ أَعْطَاهُ ، وسَيُعْطِيه من

ذلِكَ مَثَلاً النُّبوَّةَ والْهِدَايَةَ والتَّبْلِيغَ والثَّبَاتَ عَلَى ذلِكَ ، كُلُّ هذا مِنْ عَطَاءِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والله أَعْلَمُ .

خلاصة بالدارجة

رَبَّنا سبحانه عزَّ وجَلَّ حَلَفْ بالضُّحا وحَلَفْ باللَّيل وَقِتْ

يَكُونْ هَادِي وسَاكِنْ دَا مَعْنَى ((إِذَا سَجَى)) والله تَعالَى أَعْلَم .

حَلَفْ قَالْ سُبْحَانُه وتَعالى . ((ما ودَّعَك رَبُّكَ ومَا قَلى)) يَعْنِي بِيخَاطِبْ سِيدْنا رَسولَ الله عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ قال ليهُ ربَّك ما تَركَكَ وما خَلَّاكَ وما قَطَعْ الْوَحِي مِنَّك وما كِرْهَكْ دَا مَعْنَى قَوْلُه تَعالى : ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى : قلَى يَعْنِي كِرِه . يَقْلِي بكسر اللَّام يَعْنِي يَكْرَه . قَلَيْتُ ذلك الرَّجُلَ يعني أنا كِرِهت الرّجل داك. دا مَثَل .

وَدَّعَ يَعْنِي تَرك . ما ودَّعَكَ رَبُّك . يَعْنِي ما تَركَك رَبُّكَ . يَعْنِي رَبَّك ما خَلَّاك مِتِل ما فسَّرنا . وقوله تعالى : ولَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِن الْأُولَى . اللَّام أَلْ فِي الأَوَّل : لَلْآخِرة ، اسْمها لَامَ الابْتِدَا وفايْدَتها بِتْوَكِّدْ الْكَلامْ . ربَّنا بِيخَاطِبَ النَّبي عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ بَعَد ما قَالْ لِيهُ رَبَّكْ ما خَلَّاك ولا كِرْهَكْ قَال لُه والْآخْرة هِي حَقّاً أَخِيرْ ليك من الدَّنْيا الزَّايْله فِي شان نَعِيمْ الآخرة ما بِيزولْ . وقالُوا المُفَسِّرِين السُّورة دِي نزَلتْ فِي شانْ كان الْوَحِي انْقَطَع مُدَّة من النَّبِي عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ . وقَامُوا الْكَافِرين اتْكَلَّمُوا وقَالُوا مُحمَّدْ رَبُّه خَلَّاهُ . وقَالُوا مَرَةَ اب لَهَبْ

لَّمَانْ [1] رَسُولَ الله عليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ قَالوا اشْتَكَى من مَرَض ما قِدِرْ يِقُومْ ليلْتِين أَو تَلاتَ لَيالِي قَالَتْ له أَنا دَحِين بَقُولْ يَمْكِن شِيْطَانك فارقَكْ وخلَّاك بَاقِي مَانِي شَايْفَاهُ جَنْبَك من ليلْتين أَو يَمْكِن لِيهُ تَلات لَيَالِي . وقَالُوا ستّنا خديجة أيضاً حِزْنَت وشِفْقَت من غيابَ الْوَحي وسِيدْنا رَسُول الله عَليه الصَّلاةُ والسَّلامْ حِزِن . وبَعَدِين لما نَزَلَتْ سُورَةَ والضُّحَى وقَال لُه الْمُوْلَى سُبْحَانُه وتَعالى : والضُّحَى واللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى يَعْني ما تَرَكَك ولا جَافَاك ، النَّبِي عَليه الصَّلاةُ والسَّلام انْسِرَّ قَلبُه وكَبَّر والمُسْلِمِين كَبَّرُوا شُكراً لله تَعالى . وأَسْباب تَأْخِير الْوَحِي أَل اتْأَخَّر بِيها قَبْلْ نُزُول سُورَة ((والضُّحَى)) جاتْ فيها أَقْوالْ اخْتَلفوا العُلَما فِيها، إِلَّا كُونُه عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ شَكَا مِنْ مَرَضْ وما قَامْ ليلْتِين أَو تَلاتَه دَا أَقْوَاها فِي شانْ رَواهُ الإِمام البُخَاري رَضْيَ الله عَنُه في الصَّحِيحْ . الله تَعالى أَعْلَم .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

تنبيه :

هُنَا لَكَ إِمالَةُ التَّقْليل بَحَسبِ الَّذي قَدَّمْناهُ عنْدَ قَوْلِهِ تَعالى (فَآوى - فَهَدَى - فَأَغْنَى) وَلَيْسَت لِحَفْصٍ إِمالة .

---

1 - لمان : اي لمّا ان .

المفـــرَدَات

أَلَمْ يَجِدْكَ : الاسْتِفْهَامُ هُنا يُرادُ بِهِ والله تعالى أعلَمُ بمُراده التَّذْكِير مَعَ التَّقْرير لا الاسْتِفْهام المَحْضُ أي ألا تَذْكُر إذ وَجَدْناكَ يَتيماً وضَالًّا وعائِلاً ؟

فَآوَى : أي فآواكَ ، الكَافُ مَحْذُوفَةٌ لِدَلَالِةِ السياقِ عَلَيْهَا واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ضَالًّا : أي عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ والوَحْيِ الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ الآن وغَيْرَ عَارِفْ بطريق الشَّريعَةِ والوَحْيِ الَّذي أنت عَلَيْه الآن فَكُلُّ ذلِكَ دَلَّك عليه اللهُ بالنُّبُوَّةِ والرسَالَةِ والقُرْآنِ .

وقد اضطَّرب جَمَاعَةٌ مِنَ المُفسرين في هذا الحَرْفِ فَزَعَمَ بعضُهُم أن قَولَه تَعالى ((ضَالًّا)) أي مِثْلَ شَجَرَةِ الضَّال وَحْدَكَ وَشَجَرَةُ الضَّالِ هِيَ السدْرَةُ البريَّة ولامُها في اللُّغَةِ غير مُشَدَّدَةٍ وإنما هي ((ضَالٌ)) لا ضالٌّ وفي حَالَةِ النَّصْبِ ضَالاً لا ضالًّا كما في الآية . فهذا القَوْلُ ضَعِيفٌ جِدّاً . وقالَ بَعضُهم أي وَجَدَكَ في قَوْمٍ ضَالين وتَأَوَّلَ بَعْضُهم هذا الْوَجْهَ أَوْ نحواً منه - والله تَعالَى أَعْلَم - على أنَّه بِتَقْدِيرِ مُضافٍ مَحْذُوفٍ . مِنْ ذلِكَ ما ذَكَرَهُ أَبُو حيَّان رَحِمَه اللهُ في تَفْسِيرِهِ من أنَّه وَجَدَ نَفْسَه يُفكر في هذِهِ الآيَة في منامِهِ فَقَالَ على الْفَوْرِ إنَّها بِمَعْنَى ((وَجَدَ رَهْطَكَ ضالًّا - فحَذَف

المُضَاف فصَارت فَوَجَدَكَ ضَالًّا وهذا التَّأْويلُ بَعِيدٌ واللهُ تَعالى أعلم . والْوَجْه الَّذي فَسَّرْنا بِهِ هُو كَما في الطَّبَرِيّ والجلالَيْنِ والزَّمَخْشَرِي قَالَ الطَّبَرِيُّ : ((وَوَجَدَكَ ضالًّا فهَدَى : وَوَجَدَك على غَيْرِ الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْم)) ا.هـ. يَعْنِي مِنْ وَحْيِ اللهِ ورِسالَتِهِ ومعرِفَةِ حقائقِ أَحْكَامِهِ وَتَبْلِيغِها لِيَعْمَلَ

بِها النَّاسُ فَما أَمَرْتَهُم بِه أَخَذُوا بِهِ وما نَهَيْتهم عَنْه انْتَهَوْا عَنْهُ . وذَكَرَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ الله أَخْباراً أُخَر كَعادَتِهِ في الاسْتِقْصَاءِ . وفي الجَلالَيْن ((وَوَجَدَكَ ضالًّا)) عما أَنْتَ عليه الآن من الشَّريعَةِ ((فَهَدى)) أي هَداكَ إِلَيْهَا . ا. هـ. وهذا كَما تَرى كَقَوْلِ الطَّبَرِي وقال الزَّمَخْشَرِيُّ ووَجَدَك ضالًّا معناه الضَّلالُ عن عِلْمِ الشَّرائع وما طَريقُه السَّمع . ا.هـ .

وَذَكَرَ بَعْضُ المُفَسرين أخباراً عن أَنَّه ﷺ ضَلَّ الطَّريق لَمَّا كَانَ صَبِياً يَرْعَى الْغَنَمَ بِمَكَّةَ ومُرْضَعاً عِنْدَ حَلِيمَةَ ولَمَّا كَانَ بالشَّام والَّذي قَدَّمْنَا بناءً على قَوْلِ الطَّبَرِي أَقْوَى في التَّأْويل وأَشْبَهُ بِظَاهِر التَّنْزيلِ والله تَعالى أَعْلم .

عَائِلاً : فقيراً . تقول عال فلانٌ يَعِيلُ عَيْلَةً افتقر .

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾

تنبيه :

كلمة أَمَّا بفَتْحِ الْهَمْزَةِ وتَشْديدِ المِيمِ بَعْدَها أَلِف ، يَنْبَغي أَنْ تَجِيءَ الفاءُ قَبْلَ الْكَلامِ الْوَاقِعِ في جَوابِها . مَثَلاً تقول : أَما كتابُكَ هذا فَجَميلٌ جَدّاً . قَوْلُك : جَمِيلٌ جِدّاً مُبَيِّنٌ لِقَولِكَ أَمَّا كِتابُكَ هذا والفاءُ كما قَدَّمْتُ لَكَ التَزَمَتِ العَرَبُ اسْتِعْمالها في مِثْلِ هذا الْمَوضِعِ . ويَجُوز حَذْفُ الجَوَابِ في جُمْلَة أَمَّا أَحْياناً حِينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ ما بَعْدَه

كقولك: أَمَّا الْمُجْتَهِدُ فينجَحُ بإِذن الله وأَما الكَسول لِمَاذا أَضَعْتَ زَمَنَكَ في النَّوْمِ واللَّعِبِ؟ - فالمَعْنَى وأَمَّا الكَسُول فَلَا يَنْجَحُ ويُوَبخُه النَّاسُ وَيَقُولُونَ لَهُ : لِمَاذا إِلخ . وقال تعالى : ((وأَمَّا الَّذِين اسْوَدَّت وُجُوهُهُم أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانكُم)) . أي فَيُعَذَّبُون ويُقالُ لَهُمْ والله تَعالى أَعلم .

الخُـلاصَة

مِنْ قَوْلِ الله تَعالى : ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى)) إِلى قَوْلِه تَعالَى : ((وأَمَّا بِنِعْمةِ رَبِّك فَحَدِّثْ))

عَدَّد رَبُّنا سُبْحَانَهُ وتَعالى نِعَمَهُ عَلَى نَبيه مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فَقالَ لَهُ يا مُحَمَّدُ ((أَلَمْ يَجِدْكَ)) يَعْنِي هَل ربُّنا ما وَجَدكَ يَتيماً مات أَبَوَاكَ كِلاهُما فأَعْطاكَ مَأوى ،

فَكَفَلكَ جدُّك وكان بِكَ رَحِيماً ثمَّ كَفَلَكَ عمُّك ثم صرتَ رَجُلاً فتزوّجت وصِرْتَ ذا بَيْتٍ وأَهْلٍ - كلُّ ذلك أعطاكَ إيَّاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَصِرْتَ ذَا مَنْزِلٍ ومَأْوَى بَعْدَ حالةِ الضَّعْفِ والانْفِرادِ والْيُتْمِ . وقد كُنْتَ عَائِلاً أي فَقيراً مُحْتاجاً فأَعْطاكَ اللهُ من جُودِهِ وَفَضْلِه مالاً صِرْتَ بِه مُسْتَغْنِياً عن أَن تَسْأَلَ النَّاسَ مُكْتَفِياً غَيْرَ مُحتاجٍ إِلى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. هذا مَعْنَى قوله تعالى : وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ، أَي إِن اللهَ وَجَدَكَ في حَالَةِ فَقْرٍ فَأَغْنَاكَ بَعْدَ الْفَقْرِ - وَكُنْتَ لا تَعْلَمُ الكتاب ولا تَعْرِفُ طريق الهِدَايَةِ بالشَّرْعِ فأَنْقَذَكَ اللهُ من هذَا الضَّلالِ بالوَحْيِ الَّذي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ فاهْتَدَيْتَ واهْتَدَى بِكَ المُؤْمِنُون . كُلُّ هذا مِنْ نِعَمِ الله عَلَيْكَ .

فاشْكُرْهَا وَتَذَكَّرْ حَال اليُتْمِ وضعف الْيَتِيمِ وكُنْ عَطُوفاً مُتَحَنناً على الْيَتِيمِ ولا تَقْهَرْهُ فتَنْكَسِرَ نَفْسُه . هذا معنى قوله تعالى ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)) والله تَعالى أَعْلَمُ . وإِذا جَاءَكَ السَّائِلُ المُحْتَاجُ يسأَلُكَ فَقُلْ لَهُ قَوْلاً مَعْرُوفاً لَيِّناً ولا تَنْهَرْهُ بل إِن كَانَ عِنْدَك ما تُعطيهِ إِيَّاه فأَعْطِهِ بِلُطْفٍ وإِن لمْ يَكُنْ عِنْدَكَ ما تُعْطِيهِ إِيَّاهُ فَقُلْ لَهُ كَلِمَةً طَيبَةً ولا تَقُلْ له الكَلامَ الغَلِيظَ ولا تَنْهَرْهُ . هذا مَعْنَى قَوْلِهِ تعالى ((وأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)) واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ . وقَوْلُه تَعالى : ((وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)) أَي يَقُولُ رَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالَى لِرَسُولِنا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ تَحَدَّثْ بِنِعْمَةِ الله عَلَيْكَ ما أَعْطاكَ إِيَّاهُ مِنَ المَأْوى بَعْدَ الْيُتْمِ ومِنِ الْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ ومِن الْهِدايَةِ والنُّبُوَّةِ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ لا تَعْرِف طَرِيقَ ذلِكَ فاهْتَدَيْتَ فاهْتَدَى بِكَ الْمُؤْمِنُون - كُلُّ هذِه نِعَمٌ مِنَ الله عَلَيْكَ فاشْكُرْهَا واذْكُرْها . وَقَدْ كَانَ رسُولُ الله ﷺ عَبْداً شَكُوراً نَسْأَلُ اللهَ أَن يُؤتِيَهُ الْوَسِيلَةَ والْفَضِيلَةَ ومَقاماً مَحْمُوداً الَّذي

وَعَدَهُ وأن يَحْشُرنا في زُمْرَتِهِ ويُنِيلَنا شَفَاعَتَهُ ويَنْصُرنَا في الحَياةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ بِيُمْنِهِ وَبَرَكَتِهِ إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيب .

خلاصة بالدارجة

ربَّنا سُبْحَانه وتعالى بِعَدَّد نِعَمُه على نَبِينا وسِيدنَا مُحَمَّد عليه الصَّلاة والسَّلامْ قَالْ لِيه ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوَى وَوَجدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)) يَعْنِي إِنْت ما [1] كُنْتَ يَتِيمْ وما لِقَاكْ ربَّك سُبْحانه وتعالى يَتِيم وأَنْعَمْ عَلِيك وأَدَّاك المَأْوَى تَأْوِي لِيهُ وَوَقِتْ انْتَ صَغِير كِبِرْتَ وِتْزوَّجتَ وَرَزَقَك المُوْلى سُبْحانُه وتَعالى بِنعْمَتُه المُنْزَلْ والذُّرِيَّة وِانْتَ ما كُنْتَ فَقِيرْ مِحْتَاجْ وربَّنا جَلَّ وعَزَّ أَغْناك بَعَدْ حَالْ الاحْتِياج وأَدَّاكْ عطَايا بِقِيتْ بَعَده بِحَمدِ الله غَنِي ومَا مُحْتَاج - عَائِلاً : يَعْنِي فَقِير ومُحْتاج . وانتَ كُنْتَ مَاكْ عَارِفْ طَرِيق الاهْتِدَا بالكِتَابْ بالوَحِي ورَبَّنا سُبْحَانُه وتعالى أَدَّاك النُّبُوَّة وبَيَّن لَكَ بالْوَحِي والكِتَاب طَرِيق الْهِدايَة والشَّرِيعَة والدِّين وَمَشِيت عَلِيهُ في هُدى والمُومِنِينْ هداهُم الله سُبْحَانُه وتَعالى بالهُدَى ال أَدَّاك اِيَاهُ . دَا مَعْنَى قُولُه تَعالَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى يَعْنِي لِقَاكْ مَاكْ [2] عَارِف سِكَّة الشَّرِيعَة وهَدَاك لِيهَا وربَّنا سُبْحانُه وتَعالى قَالْ للنَّبِي عَليهُ الصَّلاة والسَّلام : ((فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّك فَحَدِّث)) - يَعْني بَعَدْ مَا ذَكَر ربَّنا سُبْحَانُه وتعالى نِعَمُه لِنَبِينا عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلام قال لِيهُ

---

1 - ما هنا باللهجة الدارجة السودانية بمعنى اما بتخفيف الميم أي هل ما .

2 - ماك الكاف حرف خطاب .

يوَعِّظُه بالأَدَبَ الحَسَن إنُّه دَحِين ما تَحْتَقرُه وتَظْلمُه وتاخُذْ حَقُّه ودَحِين السَّائِل أكان [1] جَاك ما تَنْهَرُه ولَاكِينْ لَاقِيهُ بِوَجْهاً [2] بَاش وكَلِّمُه كَلَامْ لَيِّن، وكان النَّبِي ﷺ ما بيكَشِّر لِي سَائِل ولا بِيرُدُّه. ربَّنا سُبْحانُه وتَعالى قَال للنَّبِي عَليه الصَّلاةُ والسَّلام ((وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِكَ فَحَدِّثْ)) - في جماعة من المُفَسِّرِين قَالُوا المَقْصُود بِنِعْمَةِ رَبِّكَ يَعْنِي النبوَّة ودَا جَايِزْ لكِن التَّفْسِير

أَحْسَن - والله تعالى أَعْلَم - يَكون بالمَعْنَى الوَاسِع للآية في شان قُول الله تَبارَكَ وجَلَّ شأنُه ((بِنِعْمَةِ رَبِّك)) يَدُلْ على أَصْنَافْ النِّعَم ال أَنْعَمَها الله سُبْحانُه وتَعالى على نِبِينَا عَليه الصَّلاة والسَّلام - إنه آواهُ بَعْدَ اليُتْمِ وأَغْنَاهُ بَعْدَ الاحْتِياجْ وعَرَّفُه طَرِيق الشَّرِع بَعَدْ ما كان ما هُو عارْفُه ودَا مَضْمُون فِيه مَعْنَى النُّبوَّة والنِّعْمَة العَظِيمَة دِي كُلَّها أَمَرُه رَبَّنا يَذْكُرها ويَشْكُرها فِي شَان الحَدِيثْ بِيها شُكْرْ لِلْمَوْلَى عَلِيها. وكان الرَّسُول عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلام عَبْداً لِلْمَوْلَى شَكُور. نسأَل الله إنُّه يَنْزِلُه المَنْزِلَة الرَّفِيعَة ويَعطِيهُ المَقَامَ المَحْمُودْ أَلْ وَعَدُه بِيهُ يُوم القِيامَة وَيَجْعَلْنا يوم الحِسَابْ في زُمْرَتِه ويِرْزُقْنا السَّعَادَة بِشَفَاعْتُه عَليه الصَّلاة والسَّلام ويَنْصُرنا في الدُّنْيا والآخرة بِنُوره وبرَكَتُه عليه الصَّلاة والسلام.

وَتَّم بِحَمْدِ الله وَعَوْنِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ والضُّحَى واللَّيْلِ إِذَا سَجَى.

---

1 - أكان أي إن كان بمعنى الشرط.

2 - التنوين للتقوية ويكون في الدارجة بالفتح لا أعلمهم يعدونه .. والله أعلمُ.

سورة الانشراح

مكية وهي ثماني آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾

المفــــرَدَات

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ : الهَمْزَةُ للاسْتِفْهَام . والاستفهام في هذِهِ الآية مع لفظ النَّفْيِ لَمْ هكذا أَلَمْ فيه دَلَالَةٌ على التَّقْرِيرِ والتَّأْكيدِ .

يَعْنِي : هل نَحْنُ ما شَرَحْنَا صَدْرَكَ . يَعْنِي نَحْنُ حَقّاً قد شرحْنَا صَدْرَك فاذْكُرْ ذلِكَ واشكُر لِرَبِّكَ . والخِطَابُ هُنا من الله تبارك وتعالى لسيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ . وقوله تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ مَعْنَاه أَلَمْ نُوسع صَدْرَكَ بنُورِنا وهُدَانا فاتَّسَعَ لِوَحْيِ الله ولِعُلُوم النبوَّةِ وانشِراحُ الصَّدْرِ مَعْنَاهُ اتسَاعُه مع سُهُولةٍ ويُسْرٍ وانفِساحٍ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ :

الوِزْر : هو الحِمْلُ الثَّقيل والمُعْنَى أَي أَذْهَبْنَا عَنْكَ الحَزَن وثِقَلَهُ بالوَحْيِ والنُّورِ الَّذي هَدَيْنَاكَ بِهِ فَصِرْتَ على يَقِينٍ من أَمْرِكَ مُتَوَكلاً على رَبكَ تَدْعُو قَوْمَكَ إِلى تَوْحِيدِ الله وهجران عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ .

وقالوا الوِزْر ههُنا هُوَ الشرْكُ وهذا يَجُوز على تَأْوِيلِ أَن اللهَ تَعالى

وَضع عنه ﷺ أثقالَ الشرْكِ الَّتي كانَ عَلَيْها قَوْمُه وَبَرَّأَهُ مِنْها ثُمَّ هَدَاهُ وهَدَى النَّاسَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنَ الحَق .

هذا وقَال الطَّبَرِيُّ في تَفْسير وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ : وغفرنا لك ذُنُوبَك وحَطَطْنَا عَنْكَ ثِقْل أَيَّامِ الجَاهِلِيَّة الَّتي كُنْتَ فِيها - ثمَّ ذكر قِراءَةَ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود ، وَحَلَلْنا عَنْكَ وِقْرَكَ .

وَمَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ ههُنا قَرِيبٌ مِمَّا ذَهَبْنَا إِليه وهو وَجْهُ التَّفْسِيرِ إِن شاءَ الله والله أَعْلَم .

أنقضَ ظَهْرَكَ : أي أَثْقَلَ ظَهْرَك . وهذا وَصْفٌ لِلوِزْرِ وَهُوَ الحِمْل كَما قَدَّمْنَا ، واشْتِقَاق الفِعْلِ ((أنقَضَ)) من النَّقْضِ - تَقُولُ العَرَبُ أَنْقَضَتِ الأَثْقالُ البَعِيرَ أي جَعَلَتْهُ نِقْضاً بكسر النُّون وسكون القاف ، أي كالشَّيءِ المنقوضِ المَهْدُوم بَعْدَ أَنْ كانَ سَمِيناً . وجَعَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ اشْتِقَاقَهُ مِنَ النَّقِيضِ وهو الصَّوْت وَهذا جَائزٌ إلا أَنَّ الأَوَّلَ عَسَى أَن يَكُونَ أَقْوَى والله تعالى أَعْلَمُ .

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَك : أي جَعَلْنَا ذِكْرَك رَفيعاً عَالِياً بِالرسالَةِ ويَدْخُل في مَعْنَى ذلكَ والله تَعالَى أَعْلَم اقْتِرانُ ذِكْرِهِ ﷺ بِذِكْرِ المَوْلَى جَلَّ شَأْنه في شَهَادَةِ الحَق والأَذانِ والإِقامَةِ وغَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْعِبَاداتِ وما جَاءَ مِنْ ذِكْرِهِ ﷺ في القُرْآنِ وما جَاءَ من البِشَارَةِ بِهِ في كُتُبِ الأَوَّلِين . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : أي أَعْلَيْنَا ذكْرَكَ فَذَكَرْناك في الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ على الأَنبياءِ قَبْلَكَ وأَمَرْناهُم بالْبِشَارَةِ بِكَ ولا دِينَ إِلَّا دِينُك يَظْهَرُ عَلَيْهِ وَقِيل رَفَعْنَا

ذِكْرَكَ عِنْدَ الْمَلائكة في السَّماءِ وفي الْأَرْضِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِين ونَرْفَعُ في الآخِرَة ذِكْرك بما نُعْطِيكَ من الْمَقامِ الْمَحْمُودِ وَكَرائِمِ الدَّرَجات .

ا.هـ. والله تَعالَى أَعْلَم .

الخُــلاصَة

ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعالى نِعَمَهُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ أَلَسْنَا يا مُحَمَّدُ قَدْ شَرَحْنَا صَدْرَكَ وَبَسَطْنَاهُ وَفَسَحْنَاهُ لَكَ بالإِيمانِ والنُّبُوَّةِ والرسالَةِ وقَدْ أَزَلْنَا عَنْكَ الحِمْلَ، الثَّقِيلَ والْهَمَّ الشَّدِيد الَّذي كَانَ يُثْقِلُ ظَهْرَكَ مِنْ تَفَكُّرِكَ في حَالِ قَوْمِكَ وَلا تَعْرِفُ السَّبِيلَ لِهِدَايَتِهِم بأَنْ فَتَحْنَا عَلَيْكَ بالنُّبُوَّةِ والْوَحْيِ وَقَدْ جَعَلْنَا يا مُحَمَّد لَكَ ذِكْرَك رَفِيعاً في هذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ بالرسَالَةِ والنُّبُوَّةِ واقْتِرَانِ اسْمِكَ باسْمِ الله تَعالَى في الشَّهادَةِ والأَذَانِ وغَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْعِبَادات وبِما أَعطاكَ اللهُ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقامِ الْمَحْمُودِ وبِما وَعَدَكَ مِن نَصْرِهِ وإِظْهَارِ دِينِهِ على الدينِ كله وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون ؟

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنَا بَيّن النِّعم أَل أَنْعَم بِيها عَلى النَّبِي عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ ، قَال لُو: نِحْنَ ما شَرَحْنا لَكْ صَدْرَك بالْإِيمان وما شِلْنا الوِزر يَعَنِي الحِمِلْ أَلْ كَان تَقِيلْ على ضَهَرك في شان النَّبِي عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ كَانْ إِشْراكْ قُومُه وكُفُرهم وفَسَادْ أَحْوالُهم كَان لَيهُ هَمْ وكَانْ مَحْزُونْ لِحَالْتَهُمْ دِي ومَا عَارِف سِكَّة اصْلاحُهم وربَّنا سُبْحَانُه وتَعالى نَزَّلْ عَليهُ الْوَحِي وَوَرَّاه سِكَّةَ الْهِدَايَةْ والْإِصْلاحْ وهَدَاهُم وهَدَانا بِيهُ عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلام .

وجَماعَةْ من المُفَسِّرين قالُوا ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) يَعَنِي ذَنْبك يَعَنِي غَفَرْنا لِيك ذَنْبك أَل أَذْنَبْتُه في الجَاهِلِيَّة قَبْلَ النُّبُوة .

والتَّفْسِير دَا جَايِزْ في شان المَوْلَى عَزَّ وجَلَّ غَفر لِرَسُول الله عليهُ الصَّلاة والسَّلامْ كُلُّ ذَنِبْ مِتِلْ ما قَالْ سُبْحانُه وتَعالى في سُورَةَ الْفَتْح ((إِنا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّر ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيكَ ويَهْدِيكَ صِراطاً مُّسْتَقِيماً)) المَوْلَى سُبْحَانهُ وتَعالى هَداهُ للصِّراطَ المُسْتَقِيم وعَصَمُه من الذُّنُوبْ وشَمَلُه بالغُفْران . والتَّفْسِير أَلْ فَسَّرناه بالأَوَّل إِنه ((وَوضَعْنَا عَنكَ وِزْرك)) الوِزْر يَعْنِي الحِمِل أَقْوَى في شان هُو مِتْماشِي مع لَفِظَ الآية في شان مَعَنى الوِزِرْ في اللُّغَة الحِمِلْ وبَعَدِين الوِزِرْ بمَعَنى الذَّنِب على التَّشْبِيه يَعْني الذَّنِب يَشْبَه الحِمِل .

والتَّفْسِير بالمَعَنى الأَصْلي أَقْوى من التَّفسِير بالمَعْنى الفَرْعي والله تَعالى أَعْلَم . وقُوله تَعالَى وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكْ ربّنا بِيخاطب نَبِينا عليهُ الصَّلاة والسَّلام قال ليهُ وسوَّينا ذِكْرَتك رَفِيعة بالرِّسالة والنُّبُوة واسْمَك مَقْرُونْ في الشَّهادة باسْم المَوْلى عَزَّ وجَلَّ وفي الأذان ومَكَانْتَك عَالْيِة في الدَّارين بالنَّصُر في الدِّنيا وعُلُو كَلِمَة الله وظُهُورْ دِينُه وبالشَّفَاعَة والمَقام المَحْمُودْ في الآخْرَة وجَاتْ بيكَ البشَارة في كُتُب الأَوَّلِين والله تَعالى أَعْلَم .

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

المفـــردات

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً : هذا التَّكْرارُ للتَّأْكيدِ وهَذَا التَّأْكِيدُ فِيهِ مَعْنَى التَّبْشِيرِ لِرَسُولِ الله ﷺ وأَصْحابِهِ بِأَنَّ اللهَ سَيُفَرِّجُ عَنْهُمْ الْغَمَّاءَ ورُوِيَ أَنَّه لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآياتِ اسْتَبْشَرَ رَسُولُ الله ﷺ وقَالَ لأَصْحابِهِ ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ يَعْني يُسْراً مُكَرَّراً مَرَّتَيْن ورُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنه قَالَ : لو دَخَلَ الْعُسْرُ في جُحْرٍ لجاءَ الْيُسْر حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ لأَنَّ اللهَ يَقُول : فإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً .

فَانْصَب : أَيْ فاتْعَبْ واجْتَهِدْ وأَصْلُه من النَّصَب وهو التَّعَبُ ، واخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ في تَفْسِيرِ فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ ، فَقَالُوا إِذا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلِ دُنْيَاكَ وَهذَا قول مُجَاهِدٍ وقالوا مِنَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبة وَهذا قَوْل ابْنِ عَبَّاسٍ أَي إِذا فَرَغْتَ من الصَّلاة فانْصَبْ في الدُّعاءِ أَي ادْعُ واجْتَهِدْ في ذلِك . وَقَالُوا إِذا فَرَغْتَ مِنَ الْجِهَادِ والْجِهَادُ لَمْ يُفْرَضْ إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ ويَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ مَعْنَى الْفَرَاغِ مِنْهُ في مَدْلُولِ مَعْنَى الْفَرَاغِ مِنَ الْفَرَائِضِ واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ والَّذي كَانَ فِيهِ رَسُول الله ﷺ مَعَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مِنَ الدَّعْوَةِ والصَّبْرِ لَهَا قَدْ كَانَ جِهاداً عَظيماً واللهُ تَعالَى أَعْلَم .

وقالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وأَوْلى الأَقْوَالِ في ذلِكَ بِالصَّوابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِن اللهَ تعالى ذِكْرُهُ أَمر نَبِيَّهُ أَن يَجْعَلَ فراغَهُ مِنْ كُلِّ ما كَانَ

مُشْتَغِلاً بِهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاه وآخرته إِلى آخِرِ ما قَالَهُ وهْوَ إِنْ شَاءَ اللهُ الْقَوْلُ الذي نَراهُ رَاجِحاً لشُمُولِ مَعْنَاهُ ودُخُولِ سَائر ما قِيلَ فِيهِ واللهُ تَعالَى أعلم .

الخُـلاصَة

بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى نِعَمَه على النَّبيِّ ﷺ قَالَ لَهُ يُسَلِّيه وَيُثَبِّتُه ويُشَجِّعُه هُوَ وأَصْحابه إِذ قد كانوا يُقاسُون شِدَّةً مِمَّا كَانَتْ تَنالُهم بِهِ كُفَّارُ قُرَيْش ، إِنَّ الْعُسْرَ مَعَهُ الْيُسْرُ مِنَ الله تَعالَى وإِن الله تَعالى قد أَعَدَّ لَكَ فَتْحاً وَنَصْراً فالآن لا تَحْزَن للشِّدَّةِ الَّتي تَرى يا مُحَمَّدُ وامْضِ في عَمَلِكَ وَتَقَلُّبِكَ في أُمُورِ عَيْشِكَ ودُنْيَاكَ وَمَهْمَا تَفْرُغْ مِنْهُ مِن ذلِكَ وَمِنْ سَائِرِ عَمَلِكَ في عِبادَةِ الله وَصَلاتِهِ وفَرائِضِهِ ودَعْوَتِكَ إِلَيْهِ وجِهادِكَ فاجْتَهِدْ في الَّذي فِيهِ صَلاحُ آخِرَتِكَ مِنْ عِبادَةٍ ودَعْوَةٍ إِلى الله تَعالَى وإِلى رَبِّكَ وَحْدَهُ فارْغَبْ وَعَلَيْهِ وَحدَهُ فاتَّكِلْ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبَّنا بَعدَ ما عَدَّدْ على النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام نِعَمُه ، قَالْ يَسَلِّيهُ ويَثَبِّتُه ويشجَّعُهْ هُو والمُسْلِمِين أَلْ كَانُوا مَعَاهُ ، في شان أَذَى الْكُفَّارْ كَانْ عَلِيهُمْ شَدِيد ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)) يَعَنِي اصْبَرْ والشِّدَّة مَعَاها فَرَجْ . إِنُّه كُلْ أَمْراً عَسِيرْ فَرَجُه مَعَاهُ عِنْدَ الْمُوْلَى وانُّه كلُّ أَمر الشدَّة فَرَجُهْ عَنْدَ الله سُبْحانُه وتَعالى وبَعَدِين ربَّنا سُبْحانه وتَعالى قَالْ لِلنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ((فإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)) يَعْنِي اعْمَلْ عَمَلَكْ كلُّه

لآخِرتك ودُنْياك واتْعَبْ واجْتَهِدْ لِرَبِّك بالعِبَادَة والعَمَلْ الصَّالِح . ((وإِلَى رَبِّكَ فارْغَبْ)) يَعَنِي مَعَ الاجْتِهادْ والتَّعَبْ فِي العَمَلَ الصَّالِح اتوَجَّهْ بِمُرَادَكْ كُلُّه لربَّك واجْعَلْ رَغْبَتَكْ كُلَّها فيهُ هو خَالْصَة لِيهُ وَحْدُه سبحانه وتعالى مالَهُ شَرِيكْ .

وتَمَّ تَفْسِيرْ سُورة أَلَمْ نَشْرَحْ بِحَمْدِ الله وعَوْنِهِ .

سورة التين

مَكِّيَّةٌ وآياتُها ثمان ونزلت بعد سورة البروج

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

المفــــرَدَات

والتِّينِ والزَّيْتُونِ : الوَاو لِلقَسَمِ وجَوابُ الْقَسَمِ ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيم)) قَالُوا أَرَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى بالتِّينِ وهُوَ جَلَّ وَعَزَّ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ مَسْجِدَ دِمَشْقَ وأرادَ بالزَّيْتُون مَسْجِدَ بَيْتِ المُقْدِسِ وقَالُوا لا بَلْ الجَبَلَ الَّذي عَلَيْهِ دِمَشْق والجَبَلَ الَّذي عَلَيْهِ بَيْتُ المُقْدِس وقَالُوا هُمَا جَبَلَانِ أَرادَهُما اللهُ عَزَّ وجَلَّ وأَقْسَمَ بِهِما . وقَالوا التِّينُ مَسْجِدُ سَيِّدِنا نُوحٍ عليه السَّلام والزَّيْتُون بَيْتُ المُقْدِس .

وقَالُوا مَعْنَى : والتِّينِ والزَّيْتُونِ هُوَ التِّينُ المَعْرُوف والزَّيْتُونُ المَعْرُوف أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَه وتَعالَى بِهِمَا وهذَا هُوَ الْقَوْلُ الوَاضِحُ إِنْ شَاءَ اللهُ وَرَجَّحَهُ الطَّبَرِيُّ وَقَطَعَ بِهِ الزَّمَخْشَرِيّ ويَجُوز أَن يَكُونَ المُرادُ بالتِّينِ والزَّيْتُونِ مَنَابِتَها والسِّياقُ يَحْتَمِلُ هذا التَّأْوِيل إِلَّا أَنَّ حَمْلَهُ عَلَى الْوَاضِح أَجْوَدُ واللهُ تَعالَى أَعْلَم .

وَطُورِ سِنِينَ : الطُّورُ كُلُّ جَبَلٍ عَلَيْهِ نَبَاتٌ وطُورُ سِينِينَ الْمُرَادُ بِهِ واللهُ أَعْلَمُ بِمُرادِهِ طُورُ سِينَاءَ الَّذي كَلَّمَ اللهُ عِنْدَهُ سَيِّدَنا مُوسَى عليْهِ السَّلامُ . وزَعَمَ بَعْضُهم أن سِينِينَ مَعْنَاها الحَسَنُ باللُّغَةِ الحَبَشِيَّةِ قَالُوا يَقُولُون بالحَبَشِيَّةِ سِينا سِينا وزَعَم بَعْضُهم أَنَّ المُرادَ بها المُبَارَك وقَدْ عَابَ الطَّبَرِي هذا الْقَوْلَ بِحُجَّةِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الأَمْرُ كَذلِكَ لَقَالَ تَعالَى : وطُورِ سِينِينٍ بالتَّنْوينِ كَمَا يَحْدُثُ في الصِّفَةِ والْمَوْصُوفِ ثم روي عن سَيِّدنا عُمَر بن الْخَطَّاب أنه قَرَأَ : وطُورِ سِينَاءَ بالمَدِّ فَهَذَا يُقَوِّي التَّفْسِيرَ الأَوَّل .

وقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرين إِنَّ التِّين والزَّيْتُون وطُورَ سِينِين مَسَاجِدُ بالشَّامِ والْوَجْهُ رَجَّحْنَاهُ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيل واللهُ تَعَالَى أَعْلَم .

وَهذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ : البلد الأَمين هُو مَكَّة وسُمِّيَت بَلَداً أَمِيناً لأَنَّها كانت حَرماً لا يَحِلُّ فِيه القِتَالُ ولا الصَّيْدُ والأَمِين هُنا بِمَعْنَى الآمِن الَّذي يَأْمَن فِيهِ النَّاسُ .

في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ : في أَحْسَنِ صُورَةٍ لأَنَّ الإِنْسَانَ مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ مَنَحهُ اللهُ مَعَ اعْتِدَالِ القَامَةِ الذَّكَاءَ واللِّسانَ . وقَالَ بَعْضُهم عَنَى بأَحْسَنِ تَقْوِيم زَمانَ الشَّبَابِ . والْوَجْهُ الأَوَّلُ أَظْهَرُ والله أَعْلَم .

الخــلاصة

أقْسَمَ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى بالتِّينِ وبِالزَّيْتُونِ وبِجَبَلِ الطُّورِ وهو الجَبَلُ الَّذي كَلَّمَ اللهُ سُبْحانَه وتَعالَى عِنْدَهُ سيّدنا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام على أنّه هُوَ جَلَّ جَلالُه قَدْ خَلَقَ الإنْسَانَ في أَحْسَنِ هَيْئَةٍ وأَتَمِّها وأَعْدَلِها إذ جَعَلَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ مُتَنَاسِبَ أَشْكالِ الأَعْضَاءِ قَائِماً على رِجْلَيْنِ ذَا بَصَرٍ وسَمْع وَلِسَانٍ وذَكَاءٍ وذلِكَ كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ الله عَلَيْهِ وَتكْرِيمِهِ لَهُ ، فلَهُ الحَمْدُ والشُّكرُ لا إلهَ إلّا هُوَ وهو على كُلِّ شَيءٍ قَدِير .

خـلاصـة بالدارجَة

رَبّنا حَلَفْ بِالتّين والزَّيتون وبالطور والطور دَا جَبَلْ في شِبْهِ جَزِيرَة سِينَا وهُو الجَبَلْ الْ كَلَّمْ عِنْدُه رَبّنا سُبحانُه وتْعالَى سِيدْنا مُوسَى عليهُ السَّلام. والتّينْ والزَّيتونْ هِي التّين المَعرُوف والزَّيتُونَ المُعرُوف وبَعَض المُفَسّرين قَالُوا التّين والزَّيْتُون دِيل مَسْجِد الشَّامْ ومَسْجِدْ بَيْت المُقْدِس ولكن التَّفْسِير ال ذَكَرْنَاهُ أوضَح وأرْجَح واللهُ تَعالَى أعْلَم .

ورَبّنا حَلَف بالْبَلَد الأَمِين وهُو مَكّة وسَمّاهُ رَبّنا أَمِين يَعَني أَمِن يامَنُو فِيهُ النَّاسْ فِي شَان مَكّة كَانَتْ من زمانْ الجاهلية بَلَدْ حَرامْ مَا بِيَجُوز فيه القِتَالْ ولا الصَّيْدْ .

ورَبّنا حَلَفْ بالتّين والزَّيتُون والطُّور ومَكّة - عَلَى أنُّه خَلَق الإنسانْ فِي أَحْسَنْ صُورَة وفي أَحْسَنْ هَيْئَة دَا مَعَنَى قُوله سُبْحَانُه وتَعالى : ((لَقَدْ

خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم)) ، فِي شَان الإِنْسَان عَدِيل في مَشْيتُه وكَمانْ عِنْدُه عَقُل ورَبّنا مَيّزُه باللّسانْ وكَمانْ زَيُّه سَمِح .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾

المفـــرَدَات

أَسْفَلَ سَافِلِين : قَالُوا أَي أَسْوَأَ حَالٍ ، وعَنَى بِها اللهُ تَعالَى حَالَةَ الهَرم والشَّيْخُوخَةِ الفَانِيَةِ – إِذ يَتَقَوَّسُ ظَهْرُ الإِنْسَانِ وَيَذْهَبُ عَقْلُه وَتَتَهَدَّمُ أَعْضَاؤُهُ .
وقَالُوا المُراد بِسَافِلِينَ الضِّعافَ والصِّغارَ فَأَسْفَلُ سَافِلِين عَلَى هذا هو الْكَبيرُ الْفَاني الَّذي يَصِير في دَرَجَةِ هؤُلاءِ الصِّغارِ الضِّعافِ بَعْدَ أَنْ يَتَجاوَزَ الكِبرَ ويَرْجِعَ إِلى حالٍ مثل حَالِ الطُّفُولَةِ الأُولَى .
وقَالَ آخَرُون بَل المُرَادُ من أَسْفَلَ سَافِلِين ، النَّار لأَنَّها درجَات دَرجَةٌ تَحتَ الأُخْرَى ، وهُوَّةٌ بَعْدَ هُوَّةٍ ، والدَّرَكُ الأَسْفَلُ [1] مِنَ النَّارِ هُوَ أَسْفَلُ سَافِلِين لأَنَّها هُوَّةٌ وحُفْرَةٌ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ مُقْفَلَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِب .
والَّذي يَرْجُحُ عِنْدِي واللهُ تَعالَى أَعْلَم هُوَ الْوَجْهُ الثَّاني . والمعْنَى أَن

1 - الدرك بسكون الراء وفتحها .

اللهَ سبحانه وتعالى يقولُ لَقَدْ خَلَقْنَا الانسَانَ في أَكْمَلِ صُورَةٍ ثُمَّ إِنَّ الكافِرَ يَعْمَلُ العَمَلَ الَّذي يَصِيرُ بهِ إلى جَهَنَّم أَسْفَلَ سَافِلِين مِنْ كُفْرِهِ وجُحُودِهِ .

ومِمَّا يُرَجِّحُ هذَا الْوَجْهَ أَنَّ الْهَرَم أَمْرٌ يَعْرِضُ لِبَعْضِ النَّاسِ لا لِكُلِّ النَّاسِ والآيَةُ لا تَسْتَثْني إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ وإِن قِيل إِن إِلَّا ههُنَا مُنْقَطِعَة، أُجيبَ بِأَنَّ الآيَة لا يَزَالُ فيها التَّعْمِيمُ الْمُطْلَقُ . وَنَظَائِرُها في الْقُرْآنِ مِمَّا ذكر الشُّيُوخ قَدْ جَاءَ فِيهِ مَعْنَى الاسْتِثْنَاءِ لمن لا يَبْلُغون الهَرَم مِنَ النَّاسِ ، كقوله تعالى : فَمِنكُم مَّنْ يُتَوَفَّى ومِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلى أَرْذلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ مِن بَعْد عِلْم شَيْئاً ، فَمِنْكُم ههُنا بِمَعْنى بَعْضُكم.

وكقوله تعالى : ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيوخاً ومِنْكُم من يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ . فَهذا الَّذي ذَكَرْنا أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّأْوِيلِ واللهُ تَعالَى أَعْلَم .

غَيْرُ مَمْنُونٍ : قَالُوا مَعْناها غَيْرُ مَحْسُوبٍ . وقالوا مَعْنَاها غير منقوص وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ قَوِيٌّ والْوَجْهُ الثَّاني أَقْوَى والْمَعْنَى بَعْدُ مُتَقَارِبٌ على التَّأْوِيلَيْن لِأَنَّ كُلًّا منهما يَدُلُّ على مَعْنَى كَثْرَةِ الأَجْرِ وَتَتَابُعِهِ واللهُ تَعالى أَعْلَم .

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ : قَدْ تَكُون مَا ههُنا بِمَعْنَى مَنْ فَيَكُونُ الْمَعْنَى فَمَنْ يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينِ أي بِيَوْمِ الحِسَابِ والْبَعْثِ ، بَعْدَ الشَّواهِدِ والأَدِلَّةِ البَيِّنَاتِ الَّتي يَرَوْنَها في أَنفُسِهم وفي خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ . وهذَا الْوَجْه رَجَّحَهُ الطَّبَرِي .

وقد يَكُونُ الخِطَابُ في قَوْلِهِ تَعالى : ((فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ، لابْنِ آدم أَي يا أَيُّها الإِنْسان بَعْدَ هذا الَّذي رَأَيْته مِنْ شَوَاهِدِ عَظمَةِ الله تَعَالَى وبَديعِ صُنْعِهِ ، ما الَّذي يَجْعَلُك تُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ . وعن الأَخْفَشِ أَنَّ الخِطَابَ هُنا لِرَسُول الله ﷺ. وهذا الْوَجْهُ رَفَضَهُ بَعْضُ السَّلفِ وَعَسى أن يَكُونَ لَهُ ما يُسَوِّغُهُ إِنْ حَمَلْنَاهُ على مَعْنَى الإِنْكَارِ الَّذي يُؤَكِّدُ صِدْقَ يَوْمِ الْحِسَاب ولُزومَ التَّصْدِيق بِهِ . والله تَعالَى أَعْلَم .

أي لا سَبيلَ إِلى الشَّكِّ والتَّكْذِيبِ بالآخِرَةِ بَعْدَ مَا ظَهَرَتْ شَوَاهِدُ ذلِكَ في نَفْسِ الْهَيْئَةِ الَّتي صَوَّرَ اللهُ ابنَ آدَم بِها وَبَنَاهُ عَلَيْها من شَبابٍ وَهرمٍ إِلى غَيْرِ ذلِكَ واللهُ تَعالَى أعلم .

بِأَحْكَمِ الحَاكِمِين : الباءُ مُقَوِّيَةٌ لِلْفِعْلِ لَيْس . أَيْ أَلَيْسَ اللهُ بِأَقْوى الْحُكَّامِ حُكْماً وأَعدَلِهِمْ عَدْلاً .

الخُــلاصَة

قَالَ تَعالَى إِنّنا قَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ في أَحْسَنِ تَرْكِيبٍ وَمَنَحْنَاه جَمَال الصُّورَةِ مع دِقَّةِ التَّفْكِيرِ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ ذلِكَ أَنّه جَحَدَ وَكَفَرَ وصَارَ إِلى جَهَنَّمَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ . إِلَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا العَمل الصَّالِحَ ، فإِنَّ هؤُلاءِ قَدْ شَكَرُوا وَنَجَوا مِنَ النَّارِ ولَهُم الدَّرجَاتُ الْعُلَى والأَجْرُ الَّذي لا يَنْقَطِع .

فَيَأَيُّها الإِنْسَانُ لِمَاذا تَكفر وتُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ وبِيَوْمِ الحِسَابِ ؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَعْدَلُ عَادِلٍ وأَقْوَى وَأَحْكَمُ حاكِمٍ وأَنَّكَ صَائِرٌ إِلَيْهِ آخر الأَمرِ فَيُحَاسِبُك ؟ أَو يا مُحَمَّدُ مَنِ الَّذي يُكَذِّبكَ في أَمْرِ الحِساب بعدَ الشَّوَاهِدِ والبَيِّنَاتِ الَّتي يَرَوْنَها في أَنْفُسِهِم أَلَيْسَ

اللهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمين؟ وإذا فَسَّرْنَا أَسْفَلَ سَافِلِين بالهَرَمِ وَهْوَ الْوَجْهُ الَّذي رَجَّحَهُ الطَّبَرِي بِحُجَّةِ أَنَّ الْقُرْآن إِنَّما خُوطِبَ بِهِ بَدْءاً قَوْمٌ كَانُوا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ ، قُلْنَا ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَان بَعْدَ تَمامِ صُورَتِهِ وشَبابِهِ يَصِيرُ شَيْخاً فَانِياً هَرِماً ، والَّذين آمَنُوا سَيَجْزِيهم اللهُ أَجْرَهم عَلَى إِحْسانِهم ولَنْ يُؤَاخِذَهُم عَلَى مَا بَعْدَ الْهَرَمِ وَفَناءِ الشَّيْخُوخَةِ . وتَكُون إِلَّا في هذا الْمَوْضِع بِمَعْنَى لكِن وكَأَنَّها مُنْقَطِعَةٌ ، وَكِلَا الْوَجْه الَّذِي رَجَّحَ الْإِمامُ الطَّبَرِي والَّذي قَدَّمْنَاهُ آنِفاً لَهُ ما يُقَوِّيه في التَّأْوِيلِ واللهُ تَعالى أَعْلَمُ .

خلاصة بالدارجة

رَبَّنا سُبْحانُه وتَعالى قَالْ إِنُّه خَلَق الْإِنسانْ في أَحْسَن تَقْوِيم وبَعَدِين قَال : ثم ردَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، هِنَا فِي مفسِّرين قَالُوا دِي مَعَناها وبَعدِينْ ربَّنا يَسَوِّي الْإِنْسانْ كَبِيرْ في سِنُّه أَسْفَلَ سَافِلِينَ زَيَّ الْأَطْفَالْ والمُرَضى وضَهَرُه يِتْقَوس وحَالْتُه تَبْقَى شِينَهْ. وبَعَض الْمُفَسِّرين قَالُوا أَسْفَلَ سَافِلِينْ دِي يَعْنِي جَهَنَّمْ .

وَدَا واللهُ تَعالَى أَعْلَم هُو التَّفْسِيرْ الْقَوِي ، فِي شَان ما كُلُّ النَّاسْ بِيبْقوا عَجائِزْ ولِكِنْ بِسْ بَعَضُهم . ويَكُون الْمَعَنَى إِنُّه رَبَّنا خَلَقَ الْإِنْسَان في أَحْسَنْ هَيْئَةْ، ولِكِنْ الْإِنْسَانْ بِيكْفُرْ ويَعْصَى وربَّنا بيعاقْبُه ويَعَذِّبُه ويَوَدِّيهُ أَسْفَلَ سَافِلِين يَعْني النَّار فِي شَانَ النَّارْ هِي أَسْفَلْ دَرَجَةْ لأَنَّها إِهَانَةْ وعَذَاب - بَسْ الْمُؤْمِنِين وَحَدهم ربَّنا سُبْحانُه وتَعالَى بِيتْفَضَّلْ عَلِيهُمْ وبِيجَازِيهُمْ أَحْسَنْ جَزَا وبيدِّيهُمْ أَجْراً ما بِينْقُصْ ولا بِينْقَطِعْ دَا مَعَنى غَيْرُ مَمْنُونٍ .

بَعَدِينْ ربَّنا سُبْحَانُه وتَعالى بِيقُول لابِنْ آدم دَحين انْتَ أَلْ بِخَلِّيك تكضِّب بالدِّين ، يَعَنِي بِيوم الْحِسابْ شِنُو ؟ ماكْ شَايِف بَدَايع صُنْعَ الله ومَاكَ عَارِفْ إنُّه الله هُو أَحْكَم الْحَاكِمين وباكِرْ في الْقِيامَةْ بِحْكُمْ بِيعَدِلْ وينْصِفَكَ ويَجازِي الكُفَّار على كُفُرهم ويَكافِي أَهَلَ الإِيمان بإِيمانُهم .

أَوْ يَكُون الخِطَاب لسِيدْنا رَسُول الله عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ ويَكُون مَعَنى فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينِ يَعَنِي مِنُو ال بِيقْدَرْ يَقُول انْتَ يا مُحَمَّدْ بِتكضِّبْ في البِنْقُولُه عَن يُوم الْحِسابْ ومِنُو الْ بِيقْدَرْ يكضِّبَكْ في خُصُوصْ إنُّه الْحِساب كَاينْ - بالدِّين يَعَنِي بيوم الحِسَاب - بَعَد الأَدِلَّة الْوَاضْحة البِشُوفوها النَّاس في خِلْقَةْ نِفُوسُهم هُمْ . الله سُبْحانُه وتَعالى مَاهُ[1] هُو أَحْكَم الْحَاكِمين وعَارف بِكُلُّ شِي وَيفْصِلْ بِينْكم يُومَ الْقِيامَة بالإِنْصاف ويَجازِي الْكُفَّارْ على كُفُرهم وأَهَلَ الإِيمَانْ على إِيمَانُهم وإِنْ كَانْ فَسَّرْنا أَسْفَلَ سَافِلينَ بِي حالَةَ الْكُبُرْ والضُّعُفْ نَقُول الْمَعْنَى واللهُ تَعالَى أَعْلَمْ إِنُّه رَبَّنا خَلَق الإِنْسانْ في أَحْسَنْ صُورَةْ وبَعدِين الإِنْسانْ بِيكْبَرْ ويضْعَفْ ويَرْجَع بالضُّعُفْ لِي وَرَا بَعَدْ ما كَانْ قَوِي وربَّنا بيواخْذُه عَلَى اكْتِسابُه في زَمَنْ قُدُرْتُه والمُؤْمِنين الْعَامِلْين العَمَلَ الصَّالِح ربَّنا بيدِّيهُم الأَجُرْ أَل ما بِينْقَطِعْ . دَا الْوَجْهَ التَّاني في التَّفْسِير ورجَّحُه الإِمامْ الطَّبَري رَضْيَ اللهُ عَنُّه والله تَعالِى أَعْلَم .

وتَمَّ بحَمْدِ الله وعَوْنِه تَفسِيرُ سُورَةِ والتِّين والزَّيْتُونِ .

---

1 - مادُ : ما هُو : أليسَ هو . الهاء ملحقة بما للدلالة على الغائب . يقولون : ماني ماك ماها – أي الست ، ألست ، اليست وهلم جرا .

سورة العلق

وهي مَكِّية وَهِيَ أَوَّل مَا نَزَلَ مَنَ الْقُرْآنِ وآياتُها تِسْعَ عَشْرَةَ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

المفـــرَدَات

خلَقَ : خلَقَ الأُولَى تُفِيدُ عُمُوم الخَلْق وخَلَق الثَّانِية مَع ما بَعْدَها بيانٌ لما قَبْلَها وَتأْكيدٌ .

مِنْ عَلَقٍ : أَيْ دَمٍ وهي جَمْعُ كَلِمَةِ عَلَقَةٍ والْعَلَقَةُ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ .

بالْقلم : أي بِطَرِيقِ الْقَلَمِ ، بِطَرِيقِ الْقِراءَةِ وَالْكِتابَةِ وأَداتُها القَلَم .

الخُـلاصَة

هذا أَمْرٌ مِنَ الله تَعالَى للنَّبِيِّ ﷺ لِيَقْرَأَ مُبْتَدِئاً بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّهِ الَّذي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ دَمٍ . ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ مَرَّةً أُخْرَى تَأْكِيداً لِمَا بِهِ مِنَ الْقِراءَةِ وَتِلاوَةِ آياتِ الله وَتَذَكرِها وقَالَ لَهُ إِنَّ اللهَ هُوَ الأَكْرَم الَّذي أَنْعَم على الْإِنسانِ فَأَعْطَاه فَضِيلَةَ الْعِلْمِ وعَلَّمَه أَنْ يَكْتُب وَيَقْرَأَ وَعَلَّمَه مِنْ طَرِيقِهِما ما لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُه مِنْ قَبْلِ ذلِكَ .

خلاصة بالدارجة

رَبَّنا سُبْحَانُه وتَعَالى أمرَ النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام يَقْرَأْ وقَالْ لَهْ اقْرَأْ واذْكُرِ اسِمْ رَبّكْ الْ خَلَقْ كُلّ شِي وخَلَق الإِنْسانْ مِنْ عَلَقْ يَعْنِي من دَمْ وَبَعدِين رَبَّنا كَرَّر الأَمْرْ دَا تَأْكِيدْ مِنُّه وقَالْ لِلنَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام اقْرَأْ وبَعَدِينْ ربّنا عَدَّدْ نِعَمُه على الْإِنْسانْ وقَال للنَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام رَبّك هُو الخَالِق الْكَريم الْ عَلَّمْ الْإِنْسان بالقَلمْ يَعْنِي عَلّمُه يَكْتِبْ ويَقْرا وعَلّمُه مِن طَرِيق الْكِتابة والقِرايَة الْعِلِمْ الْكَتِيرْ أل مَا كَان بِيَعْرْفُه .

تعليق :

هذِهِ السُّورَةُ أَوّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مَنَ القُرْآن وخَبَرُها مَرْوِيٌّ عن سَيِّدَتِنا عائِشَة أُمِّ المُؤْمِنِين في حَدِيثٍ رَواهُ الإِمام البُخارِي قال بِإِسْنادِهِ [1] - (فتح الباري ١-٢٤-٢٥ الخ) - عن عائِشَة أُمِّ المُؤْمِنِين رِضْوانُ الله عنها ((أَنَّها قَالَتْ أَولُ ما بُدِيءَ به رَسُول الله ﷺ مَنَ الْوَحْيِ الرّؤيا الصَّالِحَة في النَّوْمِ ، فَكَانَ لا يَرى رُؤْيا إِلّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِراءِ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَواتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلى أَهْلِهِ ، وِيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها حَتّى جاءَهُ الحَقُّ وهُوَ في غَارِ حراءِ ، فجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَال ((ما أَنا بقَارِىءٍ)) قَالَ

1 - وهو مما اتفقا عليه - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/٢ واللؤلؤ والمرجان ٣٤/١.

فَأَخذَني فَغطَّني حَتَّى بَلَغ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَني فَقَالَ اقْرأْ قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخذَني فَغطَّني الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَم . ((فَرَجَعَ بِها رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُف فُؤَادُه ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِد رَضِيَ اللهُ عَنْها فَقَال ((زَمِّلُوني زَمِّلُوني)) فَزَمَّلُوه حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وأَخْبَرَها الْخَبَر : ((لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)) فقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا واللهِ ما يُخْزِيكَ اللهُ أَبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَكْسِبُ الْمَعْدوم وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلى نَوائِبِ الْحَقِّ .

((فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسد بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ ، وكَانَ امْرَءاً تَنَصَّرَ في الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بالعِبْرَانِيَّة ما شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَت لَه خَدِيجَةُ يا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِن ابْنِ أَخِيكَ .

((فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِخَبَرِ مَا رَأَى . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هذا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى يَالَيْتَنِي فِيها جَذَعاً ، لَيْتَني أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمِثْلِ ما جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ . وإِن يُدْرِكْني يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً)) .

هذا حَدِيثُ عَائِشَة وذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مِثْلَه وَهُوَ وَاضِحٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ سُورَة إِقْرأْ هِيَ أُولَى سُوَرِ الْقُرْآنِ وزَادَ الطَّبَري فِي بَعْضِ مَا

روى أنه بَعْدَها سُورَةُ نُون والْقَلَمِ ومَا يِسْطُرون ثُمَّ بَعْدَ سُورَةِ نُون نَزَلَتْ سُورَةُ المُدَّثّر .

وفي حَديثِ جَابِر بْنِ عَبْدِ الله مِمَّا أَخْرَجَهُ البُخَاري ما يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سُورَةَ المُدَّثِّر هِيَ أُولَى سُوَرِالقرآنِ نُزُولاً لا سُورَة اقْرَأ . وذَكَرَ ابْنُ حَجَر ما يُفِيدُ جواز الجَمْعِ بَيْنَ مَعْنَى الحَدِيثَيْنِ وَذلكَ أَنْ يُقال إِنَّ المُدَّثّر أَوَّل ما نَزَل مِنَ الْقُرْآنِ بِسَبَبٍ مُتَقَدِّمٍ وهو أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَوَاتُ الله وَسَلامُه عَلَيْهِ قَدْ تَدَثَّر فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ يَأَيُّها المدَّثِر ويجوز أَنْ يُقَال إِن أَوَّلَ مَا نَزَلَ مَنَ الْقُرْآنِ اقْرَأْ .. الآيات، كَما جَاءَ في حَدِيثِ عَائِشَة كَما أَوْرَدَهُ البُخَارِي في تَفْسِيرِ سُورَةِ اقْرَأْ من قَوْلِهِ تَعالَى عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ الآيات (انظر فتح الباري ١٠ - ٣٤٧) ثُمَّ فتَرَ الْوَحْيُ ثُمَّ نَزَلَتْ سُورَةُ المُدَّثر فَحَمِيَ بَعْدَها الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ كَما في حَدِيثِ جَابِر رَضِيَ الله عنه (١٠ - ٣٠٩) - ويَجُوزُ الْقَوْل إِن مَبْدَأَ الْوَحْيِ كَانَ الرُّؤيَا الصَّادِقَة سِتَّةَ أَشْهُرٍ مَنْ شَهْرِ رَبِيع الأَوَّل عَلَى رَأسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ ﷺ إِلى شَهْرِ رَمَضَان فَنَزَلَتْ اقْرَأْ ثُمَّ كَانَتْ فَتْرَة الْوَحْيِ عَامَيْنِ وسِتَّة أَشْهُرٍ فَتِلْكَ ثَلاثَةُ أَعْوامٍ ثُمَّ نَزَلَت المُدَّثر وحَمِي الْوَحْيُ . وَعَلَى هذا يُوَجَّه قَوْلُ مَن قَال إِنَّ بَقَاءَهُ ﷺ بِمَكَّة قَبْلَ الهِجْرَة كَانَ ثَلاثَةَ عَشَرَ عاماً أَو كَانَ عَشْرَ سِنِينَ - والله سُبْحَانَهُ وَتَعالَى أَعْلَم .

خلاصة التعليق بالدارجة

المُشْهُور إنُه سُورة اقْرَأْ أَوَّل ما نَزَل من القُرآن وخَبَرها مَروِي من سَتَّنا عَائشة رَضِيَ الله عنها رَواه الْبُخَارِي ومُسْلِمْ اللهم ارض عنَّهم ، قالت سِتَّنا عائِشَة رضي الله عنها ما معناه أَوَّل بِدَايَة الوَحِي كانَتْ الرُؤْيَا الصَّالِحَة يَشُوفها النَّبي عليه الصلاة والسلام في منامُه في اللَّيل وبَاكِرْ تَجِي صَحِيحَة مِتْلَ الصَّباحْ زَي مَا شَافَها فِي نُومُه . بَعدين النَّبِي عليه الصلاة والسلام بِقى يَرِيد الخَلْوَه وكَانْ يَمْشِي لِغارْ اسْمُه حِراء في مَكَّة يِتْحَنَّث فِيهُ يَعْني يِتْعَبَّد قالت سِتَّنا عَائِشَةْ رضي الله عنَّها كان يَمْشِي يِتْعَبَّد لَيالِي في الغارْ وَيشيل زَادُهْ مَعَاهُ ويَرْجَعْ لِخَدِيجَةْ أُمَّ المؤْمِنينْ ويتْزَوَّد فِي شَان يَرْجَعْ تَانِي لِلْغارْ وبَعَدين جَاهُ الحَقُّ يَعْنِي الْوَحِي وأَمْرَ الله سُبْحانُه وتعالَى وبَعَدين جَاءَهُ الحَقُّ يَعْنِي الْوَحِي وأَمْرَ الله سُبْحانُه وتعالَى وكَانْ هُو فِي الغَارْ المَلَكْ سِيدْنا جِبْرِيلْ عليهُ السَّلامْ جَاه قَالْ لِيهُ اقْرَأْ . النَّبِي عليه الصلاةُ والسلام قَال لِيهُ أَنا ما عِنْدِي قِرَايَة أَنَا ما بَقْرَا والمَلَكْ مَسَكُه وضَمَّاهُ عَليه لَمَّانْ تِعِبْ من الضمَّة وفَكَّاه وقالْ لِيهُ اقْرَأْ قَالْ ليهُ أَنا مَانِي قَارِي أَنَا مَا بَعْرِف القِرَايَة . تَاني المَلَك ضَمَّاه لَمَّنْ تِعِبْ وقالْ لِيهُ اقْرَأْ . وهُو قَالْ لِلْمَلَك أَنَا مَانِي قَارِي وبَعَد كَدِي المَلَك ضَمَّاه المَرَّة التَّالته وقَالْ لِيهُ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقْ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَقٍ اقْرَأْ ورَبُّك الأَكْرَمُ . عَاذْ[1] النَّبِي عَليهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ رَجَع والآيات دِي ثَبَتَتْ

---

1 - عاذ بسكون الدال ظرف يكثر استعماله في الدارجة وهو شبيه المعني بعوض (عين واو ضاد) التي قول الأعشى :
بأسحم داجٍ عوض لا نتفرقُ

فِي قَلْبُه وقَلْبُه يِرْجِفْ مِن الْخُوفْ ودَخَل عَلَى زَوْجَتُه خَدِيجَةْ اللَّهم ارْضَ عَنَّها وقال لِيها زَمِّلُونِي زَمِّلونِي يَعْنِي لِفُّوني وغَطُّوني . وغَطُّوهُ لَّمَان اسْتَرَاح والرُّوعَةْ رَاحَتْ منُّه . وبَعَدين كَلَّم سِتَّنا خَدِيجَة رَضْيَ اللهُ عَنَّها بخَبَرُه . وقال لِّيها أنا والله خَايِفْ على نَفْسي .

وقَالَتْ لِيهُ تخَافْ مِن شِنُو رَبَّنا ما بِيفْضَحَكْ ، في شان انْتَ بتواصِلْ أرحَامَك والْمِحْتاج الْ مو قَادِرْ على حِمْلُه انْتَ بِتْشِيل حِمْله والْ شِي الْ ما بِيتْلَقِي عِند غِيرَك ، الشِّي الْمَعدوم انْتَ بتَدِّيهُ ، والضّيف انْتَ بِتكَرِّمُه ، والْحُوجَهْ بِتَقْضَاهَا . وبَعَدين سِتَّنا خَدِيجَة رَضْيَ اللهُ عَنَّها سَاقَتُه ومَشَتْ بِيهُ لوَرَقَةْ بْنِ نَوْفَل بْنِ أَسَدِ بْنِ عبد الْعُزَّى ودَا كَان بِيَكْتِب في الجَاهِلِيَّة وما كَان مِشْرِك وكَانْ بِيَكْتِبَ الإِنْجِيل من اللُّغَة الْعِبْرَانِيَّة وكَتَبْ كَتِيرْ في زَمَان قُدْرَتُه قَدُرْ مَا أَرادَ اللهُ سُبْحَانُه وتعالى لِيهُ . ولكن هَسَّع كَانْ كَبِير وعِمَى . وقَام وَرَقَة بْن نوفَلْ قَالْ للنَّبي عليه الصَّلاة والسلام شُفْتَ شِنُو؟ والنَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام كَلَّمُه بالشِّي الْ شَافُه . وقام وَرقَة قَالْ لِّيه : دَا ال شُفْتُه دَا هُو الْمَلَكْ ، النَّامُوس ، يَعْنِي جِبْرِيل ، ال نَزَل على مُوسَى عَليه السَّلام ، دَحِين يا رِيتْنِي جَذَع يَعْنِي يَا رِيتْنِي زُولاً صِغَيَّر في سنِّي ، ويَا رِيتْنِي أَبْقَى حَيْ وَقِتْ قُومَك يَمُرقُوك مِن بيناتُهم يا مُحَمَّد وبَعَدِين النَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام قَال لِيهُ ولَكِن هُم بِيَمْرُقُونِي . وقَال لُه وَرَقَة أَيّ - ما فِي رَاجِل

وهو في العبرانية ((عود)) بضمة يخالطها الفتح طويلة .

بَجِيبْ كَلاماً مِتِلْ كَلَامَكْ دَا إِلَّا عَادُوهُ النَّاسْ ، وكَانْ حَضَرتَ زمانَك أَمانَهْ ما أَنْصُرَكْ نَصْراً شَدِيدْ .

دَا مَعْنَى حَدِيث سِتّنا عَايْشه رَضِيَ الله عنّها وظَاهِر مِنّه ان سُورَة اقْرأْ هِيَ أَوّل سُورَة نَزَلت من القُرآن ، لَكِن في حَدِيث سِيدْنَا جَابِر انُّه سُورة يَأَيُّها المدَّثر هِيَ أَوّلْ سُورَة .

وقَالُوا مَعْنَى دَا - في شان الحَدِيثَينْ الأتنينْ صَحِيحينْ - إنُّه الوَحِي كِتِرْ وزَادْ بَعَدْ سُورَة المُدَّثر . فِي شَان الْوَحي بَدَا بالرُّؤْيَا الصَّادْقَة سِتَّة أَشْهُروفي رَمَضان نَزَلَتْ سُورة إقرأْ إلى قولُه تَعالَى ((عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم)) وبَعدينْ حَصَلَتْ فَتْرَة في الْوحي سَنتينْ ونِصفْ وبَعْدِين نَزَلَتْ سُورة المُدَّثر. وعلى القُول الأَوّل النَّبي عَليهُ الصَّلاة والسَّلام قَعَدْ في مَكّة قَبْلَ النُّبوَّة تَلاتْ عَشَرْ سَنَه وعلى التَّانِي عَشَر سِنِينْ . والقُولين الجَمْع بِيناتُن مُمكِن . واللهُ سُبْحانُه وتَعالَى أَعْلَم .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾

تنبيه :

فِي رُءُوسِ الآيَات ، لَيطْغَى ، اسْتَغْنَى ، الرُّجْعَى ، يَنْهَى ، صَلَّى ، إِمَالَةُ التَّقْلِيلِ في قِرَاءَةِ أَبي عَمْرِو ، على النَّحْوِ الَّذي قَدَّمْنَاهُ ، وليْسَت لِحَفْصٍ إِمَالَة.

وفي كَلِمَةِ رآهُ إِمَالَة تَامَّة لأَبي عَمْرٍو في أَلِف رآهُ بَعْدَ الهَمْزَةِ وَلَيْسَتْ لِحَفْصٍ إِمَالة .

المفـــرَدات

كَلَّا : المُرادُ مِن كَلَّا هُنا والله تعالَى أَعْلَمُ زَجْرُ الإِنْسَانِ على تَقْصِيرِهِ . أي إِنَّ الْإِنْسان لا يَفْعَلُ ما يَنْبَغِي من شُكْرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نِعَمِه إِذْ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَعْلَم ولكنَّه يَطْغَى .

أَنْ رآهُ اسْتَغْنَى : مَعْناها لأَن رآهُ اسْتَغْنى ، أَي لأَن رَأى نَفْسَه قَدْ صَارَ غَنِيّاً . ورآه مَعْناها رَأى نَفْسَه .

الرُّجْعَى : الرُّجُوع وذلِكَ في يَوْمِ الْقِيَامَة .

أَرَأَيْتَ الَّذي يَنْهَى : قَال الطَّبَرِيُّ ذُكِرَ أن هذِهِ الآية وما بَعْدَها نَزَلَتْ في أَبي جَهْل بْنِ هشام . وفِي الْبُخَارِي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما (١٠ – ٣٥٣) قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَئِن رَأَيْتُ مُحَمَّداً يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِه. والاسْتِفْهام ((أَرأَيْتَ)) يَدُلُّ عَلَى التَعَجُّب ، كَأَنَّ الْمُعْنَى عَجَباً لِجَهْل الَّذي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى وَلِجَراءَتِه عَلَى رَبِّهِ إِذْ يَفْعَلُ ذلِكَ . وَقَوْلُهُ تَعالَى عَبْداً إِذَا صَلَّى أَيْ رَسُولُ الله ﷺ.

الخـُـلاصَة

يَقُولُ تَعالَى : كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ، يُنْعِمُ اللهُ عَلَيْهِ وَلَا يَشْكُرُ النِّعَمَ بِالتَّقْوَى بَلْ هُوَ يَطْغَى وَيَتَكَبَّر وَيَتَجَبَّرُ عِنْدَما يَجِدُ نَفْسَه قَدْ صَارَ غَنِيّاً – انْظُرْ إِلى ذلِك الَّذي يَنْهَى

عَبْداً مُؤْمِناً حِينَ يَتَقَرَّب إِلى اللهِ بالصَّلَاةِ ، انظُر إِلى جَسَارَتِهِ وَجَرَاءَتِهِ عَلَى اللهِ وَجَهْلِه حِينَ يَفْعَلُ ذلِكَ .

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ المُرادَ ههُنا أَبوجَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ حِينَ تَوَعَّدَ أَنْ يَتَعَرَّضَ بالأَذَى لِرَسُولِ ﷺ عَنْدَ صَلَاتِهِ في الحَرَمِ عَلَى النَّحْوِ الَّذي قَدَّمْنَا . واللهُ تعالَى أَعْلَمُ .

خـلاصـة بالدارجَة

رَبَّنا سُبْحانُه وتعالى قَالْ : الإِنْسَانْ مَا بِيَشْكُر رَبُّه على نِعْمَة الْعِلِمْ والْعَقْلْ ال أَدَّاهُ إِياه لكن هُو بِيطْغَى أَوَّلْ ما يَبْقَى غَنِي .

شَوفْ مَثَلاً الْكَافِر الْ بِيَنْهَى عَبْداً مِنْ عِبَاذْ الله وَقِتْ صَلاتُه ويدُوز يِتْعَرَّض لِيهُ بالأَذَى دَا ما تِغَى[1] وتجَبَّر وارتَكَبْ الجَسارَة بِجَهلهُ وكُفْرُه على مَوْلَاهُ . قالُوا المُفَسِّرين ((الَّذي يَنْهَى)) دَا أَبْ جَهَل فِي شَان اتْهَدَّدْ وقَالْ أنا أكان لِقِيتْ مُحَمَّد بيصَلِّي فِي الحَرَم بَاطاً فُوقْ رَقَبْتُه . وقوله تعالى ((عَبْداً إذا صَلَّى)) يَعْني النَّبي عليهُ الصَّلاةُ والسَّلام .

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾

---

1 - تغى بتاء مكسورة وغين وألف لينة أي طغى من الطغيان .

تنبيه :

في الهُدى والتَّقْوى وتَولَّى إمالة التَّقْليل ولكن في يَرَى إمالَة تَامَّة لأَبِي عَمْرٍو وَحَفْصٌ لَا يُمِيل .

المفـــرَدَات

أَرَأَيْتَ إن كَانَ عَلَى الْهُدَى : أَرَأَيْتَ ههُنا مُتَّصِلَةٌ في المُعْنَى وعَائِدَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى أَرَأَيْتَ الَّتي مَرَّت من قَبْل في قَوْلِهِ تَعالَى ((أَرَأَيْتَ الَّذي يَنْهَى)) . فَالْمُعْنَى عَلَى هذا هُو : أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إن كَانَ عَلَى الْهُدَى ، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى .

أرَأَيْتَ إن كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَم بأَنَّ الله يَرَى : أَيْ إن كَانَ هُوَ قَدْ كَذَّبَ وانْصَرَف عَنِ الحَقِّ أَلا يَعْلَمُ أن الله يَراهُ .

الخُـلاصَة

يَقُولُ تَعالَى انْظُر واعْجَب لِهذا الكافِرِ - وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّه أَبُو جَهْلٍ كَما قَدَّمْنَا - الَّذِي يَنْهَى عَبْدَنا - (وهو سيّدنا مُحَمَّد ﷺ) - حِينَ يُصَلِّي وحِينَ يَتَمَسَّكُ بالحَق وَيَسيرُ على طَرِيقِ الْهُدى وحِينَ يَأْمُر بالبِرِ وَحِينَ يَدْعُو النَّاسَ إِلى تَقْوى الله وعِبَادَتِهِ - أَلا يَعْلَمُ هذا الكَافِرُ بِأَنَّ الله يَرَاهُ وَهُو يَفْعَلُ فِعْلَهُ هذَا ، أَلَا يَخَافُ مِنْ غَضَبِ الله وَعِقَابِه ؟ أَيَحْسبُ أَنَّ الله لا يَرَاهُ ولا يَعْلَمُ أمره إِذا هُو عَصَى وتجبَّر وكَذَّبَ وأَبَى وانْصَرَفَ مُبْتَعِداً عَنِ الْهُدى .

خلاصة بالدارجة

ربّنا سُبْحانُه وتَعالَى قَالْ لِلنّبي عَلِيهُ الصَّلاةُ والسَّلامْ شُوفْ الْكَافِرِ دَا الْ بِيَنْهَى عَبْدَنا الصَّالح وَقِتْ يَلْقَاهُ يَصَلِّي ، وشُوفْ الكَافِرِ دَا ال بِيَنْهَى عَبْدَنا الصَّالح وَقِتْ يَلْقَاهُ مَاسِكْ فِي سِكَّة الحَقّ ويَهدِي النَّاسْ عليُه - هُو الكَافِرْ دَا قَايِلْ رَبّنا ما هُو شَايْفُه؟ هُو فَاكِرِ نَفْسُه فِي شَان كَفَر وانْصَرَف وقَبْلْ غَادِي رَبّنا ما بْيَدْري بِيهُ ويَعَاقْبُه ؟

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾

المفـــردات

لَئِن لَّم يَنْتَه لَنَسْفَعاً : هُنا تَأْكِيدانِ أَوَّلهما باللاّم الَّتِي لِلْقَسَمِ والثَّاني بِنُونِ التَّوْكِيد الخَفِيفَةِ وهي مَكْتُوبة بهيئة أَلِفٍ وتُنْطَق نُوناً وَيَقِفُ الإِنْسَانُ عَلَيْها بالأَلِفِ . والسَّفْعُ هُوَ الأَخْذُ بِعُنْفٍ وشِدَّةٍ . والسَّفْعُ أَيْضاً التَّسْويدُ الَّذي تَفْعَلُه النَّارُ بالأَشْياءِ إِذَا لَفَحَتْها .

بالنَّاصيَة : النَّاصِيَةُ مُقَدَّمُ الرَّأْسِ وكانَتِ الْعَرَبِ إِذا ظَفِرَتْ بعدُوها وأَرادَتْ أَن تَمُنَّ عَلَيْهِ جَزَّتِ الشَّعْرَ الَّذي فِي مُقَدِّمَةِ رَأْسِهِ وَقَوْلُهُ تَعالَى لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَة أَيْ سَنُمْسِكُ بِمُقَدِّمَةِ رَأْسِهِ ، ونَأْخُذُه أَخْذاً عَنِيفاً مِنْ شَعْرِ رَأْسِه وَنَغْمِسُهُ فِي النَّارِ فَنُحْرِقُهُ في جَهَنَّم واللهُ أَعْلَمُ .

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ : هَذِهِ نَاصِيَةُ عَدُوِّ اللهِ الكَافِرِ وَصَفَها رَبُّنا جَلَّ شَأْنُه بِأَنَّها كَاذِبَةٌ وخَاطِئَةٌ لأَنَّ صَاحِبَها كَاذِبٌ وخَاطِيءٌ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

فَلْيَدْعُ نَادِيَه : نَادِيَه أَيْ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَانُوا يَمْنَعُونَهُ وَجَمَاعَتَه الَّذِينَ كَانَ يَتَصَدَّر فيهم ويَحُفُّونَ بِهِ . وذَكَرُوا أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ نَهَى الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام عَنِ الصَّلاةِ في المَقام ، فَغَضِب النبيُّ ﷺ من أَبي جَهْلٍ وانتَهَرهُ ، فَغاظَ هذا أبا جهلٍ وقالَ ما معناهُ : عَلامَ يَنْهرُني محمدٌ وأنا أكثرُ منهُ نادِياً وأَعزُّ قوْماً ، لَئِن رَأَيتُ مُحَمَّداً يُصَلِّي عند الْكَعْبَةِ لأَطأَنَّ رَقَبَتَه . فَرَبُّنا سُبحانُه وتعالى ههُنا يَقُولُ تَهْدِيداً لِأَبِي جَهْلٍ ومَنْ كَانَ عَلَى كُفْرِهِ ، لِيَدْعُ نَفَرَهُ وجَمَاعَته . وإِذَا دَعَاهُم فَإِنَّنا سَنَدْعُو الزَّبانية لِيَأْخُذُوه إِلى نَارِ جَهنَّم .

الزَّبَانِيَة : مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ قَالُوا أَرْجُلُهم في الْأَرْضِ ورُءُوسُهم في السَّماءِ وَوَاحِدُهُم زَبانٍ بالزَّاي والباءِ وأَلِف والنُّون الَّتي بَعْدَها ياءُ المَنْقُوص وَتَظْهَرُ هذِهِ الياءُ مَع الأَلِف واللَّام تَقولُ الزَّبَانِي كما تَقُول اليَمانِي .

وجاءَ فِي الْأَثر ما مَعْنَاهُ واللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لو كَانَ أَبُو جَهْلٍ قَدْ تَجَاسَرَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتي نَهَى فِيها النَّبِيَّ ونَادَى قَوْمَه ونَادِيَهُ ، لَدَعا الله الزَّبانِيَة فَسَحَبُوه فِي الحَالِ إِلى نَارِ جَهَنَّم . قَالَ البُخَارِي رَضِي اللهُ عَنْه بِسَنَدِهِ : ((قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَئِن رَأَيتُ مُحَمَّداً يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِه فَبلَغ النَّبِي ﷺ فَقَال لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ .)) (فتح الباري ١٠ – ٣٥٣) .

الخلاصة

قَالَ تَعالَى تَهْدِيداً وتَوْبِيخاً لِأَهْلِ الكُفْرِ وَتَثْبِيتاً لِرَسُولِ الله ﷺ : إذا لَمْ يَنْتَه هذا الْكَافِرِ عَنْ طُغْيَانِه وعُدْوَانِه فَإِنَّنَا سَنَأْخُذ بِنَاصِيَتِه أَي مُقَدَّم رَأْسِه أَخْذاً عَنِيفاً إِلى نَارِ جَهَنَّم . هي نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ وهُوَ كَاذِبٌ خَاطِيءٌ مُجْرِمٌ وهَذَا الكَافِرُ المُفْتَخِر بِنادِيه وجَماعَتِه ، لِيَدْعُ نَادِيَهُ وجَماعَتَهُ وأَنْصارَه فإِنَّنا سَنَدعُو الزَّبانِيَة لِتَقْذِف بِه في نَارِ جَهَنَّم .

كَلَّا يا مُحَمَّد أَعْرِضْ عَنْ هَذَا الْكَافِرِ إِعْرَاضاً ولا تُطِعْهُ ولَكِن أَطِعْ رَبَّكَ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ وادْنُ إِلَيْهِ بالعِبَادَةِ .

خلاصة بالدارجة

رَبَّنا هَدَّدْ الْكَافِرْ أَلْ نَّهَى النَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام مِن الصَّلاة وذَكَرْنا قول أَهَل التَّفْسِير إِنُّه أَبْ جَهَل ، قالْ رَبَّنا سُبْحانُه وتَعالَى أَكَانْ ما خَلَّى الكَافِر دَا طَغَاهُ ((لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ)) يَعْنِي نِحْنَ بِنَمْسِكُه من نَاصِيْتُه يَعْنِي قُصَّتُه [1] ونَرْمِيهُ فِي جَهَنَّم والنَّاصِية القُصَّة ال في أَوَّل الرَّاس فُوقَ الجَبْهة . وبَعَدِين رَبَّنا وَصَفْ ناصِيَةْ الْكَافِر دَا قَالْ سُبْحَانُه وتَعالَى ((ناصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)) يَعْنِي هِيَ كَاذِبَة وخَاطْيَه وسِيدَها هُو مُجْرِم كَضَّابْ . وابْ جَهَل كَانْ هَدَّدْ قَالْ مُحَمَّدْ ما مَعاهُ زُول

1 - القُصة : بضم القاف وصاد مشددة وهاء التانيث هي مقدم شعر الرأس في الدارجة وأكثر استعمالها للأطفال وتصح في هذا الموضع إن شاء الله تعالى .

وأنا عَزِيز وعِنْدِي النَّادِي يَعْنِي جَمَاعَة دَار النَّدْوَة وسَادَةْ قرِيش [1] ال بِيَنْصُرُوني، دَحِين أَكانْ مُحَمَّد ما تَرَكْ الصَّلاة فِي المْقام أَنا بَطَا رَقَبْتُه .

ربَّنا عَزَّ وجَل هَدَّدْ أَبْ جَهَل وكل كافِرْ يكُون مِثْلُه في حَالْ كُفْرُه وقالْ ال يَنادِي نَادِيهُ دَا ال بِيتْبَجَّح بِيه ، نِحْنَ بِنَّادِي الزَّبانية يَعْني مَلائكة العَذَاب ويشيلُوهُ يَرمُوه فِي جَهَنَّم .

وقَالُوا مَرْوِي مِن النَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام قال مَا مَعْنَاه أَكان أَبْ جَهَل فِي السَّاعَة دِيكْ نَادَى جَمَاعْتُه كَانَتْ المَلايْكَة شَالَتُه فِي الحَالْ ورَمَتُه فِي النَّار .

وبَعَدِين رَبَّنا تبارَك وتَعالَى قَال للنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، ما تَسْمَع كَلامُه الْكَافِرْ ولا تَطِيعُه ولكِن اسْجُد لِرَبَّك وصَلِّي واتْقَرَّبْ لرَبَّك بالصَّلاة والْعِبَادَة.

وتَمَّ بِحَمدِ الله وعَوْنِهِ تَفسِيرُ سُورَةِ إِقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَق .

1 - بكسر القاف والراء يخالط كسرتها وبا مها فتح ممال ونطق القاف مقارب للغين تمييزاً لها في هذا الموضع والله أعلم

سورة القدر

وهي مكيّة وفيها خَمْسُ آياتٍ

وَنَزَلَتْ بَعْدَ عَبَس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

تنبيه:

أَدْراك فِيها الْإِمالَة التَّامَّة في قِراءَة أَبي عَمْرٍو في الأَلِف الَّتي بَعْدَ الرَّاءِ وَحَفْصٌ لا يُمِيل .

واخْتَلفُوا في هَذِهِ السُّورَةِ هَلْ هِيَ مكيَّة أَو مَدَنِيَّة . ويَرَى صَاحِبُ غَيْثِ النَّفْعِ تَرْجِيحَ كَوْنِها مَدَنِيَّةً . اللهُ أَعْلَمُ .

المفــــرَدَات

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ : الضَّمِيرُ في أَنْزَلْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الْقرآن ، وقَالُوا المُرادُ أَنَّنا ابْتَدَأْنَا تَنْزِيلَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَيْ أَن الله أَنْزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ أَنْزَلَهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ .

وقَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ، أَي نَزَلَ مِن اللَّوْحِ المَحْفُوظ إِلى السَّماءِ الدُّنْيا ، حَيْثُ أَمْلاهُ جِبْرِيلُ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ عَلَى السَّفَرَةِ وَقَدْ مَرَّ عَلَيْكَ

تَفْسِيرُ السَّفَرَةِ فِي سُورَةِ عَبَس . وهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَلَائِكَةُ الكَاتِبُون الَّذينَ يَكْتُبُونَ القُرآن .

و عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُون القُرآن قد نَزَل جُمْلةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَ شَيْئاً فَشَيْئاً عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ الزَّمَخْشَرِيّ .

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ : أَي فِي لَيْلَةِ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَقَضَائِها ، والْقَدْرُ هُو التَّقْدِيرُ مِنْ قَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُه كَقَدَّرْتُه أُقَدِرُه .

وَقَالُوا بَلِ الْقَدْرُ هُوَ الْعِظَمُ فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ هِيَ اللَّيْلَةُ ذَاتُ الْعِظَمِ والْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لأَنَّه ظَاهِر التَّنْزِيل كما فِي سُورَةِ الدُّخَانِ وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى : ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِين فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أمراً مِّنْ عِندِنا إِنَّا كُنَّا مُرسِلين)) . وَقَالُوا إِنَّ لَيْلَة الْقَدْرِ فِي كُلِّ رَمَضَان وَاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ مِنْ لَيالِيهِ هِيَ فبَعْضُهم يَرَى أَنها لَيْلَةُ السَّابِعِ من رَمَضَان وبَعْضُهم يَرَى أَنَّها لَيْلَةُ السَّابع والْعِشْرين .

وهِيَ اللَّيلَةُ المُبَارَكَةُ الَّتِي ذَكَرَها اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الدُّخان كما تَقَدَّمَ حَيْثُ اسْتَشْهَدْنَا بِقَوْلِهِ تعالَى فِي ذَلِكَ ونَأْمُل أَن نُفَسِّرَه فِي مَوْضِعِه حِينَ نَصِيرُ إِلى تَفْسِيرِ سُورَةِ الدُّخَانِ إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

وَمَا أَدْرَاكَ : مَرَّ تَفْسِيرُها وذِكْرُ ما فيها مِنَ الْإِمَالَةِ لِأَبِي عَمْرِو .

خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر : أي العَمَلُ الصَّالِحُ والعِبَادَةُ فِيها أَفْضَلُ مِنْ عِبادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فيهِنَّ لَيْلَة الْقَدْرِ وقالوا إِن لَيْلَةَ الْقَدْرِ نَفْسها أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

وهَذَا غَيْرُ بَعِيدٍ جَدّاً مِنَ الْمُعْنَى السَّابِقِ لِدَلَالَتِه على بَرَكَةِ الْعِبَادَةِ والعَمَل فِيها .

تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ : أي تَتَنَزَّلُ الْمَلائِكَة .

والرُّوحُ فيها : أي وجِبْرِيلُ فيها أي في الْمَلَائِكَة .

مَن كُلِّ أَمْرٍ : أَيْ تَتَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ ومَعَها جِبْرِيلُ بِكُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللهُ تَعالَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَة إلى مِثْلِها مِنَ العَامِ التَّالي .

سَلَامٌ هِيَ : أَيْ خَيْرٌ وَسَلَامٌ كُلُّها . وزَعَمَ بَعْضُهم أَنَّ تَرْتِيبَ الْكَلامِ وَسِيَاقَه : مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ - أَي هِيَ سَالِمَةٌ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، وهَذَا التَّأْوِيلُ - والله أَعْلَمُ - لَيْسَ بِقَوِيٍّ لِأَنَّ قَوْلَه تَعَالَى سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ويُغْني عَنْهُ فبَقِيَ أَن نَجْعَلَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ تابِعَةً لِمَا قَبْلَها وهو التَّأْوِيلُ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ إن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

مَطْلَعِ الْفَجْرِ : طُلُوعِ الْفَجْرِ وهي بِفَتْحِ اللَّامِ وَقَرَأَ الكِسَائِي بِكَسْرِ اللَّام .

الخُــلاصَة

يَقُول اللهُ تَعالَى إِنّنا أَنْزَلْنا الْقُرآن فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وهَلْ تَعْلَمُ يا مُحَمَّد ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ إِنَّها اللَّيْلَةُ الَّتِي نَقْضِي فِيها بِكُلِّ قَضَاءٍ حَكِيمٍ وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، الْعِبادَةُ فِيهَا تَزيدُ فِي الْفَضْلِ عَلَى عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْر لَيْسَتْ فِيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وهي لَيلَةٌ مُبَارَكَةٌ تَتَنَزَّلُ فِيهَا الْمَلائِكَةُ مِن السَّمَاءِ وَمَعَهُم جِبْرِيلُ ، بِكُلِّ أَمْرٍ قَضاهُ اللهُ للعَامِ كُلِّه في تِلْكَ الليْلَةِ وهِيَ خَيْرٌ كُلُّها وَسَلَامٌ كُلُّها إِلى وَقْتِ طُلُوعِ الفَجْرِ .

وَقَالُوا إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَنْزِلُون ويُسَلِّمُون عَلَى عِبَادِ الله الْمُؤْمِنِين والْمُؤْمِنَات .

وذَكَر بَعضهم أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ قَوْلِهِ تعالَى ((لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)) أَنَّها خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ بَنِي أُمِيَّةَ إِذ قَدْ كَانَ أَلْف شَهْرٍ . وَذَكَرَ هؤُلَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى في الْمَنامِ مُلوك بَنِي أُمَيَّةَ يَتَعَاقَبُون على مِنْبَره ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَسَلَّاهُ اللهُ تَعَالَى بَقَوْلِه : لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنَ أَلْفِ شَهْرٍ . والرَّاجِحُ ما قَدَّمْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ وقَالَ الطَّبَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ : ((وأَشْبَهُ الْأَقْوَال في ذَلِكَ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : عَمَلٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ . وأَمَّا الْأَقْوَالُ الْأُخَر فدَعاوى بَاطِلَة لا دَلَالَةَ عَلَيْها مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ وَلا هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي التَّنْزِيل ا.هـ. والله تَعَالَى أَعْلَم وأَحْكَمُ .

خلاصة بالدارجة

رَبَّنا سُبحانه وتَعالَى بيقول ما مَعْناه إِنُّه نِحنَ أَنْزَلْنا الْقُرآنْ في لَيْلَة الْقَدُرْ وربَّنا سُبْحانُه وتَعالَى خاطَب النَّبي عَليهُ الصَّلاةْ والسَّلامْ وقَال لُه : ولَيْلَة الْقَدُرْ دِي ال عَرَّفَك بيها شِنُو يا مُحَمَّد ، لِيْلَةُ القَدُر دِي أَخِير مِن أَلفِ شَهَر يَعْنِي العِبَادَة والْعَمَل فِيها أَخِير مِن العِبَادَة والعَمَلْ فِي أَلفِ شَهَرْ ما فِيهِنْ لِيْلة الْقَدُر - دَا فِي شَان الْمَلَايْكَةْ بِتَنْزِل دُفَعْ دُفَعْ فِيها من السَّما ، وفِيهُم الرُّوح يَعْنِي سِيدْنَا جِبْرِيلْ عَليهُ السَّلامْ مَعَاهُمْ وَقِتْ يَنْزِلُوا كُلُّ أَمُرْ قَضَاه ربَّنا للعَام ال هِي فيه في شان ربَّنا بِيَقْضِي أُمُور السَّنة كُلَّها في لَيْلَةَ الْقَدُرْ ال هي لَيْلَةُ التَقْدِيرْ والتَّدْبِير عِنْد المَولَى

سُبحانُه وتَعالَى وربَّنا قَالْ انُّه لَيْلَة الْقَدُرْ دِي هِي سَلَام كُلّها وخير كُلَّها لمّان يَطْلَع الْفَجُر .

ومعنى ((لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّن أَلْفِ شَهْرٍ)) يَعْنِي الْعَمَل والْعِبَادَة فِيها مِتِل ما فَسَّرنا . وبَعَض المُفَسَّرين قَالُوا أَلِفْ شَهَرْ يَعْنِي مُلُكْ بَني أُمِيَّة فِي شَان النَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام شَافْ مِلُوكُهم فِي المَنَامْ فُوق مِنْبَرُه وحِزِن للرُؤْيا دِي والمُوْلَى سَلَّاهُ بالآية دِي لَكِن القُول دَا ضَعِيف والتَّفْسِيرْ الرَّاجِح هُو الْ قُلْناهُ والله تَعالَى أَعْلَم .

وتَمَّ بَحَمْدِ اللهِ وعَوْنِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ ا القَدْرِ .

سورة البينة

مَدَنِيَّة - نَزَلَت بَعْدَ الطَّلاق -

آياتُها ثمانٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾

المفـــرَدات

مُنفكِّينَ : من انفكاك الشَّيْئَيْن أَحدِهما عن الآخر . أي لَمْ يكونوا مُنْفكِّينَ عَنْ حَالِ كُفرِهِم حتَّى تأْتِيهم البيِّنَةُ فلَمَّا أَتتْهُمْ جحَدُوا بها .

الْبيِّنَةُ : البيَانُ والحُجَّة الوَاضِحَةُ ورَسُولُ الله ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الحق والدِّين بيِّنَةٌ مِن الله تَعالَى لِخَلْقِه دلَّهُم بها على أُلُوهِيَّتِه وَوَحْدانِيَّتِه وشَرْعِه .

يَتْلُو صُحُفاً : أي يَقْرَأُ القُرآنَ وهُوَ الصُّحُفُ المُطَهَّرَةُ مَن البَاطِلِ والصُّحُفُ هِيَ القَرَاطِيسُ الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَ عَلَيْها .

وَسَمَّى اللهُ تَعالَى القُرآن صُحُفاً لِأَنَّهُ كَانَ يُكْتَبُ في الصُّحُفِ ، أو لِأَنَّهُ نَسَخَتْهُ المَلائِكَةُ مِن اللَّوْحِ المَحْفُوظ فِي الصُّحُفِ المُطَهَّرَةِ واللهُ

تَعالَى أَعْلَمُ . وقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتْلُو القُرآنَ ويُعلِّمُه النَّاسَ فَيَتلونَه ويُعلِّمُونَه ورَوَى البُخَارِي فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ لَمْ يَكُن أَن رَسولَ الله ﷺ قالَ لِسَيِّدنا أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرآنَ قَالَ أُبَيٌّ آلله سَمَّانِي لَكَ ، قَال اللهُ سَمَّاكَ لِي ، فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكي قَالَ قَتادَةُ فأُنْبِئْتُ أَنّه قَرَأَ عَلَيْهِ - لَمْ يَكُنِ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ (فتح البارِي ١٠ - ٣٥٥) .

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُم الْبَيِّنَةُ : الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب هُم الْيَهُودُ والنَّصارى . ويَقُولُ الله تَبارَك وتَعالَى إِنَّهم لَمْ يَتَفَرَّقوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُم البَيَانُ الوَاضِحُ مِن اللهِ تَعالَى .

الخُـلاصَة

قَالَ الله تَعالَى مَا مَعْنَاه إِنَّ الْكَفَرَة مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَب عُبَّادِ الأَصْنامِ جَمِيعِهم لَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّين ومُفَارِقِين لِحالِ كُفْرِهِم هَذَا حتَّى تَأْتِيَهم بَيِّنَةٌ مَنَ الله ودَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وهي رَسُولُ الله الَّذي أَرْسَلَهُ إِلَيْهم مِن عِنْدِهِ يَقْرأُ عَلَيْهِم القُرآنَ وهو الصُّحُفُ الْمُطَهَّرَةُ الَّتِي فِيها الأَحْكامُ الوَاضِحاتُ الْمُسْتَقِيماتُ فَجَحَدُوا بِها وَكَفَرُوا . وإِنَّ أَهْلَ الكِتَابِ مِن نَصارَى وَيَهُودٍ لَمْ يَخْتَلِفوا وَيَفترِقُوا فِرَقاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُم البَيِّنَةُ مِنَ الله تَعالَى وهُم يَعْلَمُون أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مُرْسَلٌ لَهُم حَقّاً مِن قِبَلِ الله تَعالَى وقَدْ بَشَّرَتْهُم التَّوراةُ وبَشَّرَهُم الإِنْجِيلُ بِهِ فَقَدْ ضَلُّوا بِكُفْرِهِم وَجُحُودِهِم ضَلَالاً بَعِيداً .

خـُلاصَـة بالدارجَة

رَبّنا قَالْ الكَافِرين كُلّهم - أَهَلْ الكِتاب يَعْني اليَهُودْ والنَّصارى والمُشركِين يَعْني ال كَفَرُوا مِنْ أَهَل مَكّة والْعَرب ال كَانُوا بِيَعْبِدُوا الأَصْنام - قال رَبّنا ال كافِرين دِيل ما كَانُوا مُنْفَكّين مِن حَالْةَ الْكُفُر ومَفَارْقِين لِيها أَبَداً لغاية ما تَجِيهُم بَيّنَهْ هِدَايَه من الله تَعالى . وهِي رَسُول رسَّلُه الله سُبْحانه وتَعَالَى لِيهُم . يَقْرا لِيهم صَحَايِفْ طَاهْراتْ هِيَ كِتابَ الله العَظِيم والصَّحَايِفْ دِي فِيها أَحْكَام مَكْتُوبَة كَتَبَها الله على عِبَادُه ، الأَحْكامْ دِي عَدِيلَهْ وحَكِيمَه ومُسْتَقِيمَه وأَهل الكِتاب ما تْفَرّقوا فِرَقْ إِلّا بَعَدْ مَا جَاتهُمْ[1] البَيّنَة . مِتِلْ كُفّار المشركين جَحَدُوا بَيّنَة الله الْ جَاتهُمْ برسُول الله . قوله تعالى فِيها كُتُبٌ قَيّمَة : يعني أَحْكام قَوِيمَه عَدِيلَه .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾

المفـــرَدات

حُنَفاءَ : أَيْ على المِلّةِ الحَنيفِيّة وهي الإِسْلام . وهي مِلّةُ سَيِّدنا إِبْراهِيمَ وهيَ مِلّةُ التَّوْحِيدِ الخَالِصِ والصَّلاةِ والزَّكاةِ والحَجّ والعِبَادَةِ الخَالِصَةِ لله وَمَكَارِمِ الأَخْلاقِ .

وحُنَفَاءَ جَمْع حَنِيف .

---

1 - جاتهم : نطقها جيم فالف فتاء مضمومة فميم ساكنة او نون ساكنة وهو اصح والهاء لا تظهر .

دِينُ الْقَيِّمَة : أَيْ دِينُ العِبَادَةِ الْقَيِّمَةِ ودِينُ المِلَّةِ القَيِّمَةِ أي المُسْتَقِيمَةِ . وَذَكَرُوا أَنَّ هذا الحَرْف في قِراءَةِ ابْنِ مَسْعُود هُوَ : وذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمَةُ- قالوا أَنَّث الصِّفَة على مَعْنَى المِلَّة ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّاءُ لِلمُبَالَغَةِ والمَعْنى الشديدُ الاسْتِقامةِ .

الخُلاصَة

تَفَرَّقَ أَهْلُ الكِتابِ فأَكْثَرُهم كَفَرُوا بالنَّبِيِّ ﷺ وخَالَفوا فيقُول اللهُ تَعالَى ما مَعْناهُ إِنَّ أَهْلَ الكِتَابِ ما تَفرَّقُوا وفَارَقَ مِنْهُم جَماعَةٌ نَهْجَ الحَقِّ وَتَبِعُوا البَاطِلَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَاءَتْهُم البَيِّنَةُ بِرَسُولِ الله ﷺ مع أَنَّهُم لَمْ يُؤْمَرُوابِشَيْءٍ غَيْرِ أَنْ [1] يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَه ويُخْلِصُوا في العِبادَةِ ، حُنَفَاءَ أي مُنْحَرِفِينَ عَنْ طَرِيقِ الْيَهُودِ والنَّصارى مُسْتَقِيمِينَ عَلَى مَنْهَجِ التَّوحِيدِ على مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، وأَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ - فَذَلِكَ هُوَ الدِّينُ الحَقُّ وتِلْكَ هِيَ العِبَادَةُ والمِلَّةُ المُسْتَقِيمَةُ .

خُلاصَة بالدارجَة

ربَّنا سُبْحانُه وتَعالَى قَالْ : النَّصارى واليَهُود ما اتْفَرَّقُوا إِلَّا بَعَدْ ما جَاتهمْ بَيِّنَة الحَق وكَفرُوا بِيها مع إِنُّه رَبَّنا مَا أَمَرهُمْ بِي شِي غِيرْ كُونهم يَعْبُدُوه مُخْلِصينْ في الْعِبادَة ويَكُونوا حُنَفا يَعني مايْلين من طَريق الْيَهُود والنَّصَارى ومَاشِين على السِّكَّةْ العَدِيلَهْ وهي مِلَّةْ سِيدْنا إِبْراهيمْ وهِي

---

1 - غير لك في رائها الفتح للبناء والكسر عطفاً - قال طرفة ((على غير شيء قلته غَيْرَ انني)) البيت . وانشدوا :

لم يمنع الصوت منها غير أن سمعت حمامة في غصونٍ ذات أوْقالِ

والأوقال ثمر الدوم ههنا والله أعلم .

الإِسْلامْ ويصَلُّوا ويزكُّوا وأَكَانْ سَوُّوا كَدِي يَكُونُوا اتَّبعُوا الدِّينَ المُسْتَقِيم والمِلَّة العَدِيلَة فِي شَان دِي هِي المِلَّة العَدِيلَة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

تنبيه :

في نَارِ جَهَنَّم - فِي قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرِو إِمَالَة تَامَّةٌ فِي أَلِفِ نَار بِسَبَبِ الرَّاءِ المَكْسُورَةِ المُتطَرِّفَة بَعْدَها وَلَيْسَتْ لِحَفْصٍ إِمَالَة .

المفــرَدَات

خَالِدينَ فِيها	: بَاقِينَ فِيهَا ومَاكِثِينَ فِيهَا .
خيرُ البَرِيَّةِ	: البَرِيَّة : الخَلْقُ والنَّاسُ . تَقُولُ بَرَأَ اللهُ النَّاس أَيْ خَلَقَهُم فَهُمْ بَرِيَّةٌ أَيْ مَخْلُوقون . وَقَرَأَ نافِعٌ : البَرِيئَة بالهَمْزَة .
جَنَّاتُ عَدْنٍ	: الْعَدْنُ بسُكونِ الدَّالِ هُوَ الإِقَامَةُ . فَجَنَّاتُ عَدْنٍ مَعْنَاها الجَنَّاتُ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا المُؤْمِنُون أَبَداً وَلَا يرْحَلُون . أَو عَدْنٌ اسم للجَنَّة .
لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه	: لِمَن خَافَ رَبَّه واتَّقاه .

الخـُـلاصَة

يَقُولُ تَعالَى إنَّ الكَافِرينَ مَنَ اليَهُودِ والنَّصارى ومُشْركي الْعَرَب كُلُّهم مَصِيرُهم إلى نَارِ جهَنَّم ، حَيْثُ يَمْكُثُونَ فِيهَا ، فِي الْعَذَابِ الأَلِيم . وَهَذَا جَزاؤُهم الحَقُّ لأَنَّهُم هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ مِنْ أَجْلِ كُفرِهِم وَعِنادِهِم . أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللهِ وبِرسَالَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَعَمِلُوا الأَعْمالَ الصَّالِحات فأُولئكَ أَفْضَلُ الخَلْقِ وأَعَدَّ اللهُ لَهُم جَزاءً كَرِيماً وذَلِكَ أَنَّهم سَيَدْخُلُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ ، أَيْ خِلالَها وتَحْتَ أَغصَانِها وبَيْنَ رِيَاضِها ، وهُم يَبْقُون فِي هَذِهِ الجَنَّات أَبَداً لا يَخْرُجُونَ مِنْها واللهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِم بِكَرَمِهِ وَرِضاه ، وهُم شَاكِرُونَ رَاضُون عَمَّا أَعْطَاهُم رَبُّهم .

هَذَا الجَزَاءُ الْعَظِيم والْخَيْرُ العَمِيم أَعَدَّهُ اللهُ لِمَنْ يَخْشاهُ وَيَخافُه مِن عِبادِهِ .

خـُلاصَـة بالدارجَة

ربَّنا سبحانه وتَعالَى يَقول ما مَعْناه الكُفَّار كُلُّهم - سَواءٌ كَانُوا مُشْركين أَو مِن اليَهُود والنَّصارى - مصيرهُم [1] إلَى نَارْ جَهَنَّم ويِتْخَلَّدُوا فِيها وهم شَرّ الخَلق جَمِيعاً دَا مَعْنَى ((أُولئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّة)).

لكن الْمُؤْمِنينْ الْ آمنُوا بالله ويالرَّسُولْ وعَمَلوا عَمَلْ الخَير، دِيلْ أَحْسَن الخَلِقْ دَا مَعْنَى ((أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّة)) .

1 - النطق ميم وصاد مكسورة مشبعة بياء وراء مضمومة وميم ساكنة أو نون والهاء لا تظهر او لا تكاد تظهر والله اعلم.

وجَزاهُم جَنَّاتْ عَدَنْ الجَارِيَة فِيها الأَنْهارْ نِعْمَةْ من اللهْ وهُمْ يِتْخَلَّدُوا فِيهَا طَوَّالِي ورَبّنا رَاضِي عَنَّهُم وهم رَاضِين عَنْ رَبّهُم فِي شَان أَدَّاهُم العَطَا السَّمِحْ .

والخَيْر دَا أَعدَّاهُ لِي مَنْ بيخَافْ مِن رَبُّه وبِيَطِيعُه يَعْنِي رَبَّنا أَعدَّاهُ للإِنْسان الْ بِيَخَافْ مِنُّه ومُومِن بِيهُ وبيَطِيعُه . دَا مَعْنَى ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ .

وَمَعْنَى عَدْن فِي اللُّغَة السُّكُونْ والاقَامة وجَنَّاتُ عَدْنٍ يَعْنِي الْ فِيها السّكون في النِعْمَة مُسْتَمِر وقَالُوا عَدْن من أَسْماءِ الجَنَّة والله تَعالَى أَعْلَم.

وتَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ لَمْ يَكُنْ .

سورة الزلزلة

وهي مَدَنِيَّة وآياتها ثمانٍ

نَزَلَت بَعْدَ النِّساءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) ﴾.

المفرَدات

إذَا : شَرْطٌ جَوابُه- تُحَدِّثُ أَخْبَارَها.

زُلزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا : بِكَسْرِ الزَّاي أي زَلْزِلَت زِلْزَالًا وفي المَجِيء بالضَّمِيرِ وهو يَعُودُ عَلَى الأَرْضِ زِيادَةٌ لِلْمعْنَى وتَقْوِيَةٌ لِلتَّأْكِيد المُسْتَفَادِ مِنَ المَفْعُول المُطْلَقِ والعَرَب تَقُولُ أكرمتُكَ كرامَتَك أي كَرامةً وفي الضَّمِيرِ ما ذَكَرْنَا مِنْ مَعْنَى التَّوْكِيدِ والله تعالَى أَعْلَم.

أَثْقَالَهَا : مَا فِي بَطْنِها مِنَ الـمَوْتَى والكُنُوزِ – وهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعالَى-وأَلْقَتْ مَا فِيها وتَخَلَّتْ. والله تعالَى أَعْلَمْ.

الإِنسَانُ : ذَكَرُوا أَنّه الكَافِرُ وذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ لا تَقُومُ إِلَّا على الكُفَّارِ

لِأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى يُرْسِلُ رِيحاً طَيِّبَةً تَقْبِضُ نُفُوسَ الْـمُؤْمِنِين فلا يَشْهَدُونَ أَهْوَالَ السَّاعَةِ وإِنَّما يَشْهَدُها الكُفَّارُ. واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ.

تُحَدِّثُ أَخْبَارَهاَ : أي تُبَيِّن أَخبارَها وذَلِكَ بارْتِجاجِها وإِخْرَاجِها ما فِي بَطْنِها مِنَ الْـمَوْتَى وسَيْرِ جِبالِها وَهِياجِ بِحارِها. وقَالُوا بَلْ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا أَي تَتكلَّمُ بِلِسَانٍ وَاضِحٍ وتَقُول إِنَّ رَبِّي أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَتَكَلَّمَ واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا : إذا جَعَلْتَه تَابِعاً لِقَوْلِهِ تعالَى تُحَدِّثُ أَخْبَارَها فَقَدْ مَرَّ بِكَ تَفْسِيرُه إن جَعَلْتَ تُحَدِّثُ بِمَعْنَى الْكَلام.

وإِنْ جَعَلْتَ تُحَدِّثُ بِمَعْنَى تُبَيِّنُ فَيُكُون الْمَعْنَى أَنَّها تُبَيِّن أَخْبَارَها بِارْتِجَاجِها ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْها أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ.

الخُـــلاصَة

يَصِفُ اللهُ تَبارَكَ وتعالَى أَهْوَالَ السَّاعَةِ ومُقَدِّماتِ القِيامَةِ فيَقول حِينَ تَرْتَجُّ الأَرْضُ أَيَّما ارْتِجَاجٍ وتُخْرِجُ ما في بَطْنِهَا من الخَبايا وَريعَ النَّاسُ وخَافُوا وقالَ الكَافِرُ- إِذْ لَيْسَ على الأَرْضِ آنئذٍ مُؤْمِنٌ – ما لِلأَرْضِ تضطَّرب وتَنْشُر ما في بَطْنِها- في ذَلِكَ الوَقْت الذي تَنْشأُ فِيه هَذِهِ الأَشْياءُ، تَتكَلَّم- هَذَا هُوَ هُوَ كَلَامُها.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تُبيّن الأَرْض للنَّاسِ ما أَصَابَها وهو عَلامَات الْقِيامة ما كانَ مِن ارْتِجاجِها وخُروجِ ما في بَطْنِها عَلَى ظَهْرِها وأَنَّها لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ إِلّا بِأَمْرِ الله تَبارَك وتَعالَى وَوَحْيِه. واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

خُلاصَة بالدارجَة

ربّنا سبحانه وتعالى بِيوَصِّف لَنا أحْوال السَّاعَة والقِيامَة قَالْ لنا وَقِتْ تِتْزَلْزَل الأَرِض أشدَّ زَلْزَال وتمْرُق الْ فِي بَطْنُهَا[1] دَا مَعْنَى- وأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها-وَوَقِت الكَافِر يَشُوف دَا يَقُول الأَرِض دِي مَالَهَا- دَا مَعْنَى وقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا- وقَالُوا الْإِنْسَانُ هِنَا مَعْنَاها الكَافِر فِي شَانَ الْ بِيَحْضَرُوا السَّاعة كُلّهم كُفَّارْ، فِي شَان قبل زَمَنْ السَّاعَهْ بتَجِي رِيح طَيِّبَه وتَقْبُض أرواحَ الْمُؤْمنين.

أَها فِي السَّاعَة دِيكْ الأَرِض تِتْكَلَّم وتقُول رَبَّنا أَوْحَى لَيْ اتكلّم مَعَاكُم يا نَاسْ. وكَلامَها دَا يكونْ بلِسانْ واضِحْ.

وفِي مُفَسّرين قَالُوا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَها ما مَعْنَاه تتكلم بِلْسَانها ولَكِنْ تِتْكَلَّم بعبارَةْ أحوالها- ارْتِجَاجها ومُرُوقَ الحاجاتْ مِنَّها دَا كُلّه كَلَامْ، وكُلُّه حَصَل بوَحِي وأَمُرْ مِن الله سُبْحَانُه وتَعالى- واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

﴿ يَوْمَئِذٖ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتٗا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾.

---

(1) النطق باء مفتوحة وطاء مضمومة ونون مفتوحة بعدها ألف كأن هاء المؤنثة صارت كلها مع النون فتحة وألفاً وكذلك ما لها تنطق ما لا. والله أعلم.

المفرَدات

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً : أي يَخْرُجُونَ أَشْتاتاً أَفْراداً مُتَفَرِّقِينَ بَعْضُهم آخِذٌ بِاليَمِينِ وبَعْضُهُم آخِذٌ بالشِّمالِ وَهُم فِي أَشَدِّ الفَزَع والاضطِّرابِ.

لِيُرَوا أَعْمالَهُم : أَيْ لِيُرِيهُم اللهُ تَعالَى أَعْمالَهُم- أي يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُرِيَهُمُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى أَعْمالَهُم. وَبَعْضُهم جَعَلَ الكَلَامَ هٰهُنا مُتَعَلِّقاً بِحَدِيثِ الأَرْضِ- أَيْ تَقُول الْأَرْض إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى أَوْحَى لَهَا أَنْ تُخْرِجَ الْأَمْوات لِيُرَوْا أَعْمالَهُم والوَجْهُ الْأَوَّلُ أَقْوَى واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ.

وَقَرَأَ بَعْضُهم «لِيَرَوْا أَعْمالَهُم» بالبِنَاءِ لِلْمَعْلُوم وَلَيْسَت الْقِراءَةَ المَعْمُولَ بِها.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً : أَيْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً : أَيْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ. والمِثْقَال: الْوَزْن. والذَّرَّةُ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ أَو القِطْعَةُ الصَّغِيرَةُ مِنَ الغُبَارِ الَّتي تَلْمَعُ في ضَوْءِ الشَّمْسِ.

قَالُوا إِنَّ سَيِّدَنا أَبَا بَكْرٍ ﷺ بكَى مِنْ هَذِهِ الآيَة «وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ» فعزَّاهُ النَّبي ﷺ بِأَنَّ اللهَ عز وَجَلَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِين. وقَالُوا إِنَّ المُؤْمِن يَرَى جَزَاءَ

سَيِّئَاتِهِ فِي الدُّنْيَا بِأَن تُعَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا وِيَرَى جَزَاءَ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، والكَافِرُ يَرى جَزَاءَ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وعِقَابَ سَيِّئَاتِهِ فِي الآخِرَةِ. وهَذَا القَوْل فيه عَزَاءٌ وَتَسْلِيَةٌ لِلمُؤْمِنِينَ وَتَثْبِيتٌ لَهُم إِلَّا أَنَّ ظَاهرَ الآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الكَافِرَ والمُؤْمِنَ عَلَى السَّوَاءِ يَرَوْنَ أَعْمَالَهم يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَيْس اللهُ تَعالَى يَقُول: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوا أَعْمَالَهُم- وَعَنَى بِقَوْلِه تَعالَى يَوْمَئِذٍ يَوْمَ القِيَامَة. واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعالَى يُحَاسِب عِبَادَهُ وَيَجْزِيهِم بِأَعْمَالِهِم وإِن شَاءَ عذَّبَ وإِن شَاءَ غَفَرَ وقَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ المَغْفِرَة والرَّحْمَةَ الوَاسِعَةَ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. والله تَعالَى أَعْلَمُ.

الخُلاصَــــة

يَقُولُ تَعالَى فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَوْمِ القِيَامَةِ، يَخْرُجُ النَّاسُ أَشْتَاتاً كالإِبِلِ الَّتِي صَدَرَت مِنْ مَوْرِدِها، ثُمَّ يُسَاقُونَ لِيُرِيَهُم اللهُ أَعْمَالَهُم وإِنَّهم لَسَوْفَ يَرَوْنَ ما عَمِلُوهُ جَمِيعاً فَمَنْ عَمِلَ أَدْنَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ ولو كَانَ وزْنُه وزْنَ الذَّرَّةِ فإِنَّهُ يَرَاهُ ومَنْ عَمِلَ أَدْنَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ ولو كانَ وَزْنُه مِثْلَ الذَّرَّةِ فَإِنَّه يَرَاهُ واللهُ لا يَظْلِمُ أَحَداً إِنَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ عادِلٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

خُلاصَة بالدارجَة

رَبَّنا قَالْ سُبْحانُه وتَعالَى وَقِتْ الأَرِضْ تِتْرَجَّ وتَمْرَقَ الْ فِيهَا وتِتْكَلَّم، بَعَدينْ النَّاسْ يَمْرُقُوا مَشَتَّتين فِي شَان يُورِّيهُم رَبَّهُم عَمَلُهم ويَشُوفُوهُ. دَحِين يُوم القِيامَة الزُّولْ بِشُوفْ كُلُّ شِي عَمَلُه- إن كَانْ سَوَّى مِثْقالْ ذَرَّةْ مِن عَمَل الخَير يَشُوفَها- ومِثْقالَ ذَرَّة يَعْنِي وَزْن الذَرَّةْ والذَّرَّةْ يَعْنِي النَّمْلَة الصَّغِيرَةْ ويعني الهَبُّويَة[1] ال بِتْبِين فِي الضَّوْ- أكَان الزُّول عَمَلْ خَير قَدُرْ دَا يَشُوفُهْ وإنْ كَانْ عَمَلْ شَرْ قَدُرْ دَه يَشُوفه. وقَالُوا سِيدْنا بَابَكرْ الصِّدِّيق بَكَى لَـمَّا سِمِعْ الآيَة دِي والنَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام خَفَّفْ عَلِيهُ وقال ما معناه إنُّه رَبَّنا بِيَغْفِر الذُّنُوب لعبادُه الصَّالِحِين وسِيدْنا أبو بَكر لا شَكْ مِن الصَّالِحين اللَّهُم اغْفِرْ لَنا ذُنُوبنا وأَلْحِقْنا بالصَّالِحِين.

وتَمَّ بِحَمْدِ الله وَعَوْنِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الزَّلْزَلَة.

(1) الهبّوية: ألف لام هاء مفتوحة وباء مشددة مضمومة بضمة ممالة إلى جهة الفتح بها واو كذلك ثم ياء مفتوحة وهاء التأنيث أي الهباوة.

سورة والعاديات

وفِيها إِحْدَى عَشَرَة آيَةً

نَزَلت بَعْدَ الْعَصْرِ وهي مَكِّية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾.

المفرّدات

الواو : لِلْقَسَمِ وجَوابُ الْقَسم إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود. وقَالُوا أَقْسَمَ اللهُ بالعَادِيَاتِ والْـمُورِياتِ والْـمُغِيرَاتِ، وهَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ بِهِ اللهُ ولا يَعْلَمُ تأْوِيلَه إِلَّا الله سُبحانَه عَزَّ وجَلَّ.

والعَادِياتِ ضَبْحاً : أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعالَى بالعَادِياتِ ضَبْحاً. واخْتَلَفُوا فِي العَادِياتِ ضَبْحاً ما هِيَ وقَدْ بَيَّنا قَوْلَ بَعْضِهِمْ. وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ العَادِيَاتِ ضَبْحاً هِيَ الْخَيْلُ لِأَنَّها تَعْدُو أَيْ تَجْرِي وتَضْبَحُ أَيْ تُحَمْحِم ورَووا عِنِ ابن عَبَّاسٍ أَنَّه كَانَ يَقُولُ. أَحْ أَحْ. وتَأْوِيلُ الْكَلَام عَلَى جِهَةِ النَّحْوِ أَيْ والعَادِيَاتِ عَدْواً ذَا ضَبْحٍ لأَنَّ الضَّبْحَ هُنا فِي مَكَانِ الْـمَفْعُولِ

الـمُطْلَقِ فَهُوَ نَائِبٌ عَنْهُ. أَوْ عَدْواً ضَبْحاً أي هَذِهِ صِفَتُهُ والله أَعْلَمُ.

ورَوَوْا عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أن العَادِيات ضَبْحاً هِيَ الإِبل وضَبْحاً عَنَى بِهِ تَنَفُّسَ الإِبلِ.

فالْـمُورِياتِ قَدْحاً : الفَاءُ عَطْف. والـمُورِيات من أَوْرَى إِذا أَوْقَدَ. والقَدْحُ هُو قَدْحُ النَّار. فالْـمُورِيات قَدحاً مَعْنَاها اللَّوَاتِي يُوقِدْنَ النَّارَ ويَقْدَحْنَها، ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْلَ تَصُكُّ الْحِجَارة بِحَوَافِرِها فتُوقِدُ النَّار في الْحِجَارَةِ فَتَرَاها تَلْمَعُ باللَّيْلِ. والَّذِينَ أَخَذُوا بِتَأْوِيلِ مَنْ قَالَ هِي الإِبل فَيَرَوْنَ أَنَّ الإِبل تَقْذِفُ بالْحِجَارَةِ فِي جَرْيِها فَتَصْطَكُّ الْحِجَارَة فَيَرَى لَهَا الْـمَرْءُ لُمعاً.

وقَالَ قَوْمٌ الـمُورِياتِ قَدْحاً هِيَ الْأَلْسِنَة لأَنَّها تُورِي نَار الْعَدَاوَةِ وتَقْدَحُ فِي النَّاسِ أَيْ تَذمُّهم فَوَصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعالَى مَكْر النَّاسِ هَهُنا.

وقَالَ آخَرُونَ لا بَلْ عَنَى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى نَارَ الْحَرْب لِأَنَّ الْخَيْلَ يُوقِدْنَها فَهَذَا هُوَ مَعْنَى الـمُورِيات.

فالْـمُغِيرَاتِ صُبْحاً : أَيْ اللَّاتِي يُغِرْنَ فِي الصَّبَاحِ وقَالُوا هِيَ الْخَيْلُ لِأَنَّ الْغَارَة كَانَتْ تَكُون صَبَاحاً- قالَ تَعالَى: أَفَبِعَذَابِنا يَسْتَعْجِلُون فإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِم فَسَاءَ صَباحُ الْـمُنْذَرِين وهَذَا إِشَارَة إِلى عَادَةِ الْـعَرَب مِنْ شَنِّ الغَارَةِ صَباحاً.

والَّذِينَ قَالُوا إِنَّهَا الْإِبلُ قَالُوا إن أَغَار الْـقَوْم الَّذِين عَلَى الإِبلِ حَتَّى أَصْبَحُوا أَيْ أَفَاضُوا مِنَ الْـمُزْدَلِفَة إِلى منًى فِي مَوْسِم الْـحَجِّ فَهَذِهِ إِغارتُهم.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً : النَّقْعُ هُوَا الْـغُبَار. أَي هَذهِ الْـخَيْلُ أَو الإِبل تُثِيرُ نَقْعاً أَي بِالْـجَرْيِ أَو فِي الْـمَكَانِ الَّذِي يُغِرْنَ فِيهِ ويَعْدُون فيه. وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الصَّبَاح وهو وَقْتُ إِغارتهن. ورَدُّ الضَّمِيرِ إِلى مَعْنَى الـعَدْوِ أَي الْـجَرْيِ أَقْوَى وردُّه إِلى الْـمَكَانِ أَيْضاً قَوِيٌّ والله تَعالَى أَعْلَمُ.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً : قَرَأَ بَعْضُهم فوسَّطْنَ بِتَشْدِيدِ السِّين والْـمَشْهُور فَوَسَطن بِتَخْفِيفِ السِّين. أَي تَوَسَّطْنَ بِه جَمْعاً أَيْ صِرْنَ في وَسْطِ جَمْعٍ مِنَ الْـجُمُوعِ، أَيْ جُمُوعِ الْـمُقَاتِلِين هَذَا عَلَى تأْوِيلِ أَنَّها الْـخَيْل أَو جُمُوعِ الحُجَّاج هَذَا عَلَى تَأْوِيلِ أَنَّها الإِبل. والضَّمِيرُ فِي بِهِ يَعُودُ عَلَى الْجَرْيِ أَو عَلَى الغُبَارِ أَوْ عَلَى الْـمَكان أَوْ عَلَى الْـوَقْتِ عَلَى قَوْلِ الزَّمَخْشَرِي. وقِيلَ عَنى بِقَوْلِهَ (جَمْعاً) ههُنَا جَمْعَ الكُفَّار. وقِيلَ عَنَى بِه مُزْدَلِفَه وتُسَمَّى جَمْعاً لأَنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا.

لَكَنُود : أَصلُ مِنَ الْأَرْضِ الْكَنُودِ الَّتي لا تُنْبِتُ شَيْئاً وَمَعْناها لَكَفُورٌ أَي الإِنْسانُ يَكْفُر بِنِعْمَةِ رَبِّه.

هَذَا والرَّاجِحُ والله تَعالَى أَعْلَمُ أَنَّ الْـمُرَادَ هُنا الْـخَيل

والْإبل مَعاً. وَلَا حُجَّة لِمَن احْتَجَّ لِلتَّأْوِيل بالإبل وَحْدَها بِأَنَّ أَصحابَ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَكُن مَعَهُم في غَزْوَةِ بَدْرٍ غَيْرُ فَرَسَيْنِ إِحدَاهُما للزُّبَير والأُخْرَى لِلْمِقْدادِ- ذَلِكَ بِأَن هَذِهِ السُّورة مَكِّية بالْإِجْماع وذَلِكَ قَبْلَ بَدْرٍ واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

وإذ هِيَ مَكِّية فَأَقْرَبُ شَيءٍ لأَن يَكُون بِهِ الْقَسَم هُوَ الْإِبل إذْ عَلَيْهَا كَانَ يَفِدُ الْقَوْمُ لِلْحَجّ. وقَدْ وُرِّي بالخَيْلِ عِنِ الْإبل إِذِ الصَّبْح مِن صِفَة الْخَيْلِ وكَذَلِكَ الإغَارَة صُبْحاً وكَذَلِكَ إِثَارَةُ النَّقْعِ، ولَكِن الإبل أَيْضاً قَدْ تُثِيرُ النَّقْعَ والحَصَى قَالَ المثقب العَبْدِي:

تَصُكُّ الحَالِبَيْنِ بِمُشْفَترٍّ ... لَهُ صَوْتٌ أَبَحُّ مِنَ الرَّنِينِ

وقَدْ تُوصَفُ الإبل بِصِفاتِ الْخَيْلِ كَما قالَ تَعالَى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ . وهَذَا أَشْبَهُ بِوَصْفِ الْخَيْل مَعَ أَنّه فِي وَصْفِ الْإِبل أَو في وَصْفها مَعاً والله أَعْلَمُ.

وقَالَ سُويد بْن أَبِي كَاهِل:

كالْـمَغالي عَارِفاتٍ للسُّرى ... مُسنَفاتٍ لَمْ تُوَشَّم بالنِّسَعْ

فَذَكَرُوا أَنّه وصَف خَيْلاً وأَطْلَقَ عَلَيْها صِفاتِ الإبل إذ قوله «مُسْنَفَاتٍ» من نَعْت الْإبل: وظَاهِرُ الْوَصْف لِلْخَيْلِ لكن يَجُوزُ أَن تكوَ الْإبل هِي المُرادَة عَلَى سَبيلِ التَّوْرِيَة

والتَّعْمِيَةِ إعْجازاً لِلْكافِرين. وعَلَى هَذَا يَصِحُّ لَنا أَن نَتأَوَّلَ التَّأْوِيلَين مَعاً. واللهُ تعالَى أَعْلَم.

الخُــــلاصَـــة

أَقْسَمَ تَعالَى بالْإبل والخَيْلِ إذ تَعْدُو وتُحَمْحِم وَتَتَنَفَّسُ في جَرْيِها وتُوقِدُ النَّارَ فِي الحِجَارَةِ إذ تَصْطَكُّ بَعْضُها بِبَعْضٍ وإذ تُغِيرُ صُبْحاً (من الغارَة الْـمَعْرُوفَةِ إذَا كَانَت فِي الصَّبَاحِ أَو مِنْ دُخُولِها فِي مُزْدَلِفَة وَقْتَ الصَّباح) وإِذْ تُثِيرُ الْغُبَار بِجَرْيِها وإذ تَتَوَسَّطُ بِهِ جُمُوعَ القِتَالِ أَو جُمُوعَ الحُجَّاجِ، وأَقْسَمَ كُلَّ هَذَا الْقَسَم لِيُؤَكِّد أَنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ وكَنُودٌ بِنِعَمِ رَبِّه عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ تَبارَك وتَعالَى وإِنَّه على ذَلِكَ لَشَهِيد أَيْ إِنَّ الله يَشْهَدُ عَلَى كُفْرانِ الإِنسَانِ أَنَّ الْإِنسَانَ عَلَى الْمَالِ حرِيصٌ ويُحِبُّه حُبّاً جَمّاً. هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالَى إِنَّه لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد. أَيْ هُو لَشَديدُ الْحُبِّ لِلْخَيْرِ والخَيْر مَعْناها الْمَال. فإذْ تُرِكَتِ الْإِضَافَة جِيء مَكَانَها بِاللَّام وأُخِّرَ الخَبَر مِن أَجْلِ الْفَوَاصِل وتَقْوِيَةِ الْـمَعْنَى وإِظْهَارِه.

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾.

الخُــــلاصَـــة

يَقُولُ تَعالَى: أَلَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنَّه فِي يَوْمِ الْقِيامَةِ حِينَ يُبَعْثَرُ ما فِي القُبُورِ فَيَخْرُجُ أَمْوَاتُها قياماً أَحْياءً يَنْظُرُون وحِينَ يُحَصَّلُ ما فِي الصُّدُورِ أَيْ حِينَ يَبِينُ ويَظْهَرُ ويُحَصِّلُه اللهُ تَعالَى فِي الصَّحَائِفِ الْـمَنْشُورَةِ أَلا يَعْلَم الْإِنْسَانُ أَنَّ اللهَ خَبِيرعَارِفٌ بِأَفعَالِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ.

خُـلاصَـة بالدارجَـة

رَبّنا سُبْحانه وتَعالَى حَلَف بالخَيْل وسَمّاها العَادِيَاتِ ضَبْحاً يعني الجَارْيات وبِتَحَمْحِم فِي جَريِها دَا مَعْنَى ضَبْحاً وحَلَف بِيها تَانِي وصَفها وقال هِي بِتُوقِد النَّار في الحُجَاره وَقِتْ تَضْرُبها بيحَوافِرها وتِنْقَدِح وَقِتْ بَعَضها يَضْرُب بَعَض دَا مَعْنَى فالْـمُوريات قَدْحاً وبَعَدين حَلَف بِيها ووصَفَها وقالْ وهِنْ بِغِيرَنْ عَلَى الْـعَدُو فِي الصَّبَاح ويَتوَّرَنْ الغُبَار بجَرِيهِنْ دَا مَعْنَى فأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً النَّقْع هُوَ الغُبَار وأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً يَعْنِي تَوَّرَنْ غُبَارْ وبَعَدين هِنْ بِيتْوَسَّطْن وَسْطَ العَدُوّ- دَا مَعْنَى فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً-رَبَّنا حَلَفْ بالخَيل دِي على إِنُّه الْإِنْسَان كَافِرْ بِنِعْمَة رَبُّه دَا مَعْنَى: إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّه لكَنُود-وهي جَوَابَ الْقَسَمْ الْ فَاتْ-والْإِنسَانْ وَقِتْ هو بِيكْفُرْ بِنِعْمَةْ رَبُّه رَبُّه شَاهِدْ عَلَى فِعْلُه دَا وعَارْفُه. وكَمانْ الْإِنْسَان بحبّ الْـمَال حُبّاً شَدِيدْ. دَا مَعْنَى وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد. وبَعَدين رَبّنا سُبْحانُه وتَعالَى بِيلُوم الإِنْسانْ قَالْ: هُو مو عَارِف وَقِتْ بِتْبَحْتَر ال فِي الْقُبور يَعْنِي يَوم القِيامة وَقتْ يَقُومُوا النَّاس من الْقُبور وتِبُحْتَر بِيهُم يَعْني بْنبُحْتُوا ويَمْرُقُوا مِنَّها وربّنا يَحصّل الْ في صُدوُرهم يَعْني بَيِّنْه ويَمُرُقُه بَرَّه حَتَّى بِتْعَرِف- رَبّنا سُبحانه وتَعالَى بِيقُول الْإِنْسان مُو عَارِفْ إِنُّه ربّنا عَزّ وَجل خَابِرْ بِفِعْل النَّاس كُلَّهم.

والتَّفْسِير دَا تَفْسِير سِيدْنا عَبْدالله بْن عَبَّاس رضى الله عَنْهُما وفِي تَفْسِير بِيَرْوُوهُ عَنْ سِيدنا عَلي اللَّهُمَّ ارْضَ عَنُّه قَالْ العَادِيَاتْ دِي الجِمَالْ مَاها الخَيل وَقِتْ النَّاس يَرْكَبُوها للحَجّ وتتوسّط بِيهُم جُمُوع الحَجّ والتفسِيرْ دَا أَيْضاً قَوِي واللهُ تَعالى أَعْلَم.

وفي مُفَسّرين قَالُوا دَا قَسَم أَقْسَم بِيهُ رَبّنا وهُو من المُتَشابِه ال ما بيَعْلَمُوا إِلّا الله سُبحانه وتَعالَى. والله تَعالَى. والله تَعالَى أعْلَم.

تَمّ تَفْسِيرُ سُورَةِ والعَادِياتِ ضَبْحاً بِحَمْدِ اللهِ ونِعْمَتِهِ.

سورة القارعة

مَكِّيَة. وآيَاتُها إحدى عَشْرَة

نَزَلَت بَعْد لإيلافِ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾.

تنبيه:

أَبُو عَمْرو يُمِيل «أَدْرَاك» في المَـوْضِعَيْنِ كما قَدَّمْنَاه- يُميل الألف التي بعْدَ الراء إمالةً تَامَّة وَحَفْصٌ لا يُمِيلُها. وأَبُو عَمْرٍو يَقْرَأُ: فَهْوَ بِسُكونِ الهاء وَحَفْصٌ يَقْرَأُ فَهُوَ بِضَمِّ الهَاء- ومَذْهَبُ أَبِي عَمْرٍو تَسْكِينُ الْهَاء مِنْ كَلِمَةِ هُوَ- وهِيَ إِذَا سَبَقَتْها واوُ الْعَطْفِ أَوْ فَاءُ الْعَطْفِ أَوْ لَامُ الْفَصْلِ[1].

المفرَدَات

الْقَارِعَةُ	:	أَيْ القِيَامة. أو السَّاعة لأَنَّها تَقْرَعُ قُلُوبَ النَّاسِ بِهَوْلِها.
الْقَارِعَةُ	:	أي- أَيُّ شَيْءٍ القَارِعَةَ وهَذِهِ العِبَارَة مُرادٌ بِها تَعْظِيمُ أَمْرِ

(١) وعند الكسائي إذا سبقتها ثم العاطفة أيضاً.

القَارِعَةِ– أَي الْقَارِعَة أَمْرٌ عَظِيمٌ.

كَالْفَرَاشِ : الْفَرَاش: هو الفَرَاشُ الْمَعْرُوف وهُوَ الحَشَرَةُ الَّتي تَصِير لَها أَجْنِحَة وتَطِيرُ وهي تتَهافت على النَّارِ كما هُوَ مُشاهَدٌ أَوْ هُوَ جَمَاعَةُ الجَرادِ يَركَبُ بَعْضُها بَعْضاً وهذا قَولُ القُرَّاءِ وذَكَرهُ البُخاري في التَّفْسير[1].

المبْثُوثِ : الْمُنْتَشِر. والْمَبْثوث مَعْناها الْمُنْتَشِر الْمُتَفَرِّق.

كالعِهْنِ : الْعِهْن: الصُّوف، أَو الصُّوفُ الْـمَصْبُوغُ أَلْوَاناً مُخْتَلِفَةً وفِي قِراءَةِ ابن مَسْعُود كالصُّوفِ الْـمَنْفُوشِ.

مَوَازِينُهُ : أَي مَوَازِينُ عَمَلِهِ من الْخَيْر– أَي وَزْنُ عمله.

فِي عِيشَةٍ راضيةٍ : فِي الجَنَّةِ وفِيهَا الْعِيشَةُ الْمَرْضِيَّة.

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ : أَي هوَ هَالِكٌ ضَائِعٌ. والْعَرَبُ تَقُولُ للرَّجُلِ إِذَا تَعَجَّبت مِن الْـمُصيبَةِ الَّتي أَعْلَم بمُرادِهِ، أَنَّ الْكَافِرَ أُمُّه الَّتي وَقَعَ فِيها: هَوَتْ أُمُّه.

والمُرادُ واللهُ أَعْلَم بمُرادِهِ، أَنَّ الْكَافِرَ أُمُّه الَّتي يَأْوِي إِلَيْها هِيَ النَّارُ الَّتي يَهْوِي فِيها عَلَى رَأْسِهِ. وسَمَّاها الله الْهَاوِيَة. وهيَ مَسْكنُهُ ومَقرُّه ومَصِيرُه وذكر الطَّبَرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاس

---

(1) راجع فتح الباري ١٠/٣٥٨– المتن كالفراش المبثوث، كغوغاءِ الجرادِ يركب بعضه بعضاً كذلك الناس يجول بعضهم في بعض. قال ابن حجر في الشرح هو كلام القراء ثم ذكر كلام أبي عبيدة وحمل الفراش على حقيقته وبيت جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه   مثل الفراشِ غشِينَ نار المصطلى

رضي الله عنهما «وإنَّما جَعَلَ النَّارَ أُمَّهُ لِأَنَّها صَارَتْ مَأواهُ كَما تُؤْوي المرأَةُ ابْنَها. ا. هـ.» .

وقوله تعالَى: فأُمُّهُ هاوِيَةٌ: يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الرَّدْعِ لِلكَافِرِ والتَّوْبِيخِ لَهُ واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

الخُـلاصَـة

قَالَ تَعالَى يُخْبِرُنا عِنِ السَّاعَةِ القِيَامَةِ أَنَّها القَارِعَة الَّتِي تَقْرَعُ النَّاسَ بِهَوْلِها وما أَدْراكَ أَي وما أَعْلَمَكَ يا مُحَمَّد ما القَارِعَةُ وهل تَعْلَم ما هِيَ؟ القَارِعَةُ هِيَ يَوْمَ يَنْتَشِرُ النَّاسُ مِنَ الْقُبُورِ فَيَكُونُونَ مِثْلَ الفَرَاش الْـمُنْتَشِر أو كَالجَوَادِ الْـمُزْدَحِم والجِبَالُ تَنْدَكُّ وتَصِيرُ مِثْلَ الصُّوفِ الْـمَنْفُوشِ أَو الصُّوفِ المَلَوَّنِ الْـمَنْفُوشِ، فَالَّذِي يَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئاً فإِنَّ مِيزانَه يكُون خَفِيفاً وَوَيْلٌ لَهُ حِينَئِذٍ إِنَّه سَيُسَاقُ إِلى الهَاوِيَةِ والهاوِيَةُ سَتكونُ أُمَّه أَوْ مَأْوَاهُ أَوْ مَسْكَنهُ. وهل تَعْلَم ما الهَاوِيَة يا مُحَمَّد إِنَّها النَّار الحَامِيَة الَّتي يُسَاقُ إِليها الْـمُجْرِمون.

خُـلاصَـة بالدارجَـة

رَبّنا سُبحانُه وتَعالَى بيكلِّمنا عَنْ يوم القِيامَة وعن السَّاعة وسَمَّاها الْقَارعَة يَعْني الْ بِتَقْرَع النَّاس بِهُولها وسأَل النَّبي ﷺ قَالْ لِيهُ انت عَارِف القَارِعَةْ دِي شِنُو- وبَعَدِين وصَفَهَا وبيَّن أَمرها قَالْ الْقَارِعة دِي يُوم النَّاس يكونوا مِتْلَ أَبو الدَّقيق[1] المِطَّاير أَو مِتَلَ الجرادَ الكتيرْ دَا فُوقْ دا مَعْنَى كَالْفَراشِ الْـمَبْثُوثِ والجُبالْ تكُون مِتْلَ الصُّوف المِطَّايِر الْـمَنْفُوش دَا مَعْنَى كَالْعِهْنِ الْـمَنْفُوش وقالُوا العِهْن يَعَني الصُّوف المَلَوَّن

(1) أبو الدقيق أي الفراش سمي بذلك للدقيق الذي على أجنحته والله أعلم.

المَصبَّغ والـمَعْنَى متقَارِبْ. دَحِين ال بِيَعْمَل عَمَلاً طَيِّب، عَمَلُه دَا بِيَوْزِنُوه وكَانْ بِقَى تَقِيل هو بِيَبْقَى في عِيشَة رَاضْيَة أمَّا المِيزَانُه بِيكون خَفِيف دَا أمُّهُ هَاوِيَة يَعْنِي ماوَاهُ هاوِيَة يعني النَّارْ ودَا حَالْتُه تَعْسَه ودَا بِيسُوقُوه للهَاوِيَه يَعْني النَّار البِيْهوِي فِيها براسُه وربَّنا قالوا سَمَّاها «أُمُّه» في شان بِتْضُمُّه مِتلَ الأُمْ ما بْتَضُمّ وَلَدها وربَّنا قال للنَّبِي انتَ عَارِف الهَاوْيَه دِي شِنُو- دِي ما ها جَهَنَّم الحَامْيَه والعِياذُ بالله.

تعليق:

قَرَأَ حَمْزَة وما أَدْراكَ ما هِيَ نَارٌ حامية- في الوَصْلِ دُون الْوَقْفِ ويُسْتَفَادُ مِنْ هذا أنَّك يُمْكِنُك أن تَسْتَفْهِم عَن الشَّيْءِ لا تَدْرِي كُنْهَه فَتَقُول مَثَلاً مَا هُو الْعِلْم؟ وتَقُول مَا الْعِلْمُ. وكِلاهُما حَسَنٌ جَائِز فِي الْعَرَبِيَّة. والتَّعْبِير الأَوَّل وهو الَّذِي بِهِ قِرَاءَةُ حَمْزة في الوقْف جَارٍ عَلَى أن الجُملة من الضَّمير وخَبَره هِي نَفْسها خَبَرٌ للمُبْتَدإ والله تَعالَى أَعْلَم.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ القَارِعَة.

سورة التكاثر

وَهِيَ مَكِّية آياتُها ثَمانٍ

ونَزَلَتْ بَعْدَ الْكَوْثَر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾.

المفرَدَات

أَلْهَاكُمُ : شَغَلَكُم مِن الجِدِّ في عِبادَةِ الله وأَصْلُهُ مِنَ اللَّهْوِ- والْفِعْل أَلْهَى يُلْهِي بِمَعْنَى شَغَلَ يَشْغَلُ- تَقُول لَهِى فُلانُ عَنِّي أي انْشَغَلَ عَنِّي، وأَلْهَاهُ عَنِّي أي شَغَلَهُ مَالُه عَنِّي.

التَّكَاثُرُ : يَكُونُ فِي الأَمْوالِ والأَوْلَادِ وسَائِر حُطامِ الدُّنْيَا وهُوَ أن تَقُول أنا أَكْثر مَالاً مِنْ فُلَانٍ وأَكْثَرُ ولداً مِنْ فُلَانٍ. وكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَفَاخَرُ بِهَذَا، يَقُولُون نَحْنُ أَكْثَرُ مَالاً وعَدِيداً مِنْ بَنِي فُلان.

لَتَرَوُنَّ : اللَّام للتَّأْكيد الَّذِي فِيه نَفَسٌ مِن الْقَسَم. والنُّون أَيْضاً للتَّوْكِيد. والـمَعْنَى حَقّاً سَوْفَ تَرَوْنَ. وقَرَأَ الكِسَائِيُّ

لَتَرُوَنَّ أيْ حَقّاً سَوْفَ يُرِيكُم اللهُ الجَحِيمَ. فالْفِعْلُ على قِراءَتِهِ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ ومسْند للجماعةِ أَيْضاً.

عَن النَّعِيم : ذَكَرُوا أنه الطَّعام وأَنَّهُ المَاءُ وأَنَّه الصحَّة وأَنَّه الأَمْن ورُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إلى بَعْضِ الْأَنْصارِ ومعه سَيِّدُنا أَبُو بَكْر وسَيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما فَأَتاهُم بِرُطَبٍ ومَاءٍ ثُمَّ ذَبَح لَهُمْ وأَكْرَمَهُم فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحابِه لَتُسْأَلُنَّ عَن هَذَا- وهَذَا الخَبَرُ يَجْرِي مَجْرَى الاسْتِشْهاد إذ السُّورة مَكِّيَّة. وأَشْبَهُ الْوُجُوه بالصَّوَابِ أَنْ يُقَال واللهُ تَعَالَى أَعْلَم إِنَّ النَّعيم هَذَا يَصْدُق عَلَى كُلِّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْوَصْفُ بِأَنَّه مِن النِّعْمَةِ الَّتي أَنْعَمَهَا الله عَلَى عِبَادِهِ مِثْل الأَمْنِ والصحَّة والرِّزق والوَلَدِ وهَلُمَّ جَرًّا. كُلُّ ذَلِكَ يُسأَلُ عَنه المرءُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كَما خَبَّرَنا الله تَبارَكَ وتَعالَى.

الخُلاصَة

يَقُولُ اللهُ تَبارَك وتَعالَى مَا مَعْنَاهُ: أَيُّها النَّاسُ لَقَدْ شَغَلَكُم التَّكَاثُر بِالْأَمْوَالِ والْأَوْلادِ عَنْ ذِكْرِ الله، تَقُولُونَ نَحْنُ أَكْثَرُ مَالاً مِنْ بَنِي فُلانٍ، وبَنُو فُلانٍ قَدْ هَلَكُوا وافْتَقَرُوا ونَحْنُ أَفْضَلُ مِنهم، وما زَالَت هَذه حَالُكُم حَتَّى زُرْتُم المقابِرَ أي حَتَّى هَلَكْتُمْ وأَصابَكُمُ الْـمَوْتُ.

وعِنْدَ الْـمَوْتِ سَتَعْلَمُونَ الحَقِيقَةَ وأَنَّ الأَمْر عَلَى خِلَافِ ما كُنْتُم تَحْسَبُونَهُ. وفي تَكْرَارِ قَوْلِهِ تَعالَى «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُون» توْكِيدٌ وَزِيَادَةٌ فِي التَّوْبِيخِ لِأَهْلِ التَّكَاثُرِ والتَّفَاخُرِ بِحُطَامِ الدُّنْيا. ثُمَّ قَالَ الله تَبارَكَ وَتَعالَى كَلَّا لَيْسَ الْأَمْر كَما ظَنَنْتُم بَلْ إِنَّكُم لَوْ عَلِمْتُمْ الحَقِيقَة فإِنَّكم

جَزَاءً عَلَى كُفْرِكُم وتَغَافُلِكُم وتكاثُرِكُم بالأَمْوَالِ والأَوْلادِ وانْشِغَالِكُم عَنْ ذِكْرِ الله سَوْفَ تُبْصِرُون جَهَنَّم حَقّاً حَقّاً وعِنْدَئِذٍ سَيَسْأَلكُم اللهُ عَنِ النَّعِيمِ الَّذي كُنْتُم مَاذَا فَعَلْتُمْ بِهِ، ولِمَاذَا لَمْ تَنْتَفِعُوا بِهِ فِيما هُوَ خَيرٌ لآخِرَتِكُم. هَذَا واسْتَشْهَدَ بَعْضُ الـمُفَسِّرين بِهذِهِ السُّورَةِ عَلَى أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ لأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالَى لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ إِنَّكُم سَتَرَون الْجَحِيم بَعْدَ زِيارَتِكم الْـمَقَابِرَ وهذَا الْخِطَاب لِلْكُفَّارِ الْمتَكاثِرين بِأَمْوالِهِم وأَوْلَادِهِم والله تَعالَى سُبْحانَهُ وجَلَّ ثناؤُهُ أَعْلَمُ.

خُـلاصَــة بالدارجَــة

قَالَ تَعالَى: أَلْهَاكُم التَّكَاثُرُ يَعْنِي شَغَلْكتمْ التَّكاثر يَعْنِي تَقُولُوا نِحْنَ مَالْنَا أَكْتَر وأَوْلادنا أَكْتَرْ من نَاسْ فِلانْ. حَتَّى زُرْتُم الْـمَقَابِرَ يعْنِي انْتُو بِتقُولوا كَدِي إِلى أَن مُتُّو ودَخلتُوا القُبُور، دَا مَعْنَى حَتَّى زُرْتُم الْـمَقَابِر. بَعَدين رَبَّنا سُبْحانه وتَعالَى قَال: كَلَّا سَوْفَ تَعلَمون- يَعْنِي الأَمر ما زَيْ ما بِتِفْتكْرُوا انْتُو بَعْدين بتشُوفُوا بَرَاكُم ثم انْتُو بَعْدِين بِتْشُوفُوا بَرَاكُم. والتَّكرارْ دا يَفِيد التَّوبِيخ والتَّخْويف لأَهَل التَّفاخُر بِمالَ الدُّنيا الزَّايْلَه. بَعَدين رَبَّنا سُبْحانُه وتَعالَى قَال: كَلَّا لَوْ تَعْلَمُون عِلْمَ اليَقِين- يَعْنِي الأَمْر ما زَيْ ما بِتْقولُوا وبِتفْتكْرُوا. لَوْ بِتَعْرِفوا الْحَقِيقَةْ تَمام، انْتُو بَعْدين بِتْشُوفُوا النَّار، نَار الجَحِيم ثُمَّ انْتُو بِتْشُوفُوهَا حَقِيقَهْ- دَا مَعْنَى عَيْنَ اليَقِين- وبَعَدين رَبَّنا سُبْحانه وتَعالى يَسْأَلكُم عن النَّعيم يَعْنِي حَالَة النِّعمة الْ كُنْتُوا فِيها فِي الدُّنْيا شِنْ سَوَّيتُوا بِيها، ولِي شْنُوا ما اسْتَفِدْتُوا بِيها لعَمَلْ الآخْرة. وفِي مفسِّرين فَسَّروا النَّعيم بالطَّعام والْـمَا ودَا كُلَّه داخِلْ في مَعْنَى النِّعْمة واللهُ تعالى أَعْلَمْ.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكَاثُر.

سورة العصر

وهي مَكِّية وآياتُها ثلاثٌ

نَزَلت بَعْدَ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صدْرَك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾.

المفرَدات

والعَصْرِ : أَقْسَمَ رَبُّنا بِالْعَصْرِ أَي بِوَقْتِ الْعَصْرِ أَو بالدَّهْرِ كُلِّه أَي والزَّمَان كُلِّه والله تَعالَى أَعْلَم.

الخُـلاصَـة

أَقْسَمَ رَبُّنَا بالعَصْرِ عَلَى أَنَّ الْإِنسَانَ خَاسِرٌ فِي عَمَله وفي سَعْيِه ما عَدا الـمُؤْمِنِين الَّذِين يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ ويتواصَوْنَ بالحَقِّ فيُوصِي بَعْضُهم بَعْضاً بإقامَتِهِ والمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ وَيَتَوَاصَوْنَ بالصَّبْرِ عَلَى النَّوَائِبِ والرِّضا بِقَضَاء الله سُبْحانَهُ وتَعالَى.

خُـــلاصَــة بالدارجَــة

رَبِّنا سُبحانه وتَعالَى خَلَفْ بالْعَصْرِ يَعْنِي وَقْت العَصُر عَلَى إنَّ الْإنْسَانْ خَاسِر وعَمَلُه كُلُّه مَا منُّه فَايْدَه إِلَّا يَكُون من الْـمُؤمنين ال مُوحِّدِين ربِّهم ومصدِّقين برسُولُه وقُلوبهم عَامْرَه بالْإيمان وبِيَعْملُوا الْعَمَل الصَّالِحْ وبِيتوَاصُوا بالحَقِّ يَعْنِي دَا يَوصِّي دَا بَعَمل الْخَيْر ومُلازمة الحَقِّ وبِيتْواصُوا كَمانْ بالصَّبُر يَعْنِي دَا يَوصِّي دَا ويَقُول لِيهُ اصْبُرُ وَقِتْ نِزُول المَصَائب وارْضَ بقضاء الله تَعالَى.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْر.

سورة الهمزة

وِهي مَكِّيَّة آياتُها تِسْع

نَزَلَتْ بَعْدَ الْقِيامَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾.

تنبيه:

يحسبُ في قِرَاءَة أَبِي عَمْرٍو بكسر السِّين: يَحْسِبُ وفي رِوَايَةِ حَفْصٍ بِفَتْحِها: وهُما لُغَتَانِ فَصِيحَتانِ.

المفرَدات

وَيْلٌ	:	وَيْلٌ مَرَّ تَفْسِيرُه- وقَدْ ذَكَرْنا قَوْلَ الْـمُفَسِّرين في الْوَيلِ إِنَّه وَادٍ في جَهَنَّم يَسِيلُ فِيهِ صَدِيدُ الكُفَّار.
هُمَزَةٍ	:	الْهُمَزَةُ هُوَ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاس وقِيلَ النَّمَّام الَّذِي يَتَنَاوَلُ النَّاسَ ويَطْعَنُ فِيهم ويُؤْذِيهم بِلِسَانِهِ ويَدِهِ.
لُمَزَةٍ	:	اللُّمَزَة هُوَ الَّذِي يَعِيب النَّاسَ ويَطْعَنُ فِيهم ويَسْتَهْزِيءُ بِهم ويتخِذُهم مَوْضِعَ ضَحِك وقيل يَغْتَابُهم بِعَيْنه ولِسانِه.
لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ	:	قِيلَ الْمُراد كُلُّ إنسانٍ هَذَا شَأْنُه وقَالُوا نَزَلَت هَذِهِ في شَخْصٍ بِعَيْنِه مِن الْكَفَرَةِ كَانَ يَغْتَابُ النَّبيَّ ﷺ واختلفوا في

اسْمِه فَقَالُوا جَميل بن عامِر الجمحي وقِيلَ الأخْنَسُ ابن شَرِيق الثَّقَفي وقِيلَ هُوَ أُمَيَّة بن خَلَف وقِيلَ هُو الوليدُ ابن الْـمُغِيرة. والله تَعالَى أَعْلَم أَيُّ أُولئِكَ كَان.

الَّذِي جَمَعَ مَالاً : الَّذِي بَدَلٌ أَو بَيان لِمَا تَقَدَّمَهَا. وقُرِىءَ جَمَّع بِتَشْدِيد المِيم[1].

الخُلاصَـــة

نَزَلَت هذِهِ السُّورَةُ في تَهدِيدِ المُغْتَابِين النَّمامِين فَقَالَ رَبُّنا وَيْلٌ لِكُلِّ شَخْصٍ هَمَّازٍ لَمَّاز نَمَّام آكلٍ لِلُحُوم النَّاسِ بالْغَيْبِ وقد جَمَعَ مَالاً وعدَّدَه فأبْطَرَه الْغِنَى وظَنَّ أَنَّ هَذَا المَالَ سَيَجْعله خَالِداً باقِياً، وهذا ظَنٌّ بَاطِلٌ.

خُـــلاصَة بالدارجَـة

يَقُول تَعالَى مَا مَعْناه الْوَيْل لِلْهُمَزة اللُّمَزة والهُمَزة اللُّمَزة يعْني ال بِيقْطَع[2] في النَّاس ويَسْتَهْزا بِيهُم ويَضْحَك عليهم بِوَراهم ربِّنا قَال دَا جَزاهُ الْوِيلْ يَعْني العَذَاب وقَالُوا الويل دَا وَادِي في جَهَنَّم يَسِيل فيهُ صَدِيد الكُفَّار. وقَالُوا الآية دِي نَزَلت فِي جَمِيل بْنِ عامِر الجمحي وقَالُوا نَزَلت في الأخْنَس بنِ شَرِيق وقالوا نزلت في أُمَيَّة بن خَلَف وفي الوَليد بنِ المُغيرة والله تَعالَى أَعْلَم.

وربَّنا سُبْحانُه وتَعالَى وَصَفْ الْكَافِر دَا وقَالْ هُو جَمَع المَال وعَدِّدُه وقَايِلْ فِي ضَلالُه مَالُه دَا بِيْخَلِّدُه.

(1) ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف من العشرة، النيسابوري بهامش الطبري ٣٠/ ١٦١ (بولاق ١٣٢٩هـ).

(2) يقطع: يغتاب.

﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾ ﴾.

تنبيه:

قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو فيها الْإِمالَة التّامة في قولِهِ تَعالَى: أَدْرَاكَ- تُمِيل الْأَلِف الّتي بَعْدَ الرَّاءِ بِحَسبِ ما قَدَّمْنَا ولا إِمالَة لِحَفْصٍ.

المفرَدات

لَيُنْبَذَنَّ	:	اللّام والنُّون للتَّوكيد. أَيْ حَقّاً سَوْفَ يُنْبَذُ ويُطرَح فِي الْحُطَمَةِ.
الْحُطَمَة	:	اسْمٌ لِجَهَنَّم لأَنَّها تَحْطِم كُلَّ شَيْءٍ يُلْقَى فِيها. وقَرَأَ بَعْضُهم: فِي الْحَاطِمَة وهي ليست القِراءَةَ الْمَعْمُولَ بِها.
تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ	:	أي تَبْلُغ إِلَى الْقُلُوبِ بِحَرِّها ولَهَبِهَا أَي النَّار تُحْرِقُ الْأَجْوَافَ وتَصِلُ إِلَى دَاخِلِ الصُّدُور والْأَفْئِدَةُ جَمْعُ فُؤَادٍ وهو الْقَلْبُ.
مُؤْصَدَةٌ	:	مَرَّ تَفْسِيرُها أَي مُغْلَقَة وقَرَأَ نَافِع والْكِسائِي وابْنُ عَامِرٍ وابْنُ كثير وشُعْبَة عن عَاصِم بدُون هَمْزة. والهَمْزَة قِراءَة أَبِي عَمْرٍو وحَفصٍ عن عاصِم وحَمْزَة.
في عَمَدٍ	:	جَمْع عَمُود وقَرَأَ حَمْزَة والكِسَائي وشُعْبة في عُمُدٍ بِضَمِّ

الْعَيْن والمِيم وهِيَ أَيْضاً جَمْع عَمود. قَالُوا فِي عَمَدٍ مُمَدَّدة: أَي هُم في أَعْمِدَة مِنَ النَّارِ مَمْدُودة يُعَذَّبُونَ بِها.

وقَالُوا هِيَ أَعْمِدَةٌ مِنْ حَديدٍ تُحْمَى فِي النَّار ويُعَذَّبُون بِها.

وقَالُوا في بِمَعْنَى الباءِ ويُقَوِّي هذا الرأْي قِراءَةُ ابْنِ مَسْعُود ((بِعَمَد مُمَدَّدة))- أَي النَّار مُغْلَقة بِعَمدٍ مُمَدَّدة- أَي أَغْلَقَ الزَّبَانِيَةُ أَبْوَابَها وَجعَلُوا لَها أَعْمِدة لِيُحْكِموا إِغْلاقَها واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

الخُـــلاصَة

يَقُولُ تَعالَى لَيْسَ الْأَمر كما يَتَوَهَّمُون إِذ هُم يَغْتَابُون الرسُول والْمُسْلِمِينَ ويَطْعَنُون فِيهِم. بَلْ إِنَّهُم سَوْفَ يُطْرَحُون في النَّارِ الَّتي اسْمُها الْحُطَمَة الَّتي تَحْطِمُ كُلَّ شَيءٍ. ثم سَأَلَ الله النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ وَهَلْ تَعْلَمُ يا مُحَمَّد ما الْحُطَمَةُ- إِنَّها نَارُ الله الْـمُوقَدَةُ الحَامِيَة الْمُلْتَهِبَة الَّتي يَصِلُ لَهَبُها أَجْوَافَ الْكَافِرِينَ ويَبْلُغ إِلى قُلُوبِهم وإِنَّها ستُغْلَق عَلَيْهِم بِأَعْمِدةٍ يُحْكَمُ إِغْلاقُها بها- أَو إِنَّهم سيُعَذَّبُون فِي أَعْمِدَةٍ مِنَ النَّارِ وَهُم فِيها.

خُـــلاصَـــة بالدارجة

يُقُول ربَّنا سُبحانُه وتَعالَى ما مَعْنَاهُ: الأَمر ما هُو زَيْ ما بيِتْوَهَّمُوا الكُفَّار البيِقْطَعُوا فِي النَّبي عَليه الصَّلاة والسَّلام وفي المُسْلِمين- دَا مَعْنَى كَلَّا – الكافِر دَا الشُّغْلُه القَطِيعَة[1] بَعْدين بيتْرَمى في الْحُطَمة وبَعَدِين ربَّنا سُبْحَانُه وتَعالَى سَأَلْ نَبينا

(1) أي الغيبة.

عليه الصَّلاةُ والسَّلام قَال لِيهُ الحُطَمة دِي انْتَ عَارِفها شِنُو يا مُحَمَّد- دَا مَعْنَى كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَمَة وما أدراكَ ما الحُطَمَةْ- وربَّنا سُبْحانُه وتَعالَى سَمَّاها الحُطَمَة في شان بِتَحطِم الكَافِرين يَعْنِي تكَسِّرهم وتَحرِّقهم وربَّنا سُبحانه وتَعالَى وصَفها وبيَّنها لينا قَالْ هي «نَارُ الله الـمُوقَدَةُ» يَعْنِي الموَلَّعَةْ ال بِتَحْرق كُلَّ شِي وتَصَل لغاية القُلوب، دَا مَعْنَى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ. بَعْدين رَبَّنا سُبْحانُه وتَعالَى قَالَ هِي بَاقِي مَقْفُوله على الكَافرين، دَا مَعْنَى إِنَّها عَلَيْهِم مُؤْصَدَة- ومَقْفُولة بِعِمْدان مَمْدُودَة دَا مَعْنَى فِي أَعْمِدَةٍ ممَدَّدة يَعْنِي مَقْفُولة قَفِلْ تَمامْ. وفِي مُفَسِّرين قَالُوا ((في عَمَدٍ مُمَدَّدة)) يَعْنِي الكافرين ذَاتْهم يِتْعَذَّبُوا في عِمْدَان مِن النَّار أَو من الحدِيدَ الحَامِي جَزَا لِيهم عَلى قَطِيعَتهم ونَمِيمتَهم.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الهُمَزَة.

سورة الفيل

وهي مَكِّية وآياتها خَمْسٌ

نَزَلَت بَعْدَ قُلْ يأَيُّها الْكَافِرُون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾ ﴾.

المفرَدات

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	: أَصْحابُ الفِيل: هُمْ جَمَاعَةٌ مَنَ الحَبَشِ النَّصارَى قَدمُوا مع رَئِيسِهِم أَبْرَهَه لِهَدْمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وسنذكر قِصَّتهم إِنْ شاءَ الله فِيما يَلِي ههُنا بِاخْتِصَار.
كَيْدَهُم	: مَكْرَهُم الَّذِي أَرَادُوه إِذْ أَرادُوا هَدْمَ الكَعْبَة.
أَبابِيل	: أي جَماعاتٍ جَماعاتٍ يَتْبع بَعْضُها بَعْضاً والأَبابِيل فِي اللُّغَةِ الجَماعاتُ الكَثِيرَة المُتَفَرِّقَة ولا مُفْرَد لَها وزَعَم بَعْضُهم أَنَّها لها مُفْرد واخْتَلَفُوا فِيه.
مِن سِجِّيل	: أَيْ مِن طِينٍ. قَالَ تَعالَى: في سُورَةِ الذَّرِياتِ «إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمين لنُرْسِلَ عَلَيْهِم حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمة عِندَ رَبِّكَ للمُسْرِفِينَ» أَي هي حجارة طِينِيَّة.

كعَصْفٍ مَأْكُول : الْعَصْفُ هُوَ التِّبنُ الَّذِي تَأْكُله البَهَائِمُ يُؤَيِّدُ هذا التَّفْسير قَوْلُه تَعالَى فِي سُورةِ الْأَنْبِياء: «فما زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهم حَتَّى جَعَلْنَاهُم حَصِيداً خَامِدِين»- وقَوْلُه تَعالَى فِي سُورَةِ قد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون: «فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ بالحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً».

وقَالَ بَعْض المُفَسِّرين كَعَصْفٍ مَأْكُول: أَي كَطَعَامٍ مَطْعُومٍ وهَذَا الوَجْهُ جَائِز واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

وقَالَ بَعْضُهم الْعَصْفُ هُوَ وَرَقُ الشَّجر أو هُوَ وَرَقُ القَمح واشْتِقاقُ الْعَصْفِ من أَنَّ الرِّيح تَعْصِفُ بِه.

الخُــلاصَة

مع قصة أصحاب الفيل:

قَالَ تَعالَى يَذْكُر قِصَّة أَصْحاب الْفِيل وهُمْ جَمَاعَةُ أَبْرَهَةَ الَّذِينَ أَرادُوا هَدْمَ الكَعْبَة.

قَالُوا إِن أَبْرَهَة هَذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْيَمَن وبَنَى فِيها كَنِيسَة وأَرادَ أَن يُجْبِر الْعَرَب على التَّعَبُّدِ فِيها. فَجَاءَ أَحَدُ الْعَرَب فتبرَّز فِي الكَنِيسَةِ فَغَاظَ ذلِكَ أَبْرَهَة. فصمَّمَ على أن يَنْتَقِمَ مِنَ الْعَرَبِ بِأَنْ يَهْدِمَ الْكَعْبَة. فَجَمَعَ جُمُوعَه وخَرَج بهم يتقدَّمُهم فِيلٌ اسْمُه مَحْمُود، جَعَلَه مُقَدِّمةً لجَمْعِه لِيُخِيفَ بِه الْعَرَب. ولَـمَّا بَلَغُوا مَكَّة حَرَنَ الْفِيلُ وجَثَم وأَبَى أن يَتَقَدَّمَ إِلى نَاحِيَة الْبَيْتِ. وخَرَجَت قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ فاعْتَصَمَت بالجِبال قَالُوا وعَجِبَ أَبْرَهَة من عبدِ المطلب جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ وكانَ كَبِيرَ قُرَيْش لَـمَّا جَاءَهُ يَطْلُبه أن يَرُدَّ

عَلَيْه إبله وكانَ جيشُ أَبْرَهة قد انتَهَبُوها. فَقَالَ مَا مَعْناهُ عَجَباً لِهذا الرَّجُلِ قَدمْتُ أَنا لِأَهْدِمَ الْبَيْتَ الَّذِي يَعْبُده وهو يَسْأَلُني عن إِبله. وقَالَ عبدُ المطَّلب أَمَّا الإبل فَهِيَ مَالِي وأَنا صَاحِبُها فذلِكَ سأَلت أَن تُردَّ إِلَيَّ ولكنَّ الْبَيْت لَهُ رَبٌّ يَحْمِيهِ ويَحْرُسُه. وقد صَدَق عبدُ المطَّلب في الَّذِي قَال لأَن اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ حَرَس بَيْتَه وحَماه[1] قَالُوا: وكَانُوا كُلَّما ضَرَبُوا الْفِيل إِلى نَاحِيَة مَكَّة أَبى أَن يتَّجِه إِلى الْبَيْت وكُلَّما صَرَفُوهُ عَنْها أَسْرَعَ وَهَرْوَلَ إِلى جِهَةِ اليَمَنِ. ولم يَعْتَبِر أَبْرَهَةُ بهذَا الَّذِي رآهُ مِنْ عِصْيَانِ الْفِيل بَلْ صَمَّم على الْمُضِيِّ إِلى الْكَعْبَة لِيَهْدِمَها.

فبَيْنَما هُو وأَصْحَابه كَذلِكَ إِذْ أَرْسَل اللهُ عَلَيْهم طَيْراً أَبابيل جَماعاتٍ جَماعاتٍ قِيل إِنَّها طَيْر خُضرٌ وقِيلَ بِيضٌ لَها مَناقِيرُ صُفْرٌ وقِيلَ لَها أَفْواهٌ كأَفْوَاه السِّباعِ ولها أَرْجُل كأَرْجُلِ الكِلابِ وكَانَتْ تَحْمِلُ في مَناقِيرِها وفي أَرْجُلِها حِجارةً من طِينٍ كُلُّ طَائِرٍ يَحْمِلُ ثَلاَثَةَ حِجارةٍ في مِنْقَارِه ورِجْلَيْهِ، وكلُّ حَجَرٍ أَكْبَرُ من العَدَسةِ وأَصْغَرُ من الحِمَّصَةِ فَرَمَتْهم بِهذِهِ الحِجَارة فَظَهَر فِيهِم الْجُدَرِيّ وهَلَكُوا وكَفَى الله الْبَيْتَ شَرَّهُم لَعْنَةُ الله عَلَيْهِم، ومُجْمَل تَفْسِيرِ الآياتِ هُو: هَلْ رَأَيْتَ يا مُحَمَّد ما صَنَعَهُ رَبُّك بِأَصْحابِ الْفِيل الَّذِين جَاءُوا لِهَدْمِ الْبَيْتِ، أَلَمْ يَجْعَلِ الله كَيْدَهم ومَكْرَهم كُلَّه فَاسِداً

---

(١) قال الطبري بعد أن ذكر حديث عبد المطلب مع أبرهة ورده إبله عليه وانصراف عبد المطلب إلى قومه قال: ((ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده)) أ. هـ. ومما روى الطبري من دعاء عبد المطلب أبياته:

لا همَّ إن العبد يمنَع رَحْلَه فامنع حلالك

الأبيات. راجع التفسير بولاق ٣٠/ ١٩٥ - الحلال بكسر الحاء أراد بهم أهل الحرم قال زهير ((الحي حلال)) في المعلقة أي متجاورين مقيمين.

أَلَمْ يفرقهم الله ويَدْحَرْهم - بَلَى لَقَدْ أَرْسَلَ الله عَلَيْهِم طَيْراً جَماعاتٍ جَماعاتٍ بِقُدْرَتِه فرَمَتْهُم بِحِجارَةٍ مِنْ طِينٍ فَهمدُوا وهَلَكُوا وصَارُوا كالدَّرِين الَّذي تَأْكله البَهَائم.

خُـــلاصَـــة بالدارجَـــة

رَبَّنا سُبحانه وتَعالَى قَالْ شَايِفْ يا مُحَمَّد رَبَّك سَوى شِنو بأَصْحاب الْفِيل، شُوف ربَّك ما خَلَّى مَكْرهم كُلُّه وكيدُهم وتَدْبِيرهم ما خَلَّاهُ كُلّه فَسَد- دَا مَعْنَى أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلْ. يَعْنِي رَبَّك خَلَّاهُم تاهُوا وضَلُّوا وما تْحَصَّلوا على النَّتِيجة الْ جُوا ليها وهم أَصِلُهم جُوا فِي شَان يَهْدْمُوا الكعبة لَعْنَةُ الله عَليهم.

بَعَدين رَبَّنا قَالْ: وأَرْسَلَ عَلَيْهِم طَيْراً أَبابيل- يَعْني ربَّنا رَسَّل ليهم طيْر جَماعاتْ جَماعاتْ دَا مَعْنَى أَبابِيل. قَالُوا خُشُومها مِتِل خُشُوم الطَّير ورُجولها مِتِل رُجُولْ الْكِلاَب وكُلّ طيْرَه شَايْلَه تَلاتْ حِجَارَهْ من طين دَا مَعْنَى: تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِن سجِّيل- الحَجَر أَكْبَر مِن العَدَسة وأَصْغَر من الحُمُّصَة يَقَعْ على الكَافِرْ طَوَّالِي يَخْرُمُو مِن فَمُّه إِلى دُبْرُه وقَالُوا انْطَلَقْ فِيهم الجَدَرِي لعْنَة الله عليهم. وربَّنا خَلَّاهُم هَامْدِين مِتْل الدَّرِين الْ بِتَاكْلُه البهايِم. دَا مَعْنَى فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول.

وأَصْلُه أَصْحَاب الْفِيلْ ديل جَماعة من الحَبَش كَان رَئِيسُهم أَبْرَهه مَلَكُوا اليَمَن وبَنُوا فِيها كَنِيسه ودَايْرِين يَجْبُرُوا النَّاسْ على الْعِبادَةْ فِيها. وجَا واحِدْ مِن العْرَبْ بَالْ فِيها وأَحْدَثْ فِيها[1] وقَامْ أَبْرَهه سِمع بالخَبَر دَا وغاظُه وصَمَّم يَهدِمْ الْكَعْبة ومَرَق لها بِجُموعُه ومَعاهُم فيل اسْمُه مَحْمُود دَايِر يَخَوِّفْ بِيهُ الْعَرَبْ.

---

(1) يعني تبَرَّزَ فيها.

عاذْ لَـمَّا وِصْلُوا جِهَةْ مَكَّة قِرِيْش مَرَقُوا فِي الْجُبَالْ وجَا عَبدَ المطَّلبْ جِدَّ النَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام لِأَبْرَهَه وقَالُوا جَماعْتَك نَهبُوا إِبْلاً لِّيْ. واتْعَجَّبْ أَبْرَهَة مِنْ عَبْدَ المطَّلِبْ وقَالْ أنا جِيتْ أَهْدِم بيت عِبَادَتُهم وكبيرُهم يجِي يِتْكَلَّم مَعَايَ فِي إِبْلُه ومُو هامِّيه أَمْر الْبيت. وقَالْ لِّيهُ عبد المطَّلب الإِبْل هِيلِي وانْت جَماعْتَكْ شَالُوها أنا هَسَّعْ جِيتْ اطْلُبَها تَرَجَّعُوها لِيْ أنا سِيدَها، أما الْبيتْ لِيهُ هُو سِيدْ وسِيدُه بِيَحَمِيهُ. ورَبَّنا مِتِل ما قَالْ عبد المطَّلِب حَمَى البيتْ ومَنَع أَبْرَهه وجَماعته يَصَلُوا ليه. والفِيل أَبَى جِهَة الكَعْبَة تَبْ. وضَرَبُوه وأَبى يَقُومُ. لكن وَقِتْ وَجَّهُوه جِهَة اليَمن قَام يَجْرِي. وأَبْرَهَه كَانْ مصمِّم يَهْدَمَ الْكَعْبَة وعَاجْبَاهُ جُمُوعه وقُوَّتُه لَكِن رَبَّنا حَمَى بِيتُه مِنُّه. رَسَّل لِيهُ طِير أبابيل يَعني جَماعات جَماعَات. وَرَمَتْ جيشُه بِحَجَارَةٍ مِن سجِّيلٍ يَعْنِي بحجارةٍ مِنْ طِينْ مِتِلْ ما بيَّنا في التفسيرْ عاذْ قَالُوا انتَشَرْ فيهُم الجدري وقطَّعهم قِطِّيع.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْهُمَزَة.

سورة قريش

وآياتُها أَربَع وهي مَكّية

نَزَلَت بَعْدَ التّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾.

تنبيه:

اتَّفَقَتِ الْـمَصَاحِف على إِثْبَاتِ يَاءِ لإِيلافِ واخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فَقَرَأَها ابْنُ عَامِرٍ بلا ياءٍ «لإلافِ» وأبو جَعْفَر بلا هَمْز «ليلافِ» واتَّفَقَت المَصَاحِفُ عَلَى إِسْقَاطِ الياءِ في «إِيلافهم». رَسْم الْمُصْحَفِ العُثْماني: إلفِهِم من دُون ياءٍ وتُوضَعُ ياءٌ صَغِيرَةٌ لِلدَّلالَةِ عَلَى أن القِراءَةَ بالياء وأَلِفٌ صَغِيرَةٌ فَوْقَ الفاءِ، إِشارَةً إِلى الأَلِف الَّتي بَعْدَها فِي النُّطْقِ واتَّفَقَتِ القُرَّاءُ على إِثْباتِ الياءِ في الْقِراءَةِ إِلَّا ما كانَ مِنْ أَبي جَعْفَرٍ فَإِنَّه كَانَ يَقْرأُها «إِلافِهِم» وفي ابْنِ جَرير أَنَّ قِراءَةَ أَبي جَعْفَرٍ من دُونِ يَاءٍ ولا أَلِفٍ «إِلْفِهم» وأَنَّه ذُكِرَ عَنْهُ أَيْضاً فيما روى ابْنُ جرير «إِلافِهم» من دُونِ ياءٍ[1] ولكن بِأَلفٍ بَعْدَ اللَّامِ وكأَنَّ الأَول أَرْجَحُ في قِراءَةِ أَبي جَعْفَر عِنْدَ الطَّبَرِيِّ وهو مَرْجُوحٌ عند صاحب النشر والله أَعْلَمُ.

---

(1) والذي ذكره النيسابوري عنه لإلافِ قريشٍ بالتخفيف للهمزة- إلا فِهِمْ وقراءة ابن عامر لإلافِ قريش إِيلافهم- (٣٠/ ١٦٧) قال الطبري اختلفت القراء في قراءة لإيلاف قريش إيلافهم فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار بياء بعد همزة إيلاف وإيلافهم سوى أبي جعفر فإنه وافق غيره في قوله لايلاف فقرأه بياء بعد همزة واختلف عنه في قوله إيلافهم فروي عنه أنه كان

المفرَدات

لإِيلافِ قُرَيْشٍ : اللاَّم اخْتَلَفُوا فِيها، فَجَعَلَها بَعْضُهم حَرْفَ جَرٍّ مَتَعَلِّق بآخِرِ سُورَةِ الْفِيل، أَي رَبَّنا جَعلَ الحَبَش كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ بِسَبَبِ أَنَّ قُرَيْشاً تُوَاظِبُ عَلَى رِحْلَةِ الشِّتاء والصَّيْف وقَدْ أَرادَ سُبْحانَهُ وتَعالَى أَن يَكْفِي قُرَيْشاً شَرَّهم. وهَذَا الْوَجْهُ ضَعِيفٌ لأَنَّ السُّورَتَيْن عَلَى اتِّصَالِهما في المَعْنَى مُنْفَصِلَتانِ كما لا يَخْفَى إِذ كُلُّ وَاحِدَةٍ منهما سُورَةٌ مُنْفَصِلَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِها.

وقَالَ بَعْضُهُم اللاَّم للتَّعَجُّب: أَي اعْجَب يا مُحَمَّد من أَنَّ قُرَيْشاً تُؤْلِف رِحْلَةَ الشِّتاء والصَّيْف أَي تُلازِمهما والإِيلاف والإِلْف مَعْنَاهُمَا واحِد.

وَكَانَتْ قُرَيْش تُلازِم رِحْلَتَيْن تُتَاجِرُ بِهِما، رِحْلَةً إِلى الشَّامِ في الصَّيْف ورِحْلَةً إِلى الْيَمَنِ والحَبَشَة فِي الشِّتاءِ.

وكانَ الانشِغالُ بأَمْرِ الدُّنْيَا فِي هَاتَيْنِ الرِّحْلَتَيْن رُبَّما شَغَلَها

يقرؤه إِلْفِهم على أنه مصدر من أَلفَ بأَلف إِلفاً بغير ياء وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرأه إلافهم بغير ياء مقصورة الألف والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأ لإيلاف قريش إِيلافهم بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة من ألفت الشيء أُولِفُهُ إيلافا لإجماع الحجة من القراء عليه. انتهى ٣٠/ ١٩٧ والحلبي ٣٠/ ٣٠٥ وقال في النشر (مصر، التجارية ٢/ ٤٠٤) إن عني بمثل عِلْفِهم بإسكان اللام كما هي رواية العمري عن أبي جعفر وقد خالفه الناس أجمعون فرواها عنه ايلافهم بلا شك وهو الصحيح أ.هـ. وقال ابن الجزري في الأولى واختلفوا في (لئلاف قريش) فقرأ ابن عامر بغير ياء بعد الهمزة مثل لِعِلافِ مصدر أَلِفَ ثلاثياً يقال أَلف الرجل إِلفاً وإلافاً وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز وقيل إنه أتبع لما أبدل الثانية ياء حَذَفَ الأولى على غير قياس الخ (٤٠٣) قلت وعلى هذا يصح ما ذكر ابن جرير للداني، استنبول ١٩٢٠-٢٢٥. والله أعلم.

عَنِ العِبادَةِ ورِعَايَةِ الْبيْتِ فَغَابَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْها من صَنِيعها وإلى هَذَا الرَّأْيِ مَالَ الطَّبَرِي ويُسْتَفَادُ مِنْ جَعْلِ اللَّام للتَّعَجُّب كَما لا يَخْفَى واللهُ أَعْلَم.

وقَالَ آخَرُون اللَّام هُنا مُتَعَلِّقَة بما بَعْدَها أي عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ رَبَّ هذَا الْبيْتِ وهو الْكَعْبَة لأنَّه أَنْعَمَ عَلَيْهِم بِرِحْلَتَي الشِّتاءِ والصَّيْف.

إيلَافِهِم : هَذا التَّكْرار يُفيد التَّقْرير والتَّأْكِيد وقَدْ مَرَّ الْحَدِيثُ عن كتَابتِها.

الخُلاصَة

يَقُولُ تَعالَى ما مَعْناه وتأْوِيلُه وهو تَعالَى أَعْلم بمُرادِهِ إن قريشاً تُؤْلف أي تُلازِمُ رِحلَتَيْن إحْدَاهُما إلى الشَّامِ صَيْفاً والأُخْرَى إلى اليَمَنِ والحَبَشَة شِتَاءً فيُتَاجِرُونَ ما شَاءُوا. وقَدْ شَغَلَتْهُم هَاتانِ الرِّحْلَتَانِ وجَمْعُ المَالِ عن طَرِيقِهِما أَيّما شُغْلٍ فأَهْمَلُوا شَأْنَ الْبيْتِ الحَرام. فاعْجَبْ لِهَذا مِنْ صَنِيعهم. إذ الْوَاجِبُ عَلَيْهِم عِبادَةُ رَبِّ هذَا الْبيْتِ الحَرام وشُكْرُه عَلَى ما أَنْعَمَ عَلَيْهِم إذ هُوَ أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ بِلَادَ الْعَرَبِ بَادِيَةٌ الْجوعُ فَاشٍ فِيها، وأَهْلُها يَتَغاوَرُون فلا يَعْرِفُونَ الأَمن. وكَانَتْ قُرَيْش تَسْكُن في مَكَّة، ويَأْتِي إِلَيْها النَّاسُ بالثَّمَرَاتِ تَعْظِيماً لِلْبيْتِ، ويَتَوَرَّعُون عن الغَارَةِ عَلَيْها إجْلَالاً لِحُرْمة البيْت ومن دَخَلَه فُهو آمِن. وهَذَا كَانَ مِن عَظِيم نِعْمه الله عَلَيْهِم.

وعلى التَّفْسِيرِ الآخَر يَكُون المُعْنَى: عَلَى قُرَيْش أَن يَعْبُدوا اللهَ رَبَّ الْبيْتِ الحَرامِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَوَقَاهُم الغَارَاتِ والخَوْفَ لِأنَّه أَنْعَمَ عَلَيْهِم بِنِعْمَةِ الإيلافِ أي المُلازَمَةِ

لِرِحْلَتي الشِّتاءِ والصَّيْف اللّتين بِهِمَا عَلَا صِيتُهم فِي الآفاقِ واتَّسَعَت ثَرْوَتُهم والْوَجْه الأَوَّلُ أَرْجَحُ واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

خُـلاصَــة بالدارجَــة

اخْتَلَفُوا المُفسِّرين فِي قَوْلِه تَعالَى «لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِم في جَماعَة قَالُوا دَا تَعَجُّبْ. وقِريْش دِيل قَبِيلَةَ النَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام كَانُوا بِيَسْكنوا مَكَّة. إِيلاف مَعْنَاها مُلَازَمة. الْ قَالُوا دَا تَعَجُّبْ قَالُوا مَعْنَاهُ: يا مُحَمَّد إِتْعَجَّب لِـمُلازَمَةْ قِرِيْش دِيْل للرّحْلات الْ بِيَعْمَلُوها في الشِّتا والصَّيْف. وكَانُوا قِرِيشْ بِيْسافْرُوا للشَّامْ في الصِّيْفْ ولليَمَنْ والحَبَشَةْ في الشِّتا يتَاجْرُوا وكَانَت التّجارَه شَاغْلَاهُم شغْلْ شَدِيدْ. ورَبّنا سُبْحانه وتعالَى بِيقُول للنَّبي عليهُ الصَّلاة والسَّلام شُوفْ قِرِيشْ دِيْل مُو عَجِيبه انْشِغَالُهم بِرِحْلَةَ الشِّتاءِ والصِّيفْ ومَكاسِبَ الدُّنيا. ما أَخير لَهُمْ يَعَبْدُوا الله رَبَّ الْبيت دَا الْ كَفَاهم الجْوعْ وكَفَاهُم الْخُوفْ يَعْني ما بِيخافُوا، الْقَبَايِل ما بِتَغير عَليهم مِتِل ما بِتَغير على بَعَضْ. بَاقِي الْقَبايِل كانَتْ ما بِتَغير عَلى قُرِيش تَعْظِيمْ مِنَّهُم لِي مَكَّة وحُرْمَتها وقِرِيش وأَهْلْ مَكَّة كَانُوا آمنِينْ فِي حينْ إِنُّه غَيْرُهم من الْعَرَب كَانوا دَائِماً فِي حَالَةْ حَرْب وخُوفْ.

وفي مُفَسِّرين قَالُوا لَا- مَعْنَى السُّورة، قِرِيشْ أَخِير يَعَبْدُوا ربَّ الْبَيْت دَا يَعَنِي الْكَعْبَة الْ أَطْعَمَهم وأَمَّنهم وكَفاهُم ربَّ الْبيت دَا يَعَنِي الْكَعْبَة الْ أَطْعَمَهم وآمَنهُم وكَفاهُم الْغَارَاتْ فِي شَان هُو أَنْعَم عَلِيهم بِرِحْلَة الشِّتا والصَّيف بِقُوا بِلازْمُوها ويَوَالْفُوها ويَسْتَفِيدُوا مِنَّها. والتَّفْسِير الأَوَّلْ أَقْوَى والله تَعالَى أَعْلَم.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ قُرَيش.

سورة الماعون

مَكِّيَّة نزلت بعْد التَكاثُر

وآياتُها سَبْع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

المفرَدات

أرأيْتَ : هَلْ رَأَيْتَ. والمُراد بهذا التَّعْبِير التَّعَجُّب وقَرَأ ابْنُ مَسْعُود أرأيتكَ[1] بِكافِ الخِطاب.

يَدُع اليَتيم : يَقْهَرُ اليَتيم ويُهينُه ويَدْفَعُه دَفْعاً عَنيفاً.

فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّين : المُراد بالمُصَلِّين ههُنَا الَّذينَ يُصَلُّون لا عَنْ عَقِيدةٍ وإيمانٍ ولكن مُراءَاةً. وهذِهِ الآيَةُ في المُنافِقِين الَّذِين كَانُوا يَقُولُونَ إنهم مُؤْمِنُون وما هُم بِمُؤْمِنِين.

---

(1) أرأيتك في سورة الإسراء. أرأيتكم في الأنعام والكاف للخطاب وانظر الطبري في سورة الأنعام ونأمل أن نقول في ذلك عند موضعه إن شاء الله تعالى وبعونه.

ويَجُوز أَن يَكُونَ المُرادُ بِالمُصَلِّين تَارِكِي الصَّلاة تَقْريعاً وتَوْبيخاً لَهُم إذ يَقُولُ تَعالَى بَعْدَ ذلِكَ- الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِم سَاهُونَ أي غَافِلُون بِتَرْكِها أو تَأْخِيرِها.

يُراؤُون : يُراؤُون النَّاسَ لا يَعْمَلُون ما يَعْمَلُونه لِوَجْهِ الله ولكن إِظْهاراً لَهُ وظُهُوراً بِه أَمامَ النَّاسِ وصدُورهم منطَوِيَةٌ على خِلافِ ذلِكَ.

المَاعُون : فَسَّرُوه بالخَيْر والـمَنْفَعَةِ وبِالمَاء وبِالزَّكَاةِ المَفْرُوضَةِ وعن ابْنِ مَسْعُود أَنَّ المُرادَ هُو القِدْر والفَأْس والدَّلْوُ وما شَاكَلَ ذلِكَ مِنْ أَمْتِعَةِ المَنْزِلِ واللهُ أَعْلَم.

الخُــلاصَـة

قَالَ تَعالَى أَلا تَعْجَب يا مُحَمَّد مِن الكَافِرِ الَّذِي يُكَذِّب بِيَوْم الحِسَابِ وهُو الَّذِي يُهِينُ المِسْكِينَ ويَحْتَقِرُه ويَدْفَعُه دَفْعاً عَنِيفاً ولا يَحُثُّ النَّاس على الرَّحمَةِ وإِطْعَامِ المِسْكِين. فالوَيْلُ أَي العَذَابُ الشَّدِيدُ لِلْمُنَافِقِين الَّذينَ يُصَلُّون رِياءً للنَّاسِ وهُم بَعْدُ يَغْفُلُون عَن صَلَوَاتِهِم ويَتْرُكُونَها ويُؤَخِّرُونَها من أَوْقَاتِها ولا يَجِيئونَ إِلَيْها إِلَّا وهُم كُسَالَى، وهُم أَيْضاً لا يَفْعَلُون الخَيْر ويَبْخَلُون عَنِ البِرِّ ويَمْنَعُونَ المَاعُون أي يَبْخَلُونَ على النَّاس أَوْ يَمْنَعُونَ المَاعُون أي يَبْخَلُونَ على النَّاس أَوْ يَمْنَعُون الزَّكاة.

خُلاصَة بالدارجَة

رَبّنا بِيقُول شُوف الكافر الْ بِيكَذِب[1] بِيُوم الحِسابْ ومِنْ كُفْرُه بِيكْرَه الْيَتِيم ويِلزُّه ويَحْتَقرُه وما بْيعِين على إطْعام المِسْكينْ وَلا يَقُولْ للنَّاس أطْعِمُوا المِسْكِينْ دَا مَعْنَى ولَا يَحُضُّ على طَعَامِ المِسْكِين.

بَعَدِين رَبّنا سُبْحَانُه وتَعالَى قَالْ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الّذِين هُمْ عَنْ صَلاتِهِم سَاهُونَ هِنَا رَبَّنا جَلَّ وعَزَّ بِيتكلم عن المُنافِقِين ال بِيَصَلُّوا بِدون عَقِيدَه وإِيمانْ صَحِيح بَسْ رِيَا للنَّاسْ وهُمْ بِيِسْهُوا عَن صَلاتُهم يَعْنِي بِتْغَافَلُوا عَنَّها. يَتْرُكُوها تَب مَرّة ويُؤَخّرُوها مِن وَقِتَها مَرَّة. وكمان هُمْ مُراءِين يظهِروا للنَّاس خِلَافْ حَقِيقَةْ نِفُوسُهم ويَبْدُوا بالإيمانْ وهُمْ مَعَ أَهَلْ الكُفُرْ وبِيَمْنَعُوا المَاعون يَعْنِي ما بيَعاوْنُوا النَّاس ولا بيقدّمُوا الخيرْ ولَا بْيَدُّوا الزكَاه- قَالُوا المَاعُون يَعْنِي الخيرْ وقَالُوا يَعْنِي الزَّكاة وقَالُوا المَاعُون يَعْنِي عدَّةَ الْبيت والمَعْنَى الْ بَيّناهُ إنهم ما بِسَووا الخير وبِيَبْخلوا وما يَمْرُقُوا الزَّكاة أَقْرَبْ شِي لظاهِرْ مَعْنَى الآياتْ والله تَعالَى أعْلَم.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الماعون.

(1) ال بكضعب بالضاد والذال قد يجيء والناس ربما صاروا إليه الآن إلا أنهم يقاربون به الزاي أو يجعلون زايا.

سورة الكوثر

مَكِّية وآياتُها ثَلاثٌ نَزلَت

بَعْدَ العَادِياتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

المفرَدات

الكَوْثَر : في اللُّغَةِ الْكَثِير جِدّاً. قِيل والـمُراد هُنا بِحَسبِ الظّاهِر هو الخَيْر الكثير. وقَالَ آخَرون هُو نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ أَعْطاهُ الله النَّبي ﷺ لَونُه أَشَدُّ بَياضاً مِن اللَّبَن وهو أَحْلَى مِن الْعَسَلِ وأَلْطَف بَرْداً مِن الثَّلج. وقَالَ آخَرُون هُو حَوْضُ النَّبي ﷺ في الجَنَّة مَنْ شَرِب مِنْه فَلَا يَظْمأُ ولا يَمُوت وهَذَا مِثْل التَّفْسير الأوَّل. وقالَ آخَرون هُو الخَيْر كُلُّه وقَوْلُه تَعالَى الكَوْثَر يَحْتَمِل كُلَّ هَذِه الـمَعَاني والْـمَشهُور هُو تَفْسِير الْكَوْثَرِ بالنَّهْر الَّذِي أَعْطَاهُ الله النَّبِيَّ ﷺ في الجَنَّةِ. وعن سَعِيد ابْنِ جُبَيْر إذ قِيل له فِي الْكَوْثَر فإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمون أنَّه نَهْرٌ فِي الجَنَّة. ((فَقَالَ سَعِيدٌ، النَّهْرُ الَّذي فِي الْـجَنَّةِ مِن

الْـخَيْرِ الَّذي أَعْطاهُ اللهُ إِيَّاه))-فالْوَجهَان مُتَقارِبا الْـمَعْنَى كَما تَرى واللهُ أَعْلَم.

وَقَرأَ بَعْضُهم أَنْطَيْنَاكَ وهيَ بِمَعْنَى أَعْطَيْنَاكَ وهيَ لُغَةٌ ولَيْسَتْ بالْقِراءَةِ الْـمَعْمُولِ بِهَا.

فَصَلِّ : قَالُوا هِيَ صَلاةُ الْـفَجْرِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ وقَالُوا هِيَ صَلاةُ النَّحْرِ وقَالُوا هِيَ جَمِيعُ الصَّلاة. والرَّاجِحُ أَنَّ المُراد أَمْرٌ للنَّبِيِّ ﷺ بِأَن يُصَلِّي ويَدْعُوَ الله وَيَنْحَرَ باسْمِه لا كما كَانَ يَفْعَلُ الْـمُشْرِكون من نَحْرِ ذَبائِحِهم لِآلِهَتِهِم مِنَ الأَصْنَام. وقَالَ آخَرون: انْحَرْ مَعْنَاهُ اسْتَقْبِل الْقِبلة، وهَذا الْقَوْل ضَعِيفٌ لأَنَّ السُّورة مَكِّيَّة والأَمْرُ باسْتِقْبالِ الْـمَسْجِد الْـحَرَامِ إِنَّما كَانَ بالْـمَدِينَةِ. وقَالُوا انْحَرْ أَيْ ضَعْ يَدَيْكَ في الصَّلاةِ قَرِيباً من نَحْرِك الْـيُمْنَى عَلَى الْـيُسْرَى ولَيْسَ بِقَوِيٍّ واللهُ تَعالَى أَعْلَم.

إنَّ شانِئَكَ : أَيْ إِنَّ عَدُوَّك وأَصْلُه مِن شنِئْت أَشْنَأُ أَيْ كَرِهْتُ أَكْرَهُ وشَانِئُك بِمَعْنَى عَدُوُّك الَّذي يَبْغَضُك والْـمُراد ههُنا فِيما رُوِيَ هُو العَاصُ بْن وَائِل إِذْ كَانَ يُبْغِضُ[1] النَّبيَّ ﷺ وَيَقُول إِنَّه أَبْتَر أَي لا وَلَدَ لَهُ. والأَبْتَرُ لَفظٌ كَانَتْ تُطْلِقُهُ الْعَرَبُ

(1) رباعي قال في القاموس وأبغضوه، مقتوه. فياؤه مضمومة وغينه مكسورة وهي اللغة الجيدة.

عَلَى الضَّعِيف المَسْتَذَلِّ الَّذِي لَا ذُرِّية لَه.

وقَالُوا بَلْ نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعيط، قَالُوا إِنَّه كَانَ يَقُول إِن مُحَمَّداً لَا يَبْقَى لَهُ وَلَدٌ وهو أَبْتَرُ. وقَالُوا نَزَلتْ فِي كَعْب بْنِ الأَشْرَف، أَتى مَكَّة فَقَالَ لَهُ أَهْلُها أَنَحْنُ خَيْرٌ أَم هَذَا الصَّنْبُور المُنْبتر عَن قَومِه. وهذَا الْوَجْه الأَخِير بَعِيدٌ واللهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ سُؤَالَ أَهْل مَكَّة لِلْيَهُودِ أَيُّهما خَيْرٌ دِينُ مُحَمَّد أَم دِينُ قُرَيْشٍ إِنَّما حَدَثَ بَعْدَ الْهِجْرَة. ويَجُوزُ أَن يَكُونَ الْـمُرادُ بن وَائِل وعُقْبة ولَفَّهما مِن الْمُشْرِكين مِمَّن لَمْ يَهْدِهم الله ولَعَنَهُم وأَعَدَّ عَذَاباً أَلِيماً.

الخُلاصَـة

قَالَ تَعالَى ما مَعْناه: يا مُحَمَّد إِنَّا أَعطَيْناكَ الْخَيْرَ الْكَثِير، أَعطَيْناكَ نَهْراً فِي الْـجَنَّةِ اسْمُه الْكَوْثَر فَصَلِّ لِرَبِّكَ وادْعُه ولا تَدْعُ غَيْرَه وانْحَر باسْمِه لا بِاسْمِ غَيْرِه كما يَفْعَلُ الْـمُشْرِكُون وأَنْتَ عَلَى الْخَيْرِ والصَّواب ورَبُّكَ ناصِرُكَ وعَدُوّك هُو الأَبْتَر الْمُنْبَتِر الذَّلِيل.

خُلاصَـة بالدارجَـة

قَالُوا كَانُوا فِي جَماعَة مِن الْـمُشْرِكين مِتْل الْـعَاصِ بْن وَائِل وعُقْبَة بن أَبي مُعَيط بِيقُولوا للنَّبي عَليه الصَّلاة والسَّلام أَبْتَر يَعْني ما عِنْدُه جَنَى، قَاعِدْ وَحْدُه مَبْتُور، ودِيل كَانُوا أَعدا النَّبي عَليه الصَّلاة والسَّلام. ربَّنا سُبْحانُه وتَعالَى قَال للنَّبي دِيل كَلامُهم ما يَحْزِنَك نِحْنَ أَدِّيناكْ الْكَوْثَر يَعْني الْخِير الْكَتِير وبَحَرْ في الجَنَّة اسْمُه الكَوْثَر أَحْلَى مِن

الْـعَسَل وصَافِي وأَبْيَض ومَا فِي شِي مِتْلُهْ طِينُه مِسِكْ وقيفُه[1] (يَعْنِي شَاطِيهُ) دُرّ ولُولي مُجوَّف والْـمَوَاعِين جَنْبُه عَدَدَ النِّجُوم مِتِل مَا رَوُوا عن سِتَّنا عَايشَه اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّها.

وبَعَدين قَالْ رَبِّنا سُبحانه وتَعالَى للنَّبي عَليه الصَّلاة والسَّلام فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ يَعْنِي صلي لِرَبِّك وَحَّدُه فِي شَان الكُفَّار كَانُوا بِيصَلُّوا للأَصْنامْ وانْحَر ضَبَايْحَك باسْمِ الله وَحَّدُه فِي شَان الكُفَّار كَانُوا بِيَضْبَحُوا للأَصْنام- إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر-يَعْنِي عَدُوَّك الْبِشْنَاك يَعْنِي الْ بِعَادِيك هُو الأَبْتَر مَاكَ انْتَ الأَبْتَر يا مُحَمَّد لَعْنَةُ الله عَلى أَعْدَاءِ نَبِيِّ الله ﷺ التَّسْلِيم الْكَتِير.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَر

---

(1) قيفه، القاف بعدها ياء بحركة إمالة مزدوجة بين الفتح والكسر الطويل ثم فاء. القيف أي الشاطئ كأنه من حيث وقوف المرء عند طرف الماء. قالوا يلغزون عن المركوب: تَرَنْ تَرَنْ عند القيفْ حَرَن. أي وقف حارناً.

سورة الكافرون

نَزَلَت بَعْدَ الـماعُون- آياتُها

سِتٌّ وهي مَكِّية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾.

تنبيه:

قِراءَةُ حَفصٍ وَلِيَ دِين بِفَتْحِ اليَاء مِن (لِي) وقِراءَةُ أَبِي عَمْرو (ولِيْ) دِين مِن دُونِ فَتْحٍ وقِراءةُ وَرْشٍ مِثْلُ حَفْص.

الخُلاصَة

كَانَ جَماعَةٌ مِنَ الكَافِرينَ عَرَضُو على النَّبِيِّ ﷺ أن يَعْبُدَ أَصْنامَهُم سَنةً وَيَعْبُدُوا هُم الله سَنَةً فَقَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ للنَّبي ﷺ قُلْ لَهُم يا كُفَّارُ أَنْتُم مُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ وأَنا لَنْ أَعْبُدَ أَوْثَانَكُم وأَنْتُم مِن شِدَّةِ كُفْرِكُم لَنْ تَعْبُدُوا اللهَ الَّذِي أَعْبُدُه. أَنا مُنْصَرِفٌ عَنْكُم وأَنْتُم مُنْصَرِفون عَنِّي لَكُم دِينكم وَلِيَ دِيني.

وهؤُلَاءِ الكُفَّار الـمُصِرُّون أَمْثَال أَبِي جَهْلٍ وأُمَيَّة بن خَلَف صَدَقَ كَلامُ الله عَزَّ وجَل فِيهِم فلم يُؤْمِنُوا حَتَّى قُتِلُوا في يَوْمِ بَدْرٍ ومَاتَ بَعْضُهم قَبْلَ ذلِكَ على الْكُفْرِ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِم.

والتَّكْرارُ هُهنا للتَّوْكِيد وَقَطْعِ الشَّك.

خُلاصَـــة بالدارجة

قَالُوا فِي جَماعَة من الْكُفَّـار الْ كُفـرَانِيَّتهم شَـدِيدَة جُـوا للنَّبـي عَليـه الـصَّلاة والسَّلام وقَالُوا لِيهُ تَعْبِد أَصْنامْنَا سَنَةْ ونعْبُد رَبَّك سَنَة. رَبَّنا جَلَّ وعَزَّ قَالْ للنَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام دِيل ضَالين مِضِلِّين قُول لِيهُم يَا كَافِرِين أنا مَـا مـا بَعْبِـد أَصْـنامكُم وانْتُو ما بتَعْبِدُوا الله رَبِّي يا كُفَّار لِيكم دينْكُم انْتُوا بِتْمُوتُوا عَلِيه وما بتْفَـارْقُوه وأَنـا لَيْ دِينِي أنا على دِين الإِسْلام ما بَتْبَع دِينْكُم. والْكُفَّار الْ قَـالُوا الْكَـلامْ دَا للنَّبِـي كُلَّهـم مَاتُوا عَلى الكُفُر يا يوم بَدر يا قَبْلُه لَعْنَةُ الله عليهم.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الكَافِرون.

سورة النصر

مَدَنِيَّة وهي آخِر ما نَزَلَ مِنَ السُّوَرِ. نَزَلَتْ بَعْد
التَّوْبَة بمبِنىً فِي حَجَّةِ الوَدَاع، والْـمُعْتَبَر أن كل
سُورةٍ نَزَلَت بَعْدَ الهِجْرَةِ مَدَنِيةٌ وكل
سورة نَزَلَت قَبْلَها مَكِّية وآيات هذِهِ السُّورَةِ ثَلَاثٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

المفرَدات

الفَتْح : المُراد هٰهُنا واللهُ تَبارَك وتَعالَى أَعْلَم بِمُراده ما فَتح اللهُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فَتْحِ مَكَّة وفَتْحِ غَيْرِها مِن الْـقُرَى ومِن دُخُولِ النَّاسِ في الإِسْلام.

أفْواجاً : جَماعاتِ. الْـمُفْرَد فَوْجٌ.

الخُـلاصَـة

قَالَ اللهُ تَعالَى لنبيِّه عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَام يا مُحَمَّد مَتَى انْتَصَرتَ على الْـمُـشْرِكين بِعَـوْنِ الله وتَأْييده ثُمَّ فَتَحْتَ مَكَّة وغَيْرَها مِن البُلْدان ودَخَلَ النَّـاسُ جماعـاتٍ جَماعـاتٍ في الإِسْـلامِ

فاشْكُر الله واحْمَدْه واسْتَغْفِره وتُبْ إلَيْهِ فإنَّه يَتُوبُ عَلَيْكَ ويَغْفِرُ لَكَ مِن ذَنْبِكَ مَا تَقَدَّم وما تَأَخَّر. وقالُوا لَمَا نَزَلَت هذِه السُّورَة كانَ ذلك بِمَنْزِلَةِ الإيذَانِ لِرَسُولِ الله ﷺ بأَنَّ أَجلَهُ قَدْ دَنا وأَنَّ اللهَ جَعَلَ الْفُتوحَ عَلامَةً لدُنُوِّ أَجَلِه وتَمامِ رِسَالَتِه فكَانَ يَقُولُ ﷺ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْه.

ﷺ فَقَدْ نَهَضَ بِالدَّعْوَةِ وصَبَرَ لَها وصَابَرَ بِها وأَتَمَّها وأَكْمَلَها الله تَعالَى رَحْمَةً بِنا وفَضْلاً عَلَيْه نَسأَلُ اللهَ أَنْ يَبْعَثَه مَقاماً مَحْمُوداً الَّذي وَعَدَه وأَنْ يُكْرِمنا بِشَفَاعَتِه يوم الحِسَابِ وﷺ تَسْلِيماً كَثِيراً.

خُلاصَة بالدارجَة

رَبّنا سُبحانه وتَعالَ للنَّبي لَـمّانْ رَبّنا يَنْصُرك عَلَى الْمُشْرِكين وتَفْتَح مَكّة وغَيرها من البُلْدان سَبِّح واحْمُدْ رَبّك واسْتَغْفِر وتُوبْ لِرَبّك ورَبّنا يَتُوبْ عَليك. قَالوا لَـمّا نَزَلت السُّورَة دِي على رَسُولَ الله ﷺ كان نُزول السُّوره دِي مِثْل الْإِعْلام لِيهُ عليهُ الصَّلاة والسَّلام باقْتِرَابَ الأَجَلْ وانْتَقَل ﷺ لجوارَ الرَّفيقْ الأَعلى قَبْلْ ما يَحُولْ الحُولْ. وكَان دَايْماً يَقُول سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُهُ وأَتُوب إليه. جَزاهُ الله عَنّا الخَير الْ كَتِير صَبَر وصَابَرْ وبَلَّغْ نَسأل الله يَدِّيهُ مَقاماً مَحْمُوداً الْ وَعَدُه إياهُ وَيَجْعَلْنا مِن الفَائزين بِشَفَاعْتُه عليه الصَّلاة والسَّلام الْكَتير.

وَتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَونِهِ تَفْسِيرُ سُورَةِ الكَافِرون.

سورة المسد

مَكّيّة آياتُها خَمْسٌ

نَزَلت بَعْدَ الفَاتِحَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾.

تنبيه:

قِراءَةُ أبي عَمْرٍو: حَمَّالَةُ الحَطَبِ بالرَّفعِ وقِراءَةُ حَفْصٍ حَمَّالَةَ الحَطَب بالنَّصْب.

المفرَدات

تَبَّتْ : مَعْنَاها خَسِرَت. وأَبُو لَهَب هُوَ عَمُّ النَّبِيِّ وكَانَ هُو وامْرَأَتُه أُمُّ جَمِيلٍ بنْتُ حَرْبٍ كَافِرِيْنِ. وقَالُوا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَـمَّا جَمَعَ قُرَيْشاً وأَخبَرَهُم بِخَيَرِ نُبُوَّته قَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ تَبّاً لَكَ. أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ وقَالُوا بِأَنَّ أَبَا لَهَبٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ يَكُون لَهُ فَضْلٌ عَلَى الآخَرِين إِنْ دَخَلَ فِي الإِسْلامِ فأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّه سَيَكُون لَهُ مَا لَهُم وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِم فَقَال تَبّاً لِهَذَا

مِن دِينٍ. وكانَ أَبُو لَهَبٍ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لابْنِ أَخِيهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ عَدَاوَتِهِ لَهُ أَنَّه كَانَ يَطُوفُ بِالنَّاسِ الْـمُجْتَمِعِينَ فِي سُوقِ عُطَاظَ يُحَرِّضُهم عَلَيْهِ ويَقُول لَهُم لا تَسْتَمِعوا إِلَيْه فإِنَّه سَاحِرٌ ومَجْنُونٌ وهَلُمَّ جَرّاً. فَقَالَ اللهُ تَعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ أَي خَسِرَت يَدَا أَبِي لَهَبٍ أَي لَهُ الخَسَارةُ والْبَوارُ.

ومَا كَسَبَ : أَي مَكْسُوبه مِن جَدِيدٍ يَضُمَّه إِلى مَالِهِ الْقَدِيم. وقِيلَ مَا كَسَب: أَي وَلَدُه روَوْا فِي ذلِكَ أَنَّ أَوْلادَ أَبِي لَهَبٍ اخْتَصَمُوا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ وكَانَ قَدْ عَمِيَ وأَسَنَّ، فَدَفَعَهُ بَعْضُهم فَغَضِبَ مِنْهُم وقَالَ أَخْرِجُوا عَنِّي الكَسْبَ الخَبِيثَ.

حَمَّالَةُ الحَطَبِ : بالنَّصْبِ قِرَاءَةُ عَاصِم وحَفص يَرْوِي عَنْه والنَّصْب عَلَى الحَالِيَّة أَي حَالَ كَوْنِها حَمَّالَةَ الحَطَب أَو عَلَى الذَّمِّ والذَّمُّ أَقْوَى. والرَّفْعُ قِراءَة أَبِي عَمْرٍو وبَقِيَّة الْقُرَّاءِ السَّبْعة الآخرين ووَجْهُهُ فِي الْإِعْرابِ الْوَصْفِيَّة أَي حَمَّالَةُ الحَطَبِ نَعْتٌ لِقَوْلِه تَعالَى «وامْرَأَتُه». وذَكَرَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ القُرَّاءَ اخْتَلَفُوا عَنْ عَاصِم فَذَكَروا عَنْهُ النَّصب وذَكَرُوا عَنه الرَّفْع وأَنَّ النَّصْب قِراءَة ابن أَبِي إِسْحق، والذي عَلَيْهِ الأَدَاءُ من طَرِيقِ الشَّاطِبِيَّة وغَيْرِها الآن أَنَّ النَّصْبَ

لِعَاصِمٍ مِن طَرِيقَيْه حَفْصٍ وشعْبَة.

واخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ تَعالَى حَمَّالَةَ الحَطَبِ فَقَالَ بَعْضُهم كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ وتُلْقِيه فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ . وقَالُوا المُراد ههُنا النَّمِيمَة أَيْ كَانَتْ تَحْمِل الحَدِيث عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وتُبَلِّغُه كُفَّارَ قُرَيْش وقَد كَانَتْ أُمُّ جَمِيل مِّمن يُؤْذِي رَسُول الله ﷺ وقَدْ ذَكَرْنا مِن خَبَرِها فِي تَفْسِير سُورَةِ الضُّحَى إِذْ قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَركَكَ لَمْ أَرَهُ قَرْبَك مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أو ثَلاثاً فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ والضُّحَى.

في جِيدِها : أَيْ فِي رَقَبَتِها.

حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ : اخْتَلَفُوا فِي الْـمَسَدِ فَقَالُوا شَجَرٌ يَنْبُت بِنَوَاحِي مَكَّة يُصْنَع مِنْهُ الحِبال، وهذَا جَائِزٌ. وقِيلَ هُوَ لِيفُ الْـمُقْلِ أَي شَجَرُ الدَّوم وقِيلَ المُسَدُ عِنْدَ الْعَرَبِ حِبَالٌ مِن أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَة قَالَ ابْنُ حَجَرٍ (الفتح ١٠-٣٧٠)الْـمَسَدُ عِنْدَ الْـعَرَبِ حِبالٌ مِن ضُرُوبٍ وقَدْ وضَّح هذَا الْـمَعنَى الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى. وقَالُوا الْـمَسَدُ هُوَ الْـحَدِيدُ. وقَالُوا لِحَاءُ الشَّجَر. وقَالُوا حَبْلٌ مِن مَسَد قِلَادةٍ مِنْ وَدْعٍ كَانَت فِي عُنُق حَمَّالة الْـحطَب.

وقَالَ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللهُ: وأَوْلَى الْأَقْوَالِ عِنْدِي بالصَّوَابِ

قَوْلُ مَنْ قَالَ: هَوَ حَبْلٌ جُمِعَ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ-ولِذلِكَ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ في تَأْوِيلِه-ومِمَّا يَدُلُّ على صِحَّةِ ما قُلْنا في ذلِكَ قَوْلُ الرَّاجِز: (وَمَسَدٍ أُمِرَّ من أيانِق صُهْبٍ عِتاقٍ ذَاتِ مُخٍّ زَاهِقٍ) فَجَعَلَ إِمْراره من شَتَّى، وكَذلِكَ الْـمَسَد الَّذي فِي جِيدِ امْرأَةِ أَبِي لَهَبٍ، أُمِرَّ مِن أشياءَ شَتَّى من لِيفٍ وحَديدٍ ولِحاءٍ وحَبْلٍ فِي عُنُقِها جُعِلَ طَوْقاً كالْقِلادة مِن الْـوَدْعِ. ا.هـ. وقَالَ البُخاري في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ، لِيفُ الْـمُقْلِ وهِي السِّلْسِلَة مِن النَّارِ فهذَا يُقَوِّي ما تَقَدَّم والله تَعالَى أَعْلَم.

هذَا والبَيْتَانِ اللَّذَانِ بِهِما اسْتَشْهَد الطَّبَرِي مَعْنَاهُما ورُبَّ حَبْلٍ من نِياقٍ شَتَّى من أَوْبَارِها وجُلُودِها ووصَفَ الرَّاجِزُ النِّياق فقال إِنَّها سِمَانٌ ذَاتُ مُخٍّ زَاهِقٍ أَيْ مُكْتَنِز. والإِمْرَارُ هُوَ الْـفَتْلُ.

خُـــلاصَـــة

قال تعالى مامعناه تَبّاً لِأَبِي لَهَبٍ وخَسِرَتْ يَدَاهُ ولَنْ يَنْفَعَهُ مَالُه ومكسبه وسيدخل في نَارٍ تَلْتَهِبُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ وأَمَّا امْرَأَتُه الَّتِي تحمل الـشوك وتلقيـه في طريـق رسـول الله ﷺ وتَنْقُـلُ النَّمِيمَـة والأَخْبارَلتؤذيه فإن الله سيعذبها وسيكون لها في جِيدِها يَوْمَ الْقِيامَةِ حَبْـلٌ مِـن مَـسَدٍ أَيْ هُـو كالْـحَبْلِ مِن الْـمَسَدِ الْـمَصْنُوعِ مِنْ أَنْواعٍ مختلِفَة ولكِنَّه مِن حِبالِ جَهَنَّم مَـصْنُوعٌ مِـنْ أَنْـواعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ لِيفِها وحَدِيدِها وسَلاسِلِها تُخْتَق بِه وتُعَذَّبُ، ويُكَلِّفُها الزَّبَانِيَةُ بِحَمْلِ الْـحَطَبِ كَـما كَانَتْ تَفْعَلُ في الدَّارِ العَاجِلَةِ عِقَاباً لَها أَبْعَدَها الله.

خُـلاصَـة بالدارجَـة

السُّورَة دِي نَزَلت فِي أَبْ لَهَبْ عَمّ النَّبِي عليه الصَّلاةُ والسَّلام وكَانْ كَافِرْ وكَانَتْ مَرَتُه أثم جَمِيل بنت حَرْب كَافْرَة وكَانْ أَبْ لَهَبْ لَـمَّا النَّبِي عليه الصَّلاةُ والسَّلام نَادَى قُومُه وكَلَّمهم وقَالَ لَهُم أنا نَبِيَ الله ليكُم قَامْ أَبْ لَهَبْ قَالْ ليه: تَبّاً لَك، ما جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهذا-يَعْنِي تُبْ عَليك ما نَادِيتْنا إِلَّا لْلْكَلام دَا. وكانت أُم جَمِيل بِتْجِيبْ الشُّول وتَرْمِيهُ في سِكَّةَ النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام وَكِتْ[1] يمْـرُق لِلْكَعْبة وتَنْقُل أَخبار النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام للكُفَّار تَدُورْ أَذَاهُ.

رَبَّنا لَعَن أَبْ لَهَبْ فِي القُرآن وقال خَسارة لِيهُ وتَبَّتْ يَدَاهُ يَعْنِي تُبْ على إيديه وهَلَاكْ لِيهن هِنْ وليهُ في شان قَال للنَّبي عَليُه الصَّلاة والسَّلام تَبّاً لَكَ. ومَالُه ومَكْسَبُه ما بْيَنْفُعه وبيدخل النَّار أَلْ فِيهـا اللَّهَب يَحَرِّقُه ومَرَتُه أَلْ بتشيل الحطب والشوك دِي يوم القِيامَه في رَقَبتها بِتكَرِبْ لِيها حَبْلاً من مسد يعني حبلاً من أَنْواعْ فِي شَان الْـمَسَد هُو الحَبْلِ المنوَّع من لِيفْ الدُّوم ومِـن غِـيرُه والحَبِـلْ الْبِـتْرَبِطْ لي حَمَّالَـة الحَطَبْ فِي رَقَبَتها يوم القِيامَةْ مشَكَّل مِتِل حَبْـل الْـمَسَد الْ في الـدّنْيا- هـو سِلْسِلة مَشَكَّله من سَلاسِلْ جَهَنَّم من لِيفَها وحَدِيدَها وأَصْنافْ عَذابَها والزَّبانْيَه يعـذِّبُوها[2] يكلِّفوها تَشِيلَ حَطَب النَّار مِتِل ما كَانَتْ بِتَسَوِّي في الدُّنيا لَعْنَةُ الله عليها.

وتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَوْنه تَفْسِيرُ سُورَةِ تَبَّت يَدا أَبِي لَهَب.

---

(1) وكت بواو وكاف مكسورة وتاء أي وقت؟ كاف خالصة أو قاف مقاربة لذلك.

(2) النطق العتيق في الدارجة: يعظبوها بالظاء..

سورة الإخلاص

مَكِّيَة وآياتُها أَرْبَعٌ نزَلَت بَعْدَ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾

تنبيه:

قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو: كُفُؤاً بالهَمْز وضَمِّ الفَاء وقِرَاءَة حَفْصٍ كُفُواً بالواو وضَمِّ الفضاء.

المفرَدَات

أَحَدٌ : أي وَاحدٌ وَكثُرَ اسْتِعمَالُها مُضَافَةً أَوْ فِي جُمْلَة مَنْفِيَّة وهُنا جِيءَ بِها خبَراً مِن غَيْرِ إِضَافَةٍ أَوْ نَفْي لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى وَإِظْهَارِهِ كَما تَرَى-أَيْ قُلْ يا مُحَمَّدُ الله أَحَد وهوَ مُبْتَدأٌ وجُمْلَةُ اللهُ أَحَد خبَرٌ لَهُ. وهُو فِي هذِهِ الْحَالَة ضَمِير شَأْنٍ- أَي الشَّأْنُ والْخَبَرُ الْيقِين والْقَوْلُ الْفَصْل أَنَّ اللهَ وَاحدٌ. واخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هذِهِ السُّورَةِ فَقَالَ بَعْضُهم إِنَّ الْمُشْرِكين سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَن يَنْسبَ لَهُم رَبَّه فَنزَلَتْ هذِهِ السُّورة. وقَالَ آخَرون إِنَّ سُورَة الْإِخْلاصِ مَدَنِيَّة لا مَكِّيَة وإن سَبَبَ نُزُولِها هُو أَنَّ اليَهُود قَالُوا للنَّبِيِّ ﷺ مَنْ

خَلَقَ الله مُكابَرةً مِنهُم، غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم وَلَعَنَهُم.

الصَّمَدُ : اخْتَلَفُوا في الصَّمَدِ فَقالُوا هَوَ مَا لَيْسَ بِأَجْوَف أي مَا لَيْسَ عِنْدَه جَوْفٌ كالْـحَيَوَانِ وكابْنِ آدم فُهو لا يَأْكُل ولا يَشْرَبُ وقَالُوا هُوَ الَّذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولد وقَالُوا هُوَ الَّذي لَا يَخْرُج مِنْهُ شَيْءٌ ولا حِشْوَةَ لَهُ.

والْوَجْهُ الرَّاجِحُ والله أَعْلَمُ هُوَ أَنَّ الصَّمَدَ هُو السَّيِّدُ الْـعَظِيمُ السُّؤدَدِ ويَكُون الْـمَعْنَى عَلَى هذَا هُوَ أَنّ الله هُوَ الرَبُّ الْأَعْظَمُ ثُمَّ وُصِفَ مِن بَعْدُ بِأَنَّه لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَد ولَيْسَ لَهُ نَظِير فَنُفِيَ عَنْهُ مُشابَهَةُ الْخَلْقِ والأَكْلِ والشُّرْبُ ومَا هُوَ بِهذا الْـمَجْرَى.

كُفُوًا : الكُفْءُ هُو النَّظِير والشَّبيه. وقِراءة حَفْصٍ عَنْ عَاصِم وَحْدَه بالْوَاوِ والبَاقُون باْهَمْزَةِ وضَمِّ الْكَافِ والْفَاءِ إِلَّا حَمْزَة فِإِنَّه يُسَكِّن الْفَاءَ. وحَفْصٌ يَجْعَل كُفُواً بالوَاوِ فِي قَراءَتِه هذَا دَأْبُهُ وكَذِلكَ «هُزواً» يقرأُها مثل قِراءَتِه ((كُفُواً)) ونأْمُل أَنء نَذْكُرَ ذِلكَ فِي مَوْضِعِه إن شَاءَ اللهُ تَعالَى. وقالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرين الكُفْءُ هُنا بِمَعْنَى الزوْجَة والتَّفْسِير بالنَّظِيرِ والشَّبِيه يَحْتَمِلُ هذا التَّأْوِيل لأَنَّ الزَّوْجَة مُكافِئَةٌ لِزَوْجِها ومُشَابِهَةٌ لَهُ واللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمِثْلِ والنَّظِيرِ فالتَّفْسِيرُ بالنَّظِير أَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وأَقْوَى فِي التَّأْوِيل إِنْ

شَاءَ اللهُ تَعالَى.

الخُــلاصَة

هذِهِ السُّورة فِي تَنْزِيه الله تَبارَك وتعالَى عَنْ مُشابَهَة الخَلْقِ ووَصْفِه بِأَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْوَاحِد السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَيسَ لَهُ وَلَدٌ كَما تَزْعَمُ النَّصارَى وغَيْرُهم مِنَ الْكَفَرَةِ ولَيْسَ لَهُ وَالِدٌ ولَيْسَ لَهُ صَاحِبَةٌ ولَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ يُشْبِهُهُ ويُماثِلُه تَعالَى اللهُ عُلُوّاً كَبِيراً عَنْ ذِلكَ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وسُبْحانَه هُوَ الحَيُّ القَادِرُ.

خُلاصَــة بالدارجَــة

السُّورَة دِي في تَعْظِيم رَبّنا وإِنُّه ما بيَشْبَهْ شِي مِتْل خَلايْقه الْ خَلَقها. رَبّنا قَالّنا إِنُّه الله ربّنا واحِدْ وهُو السَّيد العَظِيمْ الصَّمَدْ الْ فُوقْ كُلَّ شِي ال ما بْيَلِدْ وما عِنْدُه وَلَدْ مِتْل مَا قَالُوا النَّصارى ال قَالُوا إِنّه المَسِيحْ ابنَ الله واليَهُودْ الْ قَالُوا عِزيْر ابنَ الله وغيرُهم من الكَفَرَة الْ قَالُوا الأَقْوالْ على الله بالباطِلْ. ربّنا واحِدْ عَظِيم مَالُه أَي واحِدْ هُو مِتْلُه ومَالُه أَيّ نَظِير أو شَبيه-دَا مَعْنَى قولِه تَعالَى ولَمْ يَكنْ لَهُ كُفُوْاً أَحَدْ. جَلَّ جَلالُه ونِحْنَ عِبادُه.

وتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَوْنِه تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِخْلاص.

سورة الفلق

مَكِّية وآياتُها خَمْس

نَزلت بَعْدَ الْفِيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾

المفرّدات

أَعُوذُ : أي أَسْتَغِيثُ وأَلُوذُ وأَلْتَجِئُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.

الْفَلَق : هُوَ الصُّبْحُ وقِيلَ هُوَ اسْمُ سِجْنٍ فِي جَهَنَّم إذا فُتِحَ ارْتَجَّتْ مِنْهُ جهَنَّمُ كُلُّها والتَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فَلَقُ الصُّبْحِ وفَرَقُ الصُّبْحِ وعَلَيْهِم نَزَلَ الْقُرآن وبِبَيانِهِم بَيَّنَه اللهُ تَعالَى لَهُم.

ومِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذَا وَقَبَ : غَاسِقٍ مَعْناها مُظْلِم من غَسَقَ اللَّيل يَغسِقُ غُسُوقاً: وَوَقَبَ مَعْناها دَخَل أَي دَخَل فِي الْكَون بِظَلام. واخْتَلَفُوا فِي الْمُرادِ مِنْ قَوْلِه تَعالَى ومن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ فَقَالُوا هُوَ اللَّيْل إِذَا دَخَلَ وهذا أَظْهَرُ الْـمَعانِي وقَالُوا هُوَ نَجْمُ الثُّرَيَّا إِذَا دَخَلَ ومَعَ الثُّرَيَّا كَانَتْ تَجِيءُ الْأَوْبِئَةُ عِنْدَهُم

وقِيل هُوَ الْقَمَرُ إذا ذَهَبَتْ أَيَّامُ ضِيائِه ودَخَلَ فِي الظَّلام إذا دخل.

ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ : السَّوَاحِر كُنَّ يَعْقِدْن الْخُيُوطَ ويَتْفُلْنَ عَلَيْها وسُمِّينَ النَّفَّاثات لأَنَّهُنَّ كُنَّ يَنْفُثْنَ أي يَتْفُلْنَ عَلَى الْخُيُوطِ الَّتي يَعْقِدْنَها والنَّفْثُ هُوَ النَّفْخُ مَعَ شَيْءٍ مِن التَّفْلِ وهو كما ذَكَرَ صَاحِبُ القَامُوسِ أَقَلُّ مِن التَّفلِ فأَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّهِنَّ لأَنَّهُنَّ كُنَّ يَعْمَلْنَ السِّحْرَ وهُوَ شَرٌّ وكُنَّ يَفتِنَّ النَّاسَ ويَخْدَعْنَهُمْ بِهِ وذَلِكَ شَرٌّ وربَّما جاءَ مِنْهُنَّ الضَّرَرُ وهُوَ شَرٌّ .

الخُــلاصَــة

أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ بالله رَبِّ الصُّبْحِ والنَّهـارِ مِـن شَرِّ كُـلِّ شَيْءٍ خَلَقَـهُ ومِـن شَرِّ الظَّلَامِ إِذَا دَخَلَ ومِن شَرِّ النِّساءِ اللَّائِي يَعْمَلْنَ بالسِّحْرِ ويَعْقِـدْنَ الْخُيُـوطَ وينفِـثْنَ عَلَيْهـا أَي يَنْفُخْنَ ويَتْفُلْنَ عَلَيْها ومِن شَرِّ الْحَسُودِ إِذَا حَسَدَ نَسْتَعِيذُ باللهِ مِمَّا اسْتَعاذَ مِنْهُ نَبِيُّه ﷺ إِنَّـه سَـمِيعٌ مُجِيب.

خُلاصَــة بالدارجَــة

رَبَّنا أَمَر النَّبي عَليه الصَّلاةُ والسَّلام- والأَمْرْ دَا لِينا كُلَّنا- أَمَرُه يِتْعَـوَّذْ بـالله رَبّ الصَّباح والضَّو دَا مَعَنَى الفَلَقْ ويِتْعَوَّذْ مِـنْ شَرّ جمِيـع الخَلِـقْ ومِـن شَر اللَّيـل وَقِتْ يَدْخُل دَا مَعْنَى ومِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبْ- وَقَب يَعْنِي دَخل. وغَاسِقِ يَعْنِـي

مُظْلِم. وأَمَرْه أَن يِتْعَوَّذْ مِن شَرِّ النَّفاثات يَعْني النِّسا أَل[1] بيَنْفُخَنْ ويَتْفُلَنْ في الْعُقَد يَعْنِي عُقَد الخيوط - بَاقِي كَانَتْ النِّسْوان السَّاحِرات بِتْجِيب الْخُيوط وتَرْبُطها عُقَدْ وتَتُفْ فِيها تَعمَل بِي دَا عَمَل السِّحر، رَبَّنا أَمَرْ النَّبِي عليه الصَّلاة والسَّلام يِتْعَوَّذ من سِحرِهِن ومِن شَرِّهِن وكَمانْ أَمَرُه يِتْعَوَّذ مِن شَرِّ الْحَسُود وَقِتْ يَحْسِد وقانا الله شره ونستعيذ بالله من كُلِّ ما تَعَوَّذ بِيهُ منُّه نَبِيهُ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَوْنِه تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَلَقِ

(1) ال يعني: اللائي.

سورة النّاس

مَكِّية وآياتُها سِتٌّ نَزَلَت بَعْدَ الْفَلَق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

تنبيه:

كَلِمَة النَّاس فِيها الإِمَالَة لأَبِي عَمْرو عَلَى الْوَجْهِ الأَشْهَرِ ولَيْسَتْ لِحَفْصٍ من إمالَةٍ فِيها.

الخُلاصَة

أَمَرَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ ويَسْتَجِيرَ بالله رَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ جَمِيعِهم وإلههم الَّذي لا إله غَيْرُه، أمره أَن يَسْتَعِيذَ وَيَسْتَجِيرَ مِن شَرِّ الشَّيْطان الَّذي يُوَسْوِسُ في الصُّدُورِ ويَخْنِسُ أي يَسْكُتُ ويَتَراجَعُ ثُمَّ يَعُودُ مَرَّةً أُخرى ويُوَسْوِسُ وقَدْ أَمَرَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى نَبِيَّه ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِن كُلِّ شَيْطَانٍ يُوَسْوِسُ فِي الصُّدُورِ من شَيَاطِينِ الإِنْس والجِنِّ. والجِنَّة مَعناها ههُنا الجِنُّ. والشَّيطان مِن الإِنْس والجِنِّ يُوَسْوِس للإِنسان حَتَّى يُطِيعَهُ فَإِذَا أَطَاعَه خَنَس وانْصَرَف عَنْهُ خذلاناً وإذا ذكرَ المرءُ ربَّه سبحانَه وتعالى وزجرَالشيطانَ خنسَ وانصرفَ عنه فِراراً وَهَرَباً اللَّهمَّ قَوِّنا بِذِكْرِ الله وبزَجْرِ الشَّيْطانِ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيم.

خُـلاصَــة بالدارجَـة

ربَّنا أَمَر نَبيُّه عليه الصَّلاة والسلام يِتْعَوَّذ بالله رَبِّ النَّاس وخالِقْهم ومَلِكُهم أَلْ مَا فِي رَبْ غَيرُه قَالْ ليهُ اتْعَوَّذ من شَرِّ الْوَاسْوَاس يَعْنِي الـشَّيْطان الْبِوَسْـوِسْ في صُدُورِ النَّاس ودَا بَاقِي هُو الشَّيْطانْ لَعْنَةُ الله عَليه يْوَسْوِسْ ويَخْنِس وربَّنا سُـبحانه وتَعالى أَمَر النبي عليه الصَّلاة والسَّلام يِتْعَوَّذ من شَيْطانَ الانِـسْ وشَـيْطان الجِْـنّ، والْجِنَّة يَعْنِي الجِْنّ. اللَّهم نَعُوذ بِكَ مِن الْوَسْوَاسِ الخَْنَّاسِ ومِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيم.

وتَمَّ بِحَمْدِ الله وعَوْنه تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ وتَفْسِيرُ جُزْءِ عَمَّ- واللهُ الهَادي إلى سَواءِ السَّبِيلِ لَهُ الحَمْدُ أَوَّلاً وأَخِيراً وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آلـهِ وصَـحْبِه وسَلَّم.

تمت مراجعته في ٢٢ صفر ١٣٩٢ هـ بحمد الله وعونه ويليه إن شاءَ الله جزءُ تبارك وبالله التوفيق.

إستدراك وإضافة

اعلم أصلحك الله أنا جردنا كثيراً من الأحرف الشريفة من الشكل جرياً على عادة أهل التفسير حتى إنه قد يجرد بعضهم الآيات عن الشكل جملة واحدة فضلاً عن علامـات الأداء. ولذلك لم نثبت أمثال فتحة النون من (سيعلمون) ص ٢١ وساهون ويراءون ص ٤٢٨ مثلاً وأمثال كسرتها في بالدين ٤٢٨ وسكرة الباء في بآياتنا ص ٢٩٦ وضمة الـدال في لـشهيد ص ٢٩٣ وهلم جرا. ومن المد المتصل نحـو جـزاء وفاقـاً ص ٢٥ ونحـو الطامـة ص ٧٧ ومـن المتفصل نحو إنما أنت ص ٧٩ وقد ثبتنا بعض المدات الإملائية نحو مآبا ص ٤٩ وهـي مئابـا ص ٢٩ ونحو الآية ص ٦٧ ونحو القرآن ص ١٨٢ ونحو بآيها ص ١٧٢ و ١٣٥ مثلاً اتبعْنا فيه منهجاً إملائياً والتي في المصحف برسمه بياء وألف صغيرة فوقها وفتحة وألف بعد اليـاء فوقها همزة مفتوحة ومدة من فوق الياء نحو الألف علامة الأداء الخ. ومواضع المد المنفصل والمتصل واختلاف العلماء في ذلك وفي نحو آمن وهؤلاء آلهة كل ذلك بينتـه كتـب التجويـد مثل الشاطبية (٤٨-٦٢) هذا وقرآن والقرآن متفق على قصره فمدته عندنا إملائية لا غير كما تقدم إن شاء الله تعالى. هذا ونحو فلن نزيدكم ص ٣٧ ونحـو زجـرة واحـدة ص ٦٢ شـأن يغنيه ص ١٠٢ خاشعة عاملة ص ٢٣٦ لم نراع فيه تجريد النـون وتتـابع حركتـي التنـوين أو تركيبهما على النحو الذي يأخذ به حذاق أهل الرسم كالشيخ محمد بن علي بن خلف رحمه الله (مصحفه، مصر ١٣٣٧هـ) الذي عليه في رسمه اعتماد أكثر مصاحف العصر برواية حفـص فيما نرجح والله أعلم. فمما وقع من ذلك إن شاء الله نحو من ماء من تجريد النون وشدة الميم ص ٢٠٩ وكتركيب ضمتي خاشعة ٢٣٦ فمما اتفق اتفاقاً وهو حسن ولم نلتزمه كما قـدمنا في البدء وكثير من المصاحف المتقنة الصنع الآن تلزم التركيب في حركتي التنـوين. ومراعـاة مـا

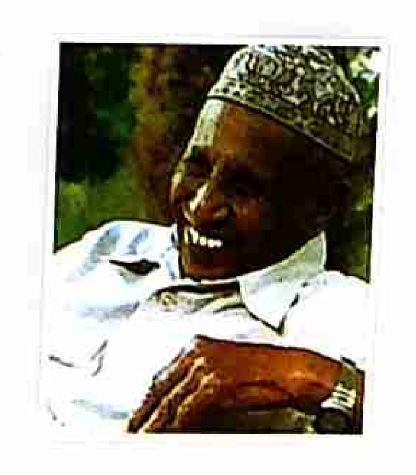
راعى الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني وأصحابه أجود وأدق وعليها العمل في مصاحف اليد برواية الدوري عن أبي عمرو عندنا والله أعلم. ونحو فأراه ص ٦٧ نبهنا على إيثار الألف للتسهيل فيه وكذلك في بناها فسواها ضحاها ونحوه من آيات النازعات وما أشبه كآيات والشمس وضحاها ونحو إلى أهلهم ص ١٦٢ عليهم القرآن ص ١٨٢ عرينا أواخره تنبيهاً على وجوه الأداء بكسر الميم والهاء فيما سبقت هاءه كسرة أو ياء ساكنة لأبي عمرو وحفص بضم الميم ومثل حفص مَنْ سوى أبي عمرو عدا حمزة والكسائي فإنهما يضمان الهاء في الوصل ويرجع إلى ذلك في مواضعه من كتب التجويد في باب الفاتحة فهو مفصل هناك والله أعلم وبه والتوفيق.

الفهرس

السورة الصفحة

السورة الصفحة

رقم الإيداع ٢٠١٦/٧٣٤)



البروفسرعبد الله الطيب

- ولد بغرب الدامر في 25 رمضان 1339هـ – 2 يونية 1921هـ.

والداه الطيب عبد اللّه الطيب وعائشة جلال الدين الطيب وهو ابن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب.

- تعلم بمدرسة كسلا والدامر وبربر وكلية غوردون بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا وجامعة لندن بكلية التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية.
- نال الدكتوراة من جامعة لندن SOAS سنة 1950م.
- عمل بالتدريس بأم درمان الأهلية وكلية غوردون وبخت الرضا وكلية الخرطوم الجامعية وجامعة الخرطوم وغيرها.
- تولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (1961- 1974م).
- كان مديراً لجامعة الخرطوم (1974- 1975م).
- أول مدير لجامعة جوبا (1975- 1976م).
- أسس كلية بايرو بكنو بنيجريا وهى الآن جامعة مكتملة.
- عمل استاذاً للعربية بالمغرب في كلية الآداب بجامعة سيدى محمد بن عبد اللّه بفاس.
- عين استاذاً ممتازاً مدى الحياة (بروفسر اميرتس PROFESSOR EMERITUS) بجامعة الخرطوم في سنة 1979م.
- له عدة مؤلفات منها المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، والأحاجي السودانية , ونافذة القطار.
- له عدة دواوين شعرية مثل : أصداء النيل وبانات رامة وأغاني الأصيل , وزواج السمر.
- عضو عامل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ مارس 1961م.
- أول رئيس لمجمع اللغة العربية بالخرطوم .
- منح الدكتوراة الفخرية من جامعة الخرطوم سنة 1981م ومن جامعة بايرو بكنو بنيجيريا 1988م ومن جامعة الجزيرة السودان 1989م.
- شارك في عدة مؤتمرات في السودان وخارجه.
- له مساهمة في الصحافة والإذاعة والتلفزيون.
- فسر القرآن الكريم كله من إذاعة أم درمان بين 1958-1969م مع تلاوة الشيخ صديق أحمد حمدون رحمه اللّه تعالى رحمة واسعة.
- نال جائزة الملك فيصل سنة 2000.
- توفي سنة 2003م يوم الخميس 6/19 وترك أكثر من 45 كتاباً عدا المحاضرات والبرامج الإذاعية والتلفازيّة.

ردمك 978-99942-4-600-7

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة